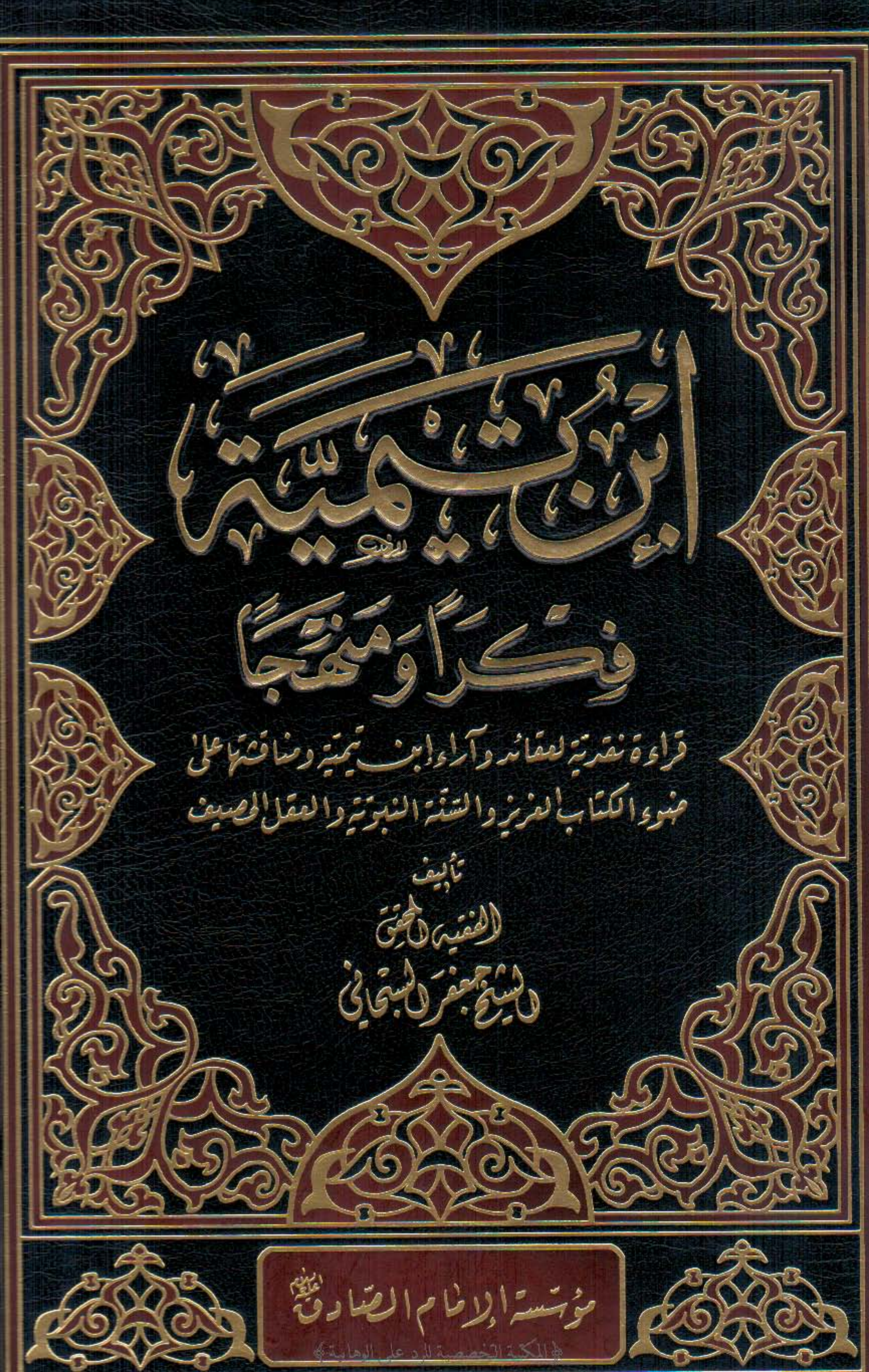

ابن تيمية
فكراً ومنهجاً
قراءة نقدية لعقائد وآراء ابن تيمية ومناقشتها على
ضوء الكتاب العزيز والسنة النبوية والعقل الحصيف
تأليف
الفقيه المحقق
الشيخ جعفر السبحاني
مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن تيمية
فكراً ومنهجاً

الاهداء

إلى الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه..

إلى الذين ينتهجون سبل البحث العلمي، سعياً وراء الحقيقة..

إلى الذين تحرّروا من أسر الأهواء والنزعات الشخصية، وأثروا إنصاف الحق..

إلى الذين ينظرون إلى الأُمور بعقلية فاحصة دارسة، لا بـعقلية التقليد الأعمى والتقديس الأجوف..

إليهم جميعاً، أُهدي هذا الكتاب مشفوعاً بصادق الودَّ، وخالص المحبّة.

المؤلف

ابن تيمية
فكراً ومنهجاً

قراءة نقدية لعقائد وآراء ابن تيمية ومناقشتها على ضوء الكتاب العزيز والسنّة النبوية والعقل الحصيف

تأليف

الراجي عفو ربّه

جعفر السبحاني

نشر

مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

السبحاني التبريزي، جعفر، ١٣٤٧ ق. ـ
ابن تيمية فكراً ومنهجاً: قراءة نقدية لعقائد وآراء ابن تيمية ومناقشتها على ضوء الكتاب العزيز... / تأليف جعفر السبحاني ـ قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ١٤٣٢ ق = ١٣٩٠
٦١٦ ص.
ISBN: ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٣٥٧ ـ ٤٩٠ ـ ١
أُنجزت الفهرسة طبقاً لمعلومات فيبا.
١. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، ٦٦١ ـ ٧٢٨ ق. ـ ـ نقد و تفسير. ٢. وهابية ـ ـ شبه وردود. ٣. شيعة ـ ـ شبه وردود.
BP٢٠١/٦٥ ١٣٩٠ ٢س ١٧الف
٢٩٧/٤١٦
المكتبة الوطنية في ايران
٢٤٨٢٥٦٢

اسم الكتاب: .... ابن تيمية فكراً ومنهجاً
المؤلّف: .... العلّامة الفقيه جعفر السبحاني
الطبعة: .... الأُولى - ١٤٣٢هـ. ق
المطبعة: .... مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام
الكمية: .... ١٠٠٠ نسخة
الناشر: .... مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام
التنضيد والإخراج الفني: .... مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ـ السيد محسن البطاط
تسلسل النشر: ٦٦٣
تسلسل الطبعة الأُولى: ٣٨٠

توزيع
مكتبة التوحيد
ايران ـ قم؛ ساحة الشهداء
☎ ٧٧٤٥٤٥٧ ٢٥١-٩٨+؛ ٩١٢١٥١٩٢٧١ - ٩٨+
http://www.imamsadiq.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسان بآرائه وأفكاره

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وأشرف رسله محمد وآله الطاهرين.

أمّا بعد؛

إذا أردنا أن نتعرّف على حقيقة شيء ما، فأقرب الطرق وأحسنها هو التعرّف على آثاره وثمراته، فإنّ الأثر خير دليل على واقع المؤثّر، فحلاوة الثمرة آية كون الشجرة طيّبة، ومرُّها دليل على أنّها شجرة خبيثة، وكلٌّ يعكس ما عليه الشيء من كمالٍ وجمال، أو عيب ونقصان؛ وهذا ما ينطبق على الإنسان، فأفضل وسيلة لتقييمه هي مراجعة آثاره ومؤلّفاته ودراسة ما فيها من آراء وعقائد، دون الاعتماد على تعديل هذا وجرح ذاك، على الرغم من أهميّة الجرح والتعديل وأقوال العلماء في تقييم الرجال.

هذا وقد اختلفت الآراء في أحمد بن تيمية الحرّاني (٦٦٢ـ ٧٢٨هـ) فمن الناس من يصفه بالإمام في العقائد والمعارف والتفسير والفقه، ويستشهد بكلامه ولا يجيز لنفسه ولا لغيره العدول عن مواقفه وآرائه قيد أنملة.

ومنهم من يقف على طرف النقيض من ذلك، ويقول: إنّه عبد خذله الله، وأضلّه وأعماه وأصمّه.

ونحن لا ندري أيّاً من الرأيين هو الصواب، فلو اتّبعنا أحدهما فقد بخسنا حق الرجل حيث اقتفينا أقوالهم ـ في مدحه وذمّه ـ بلا دليل.

ولذلك سلكْنا منهج الدراسة الصحيحة، وهو قراءة أفكاره وآرائه في ما تركه من الكتب والرسائل، واتّخذنا موقفاً علمياً يرضاه الله سبحانه ورسوله، منطلقين من قوله سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالْبَصَرَ والفُؤاد كلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤولاً﴾.[1]

وسنقرأ شيئاً من آراء العلماء في حقّه وستجدها ـ كما قلنا ـ على طرفي نقيض.

اختلاف آراء العلماء في ابن تيمية

اختلفت أنظار العلماء في أحمد بن تيمية اختلافاً شديداً، وها نحن نذكر شيئاً من كلمات المادحين والذاميّن ولا نستقصي، إذ يطول عندئذٍ الكلام، كما يطول موقفنا مع القرّاء الكرام.

كلمات المادحين:

١. وصفه محمد بن شاكر الكتبي بقوله: الإمام العلّامة، الفقيه، المفسّر، الحافظ، المحدّث، شيخ الإسلام، نادرة العصر، ذو التصانيف والذكاء، تقي الدين أبو العباس ابن العالم المفتي شهاب الدين ابن الإمام شيخ الإسلام

١. الإسراء:٣٦.

مجد الدين أبي البركات. قرأ بنفسه ونسخ عدّة أجزاء وصار من أئمة النقد ومن علماء الأثر مع التديّن والذكر والصيانة والنزاهة عن حطام هذه الدار، ثم أقبل على الفقه ودقائقه، وغاص على مباحثه... .[1]

٢. وصفه تلميذه الذهبي (المتوفّى ٧٤٩هـ) قائلاً: وصنّف في فنون، ولعلّ تآليفه تبلغ ثلاثمائة مجلّدة، وكان قوّالاً بالحق، نهّاءً عن المنكر، ذا سطوة وإقدام وعدم مداراة .[2]

٣. أفاض عبد الحي ابن العماد الحنبلي الكلام في حياة ابن تيمية ونقل كلمات المادحين على وجه التفصيل، وقال:

أقبل على العلوم في صغره فأخذ الفقه والأُصول عن والده ـ إلى أن قال ـ: وبرع في ذلك وناظر وقرأ العربية على ابن عبد القوي ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أُصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من العلوم، ونظر في الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله وردّ على رؤسائهم وأكابرهم.[3]

وسيوافيك ـ عند دراسة آرائه ـ أنّه تأثّر بالفلسفة الإغريقية وقال بقِدَم العالَم وعدم حدوثه، مكان الردّ عليها.

٤. ووصفه صلاح الدين الصفدي بقوله: الشيخ الإمام العالم العلّامة المفسّر الفقيه، المجتهد الحافظ، المحدّث شيخ الإسلام ونادرة العصر، ذو

---

١ . فوات الوفيات: ١/ ٧٤.
٢ . نفس المصدر: ١/ ٧٥. نقلاً عن الذهبي.
٣ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٦/ ٨٠ ـ ٨١.

التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة....[١]

٥. وقال عنه الحافظ شمس الدين الداوودي: الإمام العلّامة، الفقيه المجتهد، الناقد المفسّر، البارع الأُصولي، شيخ الإسلام، علم الزهاد، نادرة دهره... إلى أن قال: شهرته تغني عن الإطناب في ذكره، والإسهاب في أمره.[٢]

كلمات القادحين

قد اطّلعتَ علىٰ كلمات بعض المادحين الذين عرّفوه على الوجه الذي عرفت، وهناك كلمات قادحة وذامّة لمن وقف على آثاره وكتبه أو شافهه وكلّمه، وإليك نزراً من هذه الكلمات :

١. يقول شهاب الدين ابن جهبل الحلبي(المتوفّى ٧٣٣هـ) في الرسالة التي صنفها في نفي الجهة ردّاً على ابن تيمية ما هذا لفظه: فالذي دعا إلى تصدير هذه النبذة ما وقع في هذه المدّة، ممّا علّقه بعضهم في إثبات الجهة واغترّ بها من لم يرسخ له في التعليم قدم، ولم يتعلّق بأذيال المعرفة، ولا سحبه لجام الفهم ولا استبصر بنور الحكمة، فأحببت أن أذكر عقيدة أهل السنّة وأهل الجماعة ثم أُبيّن فساد ما ذكره، مع أنّه لم يدّع دعوى إلّا نقضها، ولا أطّد قاعدة إلّا هدمها.[٣]

٢. يقول الحافظ علي بن عبد الكافي السبكي(المتوفّى٧٥٦هـ) في خطبة كتابه «الدرة المضيّة في الردّ على ابن تيمية» ما هذا لفظه:

---

١ . الوافي بالوفيات:١٥/٧، الترجمة٢٩٦٤.

٢ . طبقات المفسرين:٤٦/١،الترجمة٤٢.

٣ . طبقات الشافعية الكبرى:٣٤/٩ـ٣٥.

أمّا بعد، فإنّه لمّا أحدث ابن تيمية ما أحدث في أُصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب والسنّة، مظهراً أنّه داع إلى الحق، هادٍ إلى الجنة، فخرج عن الاتّباع إلى الابتداع، وشذّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدّسة، وإنّ الافتقار إلى الجزء ليس بمحال، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى، وإنّ القرآن محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن، وإنّه يتكلّم ويسكت، ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدّى في ذلك إلى استلزام قدم العالم، والتزم بالقول بأنّه لا أوّل للمخلوقات فقال بحوادث لا أوّل لها، فأثبت الصفة القديمة، حادثة، والمخلوق الحادث قديماً، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملّة من الملل، ولا نحلة من النحل، فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاث والسبعين التي افترقت عليها الأُمّة، ولا وقفت به مع أُمّة من الأُمم همة، وكلّ ذلك وإن كان كفراً شنيعاً، ممّا نقل جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع... .[١]

٣. يقول أبو بكر الحصني الدمشقي (المتوفّى ٨٢٩هـ) في حق ابن تيمية: فاعلم أنّي نظرت في كلام هذا الخبيث الذي في قلبه مرض الزيغ، المتتبع ما تشابه من الكتاب والسنّة ابتغاء الفتنة، وتبعه على ذلك خلق من العوام وغيرهم ممّن أراد الله عزّ وجلّ إهلاكه، فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به، ولا لي أنامل تطاوعني على رسمه وتسطيره، لما فيه من تكذيب ربّ العالمين، في تنزيهه لنفسه في كتابه المبين، وكذا الازدراء بأصفيائه المنتخبين وخلفائهم الراشدين، وأتباعهم الموفقين، فعدلت عن ذلك إلى

---

١ . لاحظ: الرسائل السبكية: ١٢١، طبع دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

ذكر ما ذكره الأئمة المتّقون، وما اتّفقوا عليه من تبديعه وإخراجه ببغضه من الدين... .[١]

٤. يقول شهاب الدين ابن حجر الهيتمي(المتوفّى ٩٧٤هـ):ابن تيمية عبد خذله الله، وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذلّه، بذلك صرّح الأئمة الذين بيّنوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتّفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد، أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة، وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصر اعتراضه على متأخّري السلف الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

والحاصل أنّه لا يقام لكلامه وزن، بل يرمىٰ في كلّ وعر وحَزْن، ويعتقد فيه أنّه مبتدع ضال، مضلّ، غالٍ. عامله الله بعدله، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله.[٢]

وقال أيضاً في كتابه«الجوهر المنظّم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرّم»:

فإن قلت: كيف تحكي الإجماع السابق على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها، وابن تيمية من متأخّري الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كلّه، كما رآه السبكي في خطّه، وأطال ابن تيمية في الاستدلال بذلك بما تمجّه الأسماع وتنفر منه الطباع، بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً، وأنّه لا تقصَّر فيه

---

١ . دفع شبهة من شبّه وتمرّد:٢١٦، طبع مصر، عام ١٣٥٠هـ. ولاحظ ص ٨٣ من الطبعة المحقّقة، ط ١٤١٨هـ.

٢ . الفتاوى الحديثية:٨٦، ونقله العلاّمة الشيخ محمد نجيب(المتوفّى ١٣٥٤هـ) في كتابه «تطهير الفؤاد»:٩، ط مصر.

الصلاة، وأنّ جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة، وتبعه بعض من تأخّر عنه من أهل مذهبه.

قلت: من هو ابن تيمية حتّى ينظر إليه؟ أو يعوّل في شيء من أُمور الدين عليه؟ وهل هو إلّا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقّبوا كلماته الفاسدة، وحججه الكاسدة، حتّى أظهروا عوار سقطاته، وقبائح أوهامه وغلطاته، كالعز بن جماعة: عبد أذلّه الله وأغواه، وألبسه رداء الخزي، وبوّأه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان، وأوجب له الحرمان.[1]

ونحن نقتصر على هذه الكلمات التي قيلت في مدحه وفي ذمّه، ولا نطيل أكثر[2]، غير أنّ هنا نكتة نلفت إليها نظر القارئ، وسيقف عليها في ثنايا الكتاب عن كثب، وهي ما نبّه عليها الشيخ سلامة القضاعي العزامي المصري(المتوفّى ١٣٧٩هـ) في كتابه «فرقان القرآن» حيث قال: ومن عجيب أمر هذا الرجل أنّه إذا ابتدع شيئاً حكى عليه إجماع الأوّلين والآخرين كذباً وزوراً، وربما تجد تناقضه في الصفحة الواحدة، فتجده في منهاجه مثلاً يدّعي أنّه ما من حادث إلّا وقبله حادث إلى ما لا نهاية له في جانب الماضي، ثم يقول: وعلى ذلك أجمع الصحابة والتابعون. وبعد قليل يحكي اختلافاً لحق الصحابة في أوّل مخلوق ما هو؟ أهو القلم أم الماء؟ وبينما تراه يتكلّم بلسان أهل الحقّ المنزهين، إذا بك تراه قد انقلب جهوياً«جهميّاً».[3]

---

١. فرقان القرآن:١٣٢، طبع في مقدمة كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي.

٢. الكلمات التي قيلت في مدح الرجل أو ذمّه كثيرة، لا يتسع المجال، هنا، لنقلها، وما صدر ضدّه كان أكثر بكثير ممّا صدر لصالحه، وللوقوف على كلمات الذين ردّوا عليه، راجع موسوعتنا «بحوث في الملل والنحل»: ٤ / ٤٨ ـ ٨٢، (فقرة: آراء معاصريه ومقاربي عصره في حقّه)؛ والرسائل السبكية، المقدّمة، نشر عالم الكتب، بيروت.

٣. فرقان القرآن:١٣٢ـ ١٣٧.

والحقيقة أنّ الذي يدفع الباحث إلى التحقيق ورفض التقليد في شأن الرجل، ما نلاحظه من الأُمور التالية:

١. قيام عدد كبير من الفقهاء والعلماء منذ زمانه إلى زماننا هذا بكتابة الردود عليه، ونقد أفكاره وآرائه، إلى حدٍّ لم نعثر على مثله بين الماضين والمعاصرين، وقد ناهز عدد العلماء الذين ردّوا عليه (١١٤) عالماً ومحققاً، وقد عقد الشيخ عبد الله الهرري فصلاً لبيان أسماء العلماء والفقهاء والقضاة الذين ناظروا ابن تيمية أو ردّوا عليه وذكروا معايبه ممّن عاصروه أو جاءوا بعده.[1]

وهذه الردود الهائلة التي لو جُمعت لشكلت مكتبة خاصّة.

٢. إنّ تلميذه المعروف الذهبي الذي وصف أُستاذه بما عرفتَ من كونه قوّالاً بالحق، نهّاءً عن المنكر، إلى غير ذلك من الأوصاف، قد كتب إليه رسالة خاصّة نصحه فيها على وجه يدلّ على أنّ التلميذ ـ وهو الشفوق المحبّ الوادّ لأُستاذه[2] ـ قد بلغ من الاستياء منه إلى حدٍّ شديد، حيث يقول فيها:

إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذم العلماء وتتبع عورات الناس... إلى أن قال: فهل معظم أتباعك إلّا قعيد مربوط خفيف العقل؟ أو عامي كذّاب بليد الذهن، أو غريب واجم قوي المكر؟ أو ناشف صالح عديم الفهم؟ فإن لم تصدِّقني ففتشهم وزنهم بالعدل.

يا مسلم أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار؟ إلى كم تصادقها وتزدري الأبرار؟ إلى كم تعظّمها وتصغّر العباد؟ إلى

١ . المقالات السنية:٤٨٢ـ٥٠٣.

٢ . هذه عبارة الذهبي نفسه في الرسالة المذكورة.

متى تخاللها وتمقت الزهاد؟ إلى متىٰ تمدح كلامك بكيفية لا تمدح ـ والله ـ بها أحاديث الصحيحين؟ يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار.

أما لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوب وتنيب؟ أمّا أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل؟ بلىٰ ـ والله ـ ما أذكر أنّك تذكر الموت، بل تزدري بمن يذكر الموت... .[1]

فإذا كان هذا حال التلميذ بالنسبة إلى أُستاذه، فما حال من عاداه وخاصمه؟

ويأتي في هذا الإطار، قول صلاح الدين الصفدي، الذي تقدّم ثناؤه البالغ على ابن تيمية، ولكنّه قال في شرحه على (لامية العجم) عند قول الطغراني:

ويا خبيراً على الأسرار مطّلعاً

اصمتْ، ففي الصمت منجاةٌ من الزللِ

يقال: إنّ الخليل بن أحمد[الفراهيدي] رحمه الله تعالى اجتمع هو وعبد الله بن المقفّع ليلة فتحادثا إلى الغداة، فلمّا تفرّقا، قيل للخليل: كيف رأيته؟ قال: رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله، وكذا كان ابن المقفّع، فإنّه قتله قلّةُ عقله وكثرةُ كلامه شرّ قتلة، ومات شرّ ميتة.

قال الصفدي (بعد ما ذكر ذلك): وكذا أيضاً كان الشيخ الإمام العالم

---

١ . تكملة السيف الصقيل، للمحقّق المعاصر الكوثري:١٩٠ـ١٩٢. ولاحظ الرسائل السبكية، تحت عنوان النصيحة الذهبية:٢١١ـ ٢١٣.

العلامة تقي الدين أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى، علمُه متّسع جدّاً إلى الغاية، وعقله ناقص يورّطه في المهالك، ويوقعه في المضايق.[١]

٣. إنّ ابن تيمية طرح أفكاره وآراءه في عصر كانت فيه بغداد (عاصمة الخلافة الإسلامية) قد سقطت بأيدي التتار، وساد المسلمين الدمار والهلاك، وعمّت فيهم المذابح الفظيعة والمجازر الرهيبة على يد جيش التتار الوثني، ولا شك في أنّ الدواء الناجع في تلك الأزمنة المظلمة، هو نشر التعاليم الإسلامية التي تدعو إلى الجهاد والوحدة وإعادة الثقة إلى النفوس والعمل على تقوية المعنويات ورفع المستوى العسكري لدى المسلمين عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٢].

ولكن ـ ويا للأسف ـ نرى أنّ ابن تيمية طرح مسائل لا تمتّ بأي صلة لداء الهزيمة والإحباط عند المسلمين.

إنّ طرح الخلافات الكلامية والفقهية في العصر الذي كانت فيه القوارع تُصبّ على رؤوس المسلمين من الشرق والغرب ما هو إلّا من قبيل صبّ الزيت على النار، وتعميق الجُرح غير المندمل، فإنّ الأفكار التي قدّمها ابن تيمية في ذلك العصر الرهيب تتلخص في أُمور نذكر منها ما يلي:

١. يجب توصيفه سبحانه بالصفات الخبرية بنفس المعاني اللغوية من دون تصرّف، كالاستواء على العرش، وأنّ له يداً ووجهاً، وأنّ له نزولاً وصعوداً.

---

١. نقله الشيخ يوسف النبهاني في كتابه: شواهد الحق:١٨٨ـ١٨٩، دار الفكر، ١٤٠٣هـ.

٢. الأنفال:٦٠.

٢. قِدَم العالم وليس هنا له أوّل.

٣. يحرم شدّ الرحال إلى زيارة النبي ﷺ وتعظيمه بحجّة أنّ ذلك يؤدي إلى الشرك.

٤. لا تصحّ أكثر الفضائل المنقولة في الصحاح والسنن في حق علي وآله عليهم السلام.

إلى غير ذلك من الآراء الشاذّة عن الكتاب والسنّة وإجماع المسلمين.

ولو افترضنا صواب آرائه وأفكاره في هذه المجالات، فلا شكّ أنّ نشرها في هذه الأجواء يفرّق الجماعة ويشقّ عصا المسلمين، ويشغلهم عن مواجهة الأعداء والحفاظ على بلاد المسلمين.

***

ونحن لمّا رأينا اختلاف أنظار العلماء في حقّ الرجل إلى درجة تنزّهه جماعة، وتذمّه جماعة أُخرى، رأينا أنّ من الصواب ترك قول هاتين الطائفتين ودراسة آراء الرجل مباشرة من كتبه وفتاواه، فإنّ ثمرة الشجرة أدلّ دليل على حقيقتها، فثمرة النخلة تنبئ عن طيبها وصفائها، وثمرة الحنظل مُرّة تخبر عن خبث أصلها.

وهذا ما دعانا إلى عرض آراء الرجل التي أخذناها من كتبه ورسائله، إلّا أنّنا ركّزنا على كتابه «منهاج السنّة»، لأنّه يعكس تماماً آراءه في تنزيه الله سبحانه وحقوق نبيّه ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

ثمّ إنّ الرجل لمّا كان كثير الانتاج، ولا يكاد يكتب في موضوع إلّا وانتقل إلى موضوع آخر، فصارت الإحاطة بآرائه أمراً مشكلاً.

وقد تكفّل جهد هذا الأمر جهابذة من علماءالمسلمين وأنـصار الحـق الذين تنبض قـلوبهم بـتنزيهه سبحانه عـن الجسـم والجسـمانية والجـهة والحركة كما تنبض بحفظ مقام أولياء الله سبحانه وأصفيائه نذكر منهم ما يلي:

١. تقي الديـن عـلي بـن عـبد الكـافي السـبكي(المـتوفّى ٧٥٦هـ) فـي «**الرسائل السبكية في الرد على ابن تيمية وتلميذه ابن قيّم الجوزية**».

٢. تقي الدين الحصني الدمشقي(المتوفّى ٨٢٩هـ)في «**دفع شُبَه من شَبَّه وتمرّد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد**».

٣. الدكتور محمود سيد صبيح (المعاصر)، فقد تتبع كلامه فيما يـقرب من (٤٠٠٠) صفحة أو يزيد، وردّ عليه في كتابٍ، سـمّاه:«**أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام**».

٤. العلّامة الشيخ عبد الله الهرري، فقد نقد آراء ابن تيمية بتأليف كتابه «**المقالات السنية في الرد على ابن تيمية**».

فجزى الله الجميع خير الجزاء وشكر سعيهم.

ونحمد الله سبحانه ونستعين بـه، راجـين الله أن يـرزقنا مـعرفة الحـق واتّباعه، ومعرفة الضلال واجتنابه، إنّه بذلك قدير، وبالإجابة جدير.

جعفر السبحاني
قم ـ مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام
الرابع من شهر شوال من شهور
عام ١٤٣١ هـ

ثناء وتقدير

أتقدّم بالشكر الوافر إلى المحقّق البارع الأُستاذ السيد **حيدر محمد علي البغدادي الطحّان** ـ دام عزّه ـ فقد أعاننا في تأليف هذا الكتاب، وأفادنا بآرائه وأفكاره، شكر الله مساعيه.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى محقّقي مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ومن ساهم في طباعة الكتاب وإخراجه الفني، حيث بذلوا جهدهم في تصحيح هذا الكتاب وإخراجه بهذه الحلّة القشيبة.

المؤلف

الفصل الأوّل:

في الجانب الاعتقادي

وفيه موارد:

١. التجسيم في عقيدة ابن تيمية.

٢. التشبيه في عقيدة ابن تيمية (حركة الباري ونزوله).

٣. الجهة والمكان لله سبحانه عند ابن تيمية.

٤. نظرة إلى تكلّمه سبحانه في منهج ابن تيمية.

٥. عقائد نابية وشاذّة.

١

التجسيم في عقيدة ابن تيمية[1]

قامت الشرائع السماوية على تنزيه الله سبحانه عن كونه جسماً أو جسمانياً مشابهاً لمخلوقاته إلى غير ذلك ممّا يعدّ من آثار المادة.

غير أنّ احتكاك أقوام ممّن نزلت عليهم الشرائع بالوثنيين، صار سبباً للميل إلى التجسيم والتشبيه، وعلى رأسهم قوم بني إسرائيل.

ويدلّ على ذلك شواهد، منها:

١. طلبهم من موسى عليه السلام إلهاً مجسّماً

إنّ بني إسرائيل لمّا عبر بهم نبيّهم موسى عليه السلام البحر ونزلوا إلى الضفة الأُخرى منه، رأوا قوماً يعبدون الأصنام، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم

---

١ . يراد من القول بالتجسيم أنّه سبحانه جسم له أبعاد كأبعاد الجسم، ويراد من التشبيه تشبيهه سبحانه بالأجسام والممكنات وإثبات آثارهما له سبحانه، كالحركة والنزول وكونه في جهة إلى غير ذلك.

ولكنّ التعبيرين كالفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

فعندما يذكران معاً يراد من كلّ معنى خاص، وإذا أُفرد أحدهما يراد به كلا المعنيين، فليكن ذلك على ذكر منك فإنّه يفيدك في الفصول الآتية.

إلهاً مثل ما لهؤلاء آلهة، لكي يعبدونه، فكأنّهم فكّروا أنّ عبادة الإله غير المرئي أمر غير مفيد، فيجب أن يكون المعبود بصورة موجود مجسّم، وهذا ما يحكيه قوله سبحانه:

﴿وَجاوَزْنا بِبَني إسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلىٰ أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا يا مُوسى اجْعَلْ لَنا إلٰهاً كَما لَهُمْ آلِهَةً قالَ إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.[١]

فالآية تحكي أنّ النزوع إلى الوثنية كان راسخاً في نفوسهم حتى غفلوا عن النعمة الكبرى التي شملتهم، وهي نجاتهم من فرعون، فطلبوا من موسى ما يضاد شريعته وعقيدته.

٢. طلبهم رؤية الله تعالى

الشاهد الثاني على رسوخ فكرة التجسيم عندهم أنّهم طلبوا من موسى عليه السلام رؤية الله سبحانه بالعين، ولولاها لم يؤمنوا به، وهذا ما يحكيه الذكر الحكيم في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّىٰ نَرى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.[٢]

٣. عبادتهم العجل في غياب موسى عليه السلام عنهم

الشاهد الثالث على رسوخ فكرة التجسيم في أذهانهم وأنّهم كانوا يميلون إلى الإله المجسّم أكثر من ميلهم لما دعاهم إليه موسى عليه السلام، اغترارهم بما صنع السامريّ حيث صنع لهم عِجْلاً جسداً له صوت، ودعاهم لعبادته،

---

١. الأعراف:١٣٨.

٢. البقرة: ٥٥.

فعكف القوم ـ إلّا القليل منهم ـ على عبادته، دون أن يدور في خُلد أحدهم أنّ هذا يخالف ما دعاهم إليه نبيّهم موسى عليه السلام عبر السنوات الطوال، وهذا ما يحكيه الذكر الحكيم عنهم، قال سبحانه:

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكانُوا ظالِمِينَ﴾.[1]

وفي آية أُخرى يتّضح بصراحة أنّهم اتّخذوا هذا العجل إلهاً لهم، قال سبحانه: **﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هٰذا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسى فَنَسِيَ﴾**.[2]

وهذه الحوادث التاريخية المريرة على قلب موسى عليه السلام التي يذكرها القرآن الكريم تحكي انحراف بني إسرائيل عن خط التنزيه إلى خط التجسيم.

تطرّق فكرة التجسيم إلى النصرانية

لقد بُعث المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل بنفس ما بعث به الكليم عليه السلام **﴿وَإِذْ قالَ عيسى ابنُ مَرْيَمَ يا بَني إسرائيلَ إنّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ﴾**[3]، وصرّح عليه السلام بعبوديته لله سبحانه، منذ أن كان في المهد صبيّاً **﴿قالَ إنّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾**[4].

ولكن تطرّقت فكرة التجسيم إلى النصرانية بعدما رفع الله المسيح عليه السلام.

---

١. الأعراف:١٤٨.	٢. طه: ٨٨.

٣. الصف:٦.	٤. مريم:٣٠.

وكان المبدأ لذلك هو الديانة البرهمانية التي رفعت علَم التثليث وقالت بالآلهة الثلاثة، أعني:

١. برهما ـ الخالق.

٢. فيشنو ـ الواقي .

٣. سيفا ـ الهادم.

فالإله عند البراهمة يشبه مثلثاً ذا أضلاع ثلاثة، وكانت تلك الفكرة منتشرة بين الروم القاطنين في سوريا وفلسطين وما جاورها حيث بعث المسيح عليه السلام.

فأخذ أتباعه في القرن الثاني نفس الفكرة فصبغوها بشكل آخر، فصار التثليث بالنحو التالي:

الأب، الابن، روح القدس. وهي التي يسمّونها الأقانيم الثلاثة، ينقل الأُستاذ محمد فريد وجدي عن دائرة معارف «لاروس»، ما يلي:

إنّ تلاميذ المسيح الأوّليّين الذين عرفوا شخصه، وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنّه أحد الأركان الثلاثة المكوّنة لذات الخالق، و ما كان بطرس ـ أحد حوارييه ـ يعتبره إلّا رجلاً موحىً إليه من عند الله، أمّا بولس فإنّه خالف عقيدة التلاميذ الأقربين لعيسى وقال: إنّ المسيح أرقى من إنسان وهو نموذج إنسان جديد أي عقل سام متولّد من الله.[1]

ثمّ إنّ القرآن الحكيم يتحدّث عن أنّ النصارى قد اقتبسوا هذه الفكرة من

---

١. دائرة معارف القرن العشرين، مادة «ثالوث».

الذين كفروا من قبل، قال سبحانه: ﴿وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ وَقالَتِ النَّصارى الْمَسيحُ ابنُ اللهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِئُونَ قَوْلَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللهُ أَنّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.(١)

دور الأحبار والرهبان في نشر فكرة التجسيم بين المحدثين

بُعث النبي الخاتمﷺ على تنزيهه سبحانه ورفع مقامه تعالى عن مشابهة المخلوقات، نستلهم ذلك من قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ غير أنّ قسماً من الأحبار والرهبان الذين أسلموا ظاهراً ـ ولكن بقوا على ما كانوا عليه من الديانة الموسوية أو العيسوية باطناً ـ أشاعوا بين المسلمين نفس الفكرة بواسطة الأحاديث والقصص التي كانوا يحكونها عن كتبهم، فأخذها السُّذّج من المحدّثين كحقائق صادقة واقعية، محتجّين بما نسب إلى النبيﷺ من قوله: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

وقد اغترّ بهذه الإسرائيليات أو المسيحيات محدّثان معروفان هما: ابن خزيمة وابن مندة، فقد حشدا في كتابيهما كلّ ما يدلّ على تلك الفكرة الموروثة.

فعن الأوّل يقول الرازي في تفسيره الكبير عند تفسير قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: احتجّ علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية في نفي كونه تعالى جسماً مركباً من الأعضاء والأجزاء، وحاصلاً في المكان والجهة، وقالوا: لو كان جسماً لكان مثلاً لسائر الأجسام فيلزم وجود الأمثال والأشباه

١ . التوبه:٣٠.

له، وذلك باطل بصريح قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

ثم قال: واعلم أنّ محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سمّاه بـ«التوحيد» وهو في الحقيقة كتاب الشرك. ثم وصفه بقوله: إنّه مضطرب الكلام، قليل الفهم، ناقص العقل.[١] ولكلامه صلة، من أراد فليرجع إليه.

وكفى في حق الثاني (ابن مندة) ما سنذكره عنه من قوله: إنّ لله سبحانه عرشاً يجلس عليه وهو يئطّ أطيط الرَّحْل.

عقيدة أهل السنّة في التنزيه

اتّفق أهل السنّة وعلى رأسهم أئمة الأشاعرة على تنزيهه سبحانه عن مشابهة المخلوقات، وقد أفاضوا الكلام في ذلك بإجمال تارة وتفصيل أُخرى، وشذّ عنهم بعض الحنابلة وأهل الحديث، وها نحن نذكر بعض كلماتهم ليقف القارئ على أنّ علماء المسلمين عن بكرة أبيهم مجمعون على أنّه سبحانه منزّه عن مشابهة المخلوقات وعن كونه جسماً أو جسمانياً، وإليك أسماء بعض هؤلاء مع مقتطفات من أقوالهم:

١. أبو جعفر أحمد بن محمد المصري الطحاوي(٢٣٩ـ ٣٢١هـ) في رسالته المعروفة بـ«العقيدة الطحاوية» التي أصبحت مع بعض شروحها كتاباً دراسياً في الجامعات. قال:

ولا شيء مثله، ثم قال: لا تبلغه الأحكام ولا تدركه الأفهام، ولا يشبهه[٢] الأنام.[٣]

---

١. التفسير الكبير:١٥٠/٢٧.

٢. في شروح أُخرى: يشبه.

٣. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: ١ / ٥٧ ـ ٨٤ ط. مؤسسة الرسالة.

٢. أبو الثناء اللامشي الحنفي الماتريدي من علماء القرن الخامس وأوائل السادس، قال ما نصّه: وإذا ثبت أنّه تعالى ليس بجوهر، فلا يتصوّر أن يكون جسماً أيضاً، لأنّ الجسم اسم للمتركب عن الأجزاء، يقال: هذا أجسمُ من ذلك، أي أكثر تركّباً منه، وتركّب الجسم بدون الجوهرية وهي الأجزاء التي لا تتجزأ، لا يتصوّر؛ ولأنّ الجسم لا يتصوّر إلّا على شكل من الأشكال، ووجوده على جميع الأشكال لا يُتصوّر أن يكون، إذ الفرد لا يتصوّر أن يكون مطوّلاً ومدوّراً ومثلثاً ومربعاً، ووجوده على واحد من هذه الأشكال مع مساواة غيره إيّاه في صفات المدح والذم لا يكون إلّا بتخصيص مخصّص، وذلك من أمارات الحدث؛ ولأنّه لو كان جسماً لوقعت المشابهة والمماثلة بينه وبين سائر الأجسام في الجسمية، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.[1]

٣. أبو بكر الباقلاني (المتوفّى ٤٠٣هـ) في «تمهيد الأوائل»، قال:

إن قال قائل: لِمَ أنكرتم أن يكون القديم سبحانه جسماً؟ قيل له: لما قدّمناه من قبل، وهو أنّ حقيقة الجسم أنّه مؤلّف مجتمع بدليل قولهم: رجل جسيم، وزيد أجسم من عمرو، وعلماً بأنّهم يقصرون هذه المبالغة على ضرب من ضروب التأليف في جهة العرض والطول، ولا يوقعونها بزيادة شيء من صفات الجسم سوى التأليف، فلما لم يجز أن يكون القديم مجتمعاً مؤتلفاً، وكان شيئاً واحداً، ثبت أنّه تعالى ليس بجسم.[2]

٤. أبو المظفر الاسفراييني (المتوفّى ٤٧١هـ)، قال:

---

١ . التمهيد لقواعد التوحيد: ٥٦، تحقيق عبد المجيد تركي، ط. دار الغرب الإسلامي.

٢ . تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: ١١١، تحقيق أحمد فريد المزيدي. ط. دار الكتب العلمية .

وأن تعلم أنّ القديم سبحانه ليس بجسم ولا جوهر، لأنّ الجسم يكون فيه التأليف، والجوهر يجوز فيه التأليف والاتّصال، وكلّ ما كان له الاتّصال أو جاز عليه الاتّصال يكون له حدّ ونهاية. وقد دللنا على استحالة الحدّ والنهاية على الباري سبحانه وتعالى، وقد ذكرالله تعالى في صفة الجسم الزيادة فقال: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[1] فبيّن أنّ ما كان جسماً جازت عليه الزيادة والنقصان ولا تجوز الزيادة والنقصان على الباري سبحانه.[2]

٥. عمر النسفي (المتوفّى ٥٣٤هـ) في «العقيدة النسفية»، قال: والمُحدِث للعالم هو الله تعالى الواحد القديم القادر الحيّ العليم السميع البصير الشائي المريد، ليس بعَرَض ولا جسم ولا جوهر ولا مصوّر ولا ممدود ولا معدود ولا متبعّض ولا متجزّ ولا متركّب ولا متناه، ولا يوصف بالمائية ولا بالكيفية، ولا يتمكّن في مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا يشبهه شيء، ولا يخرج من علمه وقدرته شيء.[3]

هذه إلمامة عابرة بعقيدة أهل السنّة في التنزيه، وكتبهم الكلامية والعقديّة مليئة بمثل هذه الكلمات ولا حاجة إلى نقل المزيد منها، إنّما الكلام في عقيدة ابن تيمية في مجال التنزيه، فالرجل يخفي عقيدته في التجسيم والتشبيه، تارة، فيقول: لا نقول: إنّه سبحانه جسم، ولا نقول: إنّه ليس بجسم.

ولكنّه يظهرها، تارة أُخرى، ويصرّح بأنّه سبحانه جسم بالمعنى الذي اختاره للجسم.

---

١. البقرة:٢٤٧.

٢. التبصير في الدين: ١٥٩، ط ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، ط . عالم الكتب.

٣. العقيدة النسفية:٤، طبعة استنبول.

وها نحن نذكر كلماته من كتبه المختلفة، مشيرين إلى اسم الكتاب وطبعته ومحققه، حتى يرجع إليه من أراد أن يحقّق الموضوع عن كثب.

التجسيم في عقيدة ابن تيمية

النص الأوّل: يقول في تفسير قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]، و تفسير قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[2]، ما هذا نصّه:

«فإنّه لا يدلّ على نفي الصفات بوجه من الوجوه، بل ولا على نفي ما يسمّيه أهل الاصطلاح جسماً بوجه من الوجوه».[3]

ومراده من الصفات في قوله: نفي الصفات، الصفات الخبرية التي أخبر عنها سبحانه، كاليد والوجه وغيرهما، فهو يعتقد أنّ الجميع يوصف به سبحانه من غير تأويل ولا تعطيل، بل بنفس المعنى اللغوي.

النص الثاني: وقال أيضاً:

«وأمّا ذكر التجسيم وذمّ المجسّمة، فهذا لا يعرف في كلام أحد من السلف والأئمّة، كما لا يعرف في كلامهم أيضاً القول بأنّ الله جسم أو ليس بجسم».[4]

النص الثالث: ويقول في كتاب آخر له:

«وأمّا ما ذكره [العلّامة الحلّي] من لفظ الجسم وما يتبع ذلك، فإنّ هذا

---

١. الشورى:١١. ٢. مريم:٦٥.

٣. موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول أو «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية:١/١٠٠، طبعة دارالكتب العلمية، ط١، بيروت ـ ١٤٠٥هـ.

٤. نفس المصدر:١/١٨٩.

اللفظ لم ينطق به في صفات الله تعالى لا كتاب ولا سنّة، لا نفياً ولا إثباتاً، ولا تكلّم به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم، لا أهل البيت ولا غيرهم».[١]

إلى هنا يتّضح أنّه أخفى التصريح بأنّه تعالى جسمٌ، ونفى أن يكون ذلك القول، يعني أنّ الله جسم أو ليس بجسم، قد ورد في كلام السلف، ولكنّه أظهر عقيدته في مواضع من كتبه، وهذا ما نلاحظه في النصّين التاليين:

النص الرابع: «وقد يراد بالجسم ما يشار إليه، أو ما يرى، أو ما تقوم به الصفات، والله تعالى يُرى في الآخرة وتقوم به الصفات ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم.

فإن أراد بقوله: «ليس بجسم» هذا المعنى قيل له: هذا المعنى ـ الذي قصدت نفيه بهذا اللفظ ـ معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول وأنت لم تقم دليلاً على نفيه.

وأمّا اللفظ فبدعة نفياً وإثباتاً، فليس في الكتاب ولا السنّة، ولا قول أحد من سلف الأُمّة وأئمتها إطلاق لفظ «الجسم» في صفات الله تعالى، لا نفياً ولا إثباتاً».[٢]

فقد عرّف إلهه الذي يعبده بالأُمور التالية:

١. أنّه يُشار إليه.

٢. أنّه يُرى.

---

١. منهاج السنّة النبوية: ١٩٢/٢، تحقيق محمد رشاد سالم، ١٤٠٦ هـ، وفي طبعة بولاق: ١ / ١٩٧.

٢. منهاج السنّة: ١ / ١٨٠، طبعة بولاق، وج ١٣٤/٢ـ ١٣٥ الطبعة المحقّقة.

٣. أنّه تقوم به الصفات فيكون مركّباً.

٤. أنّ له مكاناً وجهة، بدليل رفع الناس أيديهم عند الدعاء إلى الأعلى.

فالإله بهذا المعنى عنده ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول.

النص الخامس: «فمن قال إنّ الله جسم، وأراد بالجسم هذا المركّب فهو مخطئ، ومن قصد نفي هذا التركيب عن الله فقد أصاب في نفيه».(١)

وهذا إقرار منه بأنّ الله تعالى جسم، ولكنّه ـ كما يعتقد ـ لا يماثل سائر الأجسام، من حيث إنّ تركيبها حادث. فهو لا ينفي الجسمية عن الله تعالى، وإنّما ينفي عنه هذا التركيب الحادث، ويدلّ على ذلك قوله:(ومن قصد نفي هذا التركيب عن الله، فقد أصاب في نفيه) لهذا التركيب، وحسْب!!

النص السادس: وقال أيضاً: «وأمّا القول الثالث ـ و هو القول الثابت عن أئمة السنّة المحضة كالإمام أحمد وذويه ـ فلا يطلقون لفظ الجسم لا نفياً ولا إثباتاً، لوجهين: أحدهما: أنّه ليس مأثوراً لا في كتاب ولا سنّة، ولا أُثر عن أحد من الصحابة والتابعين [لهم بإحسان، ولا غيرهم من أئمة المسلمين]، فصار من البدع المذمومة».(٢)

النص السابع: وقال أيضاً: «وليس في كتاب الله، ولا سنّة رسوله، ولا قول أحد من سلف الأُمّة وأئمتها أنّه ليس بجسم، وأنّ صفاته ليست أجساماً وأعراضاً».(٣)

---

١ . شرح حديث النزول:٢٣٧، تحقيق محمد بن عبد الرحمن الخميس، نشر دار العاصمة.

٢ . منهاج السنّة: ٢٢٤/٢ ـ ٢٢٥، وفي طبعة بولاق: ١ / ٢٠٤ .

٣ . بيان تلبيس الجهمية:١٠١/١. تحقيق محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكّة المكرّمة، ١٣٩٢هـ، ط١ .

هذه كلماته التي نقلناها بنصّها من بعض كتبه، ودع عنك ما ذكره في الرسائل الكبرى التي سيوافيك شيء منه.

ولكن ما ندري ما ذا يريد بقوله: ثابت بصحيح المنقول، فهل يعني الذكر الحكيم؟ فما اختاره يضادّه تماماً حيث يقول : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فلو كان سبحانه جسماً يلزم أن يكون له طول وعرض وارتفاع، وبالتالي يكون مركّباً من أجزاء محتاجاً في تحقّقه إلى كلّ جزء. هذا ما يقوله صحيح المنقول.

وأمّا ما نسبه إلى صريح المعقول فهو أيضاً يضادّ ما ذكره تماماً كذلك، إذ لو كان جسماً لاحتاج إلى مكان، فالمكان إمّا أن يكون قديماً فيكون إلهاً ثانياً، وإن كان حادثاً أحدثه سبحانه، فأين كان هو قبل إحداث هذا المكان؟

وأمّا رفع الناس أيديهم عند الدعاء فلا يعني أنّه سبحانه في السماء وإنّما يريدون إفهام رفعة مقام الله سبحانه برفعهم أيديهم؛ مضافاً إلى أنّ البركات تنزل من السماء، قال سبحانه: **﴿وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ﴾**[١]، وسيأتي الكلام فيه، فانتظر.

وأمّا ما نسبه إلى السلف ـ فالسلف بريء منه براءة يوسف ممّا اتّهم به ـ فيكفينا أن نذكر كلام البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»، قال: احتجّ أهل السنّة على أنّه سبحانه ليس في مكان بالحديث النبوي التالي، قال ﷺ: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**» فإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان.[٢]

---

١ . الذاريات:٢٢.

٢ . الأسماء و الصفات: ٤٠٠، باب ما جاء في العرش والكرسي.

وهناك كلمات كثيرة لأهل الحديث لا يسعها المقام.

إجابة عن سؤال

ربّما نسمع من الكثير من أتباع الرجل قولهم: إنّه سبحانه جسم لا كالأجسام، نظير قولنا: شيء لا كالأشياء، فكما أنّ الثاني صحيح، فالأوّل صحيح أيضاً.

والجواب عنه واضح، وهو أنّ الشيء لا يدلّ على خصوصية خاصّة، بل يدلّ على نفس الوجود والتحقّق، فلا مانع من أن يقال: إنّه شيء لا كالأشياء، أي له وجود لا كوجود الأشياء.

وأمّا الجسم فيدلّ على خصوصية مقوّمة له، وهو كونه ذا عرض وطول وارتفاع، فالقول بأنّه جسم يلازم ثبوت هذه الصفات، فتعقيبه بـ:لا كالأجسام ينفي هذه الخصوصيات، فيكون الكلام حاملاً للتناقض.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني (المتوفّى٤٠٣هـ):

فإن قالوا: ولِمَ أنكرتم أن يكون الباري سبحانه جسماً لا كالأجسام، كما أنّه عندكم شيء لا كالأشياء؟

قيل لهم: لأنّ قولنا (شيء) لم يبن لجنس دون جنس، ولا لإفادة التأليف، فجاز وجود شيء ليس بجنس من أجناس الحوادث وليس مؤلّف، ولم يكن ذلك نقضاً لمعنى تسميته بأنّه شيء. وقولنا (جسم) موضوع في اللغة للمؤلّف دون ما ليس بمؤلّف، كما أنّ قولنا: (إنسان) و(مُحدَث) اسم لما وُجد من عدم، ولما له هذه الصورة دون غيرها، فكما لم يجز أن نثبت القديم سبحانه محدَثاً لا كالمحدثات وإنساناً لا كالناس، قياساً على أن لا شيء

كالأشياء، لم يجز أن نثبته جسماً لا كالأجسام، لأنّه نقض لمعنى الكلام، وإخراج له عن موضوعه وفائدته.[1]

كلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية

إنّ ابن تيمية قد بدأ بنشر أفكاره الشاذّة لأول مرّة في رسالته في العقيدة الواسطية ـ أعني: الرسالة التاسعة من مجموعة الرسائل الكبرى ـ ووصف فيها الباري سبحانه بالعبارة التالية:

«تواتر عن رسوله (صلى الله عليه وسلم) وأجمع عليه سلف الأُمّة من أنّه سبحانه فوق سماواته، على عرشه، عليٌّ على خلقه».[2]

ومعنى العبارة أنّه سبحانه :

١. فوق السماوات .

٢. جالس على عرشه .

٣. في مكان مرتفع عن السماوات والأرض.

وليس لهذه الجمل معنى سوى أنّه كملك جالس على السرير في مكان مرتفع ينظر إلى العالم تحته.

نعم استند هو في كلامه هذا بما نقله ابن مندة في توحيده عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

---

١ . تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل:١١٣، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط . دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ.

٢ . مجموعة الرسائل الكبرى، الرسالة التاسعة: ٤٠١/١. ولكلامه صلة ستوافيك في بحثنا عن التشبيه.

«ويحك أتدري ما الله، إنّ عرشه على سماواته وأرضيه ـ وأشار هكذا بأصابعه ـ مثل القبة عليها، وإنّه ليئطّ أطيط الرَّحْل بالراكب».[1]

وكأنّه سبحانه جسم كبير، له ثقل على العرش، وهو يئطّ كما يئطّ الرَّحْل حينما يجلس عليه الإنسان الثقيل.

وللأسف فإنّ هذا الحديث قد ورد كثيراً في كتب الحديث، فقد نقله أبو داود في سننه برقم ٤٧٢٦، وابن خزيمة في توحيده برقم ١٤٧، وابن أبي عاصم في السنّة، ص ٥٧٥، وابن أبي حاتم في تفسير سورة البقرة برقم ٢٢٣.

ولا شكّ في أنّ هذا الحديث وأمثاله من الإسرائيليات التي تطرّقت إلى كتب الحديث، وهو من الآثار السلبية لمنع كتابة الحديث النبوي في القرن الأوّل وشيء من الثاني، حتى تداركه الدوانيقي عام ١٤٣هـ.

ثمّ إنّ ابن تيمية لمّا رأى أنّ كلامه يستلزم أن يكون سبحانه جسماً كالأجسام حاول التهرّب عن ذلك بوجه، أوقعه ـ أيضاً ـ في المحذور، حيث جمع مصطلحات الحكماء والمتكلّمين في الجسم وقال:

لفظ الجسم فيه إجمال، فقد يراد به :

١. المركّب الذي أجزاؤه مفرّقة فجمعت.

٢. أو ما يقبل التفريق أو الانفصال.

٣. أو المركّب من مادة وصورة.

٤. أو المركّب من الأجزاء المفردة التي تسمّىٰ الجواهر المفردة. وقال: والله تعالى منزّه عن ذلك كلّه.

---

١. توحيد ابن مندة: ٤٢٩، طبعة مؤسسة المعارف، بيروت.

ثم قال: وقد يراد بالجسم:

٥. ما يُشار إليه، أو ما يُرى، أو ما تقوم به الصفات، والله تعالى يُرى في الآخرة، وتقوم به الصفات، ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم، فإن أراد [العلّامة الحلّي] بقوله: «ليس بجسم» هذا المعنى، قيل له: هذا المعنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأنت لم تُقم دليلاً على نفيه.[١]

يلاحظ عليه: أنّ الجسم من المفاهيم الواضحة في العرف وليس مشتركاً بين هذه المعاني التي أخذها من الفلاسفة والمتكلّمين، فالصحابة عندما سمعوا قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**﴾[٢]، أو قوله سبحانه: ﴿**وَإِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ**﴾[٣] لم يخطر ببال أحد منهم أي واحد من المعاني المذكورة حتى المعنى الأخير الذي اختاره وقال عنه: «هذا المعنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأنت لم تقم دليلاً على نفيه».

فالجسم عند العرب الأقحاح عامّة ما جاء نموذجه في نفس الآيتين نظير: طالوت في الآية الأُولى، والمنافقين في الآية الثانية. فكلّ شيء كان كهذين النموذجين فهو جسم، والذي يجمع الجميع هو اشتماله على الطول والعرض والعمق، فلو قلنا ـ والعياذ بالله ـ: إنّه سبحانه جسم، فلا محيص من اشتماله على ما اشتملت عليه سائر الأجسام من الأبعاد الثلاثة.

١. منهاج السنّة النبوية: ٢/١٣٤ـ ١٣٥، وفي طبعة بولاق: ١ / ١٨٠.

٢. البقرة:٢٤٧.

٣. المنافقون:٤.

ثمّ إنّه كرّر ما ذكره هنا في مقام آخر،[١] ولا حاجة لنقله.

ثمّ إنّه تفلسف أيضاً في تفسير المكان وقال: قد يراد بالمكان:

١. ما يحوي الشيء ويحيط به.

٢. ما يستقرّ الشيء عليه بحيث يكون محتاجاً إليه.

٣. قد يراد به ما كان الشيء فوقه وإن لم يكن محتاجاً إليه.

٤. وقد يراد به ما فوق العالم وإن لم يكن شيئاً موجوداً.

ثم نفىٰ ما ذكره من المعاني للمكان واختار المعنى التالي:

هو سبحانه فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه، وهذا المعنى حق، سواء سمّيت ذلك مكاناً أم لم تُسمّ.[٢]

يلاحظ عليه أوّلاً: أنّه ليس للمكان إلّا معنى واحد وهو كون شيءٍ في شيءٍ، وإحاطة شيء لشيء، ولذلك يفسّره أهل اللغة بقولهم: المكان موضع كون الشيء، فلو كان لله سبحانه مكان فليس إلّا بهذا المعنى، دون المعاني التي أخذها من مصطلحات الحكماء والمتكلّمين، الذين لهم مصطلحات خاصّة في المفاهيم لا صلة لها بمصطلحات العامّة.

وثانياً: ما ذا يريد من قوله: إنّه «على عرشه»؟ إذ عندئذٍ يتوجّه إليه السؤال الثاني: إنّ ذاته سبحانه لا تخلو من أن تكون مماسّة للعرش، أو غير مماسّة؟

فعلى الثاني تكون ذاته سبحانه منزهةً عن المكان؛ لأنّ المكان عبارة عن

---

١. لاحظ: منهاج السنّة النبوية: ٢/١٩٨ـ ٢٠٠، وفي طبعة بولاق: ١ / ٩٠.

٢. منهاج السنّة النبوية: ١/١٤٤ـ١٤٥، وفي طبعة بولاق: ١ / ١٨٣.

كون شيء في شيء، إلّا أنّه يكون ذا جهة وهو كونه فوق العرش يشار إليه، فقد أثبت لله الجهة التي هي من خصائص الأُمور المادّية.

وإن كانت مماسّة (على الأول) فيكون محتاجاً إليه. ولعمر القارئ إنّ صرف الحبر والقلم في نقد هذه الأفكار السقيمة تضييع للعمر والجهد، ولكن اغترار المتظاهرين بالسلفية بابن تيمية، ألجأني إلى دراسة هذه المواضيع. وسيأتي الكلام حول المكان والجهة لله مستقلاً.

موقف أهل البيت عليهم السلام من فكرة التجسيم

تقدّم أنّ ابن تيمية ذكر في كلماته أنّه لم يرد عن أهل البيت عليهم السلام ما يدلّ على عدم كونه جسماً، ولكنّه لبعده عنهم وما يبدو من كلماته من النصب والعداء الذي يكنّه لهم، فإنّه لم يراجع كلماتهم، فصار يرمي الكلام على عواهنه من غير دليل.

وقد وقف الأصم والأبكم فضلاً عن العلماء على أنّ التوحيد والتنزيه من شعار أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما أنّ التشبيه والجبر من شعار الأمويين، وهانحن ننقل شيئاً قليلاً من كلمات أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

١. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه:

«ما وحدّه من كيّفه، ولا حقيقته أصاب مَن مثّله، ولا إيّاه عنىٰ من شبّهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه».[1]

٢. وقال عليه السلام:

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦.

«فمن وصفَ الله سبحانه فقد قَرَنَهُ، ومَنْ قَرَنَهُ فقد ثنّاه، ومَن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جَهله فقد أشار إليه، ومَن أشار إليه فقد حدّه، ومَن حدّه فقد عدّه... مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة».(١)

٣. وروى الصدوق بإسناده إلى أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث الأعور قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوماً خطبة بعد العصر، قال فيها:

«الحمد لله الذي لا يموت، ولا تنقضي عجائبه، لأنّه كلّ يوم في شأن، من إحداث بديع لم يكن، الذي لم يولد فيكون في العزّ مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم تقع عليه الأوهام فتقدّره شبحاً ماثلاً، ولم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلاً، الذي ليست له في أوّليّته نهاية، ولا في آخريّته حدّ ولا غاية، الذي لم يسبقه وقت، ولم يتقدمه زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، ولم يوصف بأين ولا مكان».(٢)

فأي كلمة أوضح في نفي التجسيم من قوله عليه السلام: **«ولم تقع عليه الأوهام فتقدّره شبحاً ماثلاً».**

وأي جملة أوضح في نفي المكان من قوله: **«ولم يوصف بأين ولا مكان».**

٤. وروى الصدوق ـ أيضاً ـ بإسناده عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني،

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١.

٢. التوحيد: ٣٣، برقم ١.

قال: دخلت علىٰ سيدي علي بن محمد[يعني الإمام علياً الهاديعليه السلام]... قال: فقلت له: يابن رسول الله إنّي أُريد أن أعرض عليك ديني...فقال: هاتِ يا أبا القاسم، فقلت: إنّي أقول:

إنّ الله تبارك وتعالى واحد، ليس كمثله شيء، خارج عن الحدّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه، وإنّه ليس بجسم ولا صورة، ولا عرَض ولا جوهر، بل هو مجسِّم الأجسام ومصوِّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ كل شيء، ومالكه وجاعله ومُحدثه... فقال علي بن محمدعليه السلام: «**يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده، فاثبتْ عليه ثبّتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**».[1]

***

ثمّ إنّ ابن تيمية صار بصدد تصحيح حديث عبد الله بن خليفة، الظاهر في التجسيم على ما رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل بإسناده عن عبد الله بن خليفة قال: جاءت امرأة إلى النبيصلى الله عليه وآله وسلم فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة، قال: فعظّم الرب عزّ وجلّ وقال: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾ إنّه ليقعد عليه جلّ وعزّ، فما يفضل منه إلّا قيد أربع أصابع وإنّ له أطيطاً كأطيط الرحل إذا رُكب.[2] فقال ردّاً على العلّامة الحلي حيث نقل الحديث فقال: فهذا لا أعرف له قائلاً ولا ناقلاً ولكن روي في حديث عبد الله بن خليفة أنّه: ما يفضل من العرش أربع أصابع، يُروى بالنفي تارة ويُروى بالإثبات، والحديث

---

١ . التوحيد:٧٩، برقم٣٧.

٢ . السنّة:٣٠٥/١، برقم ٥٩٣.

قد طعن فيه غير واحد من المحدّثين كالإسماعيلي وابن الجوزي، ومن الناس من ذكر له شواهد وقوّاه.

ولفظ النفي لا يرد عليه شيء، فإن مثل هذا اللفظ يرد لعموم النفي كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما في السماء موضع أربع أصابع إلّا وملك قائم أو قاعد أو راكع أو ساجد»، أي ما فيها موضع.[1]

يلاحظ عليه: أنّ الوارد في كتاب السنّة ـ أي كتاب إمام مذهبه أحمد بن حنبل الذي نقله عنه ولده عبد الله ـ هو الإثبات: ما يفضل منه إلّا قيد أربع أصابع ـ ومعنى ذلك أنّ العرش يمتلئ بوجوده سبحانه ويبقى منه مقدار أربع أصابع خالياً ـ وما احتمله من النفي للفرار عن المعنى الذي يُضحك الثكلى، وما استشهد به من الحديث ـ أعني قوله: «ما في السماوات موضع أربع أصابع إلّا وملك...» ـ يفارق المقام، فإنّ الاستثناء فيه بعد أربع أصابع وفي المقام قبله.

وعلى كلتا الصورتين فالحديث ظاهر في التجسيم، سواء امتلأ العرش بوجوده أو بقي منه أربع أصابع.

وعلى كلّ تقدير فآفة المجسّمة والمشبهة لا تنتهي بما ذكرنا فإنّهم أخذوا التجسيم والتشبيه من اليهود.

يقول الشهرستاني: وزادوا في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وأكثرها مقتبسة من اليهود، فإنّ التشبيه فيهم طباع، حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح

---

١. منهاج السنّة: ٦٢٩/٢، وفي طبعة بولاق: ١ / ٢٦٠.

حتى رمدت عيناه، وإنّ العرش ليئط من تحته كأطيط الرحل الجديد، وإنّه ليفضل من كل جانب أربع أصابع.(١)

ولو أراد الباحث تنظيم العقيدة الإسلامية عمّا عليه المشبهة من حمل الصفات الخبرية في الكتاب والسنّة على ظاهرها لأصبحت العقيدة الإسلامية عقيدة الزنادقة، وإن كنت في شكّ فلاحظ ما ذكره الشهرستاني، قال:

وأمّا ما ورد في التنزيل من الاستواء والوجه واليدين والجَنْب والمجيء والإتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها، أعني ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام، وكذلك ما ورد في الأخبار من الصورة وغيرها في قوله عليه الصلاة والسلام: «خلق آدم على صورة الرحمن»، وقوله: «حتى يضع الجبار قدمه في النار» وقوله: «قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن»، وقوله: «خمّر طينة آدم بيده أربعين صباحاً»، وقوله: «وضع يده أو كفّه على كتفي»، وقوله: «حتى وجدت برد أنامله على كتفي» إلى غير ذلك؛ أجروها على ما يتعارف في صفات الأجسام.(٢)

إنّ الصفات الخبرية هي التي أوجدت فكرة التشبيه والتجسيم عند بعض السلفيين، والمراد بها ما أخبر عنه سبحانه دون أن يدلّ عليه العقل من كونه مستوياً على عرشه، أو أنّ له الوجه واليدين، والجَنْب والمجيء والإتيان والفوق.

ثم إنّ السلف في تفسير الصفات الخبرية على مذاهب:

---

١. الملل والنحل:١/١٢١، دار المعرفة، بيروت ـ ١٤١٦هـ.

٢. الملل والنحل:١/١٢١.

١. منهم مَن يثبت الصفات الخبرية كاليدين والوجه ويقولون هذه الصفات وردت في الشرع، فبالغوا في إثبات الصفات إلى حدّ التشبيه بصفات المحدثات.

قال الشهرستاني(المتوفّى٥٤٨هـ): إنّ جماعة من المتأخّرين زادوا على ما قاله السلف، فقالوا: لابدّ من إجرائها على ظاهرها، فوقعوا في التشبيه الصرف، ولقد كان التشبيه صرفاً خالصاً في اليهود... .[١]

٢. ومنهم مَن اكتفى بتلاوتها من دون أن يحقّقوا معانيها، ونسب ذلك إلى مالك بن أنس لمّا سُئل عن الاستواء على العرش، قال: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ونسب ذلك إلى أحمد بن حنبل وسفيان الثوري وداود بن علي الإصفهاني.[٢]

٣. ومنهم مَن أوّل الظواهر لكي يخرجوا من مغبّة التشبيه والتجسيم، فقالوا: إنّ المراد من اليد قدرته ونعمته إلى غير ذلك من وجوه التأويل.

وعلى ذلك فالسلف إمّا مبتدعة، وهم الذين يجرون الصفات الخبرية على ظاهرها؛ وإمّا معطلة، وهم الذين يمرّون على الآيات ويتلونها دون أن يتفكّروا في حقائقها؛ أو مؤوّلة، وهم الذين يحملون الآيات على خلاف ظواهرها من دون وجود قرائن في نفس تلك الآيات.

وأمّا العلماء الواعون فهم برآء من التشبيه والتعطيل والتأويل، لأنّهم يفرقون بين الظهور الإفرادي والظهور الجملي؟ وإنّما يحتاج إلى التأويل إذا

---

١. الملل والنحل:١/١٠٥.

٢. الملل والنحل:١/١٠٥.

أخذنا بالظهور الحرفي أو الإفرادي، وأمّا لو أخذنا بالظهور الجملي فنحن في غنى عنه، إذ تصير الجمل عندئذٍ ظاهرة في المعاني الكنائية أو المجازية، فالحجّة هو الثاني دون الأوّل، والآيات عندهم ظاهرة في معانيها التصديقية من دون حاجة إلى التأويل، وهي بين مجاز وكناية واستعارة، وأمّا تفصيل ذلك فله مجال آخر، وقد أوضحنا حاله في كتابنا «الإنصاف».[١]

وعلى كلّ تقدير فابن تيمية يُعدّ من الطائفة الأُولى، وهو إمام المدافعين عن حوزة أهل التشبيه، وشيخ إسلام أهل التجسيم ممّن سبقه من الكرّامية وجهلة المحدّثين، الذين أخذوا بالظواهر ونسبوها إلى الله سبحانه، وأحيوا بذلك عقيدة اليهود في الله سبحانه.

***

وفي الختام ننقل ما ذكره في «التأسيس في ردّ أساس التقديس» المحفوظ في ظاهرية دمشق في ضمن المجلد رقم ٢٥ «من الكواكب الدراري»، قال: فمن المعلوم أنّ الكتاب والسنّة والإجماع لم ينطق بأنّ الأجسام كلّها محدثة، وأنّ الله ليس بجسم، ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين، فليس في تركي لهذا القول خروج عن الفطرة ولا عن الشريعة.

وقال في موضع آخر: قلتم: ليس هو بجسم ولا جوهر ولا متحيّز ولا في جهة ولا يُشار إليه بحسّ ولا يتميّز منه شيءٌ من شيء، فكيف ساغ لكم هذا المعنى بلا كتاب ولا سُنّة .[٢]

---

١ . الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف:٣/٣٥٢ـ٣٥٩.

٢ . لاحظ : الرسائل السبكية: ٥١ (مقدمة المحقّق).

٢

التشبيه في عقيدة ابن تيمية

(حركة الباري ونزوله)

من الأُمور الّتي يصرّ عليها ابن تيمية، تجويز الحركة والانتقال والنزول لله سبحانه، بل إنّه يقول فوق ذلك، وأنّه ينزل وينتقل من مكان إلى مكان، وأنّه لا مانع من ثبوت ذلك لله سبحانه، بل يدّعي إن عليه أئمة السلف.

هذا ما يدّعيه ابن تيمية في غير واحد من كتبه، وهانحن ننقل شيئاً من كلماته، ليتّضح للقارئ موقف الرجل من هذا الأمر.

صنّف عثمان بن سعيد الدارمي المجسّم (المتوفّى ٢٨٠هـ)، كتاباً في الردّ[1] على كتاب بشر بن غياث المريسي الجهميّ (المتوفّى ٢١٨هـ) في

---

١. اشتمل كتاب الردّ هذا على ألفاظ منكرة أطلقها على الله، كالجسم والحركة والمكان والحيّز(ص ٣٧٩ ومابعدها) دعاه إليها عنف الردّ وشدة الحرص علىٰ إثبات صفات الله وأسمائه التي كان يبالغ بشر المريسي في نفيها. قال الإمام الذهبي في هذا الكتاب: فيه بحوث عجيبة مع المريسي، يبالغ فيها في الإثبات، والسكوت عنها أشبه بمنهج السلف في القديم والحديث. سير أعلام النبلاء:٣٢٠/١٣(الهامش)، الترجمة ١٤٨.

وقال الشيخ محمد حامد الفقي: إنّه أتىٰ فيه ببعض ألفاظ دعاه إليها عنف الردّ... كمثل الجسم والمكان والحيّز، فإنّني لا أوافقه عليها، ولا أستجيز إطلاقها... سير أعلام النبلاء:٢٠٢/١٠ (الهامش)، الترجمة ٤٥.

التوحيد، نقل عنه ابن تيمية في بعض كتبه، ومن الردود التي نقلها ابن تيمية عن الدارمي المجسِّم ووافقه عليها، قوله: أمّا دعواك (يعني دعوىٰ بشر المريسي) أن تفسير القيّوم: «الّذي لا يزول عن مكانه ولا يتحرك»، فلا يقبل منك هذا التفسير إلّا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله ﷺ أو بعض أصحابه أو التابعين، لأنّ الحيّ القيّوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء، ويهبط ويرتفع إذا شاء، ويقبض ويبسط، ويقوم ويجلس إذا شاء، لأن أمارة ما بين الحي والميّت، التحرّك، كلّ حيّ متحرّك لا محالة، وكل ميّت غير متحرك لا محالة.[1]

ويقول ابن تيمية أيضاً: إنّ جمهور أهل السنّة يقولون: إنّه ينزل ولا يخلو منه العرش، كما نُقل مثل ذلك عن إسحاق بن راهويه وحمّاد بن زيد وغيرهما، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته إلى مسدّد[2].

وقال في «الموافقة»: وأئمة السنّة والحديث على إثبات النوعين، وهو الّذي ذكره عنهم مَنْ نقل مذهبهم، كحرب الكرماني وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما، بل صرح هؤلاء بلفظ الحركة، وأنّ ذلك هو مذهب أئمة السنّة والحديث من المتقدّمين والمتأخّرين، وذكر حرب الكرماني أنّه قول من لقيه من أئمة السنّة، كأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعبدالله بن

---

١ . موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (درء التعارض): ١ / ٣٣٣. نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥ هـ. وما نقله من المريسي وما ردّ به عليه فهو من مصاديق ضعف الطالب والمطلوب فليس معنى القيّوم هو الّذي لا يزول عن مكانه بل معناه القائم بنفسه في مقابل الممكن القائم بغيره، وأمّا ما رُدّ به فهو من الفضاحة بمكان وأنّ نقله يغني عن نقده وردّه.

٢ . منهاج السنّة: ٢ / ٦٣٨، وفي طبعة بولاق: ١ / ٢٦٢.

الزبير الحميدي وسعيد بن منصور، وقال عثمان بن سعيد وغيره: إنّ الحركة من لوازم الحياة، فكلّ حيّ متحرّك، وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات، الذين اتّفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبديعهم.[1]

هذه الكلمات تكفي في بيان نظرية الرجل، وأنّه يثبت لله سبحانه ما هو من صفات الأجسام، وسيوافيك في آخر المقال أنّه جسّد عقيدته في نزوله سبحانه عن العرش، بنزوله درجة من درجات المنبر إلى درجة أُخرى، وقبل دراسة هذه النظرية ومناقشتها، نقدم أُموراً:

الأوّل: تعريف الحركة

عرّفت الحركة بتعاريف مختلفة أصحّها وأسدّها هو أنّ الحركة: عبارة عن خروج الشيء من القوّة إلى الفعل على سبيل التدرّج.

والقوة عبارة عن الاستعداد، ووجود المستعدّ له يلازم خروجها من القوة إلى الفعلية، فهذا النوع من التعريف يشمل كلّ أنواع الحركة الجوهرية والعرضية، أمّا الأُولى فإنّ نواة البرتقال تنطوي على قابلية خاصة وهي قابلية أن تكون شجرة في المستقبل، فإذا وقعت تحت التراب تحولت تلك القابلية إلى الفعلية، وبالتدريج تخرج من القوّة إلى الفعل.

هذا في الحركة الجوهرية، أمّا الحركة العرضية فمنها الحركة في الأين الّتي نسمّيها بالحركة الانتقالية إلى مكان آخر، فهي أيضاً داخلة في التعريف ففي الجسم قابلية لأن ينتقل من مكان إلى مكان، فإذا أخذ بالحركة، فقد صحّ

---

١ . الموافقة (درء التعارض): ١ / ٣٠٩.

أن تتحول تلك القوة والقابلية إلى الفعلية، سواء أكان ذلك بسبب عامل داخلي أو خارجي. هذه هي الحركة وأقسامها.

الثاني: وجود الإمكان في المتحرّك

إذا كانت الحركة هي الخروج من القوة إلى الفعل، فلازم ذلك إمكان وجود الشيء المترقّب في المتحرك . ومن المعلوم أنّ واجب الوجود بريء عن الإمكان فهو فعلية محضة لا ينسجم مع الإمكان. كيف يمكن أن يقال: إنّ في واجب الوجود، قوة ناقصة تتكامل بالخروج عنها إلى الفعلية، وهو كمال مطلق وغنيّ من عامة الجهات .

الثالث: ما هي الغاية من الحركة ؟

إنّ الحركة لابدّ لها من غاية، فما هي الغاية من حركة الباري فهل هي الحركة من النقص إلى الكمال؟ أو من الكمال إلى النقص؟ أو لا هذا ولا ذاك؟

أمّا الأوّل فيلازم وجود النقص في الله سبحانه مع أنّه الغني المطلق والكمال التامّ.

وأمّا الثاني فهو يلازم خروج الواجب من الكمال المطلق إلى النقص (الكمال النسبي).

وأمّا الثالث فهو يلازم العبث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

هذه تحليلات فلسفية تعرضنا لها في هذا المقام لمن له مقدرة علمية على فهم هذه الأُمور، وهناك أمرٌ آخر هو:

الرابع: في علّة ذهاب ابن تيمية وأسلافه إلى إثبات الحركة لله سبحانه

إنّ السبب لذهاب ابن تيمية وأسلافه المجسّمة إلى إثبات الحركة والنزول لله سبحانه، هو ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «يتنزّل ربنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: مَن يدعوني فأستجيبَ له، مَنْ يسألني فأُعطيَه، مَنْ يستغفرني فأغفرَ له»[1].

وعن هذا الحديث تثار تساؤلات، منها:

أوّلاً: أنّ الله سبحانه هو الغفور الرحيم، وأنّه أقرب إلينا من حبل الوريد، فأي حاجة إلى نزول الرب الجليل من عرشه إلى السماء الدنيا ونداءه بقوله: مَن يدعوني فأستجيب له. وهو القائل عزّ اسمه: ﴿فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّٰهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

والقائل: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللّٰهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3].

والقائل: ﴿قُلْ ياعِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[4]، إلى غير ذلك من الآيات التي تكشف عن سعة رحمته لعموم عباده.

كما أنّه سبحانه وعد باستجابة دعاء من دعاه من عباده، فقال: ﴿ادْعُوني

---

١ . صحيح البخاري: ٨ / ٧١، باب الدعاء نصف الليل، برقم ٦٣٢١؛ صحيح مسلم: ٢ / ١٧٥، باب الترغيب في الدعاء.

٢ . المائدة: ٣٩.

٣ . المائدة: ٧٤.

٤ . الزمر: ٥٣.

أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١]، إلى غير ذلك من الآيات الدالّة على قُرب المغفرة من المستغفرين، والإجابة من الله سبحانه للسائلين آناء الليل والنهار، فأي حاجة إلىٰ نزول الرب الجليل من عرشه الكريم إلىٰ السماء الدنيا وندائه بقوله: «مَن يدعوني فأستجيبَ له»؟

ثانياً: تعالىٰ ربّنا عن النزول والصعود والمجيء والذهاب والحركة والانتقال وسائر العوارض والحوادث التي تُفضي إلى الجسمية والتحيّز، تعالىٰ الله عن ذلك علوّاً كبيراً، ومن هنا صار هذا الحديث وأشباهه، سبباً لذهاب الحشوية إلى التجسيم والسلفية إلى التشبيه.

ثالثاً: أنّ لازم ما ذكره أن يكون الله سبحانه دائم النزول والصعود وذلك لتعاقب الليل والنهار، فربّما يكون نصف النهار في بلد هو نصف الليل في بلد آخر، أو أوّل النهار في بلد هو أوّل الليل في بلد آخر، وكلّ بلد له نصف ليل، فحينئذٍ يلزم أن يكون سبحانه طول الليل والنهار بين النزول والصعود، ومعنى ذلك أنّه يتحرك في عامّة الليل الّذي يكون نهاراً في بلد آخر، وعامّة النهار الّذي يكون ليلاً في بلد آخر، وهو كماترى.

رابعاً: أي فائدة في هذا النداء الّذي لا يسمعه أي ابن أُنثىٰ حتّى يرغب إلى الدعاء؟!

***

ومن العجيب أنّ ابن تيمية نسب ذلك القول إلى أئمة السلف، ولكنّ السلف والخلف بريئون من هذه النسبة ؛ وذلك لأنّهم يتلون كتاب الله ليل

---

١. غافر: ٦٠.

نهار وهو يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] وإذا أثبتوا لله الحركة والنزول والصعود، فقد جعلوا لله مثلاً وشبيهاً.

ومن يرجع إلى كلمات علماء الإسلام الواعين من السلف والخلف يجد أنّهم متفقون على تنزيهه سبحانه من أوصاف الجسم والجسمانيات، وأنّهم قد أوّلوا الحديث المروي عن أبي هريرة، بما ينسجم وتقدّسه عن الجسمية.

يقول الحافظ ابن حجر في شرح الحديث المذكور، ما هذا نصّه: استدلّ به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور ؛ لأنّ القول بذلك يُفضي إلى التحيّز، تعالى الله عن ذلك، وقد اختلف في معنى النزول على أقوال، ثم قال: وقد حكى أبو بكر بن فورك أنّ بعض المشايخ ضبطه بضمّ أوله على حذف المفعول أي ينزل ملكاً، ويقوّيه ما رواه النسائي من طريق الأغرّ عن أبي هريرة وأبي سعيد بلفظ: «إنّ الله يمهل حتّى يمضي شطر الليل ثم يأمر منادياً يقول: هل مَن داع فيستجاب له..» ثم قال: وبهذا يرتفع الإشكال.[2]

ثم نقل عن البيضاوي أنّه قال: ولمّا ثبت بالقواطع أنّه سبحانه منزّه عن الجسمية والتحيّز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه.

نعم ربّما يتمسّك المجسّمة بقوله سبحانه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[3].

---

١. الشورى: ١١.

٢. فتح الباري: ٣ / ٣٠.

٣. الفجر: ٢٢.

ولكن الناظر في آيات تلك السورة يقف على أنّه سبحانه يصوّر هول القيامة ورعبها، ويقول قبل هذه الآية: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[1]، ثم يقول بعدها ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرى﴾[2]. فإنّ المراد من مجيء جهنم إبرازها للعصاة، كما في قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى﴾[3].

فالمراد من مجيئه سبحانه هو ظهور قدرته في ذلك اليوم العصيب وسطوع شوكته، وكثيراً ما يقال: «جاء آل فلان» ويراد تسلّطهم وسيطرتهم على البلاد.

وفي الكشّاف: هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه، مثّلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلّها ووزرائه وخواصّه عن بكرة أبيهم[4].

وعلى ما ذكرنا فالمراد بمجيئه تعالى مجيء أمره، قال تعالى: ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾[5]، ويؤيد هذا الوجه بعض التأييد قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾[6] إذا انضم

---

١. الفجر: ٢١.

٢. الفجر: ٢٣.

٣. النازعات: ٣٦.

٤. تفسير الكشاف: ٣ / ٣٣٧.

٥. الانفطار: ١٩.

٦. البقرة: ٢١٠.

إلى قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[1]، وعليه فهناك مضاف محذوف والتقدير: جاء أمر ربك، أو نسبة المجيء إليه تعالى من المجاز العقلي.[2]

وكان لابن تيمية ومن لفّ لفّه أن يرجع إلى كلمات أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين هم أعدال الكتاب وقرناؤه، حتّى يقفوا على نعوته جلّ شأنه، ويتعرّفوا على مكانة هذا الحديث وأمثاله من الصحّة والسقم.

١. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في إحدىٰ خطبه:

«الحمدُ لله الذي علا بحَوْله، ودَنا بطَوْلِهِ».[3]

فالإمام عليه السلام يؤكّد أنّه سبحانه قد ارتفع بقدرته على كلّ شيء، باعتبار كونه مبدأ كلّ موجود ومرجعه، فهو العليّ المطلق الذي لا أعلىٰ منه في وجود وكمال رتبة وشرف[4]، ولكنّه مع علوّه قد دنا وقرُب بفضله وإحسانه وتكرّمه.

٢. وقال عليه السلام في وصفه تعالىٰ:

«ما اختلف عليه دهرٌ فيختلف منه الحالُ، ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقالُ».[5]

٣. وروى يعقوب بن جعفر الجعفري عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام قال:

---

١. النحل: ٣٣.

٢. الميزان في تفسير القرآن: ٢٠ / ٢٨٤.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٨٣

٤. شرح نهج البلاغة، لابن ميثم البحراني: ٢/٢٣١.

٥. نهج البلاغة: الخطبة ٩١.

ذكر عنده قوم يزعمون أنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا، فقال: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ لا ينزل، ولا يحتاج إلىٰ أن ينزل، إنّما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج إلى شيء بل يُحتاج إليه، وهو ذو الطَّول، لا إله إلّاهو العزيز الحكيم.

أمّا قول الواصفين: إنّه ينزل تبارك وتعالىٰ فإنّما يقول ذلك مَن ينسبه إلىٰ نقص أو زيادة، وكلُّ متحرِّك محتاج إلى من يحرِّكه أو يتحرَّك به، فمَن ظنّ بالله الظنون هلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدٍّ تحدّونه بنقص أو زيادة، أو تحريك تحرّك، أو زوال أو استنزال، أو نهوض أو قعود، فإنّ الله جلّ وعزّ عن صفة الواصفين و نعت الناعتين وتوهُّم المتوهِّمين، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[1]»[2].

وفي الختام، نقول: إنّ الرجل قد صرّح بمذهبه وهو على منبر الشام، يقول الرّحالة ابن بطوطة: وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية كبير الشام يتكلّم في فنون، إلّا أنّ في عقله شيئاً. وكان أهل دمشق يعظّمونه أشدّ التعظيم، ويعظهم على المنبر، وتكلّم مرّة بأمر أنكره الفقهاء...ورفعوه إلى الملك الناصر فأمر بإشخاصه إلى القاهرة، وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر، وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي، وقال: «إنّ هذا الرجل قال كذا وكذا» وعدّد ما أُنكر على ابن تيمية، وأحضر

---

١. الشعراء: ٢١٧ ـ ٢١٩.

٢ ـ الكافي: ١٢٥/١، كتاب التوحيد، باب الحركة والانتقال، الحديث ١؛ والتوحيد للصدوق: ١٨٣، باب نفي المكان، برقم ١٨.

العقود بذلك ووضعها بين يدي قاضي القضاة.

قال قاضي القضاة لابن تيمية: ما تقول؟ قال: لا إله إلّا الله، فأعاد عليه فأجاب عليه بمثل قوله؛ فأمر الملك الناصر بسجنه، فسجن أعواماً وصنّف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سمّاه «البحر المحيط» في نحو أربعين مجلداً.

ثمّ إنّ أُمّه تعرضت للملك الناصر، وشكت إليه فأمر بإطلاقه إلى أن وقع منه ذلك ثانية، وكنت إذ ذاك بدمشق، فحضرتُه يوم الجمعة، وهو يعظ الناس علىٰ منبر الجامع ويذكّرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: (إنّ الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا) ونزل درجة من درج المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء، وأنكر ما تكلّم به، فقامت العامّة إلىٰ هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً.[1]

وربما يحاول بعض المتعصّبين لابن تيمية، أن ينفي حضور ابن بطوطة في ذلك العام في دمشق، لكنّه غفل عن أنّ النقل لا ينحصر به، بل نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في موسوعته«الدرر الكامنة»[2]، وهذا يدلّ على أنّ الخبر كان منتشراً يوم ذاك في البلد.

﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدىٰ﴾.[3]

---

١ . الرحلة لابن بطوطة: ١١٢، طبع دار الكتب العلمية.

٢ . الدرر الكامنة:١/١٥٤.

٣ . النجم:٣٠.

٣

الجهة والمكان لله سبحانه عند ابن تيمية [١]

اتّفق علماء الإسلام ـ عدا بعض المحدّثين ـ على أنّه سبحانه منزّه عن الجهة والمكان، وقد برهنوا على ذلك ببراهين واضحة، نذكر بعضها:

١. أنّ الجهة أو المكان لو كانا قديمين يلزم تعدّد القدماء، ولو كانا حادثين يلزم أن يكون سبحانه محلّاً للحوادث، حيث لم يكن ذا مكان ولا ذا جهة ثم وصف بهما.

٢. أنّ الله سبحانه غني بالذات، فكونه ذا جهة أو ذا مكان، يلازم حاجته إليهما، فينقلب الغني فقيراً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٣. أنّ كلّ ما هو في جهة إمّا جسم أو جسماني، وكلّ منهما ممكن بل حادث، فكيف يوصف بهما سبحانه وتعالى؟

هذه هي البراهين العقلية الّتي تفسّر لنا قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٢] فلو كان في جهة أو مكان، يكون له ملايين الأمثال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

---

١ . هذا الفرع هو من فروع القول بتشبيه الباري بالممكنات، وهو متمّم للفصل السابق.

٢ . الشورى: ١١.

وهذه البراهين مبثوثة ومشروحة في الكتب الكلامية والعقدية، ونحن في غنى عن أن نأتي بكلمات العلماء أو أن نشير إليها.

وإذا رجعنا إلى كلمات أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين ينزّهون الباري أشدّ التنزيه نجد أنّهم يصفونه بنفي الجهة والمكان.

قال الإمام علي عليه السلام: «مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ: «كَيْفَ» فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ: «أَيْنَ» فَقَدْ حَيَّزَهُ».[1]

وقال أيضاً: «لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ».[2]

وقال في خطبة أُخرى له: «ولا أنّ الأشياء تحويه، فتُقلّه أو تُهوِيَه، أو أنّ شيئاً يحملُه، فيُميلَه أو يُعدِّلَه! ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج».[3]

وروى الصدوق بإسناده عن سليمان بن مهران قال: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: هل يجوز أن نقول: إنّ الله في مكان؟ فقال: «سبحان الله وتعالى عن ذلك، إنّه لو كان في مكان لكان محدثاً، لأنّ الكائن في مكان محتاج إلى المكان، والاحتياج من صفات المحدَث لا من صفات القديم».[4]

وروى أيضاً عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله

١ . نهج البلاغة: الخطبة: ١٥٢ .

٢ . نهج البلاغة: الخطبة ١٧٨ .

٣ . نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦.

٤ . توحيد الصدوق: ١٧٨، كتاب التوحيد، باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى، الحديث ١١.

تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً».[١]

إلى غير ذلك من الكلمات الواردة في الجوامع الحديثية المعتبرة.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى عقيدة ابن تيمية من خلال ما ورد في كتبه:

١. قال في «**منهاج السنّة**»: وجمهور الخلق على أنّ الله فوق العالم، وإن كان أحدهم لا يلفظ بلفظ «الجهة»، فهم يعتقدون بقلوبهم، ويقولون بألسنتهم: ربّهم فوق.[٢]

٢. قال في «**بيان تلبيس الجهميّة**»: والله تعالى قد أخبر عن فرعون أنّه طلب أن يصعد ليطّلع إلى إله موسى، فلو لم يكن موسى أخبره أنّ إلهه فوق، لم يقصد ذلك، فإنّه لو لم يكن مقرّاً به فإذا لم يخبره موسى به لم يكن إثبات العلوّ لا منه ولا من موسى ﷺ، ثم قال: فموسى صدّق محمداً في أنّ ربه فوق، وفرعون كذّب موسى في أنّ ربه فوق. فالمقرّون بذلك متّبعون لموسى ولمحمد، والمكذبون بذلك موافقون لفرعون.[٣]

وهذا استدلال عجيب غريب، فليت شعري من أين علم ابن تيمية أنّ موسى ﷺ أخبر فرعون بأنّ الله في السماء، وأنّه تعالى فوق؟! وكيف عرف أنّ فرعون إنّما طلب أن يصعد ليرى الله في السماء، انطلاقاً من فهمه لكلام

---

١. توحيد الصدوق، ١٨٤، كتاب التوحيد، باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى، الحديث ٢٠.

٢. منهاج السنّة النبوية: ٢ / ٦٤٢، وفي طبعة بولاق: ١ / ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

٣. بيان تلبيس الجهمية: ١ / ٥٢٦.

موسى عليه السلام؟ ألا يمكن أن يكون طلبه مبنيّاً على توهّمه أنّ إله موسى جسم ماديّ، وبما أنّه لا يراه في الأرض، فلا بدّ أن يكون في السماء، ولذا طلب من وزيره أن يجعل له صرحاً ليُشرف عليه ويراه؟ هذا إذا قلنا ـ وهو بعيد ـ إنّه كان يريد البحث حقّاً عن إله موسىٰ، ولم يقصد الاستهزاء والسخرية، أو خداع قومه والتمويه عليهم.

ولعمر القارئ أنّ هذا النوع من الاستدلال يكشف عن عجز المستدلّ حيث يتشبّث بهذا النوع من التسويلات.

يقول المحقّق الدواني في شرحه على العقائد العضدية: ولابن تيمية أبي العباس أحمد وأصحابه، ميل عظيم إلى إثبات الجهة، ومبالغة في القدح في نفيها. ورأيت في بعض تصانيفه: أنّه لا فرق عند بديهة العقل بين أن يقال: هو معدوم، أو يقال: طلبته في جميع الأمكنة فلم أجده. ونسب النافين إلى التعطيل.[1]

٣. وقال في «العقيدة الواسطية»: وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله، الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأجمع عليه سلف الأُمّة، من أنّه سبحانه فوق سماواته على عرشه، عليّ علىٰ خلقه، وهو معهم سبحانه أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿**هُوَ الذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْها وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيها**

---

١ . التعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية:٩٤ (المتن)، للسيد جمال الدين الحسيني الأفغاني ومحمد عبده، طبع مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِير﴾[١]، وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُم﴾: أنّه مختلط بالخلق فإنّ هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأُمّة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطّلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.[٢]

يلاحظ عليه: أنّ كلامه صريح في أنّ الله سبحانه واقع في جهة وهي فوق السماوات، مستقر على عرشه، مستعلٍ على خلقه، فهو مهما أراد أن ينكر عقيدته بأنّ الله سبحانه في جهة، فلا يتسنّى له ذلك.

ثمّ إنّه لمّا لاحظ التعارض بين عقيدته ـ أعني: أنّ الله سبحانه مستقر على عرشه، بائن عن خلقه ـ وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُم﴾ حاول أن يجمع بين الآيتين، بتفسير المعيّة، بالمعيّة العلمية، حيث إنّه سبحانه في العرش مع أنّه مطّلع على أعمال عباده.

أقول: وليس هذا إلّا تأويلاً للكتاب العزيز وتفسيراً بالرأي، حيث إنّ عقيدته بأنّ الله فوق السماوات صارت سبباً لتفسير الآية بما مرّ.

إنّ ابن تيمية كثيراً ما يردّ على الجهمية بتأويلهم آيات الصفات، ولكنّه وقع في نفس ما يردّ به عليهم.

---

١. الحديد:٤.

٢. مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية:١/٤٠٠ـ ٤٠١؛ العقيدة الواسطية، الرسالة التاسعة، طبعة محمد علي صبيح.

هبْ أنّه صحّ تأويل قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بالمعيّة، فبماذا يفسّر قوله سبحانه: ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إلّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إلّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أدْنى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أكْثَرَ إلّا هُوَ مَعَهُمْ أينَ ما كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾[1]؟! فإنّ الآية صريحة في حضوره سبحانه بين الثلاثة وهو رابعهم، وبين الخمسة وهو سادسهم، لا أنّه مستقر في عرشه ينظر إلى مادونه فيعلم بما يجري بين العباد.

ثمّ إنّ الرجل لمّا لم يوفّق لتفسير المعيّة، تصوّر أنّ القول بالمعيّة يستلزم الحلول، ومن المعلوم أنّ الحلول في المخلوقات كفر بواح، لا يتكلّم به المتشرّع المؤمن بكتابه وسنّة رسوله، وإنّما المراد بالمعيّة، المعيّة القيّوميّة، فهو مع كونه خارجاً عن مخلوقاته لكن لا بنحو تنقطع صلته بهم، بل هو مع كونه موجوداً بنفسه، لكن عالم الإمكان قائم به قيام صدور لا قيام حلول.

وإذا أردنا أن نصوّر ذلك بتصوير أدنىٰ فلنذكر هذا المثال:

إنّ النفس الإنسانية مع علوّها واستقلالها، لكن الصور الإبداعية التي تخلقها في عالمها قائمة بها، فلا الصور داخلة في النفس، ولا النفس منقطعة عنها، بشهادة أنّ النفس لو ذهلت عن الصور لم يبق منها شيء، فمن قال بالمعيّة ـ تبعاً للذكر الحكيم ـ إنّما يريد المعيّة القيّوميّة، ولذلك يقول الإمام علي عليه السلام: «مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة».[2]

---

١. المجادلة:٧.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١.

ثمّ إنّ الرجل لمّا وقف على كلام الإمام علي عليه السلام في شأنه سبحانه مع المخلوقات، حاول أن يردّ عليه دون أن يذكر اسمه، يقول مخاطباً خصمه: فأنت تقول: إنّه موجود قائم بنفسه وليس بداخل في العالم ولا خارج عنه ولا مباين له ولا محايث(مجانب) له، وأنّه لا يقرب منه شيء ولا يبعد منه شيء، وأمثال ذلك من النفي الذي لو عُرض على الفطرة السليمة جزمت جزماً قاطعاً أنّ هذا باطل وأنّ وجود مثل هذا ممتنع، وكان جزمها ببطلان هذا أقوى من جزمها ببطلان كونه فوق العالم وليس بجسم.(١)

ويقول في موضع آخر: وأمّا الأحكام الكلّية فهي عقلية، فحكم الفطرة بأنّ كل موجودين إمّا متحايثان (متجانبان) وإمّا متباينان، وبأنّ ما لا يكون داخل العالم ولا خارجه لا يكون إلّا معدوماً. وأنّه يمتنع وجود ما هو كذلك.(٢)

يلاحظ عليه أوّلاً: أنّ قوله: «بأنّ جزم الفطرة ببطلان القول بأنّه سبحانه ليس بداخل في العالم ولا خارج عنه، أقوى من جزمها ببطلان كونه فوق العالم وليس بجسم» يدلّ على أنّ كلا القولين عنده باطل، ولكن الأوّل أظهر بطلاناً من الثاني، فأين، إذاً، قوله: بأنّ سلف الأُمّة اتّفقوا على أنّه فوق العالم، وأنّه ليس لنا أن نصفه بأنّه ليس بجسم، إذ لم يرد في الكتاب والسنّة؟!

وثانياً: أنّ قوله: «ما لا يكون داخل العالم ولا خارجه لا يكون إلّا معدوماً»، يدلّ على أنّه يتصوّر أنّه سبحانه جسم، إذ من المعلوم أنّ الجسم إذا لم يكن

---

١ . منهاج السنّة النبوية: ١٤٧/٢، وفي طبعة بولاق: ١ / ١٨٣ ـ ١٨٤.

٢ . منهاج السنّة النبوية: ١٤٩/٢، وفي طبعة بولاق: ١ / ١٨٤.

داخل العالم ولا خارجه يكون معدوماً.

وأمّا إذا قلنا: بأنّه سبحانه فوق أن يكون جسماً أو جسمانياً، وأنّ سنخ وجوده أعلى وأنبل من أن يكون مادّة أو مادّياً، جوهراً أو عرضاً، أو ينال حقيقته العقل، فمثل هذا أسمىٰ من أن يوصف بأنّه في خارج العالم أو داخل العالم، إذ الخارج والداخل ظرف للأُمور الجسمية، وما هو غير مماثل له فلا يوصف بالداخل ولا بالخارج.

ثمَّ إنّ الرجل يصرّح بأنّ جعفر بن محمد عليه السلام من أئمة الدين، ويقول: قد استفاض عن جعفر الصادق أنّه سئل عن القرآن أخالق هو أم مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنّه كلام الله، وهذا ممّا اقتدى به الإمام أحمد في المحنة، فإنّ جعفر بن محمد من أئمة الدين باتّفاق أهل السنّة.[1]

فإذا كانت هذه مكانة الإمام الصادق عليه السلام فهو وآباؤه الأقدمون (بدءاً من علي عليه السلام وانتهاءً بأبيه الباقر عليه السلام) كلّهم من أئمة الدين، فلماذا لم يرجع إلى شيء من أحاديثهم حول تنزيهه سبحانه عن المكان والجهة؟! ولماذا أعرض عن خطب الإمام علي عليه السلام وأحاديث العترة، الواضحة في تنزيه الله سبحانه عن شوائب المادّة والمادّيات وعن الجهة والمكان؟!

قال علي عليه السلام: «اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ (الجاهدون)، اَلَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، اَلَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ... ـ إلى أن قال عليه السلام: ـ فَمَنْ وَصَفَ

١ ـ منهاج السنّة النبوية: ٢/٢٤٥، وفي طبعة بولاق: ١ / ٢٠٨.

اللهَ سُبْحَانَهُ (يعني بصفة زائدة على ذاته) فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَ مَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ. وَمَنْ قَالَ «فِيمَ؟» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ «عَلَامَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ. كائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ. مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ».(١)

وقال الإمام موسى بن جعفرعليهما السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان، ولا يشغل به مكان، ولا يحلّ في مكان، ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم، ولا خمسة إلّا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلّا هو الكبير المتعال».(٢)

وخلاصة الأمر أنّ الرجل كان متأثراً بالروايات التي تسلّلت عبر مستسلمة أهل الكتاب إلى الأحاديث الإسلامية، وأنت تقرأ كثيراً منها في توحيد ابن خزيمة وابن مندة وغيرهما.

ويظهر من كلام ابن تيمية أنّه يسلّم بأنّ كثيراً من هذه الأحاديث يوافق التوراة، ولكنّه يرىٰ أنّ عدم إنكار النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُعدّ دليلاً على صحّة غير المردود منها، قال: إنّ المشركين من العرب لم تكن تنازع فيه كما كانت تنازع في المعاد، مع أنّ التوراة مملوءة من ذلك ولم ينكره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على اليهود

---

١ . نهج البلاغة: الخطبة١.

٢ . التوحيد للصدوق:١٧٩، كتاب التوحيد، باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى، الحديث١٢.

كما أنكر عليهم ما حرّفوه وما وصفوا به الرب من النقائص، كقولهم: ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[1]، و ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [2]، ونحو ذلك.[3]

وقال في موضع آخر: وقد عُلم أنّ التوراة مملوءة بإثبات الصفات التي تسمّيها النفاة تجسيماً، ومع ذلك فلم ينكر رسول الله ﷺ ولا أصحابه على اليهود شيئاً من ذلك ولا قالوا: أنتم تجسّمون.[4]

وكفى في ردّ ما يخبر به الأحبار في باب المعارف قوله سبحانه:﴿وَمٰا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[5]، أي ما وصفوه حقّ وصفه وما عرفوه حقّ معرفته.

أقول: إنّ موقف القرآن من التوراة الرائجة ـ في أغلب الموارد ـ هو موقف سلبيّ، حيث صرّح في أكثر من آية بأنّها محرّفة، ووصفها بأنّها أمنيّة، قال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا يَكْسِبُونَ﴾.[6]

فالآية صريحة في أنّ الأحبار كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله، وأنّهم يتكسّبون بفعلهم هذا، وليس هذا الكتاب المزوّر إلّا التوراة المحرّفة، وكذلك ما يوصف بالكتب السماويّة الواردة في العهدين، وهذا المقدار كافٍ في عدم جواز الاعتماد على ما ورد في الكتب الموصوفة بالسماوية في باب المعارف خصوصاً ما يرجع إلى صفات الله سبحانه من

---

١. آل عمران: ١٨١. ٢. المائدة:٦٤.

٣. منهاج السنّة: ١٥٢/٢، وفي طبعة بولاق: ١٨٥/١.

٤. منهاج السنّة: ٥٦٢/٢، وفي طبعة بولاق: ٢٥١/١.

٥. الزمر:٦٧. ٦. البقرة:٧٩.

التجسيم والتشبيه والحركة والنزول، والتمكّن من المكان.

كيف نعتمد على كتاب وُصف بكونه ممّا أُنزل على موسى وهو يذكر مصارعة الرب مع يعقوب في خيمته، إلى طلوع الفجر؟! يقول: ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر،وعبر مخاضة يبوق، أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له. فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسانٌ حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنّه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذه. فانخلع حُقّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال: أطلقني لأنّه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له ما اسمك فقال: يعقوب، فقال: لا يُدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل.[1]

هذه هي التوراة التي كتبتها أيدي الأحبار، ليتكسّبوا بها في الدنيا وهي مليئة بنزول الرب وحركته وجسمانيته، وغير ذلك ممّا لا يليق أن يكتب ويسطّر!!

وقد افتخر أحد المحاضرين في «قناة المستقلة»، بأنّ ابن تيمية حلّ مشكلة تدور في أذهان الإلهيين، وهي أنّهم يقولون:إنّ الله سبحانه لا في داخل العالم ولا في خارجه، وعندئذٍ يطرح هذا السؤال: إذا لم يكن لا في داخل العالم ولا في خارجه، فكيف يكون موجوداً؟ فقد حلّ ابن تيمية المشكلة بقوله :إنّ الله على عرشه خارج هذا العالم. هذا ما تطرّق إليه المحاضر في تلك القناة الفضائية.

غير أنّه غفل عن أنّ السؤال عن مكان الله سبحانه وأنّه هل هو في هذا

١. الكتاب المقدّس، الإصحاح ٣٢ من سفر التكوين.

العالم أو خارجه، يساوق تسليم كونه جسماً متحيّزاً، ومن المعلوم أنّ المتحيّز لا يفارق الحيّز، فلابد أن يكون له مكان، وهو إمّا داخل العالم أو خارجه، وهذا يكشف عن أنّهم لم يعرفوا الله حق معرفته، إذ صوّروه موجوداً مادّياً، وطلبوا مكاناً له، ثم زعموا أنّه إذا لم يكن في داخل العالم، فهو، إذاً في خارج العالم، وليس هو إلّا فوق السماوات!!

والحقّ أنّه لا معنى لأن نطلب لله مكاناً داخل العالم أو خارجه ؛ لأنّه ليس جسماً ولا جسمانياً، كما وصف نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾.

على أنّ خارج العالم إذا لم يكن أمراً مادّياً فهو مساوق عند المحاضر للعدم، فيعود السؤال أيضاً: كيف يكون موجوداً في عالم معدوم؟

ثم أين كان سبحانه قبل أن يخلق هذا العالم؟ فإن قال: خارج هذا العالم، فيقال له: إنّ الخارج لا يتصور إلّا مع وجود الداخل، والمفروض أنّه لم يخلق الداخل حتى يتصور له خارج، ويكون فيه.

وحقيقة الكلام: أنّ البحث في أنّه سبحانه في داخل هذا العالم أو خارجه أو ليس فيهما، كلّ ذلك مبني على تصويره سبحانه موجوداً مادّياً، فيتطلب أنّه إمّا في داخل العالم أو خارجه لا في غيرهما.

وأمّا على القول بأنّ وجوده أرفع من أن يحيطه مكان أو يحدّه زمان، وأنّه سبحانه هو خالق الزمان والمكان، فإنّ السؤال عن مكانه في داخل العالم أو خارجه أو لا هذا ولا ذاك، يُعدّ ساقطاً، فهو سبحانه موجود قيّوم قائم بنفسه والكون قائم به نظير قيام الصور العلمية بالنفس، وعندئذٍ فهو في نفس العالم لكن لا بالحلول والممازجة، وفي خارج هذا العالم لكن لا بالمباينة، فلا

يمكن للإنسان الغور في كنه وجوده، كما قال القائل:

فيك يا أُعجوبة الكو ... ن غدا الفكر كليلا

كلّما أقدم فكري ... فيك شبراً فرّ ميلا

وبذلك تقف على قيمة كلام ابن تيمية حيث يقول:ولم يقل أحد من سلف الأُمّة ولا من الصحابة والتابعين: إنّ الله ليس في السماء، ولا إنّه ليس على العرش، ولا إنّه في كل مكان، ولا إنّ جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا إنّه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا إنّه لا تجوز الإشارة الحسيّة إليه بالأصابع ونحوها.(١)

الاتّكاء على أخبار الآحاد في تكوين العقائد

إنّ جذور فكرة التجسيم والتشبيه التي استولت على فكر ابن تيمية ومقلّديه في العصر الحاضر، ترجع إلى اعتمادهم ـ في الأُصول والفروع ـ علىٰ أخبار الآحاد، وقد انعقد مؤتمر قبل سنين في المدينة المنوّرة وكان موضوعه: دراسة حجّية أخبار الآحاد في الأُصول والفروع، وقد قُدّم إلى المؤتمر حوالي ثمانين مقالاً كلّها تؤيد حجّية خبر الآحاد في الأُصول، ولم يدرْ في خلَد واحد منهم، أنّ المقصود الأسنىٰ في العقائد هو تحصيل اليقين، ومن المعلوم أنّ أخبار الآحاد لا توجب علماً ولا يقيناً، نعم هي حجّة في باب الفروع لأنّ المقصود فيها هو تطبيق العمل على مضمون الخبر، سواء أفاد يقيناً أو ظناً أولا هذا ولا ذاك، وهو أمر ممكن.

---

١ ـ مجموع الفتاوى (كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية): ٥ / ١٥، تحقيق عبدالرحمن العاصي النجدي، طبعة مكتبة ابن تيمية.

إنّ أخبار الآحاد التي يعتمد عليها هؤلاء في الأُصول والمعارف أكثرها مدسوس وموضوع من قبل مستسلمة أهل الكتاب أو الوضّاعين والكذّابين الذين كانوا يتاجرون بوضع الأحاديث، وقد تلقّفها عنهم السذّج من المحدّثين، وتصوّروها حقائق راهنة، وحيكت لها الأسانيد بشكل لا يظهر معه تدخل الأحبار والرهبان في وضع هذه الأحاديث، ثمّ دوّنها أصحاب الصحاح والسنن ثقةً منهم برجالها، وقد جمعها ابن خزيمة وابن مندة في كتابيهما.

هؤلاء المجسّمة الذين يصوّرون الله تعالى أنّه في السماء ينظر إلى ما دونه من الخلائق، يستدلّون بما رواه مسلم من حديث الجارية، التي سألها رسول الله: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله... قال صلى الله عليه وآله وسلم [لسيدها]: «اعتقها فإنّها مؤمنة».[1]

إنّ الاحتجاج بهذه الرواية مشكل من جهتين:

الأُولى: أنّ السيرة المستمرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته الناس للإسلام، هي أن ينطقوا بالشهادتين ويقرّوا بأن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، ولم يرد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه سأل أحداً ـ غير هذه الجارية ـ عن الله ومكانه وصفاته، فلماذا خُصّت هذه الجارية التي كانت بعيدة عن الإسلام، بهذا السؤال المشكل؟!

الثانية: أنّ هذه الرواية رويت بشكل آخر أيضاً، فهذا هو مالك يرويها في «الموطّأ» بالشكل التالي: أنّ رسول الله قال لها: أتشهدين أن لا إله إلّا الله؟

---

١. صحيح مسلم:٧١/٢؛ سنن أبي داود:٢١١/١، الحديث ٩٣٠.

فقالت: نعم، قال: أتشهدين أنّي رسول الله؟ قالت: نعم.[١]

ورواها أحمد بالنحو التالي: قال: جاء رجل من الأنصار بأمة سوداء، فقال: يا رسول الله: أنّ عليّ رقبة مؤمنة، فإن كنت ترى هذه مؤمنة فاعتقها، فقال لها رسول الله: أتشهدين أن لا إله إلّا الله؟ قالت: نعم، قال: أتشهدين أنّي رسول الله؟ قالت: نعم، قال: تؤمنين بالبعث بعد الموت؟ قالت: نعم، قال: اعتقها.[٢]

وللعلّامة كمال الدين أحمد البياضي الحنفي كلام حول هذه الرواية نذكر عصارته: وأنّه مأوّل لمخالفته القواطع العقليات والنقليات، إذ لا يُتجاوز عن الظاهر إلّا لضرورة، فإنّ حجج الله تعالى تتعاضد ولا تتضاد،... إلى أن قال: إنّها كانت أعجمية لا تقدر أن تفصح عمّا في ضميرها من اعتقاد التوحيد بالعبارة فتعرف بالإشارة أنّ معبودها إله السماء، فإنّهم كانوا يسمّون الله إله السماء، كما دلّ السؤال والاكتفاء بتلك الإشارة.[٣]

وبهذا يسقط الاستدلال بظاهر حديث الجارية على كونه سبحانه في السماء.

والعجب أنّ ابن تيمية كلّما يذكر شيئاً ممّا يدلّ على التجسيم والتشبيه والحركة والنزول ينسبه إلى السلف قاطبة، وكأنّ السلف عنده يتلخّص في مبتدعة السلفيين، وأمّا الآخرون فكأنّهم ليسوا من الأُمّة ولا من سلفهم، حتى

---

١ . الموطأ:١٤٥/١، كتاب العتاقة والولاء، باب ما يجوز من العتق.

٢ . مسند أحمد:٤٥١/٣.

٣ . إشارات المرام من عبارات الإمام: ١٩٩ـ٢٠٠.

أنّه يرمي المفكّرين من المسلمين ـ كإمام الحرمين والغزّالي ـ في كتابيه: منهاج السنّة والموافقة، بأنّهما أشدّ كفراً من اليهود والنصارى! فلو كان هؤلاء المفكّرون أشدّ كفراً من أهل الكتاب فعلى الإسلام السلام!!

بقي الكلام فيما يستند إليه المجسّمة، وهو أنّ كل إنسان يتوجّه إلى السماء حين الدعاء ويرفع إليها يديه، وكأنّ الإنسان بالفطرة قائل بأنّ الله في السماء.

ولكن الإجابة عن ذلك واضحة.

أمّا أوّلاً: فبما أنّ الخيرات والبركات تنزل من السماء كما في قوله: ﴿وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمٰا تُوعَدُونَ﴾[1]، فلأجل ذلك يتوجّه إلى السماء وترفع الأيدي إليها.

وثانياً: أنّ الإنسان بهذا العمل يجسّد علو مقامه سبحانه ورفعته.

ابن تيمية وجلوسه سبحانه على العرش

لا شكّ في أنّ الجلوس والقعود من صفات الإنسان أو غيره أيضاً، من غير فرق بين أن يكون الجلوس تربّعاً، أو على الركبتين، وهذا كالتحيّز، من صفات المادّة والمادّي، والموجود المنزّه عنهما لا يوصف بالجلوس.

ولكنّ ابن تيمية ينسب جلوس الله إلى أهل السنّة حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[2]: الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة، لا على المجاز.[3]

---

١ . الذاريات:٢٢.　　٢ . طه:٥.

٣ . مجموع الفتاوى: ٥١٩/٥.

وقال في كتابه «بيان تلبيس الجهمية»: إنّ العرش في اللغة السرير بالنسبة إلى ما فوقه، وكالسقف إلى ما تحته، فإذا كان القرآن قد جعل لله عرشاً، وليس هو بالنسبة إليه كالسقف، عُلم أنّه بالنسبة إليه كالسرير بالنسبة إلى غيره، وذلك يقتضي أنّه فوق العرش.(١)

ولست أدري أيّ معنىً يبقىٰ لهذه الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إذا كان سبحانه يوصف بالجلوس على العرش وبالصعود والنزول؟ وهل يغدو، جلّ شأنه، بعد تلك الأوصاف، إلّا ذا أمثال كثيرة وعديدة؟

يُذكر أنّ ابن قيّم الجوزيّة جمع آراء أُستاذه ابن تيمية في قصيدته النونية، فجاءت مشحونة بالتجسيم، كالقول بأنّ الله فوق سماواته، على عرشه، وأنّه ينزل ويهبط ويصعد.

وإليك بعض أبيات قصيدته هذه التي أخذ يستهزئ فيها بعقيدة التنزيه:

فأسرّ قول معطّلٍ ومكذّبٍ ... في قالب التنزيه للرحمنِ

إذ قال ليس بداخل فينا ولا ... هو خارج عن جملة الأكوان

بل قال ليس ببائن عنها ولا ... فيها ولا هو عينها ببيان

كلا ولا فوق السماوات العُلىٰ ... والعرش من رب ولا رحمان

بل حظه من ربه حظ الثرىٰ ... منه وحظ قواعد البنيان

لو كان فوق العرش كان كهذه ... أجسام سبحان العظيم الشان(٢)

---

١. بيان تلبيس الجهمية: ١/٥٧٦.

٢. السيف الصقيل في الردّ على ابن زفيل: ٣٥.

وأنت تلاحظ كيف يستهزئ ابن القيّم بعقائد المسلمين في هذه الأبيات.

هذا، وقد فسّر المجسّمة (المقام المحمود) في قوله: ﴿**عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**﴾[1] بإقعاد النبيﷺ على العرش إلى جانب ربّه تبارك وتعالى!!

وتأكيداً لهذا المعنى، نسب ابن القيّم لأبي الحسن الدارقطني الأبيات التالية:

حديث الشفاعة عن أحمد	إلى أحمد المصطفى نسنده
وجاء حديث بإقعاده	على العرش أيضاً فلا نجحده
أمرّوا الحديث على وجهه	ولا تدخلوا فيه ما يفسده
ولا تنكروا أنّه قاعد	ولا تنكروا أنّه يقعده[2]

١. الإسراء:٧٩.

٢. لاحظ: بدائع الفوائد لابن القيّم:٣٩/٤.

٤

نظرة إلى تكلّمه سبحانه

في منهج ابن تيمية [١]

يعدّ وصف التكلّم لله سبحانه من الصفات الخبريّة، حيث أخبر عنه سبحانه في الذكر الحكيم بقوله: ﴿وكلّم اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[٢]، وقوله: ﴿وَمَا كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلّا وَحْياً أوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحيَ بِإذْنِهِ ما يَشاءُ إنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.[٣] ولولا ذلك لَما صحّ لنا وصفه بهذا الوصف، لأنّ أسماءه وصفاته تعالى توقيفية.

ومن هنا اتّفق المسلمون على كونه سبحانه متكلّماً، واتّفقوا أيضاً على تنزيهه عن كونه متكلّماً بحرف وصوت، قائمين بذاته (كتكلّم الإنسان بهما)، بَيْدَ أنّهم اختلفوا في كيفية تكلّمه سبحانه. ولكي نتعرّف على حقيقة الكلام عند هؤلاء المختلفين، نأتي بنظرياتهم في هذا المجال.

---

١ . هذا الفرع من متممات القول بالتشبيه عند ابن تيمية.

٢ . النساء:١٦٤.

٣ . الشورى:٥١.

نظرية المعتزلة

ذهبت المعتزلة إلى أنّ كلامه تعالى أصوات وحروف ليست قائمة بذاته تعالى، بل يخلقها في غيره، وتكلّمه في الحقيقة من صفات الفعل لا من صفات الذات نظير كونه رازقاً ومنعماً.

قال القاضي عبد الجبار: حقيقة الكلام هي الحروف المنظومة والأصوات المقطّعة، وهذا كما يكون سبحانه منعماً بنعمة توجد في غيره ورازقاً برزق يوجد في غيره، وهكذا يكون متكلّماً بإيجاد الكلام في غيره، وليس من شرط الفاعل أن يحلّ عليه الفعل.(١)

هذه النظرية وإن كانت صحيحة لكنّها إنّما تتمّ إذا كان المخاطب شخصاً خاصّاً كتكليمه موسى أو تكليمه أحداً من الأنبياء بالطرق الثلاث، حيث قال:

١. ﴿إلّا وَحْياً﴾.

٢. ﴿أوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ﴾.

٣. ﴿أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾.

وأمّا إذا كان المخاطب عموم الناس من الأوّلين والآخرين، فلابدّ أن يفسّر بوجه آخر، وهو أنّ كلامه هو الفعل المنبئ عن جماله، المُظهر لكماله، كما سيوافيك.

---

١. شرح الأُصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: ٥٢٨؛ وشرح المواقف للسيد الشريف:٤٩٥.

نظرية الأشاعرة

لقد اختار الأشاعرة مذهباً خاصّاً في هذا الأمر، حاولوا فيه التوفيق بين ما ذهبوا إليه من أنّ التكلّم من صفاته تعالى الذاتية (كالعلم والقدرة)، وبين اعترافهم باستحالة قيام الأصوات والحروف بذاته سبحانه، ويتلخّص هذا المذهب في أنّ كلام الله حقيقةً، هو الكلام النفسي القائم بذاته تعالى، وأنّه غير العلم والإرادة. قال الشهرستاني: وصار أبو الحسن الأشعري إلى أنّ الكلام معنى قائم بالنفس الإنسانية، وبذات المتكلّم، وليس بحروف ولا أصوات، وإنّما هو القول الذي يجده القائل في نفسه ويجيله في خلده، وفي تسمية الحروف التي في اللسان كلاماً حقيقياً تردّد، أهو على طريق الحقيقة أم على سبيل المجاز؟ وإن كان على طريق الحقيقة فإطلاق اسم الكلام عليه وعلى النطق النفسي بالاشتراك اللفظي.[1]

ترى أنّ الأشعري يرى أنّ واقع الكلام ليس قائماً بالحروف والأصوات وأنّ حقيقته هي المعاني التي يردّدها الإنسان في نفسه ويجيلها في خلده، وبهذا المعنى فسّر كلامه سبحانه وأسماه بالكلام النفسي.

ولسنا في صدد نقد عقيدة الأشعري في المقام، ولكن نشير هنا إلى نكتة وهي أنّ ما ذكره من قيام المعاني والمفاهيم بذاته ـ على فرض تسليمه ـ يوجب رجوع وصف التكلّم إلى العلم، إذ ليس للعلم الحصولي حقيقة وراء قيام المفاهيم المتصوّرة بالذات، فلا يكون وصفاً لغير ذلك.

---

١ . نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني: ٣٢٠، طبعة آكسفورد، ١٩٣٤ م.

على أنّ قيام المفاهيم المجرّدة بذاته سبحانه لا يخلو عن إشكال واضح مبيّن في محلّه.

وإنّما ذكرنا المذهبين (المعتزلة والأشاعرة) لأجل الإشارة إلى أنّ المسلمين قاطبة ـ وإن اختلفوا في حقيقة التكلّم ـ متّفقون على تنزيهه سبحانه عن قيام الحروف والأصوات بذاته. أمّا المعتزلة فذهبوا إلى إيجاده سبحانه الحروف والأصوات في الشجر وغيره، وأمّا الأشاعرة فلم يعيروا لهما قيمة، وإنّما ركّزوا على الكلام النفسي الباطني القائم بالذات.

نظرية الإمامية

إنّ مشاهير الإمامية قسّموا كلامه سبحانه وتعالىٰ إلى قسمين:

١. ما إذا كان المخاطب فرداً معيّناً، فكلام الله له يتمّ بواحدة من الأقسام الثلاثة المُشار إليها في سورة الشورىٰ : إمّا يوحي إليه، أو يكلّمه من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً، فقد أشار بقوله: ﴿إلّا وَحْياً﴾إلى الكلام الملقى في روع وقلب الأنبياء بسرعة وخفاء من دون توسيط مَلَك، وأشار بقوله: ﴿أو مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾ إلى الكلام المسموع لموسى في البقعة المباركة من الشجرة، قال سبحانه: ﴿فَلَمّا أتاها نُودِيَ من شاطئِ الوادِ الأيمَنِ في البُقْعَةِ المُبارَكةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أنْ يا مُوسى إنّي أنَا اللهُ رَبُّ العالَمينَ﴾.[١] وأشار بقوله: ﴿أوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ إلى الإلقاء الذي يتوسط فيه ملك الوحي.

وأمّا إذا كان المخاطب عامّة الناس في عامة الأجيال والأعصار فيفسّر

١. القصص:٣٠.

كلامه بصورة أُخرى يسمعه كلّ الناس سماعاً عقلياً، وسماعاً يضفي على الإنسان التعرّف على كمال الله سبحانه، وهذا ما سنشرحه تالياً.

لا شكّ أنّ الكلام في أنظار عامّة الناس هو الحروف والأصوات الصادرة من المتكلّم، القائمة به، وهو يحصل من تموّج الهواء واهتزازه بحيث إذا زالت الأمواج زال الكلام معه، ولكنّ الإنسان يتوسّع في إطلاقه، فيطلقه على كلّ فعل من أفعال المتكلّم إذا أفاد نفس الأثر الذي كان يفيده الكلام اللفظي.

فالكلام وإن وضع يوم وضع للأصوات والحروف المتتابعة الكاشفة عمّا يقوم في ضمير المتكلّم من المعاني، إلّا أنّه لو وجد هناك شيء يفيد ما تفيده الأصوات والحروف المتتابعة بنحو أعلى وأتمّ، لصحّت تسميته كلاماً أو كلمة، وهذا الشيء الذي يمكن أن يقوم مقام الكلام اللفظي هو فعل الفاعل الذي يليق أن يسمّى بالكلام الفعلي، ففعل كلّ فاعل يكشف عن مدى ما يكتنفه الفاعل من العلم والقدرة والعظمة والكمال، غير أنّ دلالة الألفاظ على السرائر والضمائر وضعية، ودلالة الأفعال والآثار على ما عليه الفاعل من العظمة، تكوينية.

ويمكن أن يستدلّ على هذا القسم من الكلام ببعض الآيات؛ يقول سبحانه: ﴿**يا أَهْلَ الكِتابِ لا تَغْلُوا في دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلى اللهِ إلّا الحَقَّ إنّما الْمَسيحُ عِيسى ابنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾.[1] ترى أنّه سبحانه يصف المسيح بكونه كلمته، لأنّ تولده بلا لقاح يعرب عن قدرة خالقه، وهكذا كلّ ما في الكون من الذرة إلى المجرّة،

---

١ . النساء:١٧١.

فالجميع كلامه ولسانه في مقام الفعل يتكلّم بلسان الحال، ويدلّ على عظمة الخالق وسعة علمه وإحاطة قدرته بكلّ شيء.

يقول الإمام علي عليه السلام: «يقول لما أراد كونه: كن، فيكون، لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع. إنّما كلامه سبحانه فعل منه، أنشأه ومثّله، لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً».[1]

وقد نسب إليه هذان البيتان:

أتزعم أنّك جِرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبرُ

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمرُ

فكلّ ما في صحيفة الكون من الموجودات الإمكانية كلماته، وتخبر عمّا في المبدأ من كمال وجمال وعلم وقدرة.

نظرية ابن تيمية

هذه نظرة سريعة إلى آراء المسلمين في تفسير معنى كونه سبحانه متكلّماً، وقد عرفت اتّفاقهم على تنزيهه عن وصفه بالتكلّم، بمعنى قيام الحروف والأصوات بذاته، وحان وقت البحث عن عقيدة ابن تيمية وسلفه.

وحاصل كلامه: أنّه سبحانه لم يزل متكلّماً وأنّ نوع التكلّم قديم، ولكن مصاديقه حادثة، نظير ما يقول الحكماء في العالم في بعض الأنواع بأنّ النوع قديم والمصاديق غير قديمة. وعلى كلّ تقدير فالحروف والأصوات قائمة بذاته ولا تفارق العلم والإرادة والكراهة، فالجميع من صفات الذات، وإليك نصوص كلامه من كتبه:

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦.

١. قال في «**منهاج السنّة**»: وسابعها: قول من يقول: إنّه لم يزل متكلّماً إذا شاء بكلام يقوم به وهو متكلّم بصوت يُسمع، وإنّ نوع الكلام قديم وإن لم يجعل نفس الصوت المعيّن قديماً. وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنّة، وبالجملة أهل السنّة والجماعة أهل الحديث.[١]

٢. وقال في «**الموافقة**»: وإذا قال السلف والأئمة إنّ الله لم يزل متكلّماً إذا شاء، فقد أثبتوا أنّه لم يتجدّد له كونه متكلّماً، بل نفس تكلّمه بمشيئته قديم، وإن كان يتكلّم شيئاً بعد شيء، فتعاقب الكلام لا يقتضي حدوث نوعه، إلّا إذا وجب تناهي المقدورات والمرادات.[٢]

٣. وقال: فحينئذٍ فيكون الحق هو القول الآخر، وهو أنّه لم يزل متكلّماً بحروف متعاقبة لا مجتمعة.[٣]

وقال أيضاً: وقد يقول هؤلاء إنّه يتكلّم إذا شاء ويسكت إذا شاء، ولم يزل متكلّماً بمعنى أنّه يتكلّم إذا شاء ويسكت إذا شاء.[٤]

وقال أيضاً: وفي الصحيح إذا تكلّم الله بالوحي، سمع أهل السماوات كجرّ السلسلة على الصفوان، فقوله:«إذا تكلّم الله بالوحي سمع» يدلّ على أنّه يتكلّم به حين يسمعونه. وذلك ينفي كونه أزلياً، وأيضاً فما يكون كجرّ السلسلة على الصفا يكون شيئاً بعد شيء، والمسبوق بغيره لا يكون أزليّاً.[٥]

---

١. منهاج السنّة: ٣٦٢/٢، وفي طبعة بولاق: ١ / ٢٢١.

٢. موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول:٢٧٨/٢، دارالكتب العلمية، بيروت ـ ١٤١٧هـ.

٣. نفس المصدر:١٢٧/٤ .

٤. مجموع الفتاوى:١٥٠/٦، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

٥. مجموع الفتاوى:٢٣٤/٦.

وقال أيضاً: وجمهور المسلمين يقولون إنّ القرآن العربي كلام الله وقد تكلّم الله به بحرف وصوت، فقالوا: إنّ الحروف والأصوات قديمة الأعيان، أو الحروف بلا أصوات، وأنّ الباء والسين والميم مع تعاقبها في ذاتها فهي أزليّة الأعيان لم تزل ولا تزال، كما بسطت الكلام علىٰ أقوال الناس في القرآن في موضع آخر.[1]

حصيلة كلامه عبارة عن الأُمور التالية:

١. إنّ تكلّمه سبحانه من صفات ذاته كالعلم والقدرة، فيجب أن يكون قائماً بذاته لا قائماً بفعله وليس كالرزق والنعمة، حتى يقوم بفعله، فإذا أنعم يصير منعماً وإذا رزق يصير رازقاً، بل تكلّمه ككونه عالماً وقادراً.

٢. إذا كان تكلّمه قائماً بالذات وداخلاً فيها، يجب أن يكون قديماً كقدم علمه وقدرته ولا يكون حادثاً.

٣. وبما أنّ التكلّم سنخ وجوده التدرّج، وحقيقته قائمة به أيضاً، فلابدّ أن يكون نوع التكلّم قديماً وأفراده حادثاً، نظير قول الحكماء من الأغارقة: إنّ النفس الإنساني قديم بالنوع وإن كانت مصاديقه حادثة.

٤. أنّ ما ذكره هو، في نظره، عقيدة جمهور المسلمين، وكأنّ المسلمين عنده هم جماعة أهل الحديث فقط.

يلاحظ على ما ذكره أوّلاً: بأنّه إذا كان التكلّم الذي واقع وجوده الحدوث والتجدّد، قائماً بالذات ونابعاً عنها، فلازم ذلك، حدوث الذات، لأنّ

---

١. مجموع الفتاوى:٥/٥٥٦ـ٥٥٧.

حدوث الجزء يلازم حدوث الكلّ، إلّا أن يرجع التكلّم إلى صفة الفعل، كما عليه العدلية من المعتزلة والشيعة.

وثانياً: أنّ القول بأنّ نوع التكلّم قديم، ومصاديقه حادثة، يستلزم قدم الكلام، فيكون إلهاً ثانياً، كما في كلام الإمام أمير المؤمنين ﷺ المتقدّم، إلّا أن يكون التكلّم جزء الذات فيكون قديماً بقدمها.

وثالثاً: كيف ينسب مختاره إلى جمهور المسلمين، مع أنّ جمهور المسلمين هم الأشاعرة والماتريدية والإمامية والمعتزلة، والجميع يتبرّأون من تلك النسبة. بل هم بُرآء منها براءة يوسف ممّا اتُّهم به. وهذا هو الإمام الاسفرائيني شيخ الأشاعرة في عصره يقول: إنّا نعلم أنّ كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت، لأنّ الحرف والصوت يتضمنان جواز التقدّم والتأخّر، وذلك مستحيل على القادر سبحانه.[1]

ورابعاً: لو كان تكلّمه سبحانه مع كلّ فرد من المكلّفين بالحروف والأصوات، فلا يكون أسرع الحاسبين بل أبطأهم مع أنّه سبحانه يقول: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إلى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ ألا لَهُ الحُكْم وَهُوَ أسْرَعُ الحاسِبِينَ﴾.[2]

وخامساً: أنّ ما زعمه في كيفية تكلّمه سبحانه يتّفق تماماً مع ما ورد في التوراة في قصة آدم وحوّاء عند أكلهما من الشجرة، فقد جاء فيها ما هذا نصّه:

«ورأت المرأة أنّ الشجرة طيبة للأكل ومتعة للعيون وأنّ الشجرة شهية

---

١ . التبصير في الدين:١٦٧، تحقيق كمال يوسف الحوت، طبعة عالم الكتب، بيروت.
٢ . الأنعام:٦٢.

للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأتت أيضاً زوجها الذي معها، فأكل فانفتحت أعينهما فعرفا أنّهما عريانان، فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر، فسمعا وقع خطى الرب الإله، وهو يتمشّى في الجنة عند نسيم النهار، فاختبأ الإنسان وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين أشجار الجنّة، فنادى الرب الإله الإنسان وقال له: أين أنت؟ قال: إنّي سمعت وقع خطاك في الجنّة، فخفت لأني عريان فاختبأت. قال: فمن أعلمك أنّك عريان، هل أكلت من الشجرة التي أمرتك أن لا تأكل منها؟ فقال الإنسان: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت...»[١].

وبذلك تقف على قيمة كلام الشهرستاني في الملل والنحل حيث يقول:

«زادت المشبّهة في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأكثرها مقتبس من اليهود، فإنّ التشبيه فيهم طباع حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه... وزادوا على التشبيه قولهم في القرآن: إنّ الحروف والأصوات والرقوم المكتوبة قديمة أزلية، وقالوا: لا يعقل كلام ليس بحروف ولا كلم.[٢]

الاستدلال برواية جابر بن عبد الله

استدلّ ابن تيمية على أنّ تكلّمه سبحانه بحرف وصوت برواية جابر بن عبد الله التي أشار إليها البخاري [في كتاب العلم، باب الخروج في طلب

---

١ . التوراة: سفر التكوين، الفصل الثالث، الفقرات رقم ٦ـ١٣.

٢ . الملل والنحل للشهرستاني: ١ / ١٠٦ ، نشر دار المعرفة، بيروت.

العلم]، إشارة إجمالية وقال: «ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أُنيس في حديث واحد».[١]

ثم نقل هذا الحديث في صحيحه، بهذه الصيغة: ويُذكَر عن جابر عن عبد الله بن أُنيس قال: سمعت النبي يقول: «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه مَن بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديَّان».[٢]

وأنت ترى أنّ البخاري ينقله بتمريض، حيث يقول: (ويُذكَر عن جابر) الظاهر في عدم جزمه بالصحّة. نعم نقله في «الأدب المفرد» بلا لفظ: (ويذكر)، قال:

حدّثنا موسىٰ، قال: حدّثنا همّام، عن القاسم بن عبد الواحد، عن ابن عقيل أنّ جابر بن عبد الله حدّثه أنّه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي فابتعت بعيراً فشددت إليه رحلي شهراً حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أُنيس، فبعثت إليه أنّ جابراً بالباب فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم، فخرج فاعتنقني، قلت: حديث بلغني لم أسمعه، خشيت أن أموت أو تموت. قال: سمعت النبي يقول: يحشر الله العباد أو الناس عراة غُرلاً بُهماً، قلنا: ما بُهماً؟ قال: ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد(أحسبه قال: كما يسمعه من قَرُب): أنا الملك.[٣]

---

١ . صحيح البخاري: ١ / ٢٧ ، برقم ١٩، كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم.

٢ . صحيح البخاري:٤/٤٦٩، كتاب التوحيد(٩٨)، باب (٣٢) ـ قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إلّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...﴾، ط. دارالكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

٣ . الأدب المفرد:٣٢٦، الباب ٤٤٢ باب المعانقة برقم ٩٧٣.

مناقشة حول حديث جابر، و حديث آخر مرويّ عن أبي سعيد الخدريّ

يلاحظ على الاستدلال:

أوّلاً: أنّ البخاري نقل الحديث في «الصحيح» بصيغة التمريض عن جابر، وهذا يدلّ على عدم جزمه به، ولا شكّ في أنّ ما يورده في «الأدب المفرد» لا يرقىٰ من حيث الصحّة إلى مستوىٰ ما يورده في «الصحيح».

ثانياً: أنّ الحديث المذكور، قد وقع في سنده ابن عقيل (عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب)، وهو ممّن لا يُحتجّ بحديثه، كما تُرشد إلىٰ ذلك كلمات أصحاب الجرح والتعديل، ومنها:

عن يحيى بن معين. ابن عقيل لا يُحتجّ بحديثه. وعنه أيضاً: ضعيف الحديث.

وعن أحمد بن حنبل: ابن عقيل منكر الحديث.

وعن ابن المديني: لم يرو عنه مالك بن أنس، ولا يحيى بن سعيد القطّان.

وقال يعقوب: صدوق، وفي حديثه ضعف شديد جدّاً.

وقال أبو حاتم وغيره: ليّن الحديث.

وقال ابن خزيمة: لا أحتجّ به لسوء حفظه.

وعن البخاري: منكر الحديث.[1]

ثالثاً: أنّ الحديث رواه أبو القاسم الطبراني بإسناده عن أبي الوليد الطيالسي، وحجّاج بن المنهال، وشيبان بن فرّوخ، جميعاً عن همّام بن

---

١. انظر: ميزان الاعتدال:٤٨٤/٢ برقم ٤٥٣٦؛ وتهذيب الكمال:٧٨/١٦، برقم ٣٥٤٣.

يحيى، عن القاسم بن عبد الواحد، عن ابن عقيل، عن جابر، عن عبد الله بن أُنيس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد... فينادي منادٍ بصوت يسمعه مَن بَعُد...».(١)

ومع وجود هذا اللفظ (ينادي منادٍ بصوت) في رواية الطبراني، فإنّ الاستناد إلى هذا الحديث في إثبات الصوت لله سبحانه (حتى مع غضّ الطرف عن سنده) يصبح أمراً متعذّراً.

رابعاً: أمّا الاستدلال بالحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري، والذي جاء فيه: قال النبي: يقول الله يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إنّ الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار.(٢) قوله: «فينادي» يقرأ على وجهين: بصيغة المعلوم فيكون المنادي هو الله ويصير كالشاهد على مذهب ابن تيمية، وبصيغة المجهول: «فيُنادىٰ بصوت» فيكون نائب فاعله هو آدم، ومع هذا الاحتمال لا يمكن أن يستدلّ بمثل هذا الحديث على عقيدة يطلب فيها العلم.

خامساً: أنّ البخاري أخرجه في صحيحه من طريقين آخرين، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي باللفظ التالي: يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرجْ بعث النار....(٣)

فقد ورد فيه: يقول الله تعالى، مكان «فينادى بصوت» فصار الحديث

---

١. تهذيب الكمال:٢٣/٣٩٣ـ٣٩٤، ترجمة القاسم بن عبد الواحد، برقم ٤٨٠١.

٢. صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:﴿وَلا تَنفَعُ الشَّفاعَةُ﴾، برقم ٧٤٨٣.

٣. صحيح البخاري، كتاب حديث الأنبياء، برقم٣٣٤٨، وكتاب الرقاق، باب قوله تعالى:﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، برقم٦٥٣.

مردداً بين التعبيرين، ولا دلالة في التعبير الثاني على مرامه، إذ هو نظير قوله سبحانه: ﴿قالَ اللهُ هذا يَوْمَ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.[1]

فتلخّص ممّا ذكرنا أنّ الحديث لا يمكن الاحتجاج به من جهات:

أوّلاً: أنّ البخاري ذكر، في صحيحه، حديث جابر عن عبد الله بن أنيس، بصيغة التمريض.

وثانياً: أنّ في سند حديث جابر، من لا يُحتجّ بحديثه، وهو ابن عقيل.

وثالثاً: أنّ البخاري روى، في صحيحه، حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: فينادي، الذي يُحتمل فيه وجهان: صيغة المعلوم وصيغة المجهول.

قال ابن حجر: «فيُنادى» مضبوطاً للأكثر بكسر الدال، وفي رواية أبي ذر بفتحها على البناء للمجهول، ولا محذور في رواية المعلوم، فإنّ قرينة قوله: «إنّ الله يأمرك» تدلّ على أنّ المنادي ملك يأمره الله بأن ينادي بذلك.[2]

وأمّا شهاب الدين القسطلاني، فقال: (فيُنادَى) ـ بفتح الدال ـ مصحّحاً عليها بالفرع وأصله.[3]

ورابعاً: أنّ البخاري روىٰ حديث أبي سعيد الخدري من طريقين آخرين، بلفظ: **يقول الله تعالى**، دون لفظ: **ينادي بصوت**. ومع هذا الاضطراب هل يصحّ لعالم أن يستدلّ بمثله على أصل من أُصول الدين؟

---

١. المائدة:١١٩.

٢. فتح الباري:٤٦٠/١٣، كتاب التوحيد. وانظر: عمدة القاري، للعيني:١٥٤/٢٥، طبعة دار الفكر.

٣. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري:٤٣١/١٠، طبعة دار إحياء التراث العربي. يُذكر أنّني رأيت أربع طبعات من صحيح البخاري، ضُبطت فيها لفظة (فيُنادَى) بصيغة المجهول.

وخامساً: أنّ معنىٰ قوله: فينادي بصوت (إذا صحّ ضبطها بصيغة المعلوم): أنّه يوجِد النداء يوم القيامة ويسمعه من قرُب ومن بعُد، لا أنّه يتكلّم بذاته بالحروف والأصوات، ومثل هذا الاستعمال كثير، فلا فرق بين أن يقول: «نادىٰ» أو يقول: «قال»، فالجميع من صفات الفعل.

وسادساً: إذا دلّ العقل الحصيف، الذي عرفنا به الله سبحانه وتعالى، على امتناع قيام الحوادث بذاته، لا يعتدّ بخبر الواحد، وإن بلغ من الصحّة ما بلغ، إذا كان على خلاف ما يحكم به العقل الحصيف، الذي هو من حجج الله سبحانه.

وللشيخ محمد زاهد الكوثري في نقد هذا، كلام نذكره بنصه:

قال: وقد أفاض الحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ المنذري في رسالة خاصّة في تبيين بطلان الروايات في ذلك زيادة على ما يوجبه الدليل العقلي القاضي بتنزيه الله عن حلول الحوادث فيه سبحانه، وإن أجاز ذلك الشيخ الحرّاني (ابن تيمية) تبعاً لابن ملكا اليهودي الفيلسوف المتمسلم، حتى اجترأ على أن يزعم أنّ اللفظ حادث شخصاً قديم نوعاً يعني أنّ اللفظ صادر منه تعالى بالحرف والصوت فيكون حادثاً حتماً، لكن ما من لفظ إلّا وقبله لفظ صادر منه إلى ما لا أوّل له فيكون قديماً بالنوع... إلى أن قال: ولم يدر المسكين بطلان القول بحلول الحوادث في الله جلّ شأنه، وأنّ القول بحوادث لا أوّل لها هذيان، لأنّ الحركة انتقال من حالة إلى حالة فهي تقتضي بحسب ماهيتها كونها مسبوقة بالغير، والأزل ينافي كونه مسبوقاً بالغير، فوجب أن يكون الجمع بينهما محالاً.[1]

---

١. مقالات الكوثري: ١٢٤، طبعة عام ١٤١٤هـ، المكتبة الأزهرية للتراث.

استدلال بحديث آخر

روى البخاري قال: وقال مسروق عن ابن مسعود: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئاً.[١]

ونقله أبو داود بلفظ آخر وقال: إذا تكلّم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صَلْصَلة كجرّ السلسلة على الصفا.[٢]

وقد زعم المستدل أنّ الصوت لله سبحانه، ولكن ظاهر الحديث الذي نقله أبو داود أنّ الصوت للسماء حيث إنّ المسموع لأهل السماء هو قوله: «للسماء صلصلة».

أضف إلى ذلك: أنّ الاستدلال بحديث أعرض عن ذيله البخاري في صحيحه وتفرّد بنقله أبو داود، أمر مرفوض جدّاً، فإنّ معرفة العقائد لا تخضع لخبر واحد.

إنّ الله تعالى مستغنٍ عن أن يستعين في كلامه بالحروف والأصوات وإلّا يكون فقيراً كالإنسان، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. ولذلك اشتهر بين المحقّقين أنّ من وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر.

ومن المناسب أن نأتي هنا، بما ذكره الخطيب البغدادي، حيث قال: يُردّ الحديث الصحيح الإسناد لأُمور:

أن يخالف القرآن، أو السنّة المتواترة، أو العقل، لأنّ الشرع لا يأتي إلّا بمجوّزات العقول.[٣]

---

١. صحيح البخاري، باب قول الله تعالى:﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ برقم ٧٤٨٠.

٢. سنن أبي داود:٤٢١/٢، برقم ٤٧٣٨ كتاب السنة، باب في القرآن، برقم٤٧٣٤، طبعة دار الفكر ـ ١٤١٠هـ.

٣. الفقيه والمتفقه:١٣٢/١.

ومن المعلوم أنّ هذه الأحاديث على خلاف العقل الحصيف، ومن أوضح مصاديق تشبيه الخالق بالمخلوق، غير أنّ غلاة الحنابلة ـ و على رأسهم ابن تيمية ـ قد بالغوا في الأخذ بالروايات المنقولة عن مستسلمة اليهود والنصارى، وتأثّروا بأقوالهم المشبعة بفكرة التجسيم والتشبيه، الأمر الذي جرّهم إلى تلك المغبّة المذمومة، وإلّا فالموحّد الذي يعتمد على النصوص القرآنية أوّلاً، والنبوية ثانياً، وحكم العقل الحصيف ثالثاً، لا يحوم حول هذه الروايات، ولا يقيم لها وزناً.

ذاته سبحانه ليست محلّاً للحوادث

إنّ نظرية ابن تيمية في تكلّمه سبحانه، وقوله:إنّ الصوت والحروف قائمان بذاته، تستلزم أنّ ذاته تكون محلّاً للحوادث، ولم يقل به أحد من أئمة السلف إلّا الكرّامية، وقد استدلّ المحقّقون على امتناع كون ذاته محلّاً للحوادث بوجوه نأتي بها إجمالاً:

١. أنّ حدوث الحوادث في ذاته يدلّ على انفعاله، والانفعال من شؤون الممكن لا الواجب، كما هو واضح.

٢. أنّ المقتضي للحادث إن كان ذاته كان أزلياً وهو خلاف الفرض، وإن كان غيره، كان الواجب مفتقراً إلى الغير.

٣. إن كان الحادث صفة كمال استحال خلو الذات عنها، وإن كان صفة نقص استحال اتّصاف الذات بها.[1]

---

١ . كشف المراد:٢٩٤.

وقد أوضح سيف الدين الآمدي الوجه الثالث في كتابه «غاية المرام» وقال ما هذا نصّه: فالرأي الحق والسبيل الصدق والأقرب إلى التحقيق أن يقال: لو جاز قيام الحوادث به لم يخل عند اتّصافه بها إمّا أن توجب له نقصاً، أو كمالاً، أو لا نقص ولا كمال.

لا جائز أن يقال بكونها غير موجبة للكمال ولا النقصان، فإنّ وجود الشيء بالنسبة إلى نفسه أشرف له من عدمه، إلى أن قال:

ولا جائز أن يقال: إنّها موجبة لكماله، وإلّا لوجب قدمها لضرورة أن لا يكون البارئ ناقصاً محتاجاً إلى ناحية كمال في حال عدمها.

فبقي أن يكون اتّصافه بها ممّا يوجب القول بنقصه بالنسبة إلى حاله قبل أن يتّصف بها، وبالنسبة إلى ما لم يتّصف بها من الموجودات، ومحال أن يكون الخالق مشروفاً أو ناقصاً بالنسبة إلى المخلوق، ولا من جهة ما.[1]

وقال الأسفرائيني: إنّ الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته؛ لأنّ ما كان محلاً للحوادث لم يخل منها، وإذا لم يخل منها كان محدثاً مثلها؛ ولهذا قال الخليل عليه السلام: ﴿لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[2] بيّن به أنّ من حلّ به من المعاني ما يغيّره من حال إلى حال كان محدثاً لا يصحّ أن يكون إلهاً.[3]

وبذلك ظهر أنّ ابن تيمية قد أحيا منهج الكرّامية لا منهج السلف الصالح ولا من تبعهم بإحسان، والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

---

١. غاية المرام في علم الكلام: ١٩١ـ١٩٢.

٢. الأنعام:٧٦.

٣. التبصير في الدين:١٦٠ـ١٦١.

٥

عقائد نابية وشاذّة

إنّ ما تبّناه ابن تيمية من القول بتجسيم الله سبحانه وحركته ونزوله و تكلّمه بصوت، وإن كان غريباً بعيداً عن الكتاب والسنّة ودلائل العقل، إلّا أنّ للرجل عقائد أُخرى أغرب من ذلك، نذكر منها نماذج أربعة:

١. استقرار الله على العرش وإمكان استقراره على ظهر بعوضة.

٢. قعود النبيﷺ مع ربّه على العرش.

٣. فناء النار والعذاب، عن أهل النار.

٤. تحريم ذكر الله مفرداً.

أمّا فيما يخصّ النموذج الأوّل، فيقول ابن تيمية: ولو شاء لاستقرّ على ظهر بعوضة، فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السماوات والأرض، فكيف تنكر أيها النفّاج [١] أنّ عرشه يقلّه.[٢]

لقد اعتقد ابن تيمية أنّ الله عزّ وجل جسم وأنّ له استقراراً وأنّه مع عظمته وكبره يستطيع أن يستقر على ظهر بعوضة. أفيصح في عصرنا هذا

---

١. النَّفّاج: المتكبِّر المفتخر بما ليس عنده.

٢. بيان تلبيس الجهمية: ٥٦٨/١.

الذي غلب على أهله التعقّل أكثر من التعبّد، الدعوة إلى الاعتقاد بربٍ تستطيع أن تحمله بعوضة، وهو في نفس الوقت أكبر من العرش، وهذا العرش أكبر من السماوات والأرض؟!! تالله إن نشر مثل هذه الأفكار السخيفة في هذه الأيام يورث ابتعاد الناس عن الدين، والعزوف عنه إلى التيارات العلمانية .

وأمّا الثاني: ـ أعني: قعود النبي إلى جانب ربّه على العرش ـ فقد قال الحافظ أبو حيان الأندلسي في تفسيره:

وقرأت في كتاب لأحمد بن تيمية ـ هذا الذي عاصرناه وهو بخطه سمّاه كتاب العرش ـ:إنّ الله تعالى يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكاناً يقعد فيه معه رسول الله ﷺ.[١]

يُشار إلى أنّ النسخة المطبوعة من التفسير خالية من هذا الكلام[٢]، قال الشيخ محمد زاهد الكوثري في تعليقه على (السيف الصقيل): وقد أخبرني مصحّح طبعه في مطبعة السعادة أنّه استفظعها جدّاً، فحذفها عند الطبع، لئلّا يستغلها أعداء الدين، ورجاني أن أسجل ذلك هنا استدراكاً لما كان منه ونصيحة للمسلمين.[٣]

---

١ . تفسير النهر الماد:٢٥٤/١، تفسير آية الكرسي.

٢ . وقد نقل هذه الفقرة تقي الدين أبو بكر الحصني الدمشقي (المتوفّى٨٢٩هـ) عن أبي حيّان النحوي الأندلسي في تفسيره المسمّى بالنهر الماد، في كتابه:«دفع شبه من شبّه وتمرّد»:٤٧/١ـ ٤٨، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

٣ . السيف الصقيل في ردّ ابن زفيل للسبكي: ٩٧، طبعة مكتبة زهران؛ دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي:١٢٣، تحقيق حسن السقاف، طبعة الأردن، ١٤١٢هـ؛ كشف الظنون لحاجي خليفة:١٤٣٨/٢.

وقد مرّ في الفصل الثالث ما نسبه ابن القيّم إلى أبي الحسن الدارقطني من الأبيات التي تضمنت هذه الأُسطورة.

وأمّا الثالث: ـ أعني: قوله بفناء النار ـ فقد قال ما نصّه:

وفي المسند للطبراني ذكر فيه أنّه ينبت فيها الجرجير، وحينئذٍ فيحتج على فنائها بالكتاب والسنّة، وأقوال الصحابة، مع أنّ القائلين ببقائها ليس معهم كتاب ولا سنّة ولا أقوال الصحابة.[1]

وقد نسب القول بفناء النار إلى السلف أيضاً، ونقل هذا عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم.

وفيما ادّعاه ردّ لصريح القرآن والسنّة، فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكافِرينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعيراً* خالِدينَ فِيها أَبداً لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصيراً﴾.[2]

وقد ردّ عليه الكثير من علماء الإسلام، منهم المناوي، حيث قال: إنّ الجنّة أبدية لا تفنىٰ والنار مثلها، وزعم جهم بن صفوان أنّهما فانيتان لأنّهما حادثتان، ولم يتابعه أحد من الإسلاميين بل كفّروه به، وذهب بعضهم إلى إفناء النار دون الجنة، وأطال ابن القيّم كشيخه ابن تيمية في الانتصار له في عدة كراريس، وقد صار بذلك أقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان لمخالفته نصّ القرآن، وختم بذلك كتابه الذي في وصف الجنان.[3]

---

١. الردّ على من قال بفناء الجنة والنار:٦٧.

٢. الأحزاب:٦٤و ٦٥.

٣. فيض القدير:٣٤١/٦.

وقال الشيخ سلامة القضاعي العزامي الشافعي: وبينما تراه ـ يعني: ابن تيمية ـ يسبّ جهماً والجهمية، إذا بك تراه يأخذ بقوله في أنّ النار تفنىٰ وأنّ أهلها ليسوا خالدين فيها أبداً.(١)

وقال أبو بكر الحصني الدمشقي(٧٥٢ـ ٨٢٩هـ): واعلم أنّه انتُقد عليه زعمه أنّ النار تفنىٰ، وأنّ الله تعالى يفنيها، وأنّه جعل لها أمداً تنتهي إليه وتفنىٰ، ويزول عذابها. وهو مطالب أين قال الله عزّ وجل؟ وأين قال رسول الله ﷺ وصحّ عنه؟(٢)

ويكفي في بطلان هذه العقيدة قوله سبحانه في أهل الجحيم: ﴿**كُلَّما أَرادُوا أنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيق**﴾.(٣)

وقال سبحانه: ﴿**مَأْواهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً**﴾.(٤)

وقال: ﴿**إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا**﴾.(٥)

وأمّا الرابع: ـ أعني: تحريم ذكر الله مفرداً ـ فقد قال ابن تيمية: فأمّا الاسم المفرد [يعني لفظ الجلالة] فلا يكون كلاماً مفيداً عند أحد من أهل الأرض، بل ولا أهل السماء، وإن كان وحده كان معه غيره مضمراً، أو كان المقصود به تنبيهاً أو إشارة كما يقصد بالأصوات التي لم توضع لمعنى، لا أنّه يقصد به

---

١. فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان:١٣٥.

٢. دفع الشبهة عن الرسول والرسالة :١١٦، طبعة ١٤١٨هـ القاهرة؛ دفع شبه من شبّه وتمرّد للحصني: ٥٨/١، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث، في مصر، والعنوانان هما لكتاب واحد.

٣. الحج:٢٢.

٤. الإسراء:٩٧.

٥. الفرقان:٦٥.

المعاني التي تقصد بالكلام، ولهذا عدّ الناس من البدع ما يفعله بعض النساك من ذكر اسم الله وحده بدون تأليف كلام.[1]

أقول: كيف يحرّم ذلك وقد أمر به الذكر الحكيم، قال سبحانه:﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.[2]

روى مسلم وغيره عن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله» وفي لفظ آخر، قال: «لا تقوم الساعة على أحد حتى يقول: الله، الله».[3]

ومن العجيب أنّه في الوقت الذي يحرّم ذكر الله مفرداً، يصحّح ما روي عن ابن عمر أنّه قد خدرت رِجْله، فقال: يا محمد.

قال في كتابه«الكلم الطيّب» تحت عنوان فصل في الرجل إذا خدرت، قال: عن الهيثم بن حَنَش فقال: كنّا عند عبد الله بن عمر، فخدرت رِجْله، فقال له رجل: اذكر أحبَّ الناس إليك، فقال: يا محمّد، فكأنّما نشط من عقال.[4]

إنّ هذا الكلام يناقض ما عليه أتباعه اليوم ـ أعني: الوهابيين ـ حيث يحرّمون التوسل بالنبي وإنّ من قال يا محمد فقد أشرك، ويستميتون في ردّ دلالة حديث رواه عثمان بن حنيف في التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما سيمرّ عليك

١ . الردّ على المنطقيين:٣٥.
٢ . الأنعام:٩١.
٣ . صحيح مسلم: كتاب الايمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان؛ سنن الترمذي، كتاب الفتن، الباب٣٥؛ المستدرك للحاكم:٤/٤٩٥.
٤ . الكلم الطيّب:٣٥، كما في كتاب المقالات السنيّة للشيخ عبد الله الهرري.

في فصل آخر. وعلى ذلك فقد افترق الوهابيون عن إمامهم، ولم يتابعوه.

ثمّ إنّ بعض أنصار الوهابية ـ أعني: الشيخ الألباني ـ قال بأنّ إسناد قول ابن عمر، ضعيف، ولكنّه لا يضرّنا إذ ليس البحث في صحّة الحديث وضعفه، بل الكلام في أنّ ابن تيمية شيخ الوهابية وإمام ابن عبد الوهاب أجازه، ولكن التلاميذ حرّموه.

أضف إلى ذلك: أنّ الذكر الحكيم يجوّز دعاء النبيﷺ ولكن يمنع أن نجعل دعاءه كدعاء غيره، قال سبحانه: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾[1]، وكان دعاؤهم بلفظ محمد تارة، ويا محمد أُخرى.

---

١ ـ النور:٦٣.

الفصل الثاني:

آراء ابن تيمية في حقوق رسول الله ﷺ

١. زيارة النبي ﷺ وموقف ابن تيمية منها

٢. ابن تيمية وشدّ الرحال إلى قبر النبي ﷺ

٣. ابن تيمية والدعاء عند قبر النبي ﷺ

٤. ابن تيمية ومسّ قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره

٥. ابن تيمية والحطّ من مقام النبي وخصائصه ﷺ

٦. التوسّل بالنبي ﷺ حيّاً وميّتاً

٧. ابن تيمية وعدم تمييز النبي ﷺ أهل الحق عن أهل الباطل

٨. ابن تيمية وعصمة الأنبياء والنبي الأعظم ﷺ

٩. ابن تيمية وإيمان أبويّ النبي ﷺ

١٠. ابن تيمية والصلاة في غار حراء

قد يتطرّق إلى سمع أحد أو يقرأ في كتاب ما، أنّ ابن تيمية صدر في خصوص أهل البيت عليهم السلام عن موقف خاطئ، وفكر غير ثاقب، ونزعة ملؤها الحقد والضغينة، حالت بينه وبين رؤية الواقع، ولكنّه سرعان ما سيرجع عن قضائه هذا ويرى أنّ موقفه من النبي وآله سيّان، حيث تجرّأ ـ كذلك ـ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنكر فضله وحقوقه ولم يرعاها.

لا ريب في أنّه إذا كان بين أفراد الإنسان حقيقة مشتركة يدخلون بها في نوع واحد، وهي كون الجميع حيواناً ناطقاً أي مفكّراً، فإنّ ثَمّة خصوصية لكلّ فرد يمتاز بها عن سائر الأفراد، وهي بين جسمانية وروحانية.

وبما أنّا لم نلتق بابن تيميةٍ عن كثب، فلا يمكننا تبيين خصوصياته الجسمانية وقسمات وجهه، ولكن يمكن لنا تبيين نزعاته التي بها يتميّز عن أقرانه وأمثاله، وعندئذٍ يطرح هذا السؤال: ما هي خصوصياته الروحية العامّة؟

إنّ دراسة كتاب «منهاج السنّة» بطوله و «مجموع الفتاوى» التي جمعها بعض مقلّديه من هنا وهناك يعرضان لنا نزعاته عن كثب، وأنّه كان من طبقة لها المعالم التالية:

١. إنّ الحقّ ما يراه هو وحده، وأنّ عامّة الناس ـ في موارد الخلاف ـ هم على الباطل، ويجب عليهم أن يقفوا أثره.

٢. إذا واجه حديثاً أو أثراً لا يوافق رأيه وهواه، وصفه، جازماً، بالكذب

والبطلان والدسّ، دون أن يسوق شاهداً على كذب الحديث أو بطلان الأثر، أو يذكر مَن كذّبه.

٣. إذا كان رأيه في مسألة ما مخالفاً للرأي العام السائد في عصره، نسبه إلى السلف وادّعىٰ اتّفاقهم عليه، دون أن يذكر كلماتهم حتى يُعلم مدى الاتّفاق عليه.

هذه بعض نزعات الرجل، التي يعكسها الكتابان المذكوران، والتي دفعت بفقهاء عصره إلى التصدّي له، وإلى تبديعه، ووصفه بالشذوذ والعدول عن الصراط المستقيم ومباينة مذاهب أهل السنّة[1]، ولم يتخلّف عن ذلك حتى الذهبي، حيث بعث إليه برسالة خاصّة، وصمه بالعُجب بنفسه والاغترار بآرائه، وأظهر فيها عواره وشذوذه. ومن أراد الوقوف على كلمات العلماء في حقّه فليرجع إلى كتاب «السيف الصقيل».

ولمّا مات ابن تيمية ماتت معه أفكاره وآراؤه ولم يعتدّ بها إلّا القليل كابن القيّم وابن كثير، واستمرّ الحال كذلك حتى قام محمد بن عبد الوهاب بإحياء مذهبه بحرفيته في منطقة فقيرة من العلم والفكر، وقام آل سعود بدعمه ماليّاً وعسكرياً لما رأوا في اتّباعه ضماناً لبقائهم وسلطتهم. وهانحن نذكر في هذا الفصل شيئاً من تجرّؤ الرجل على رسول الله ﷺ وبخس حقوقه إلى حدّ لم يسبقه فيه سابق.

١ . قال اليافعي في ترجمته لابن تيمية: وله مسائل غريبة أنكر عليه فيها، وحُبس بسببها، مباينةً لمذهب أهل السنة، ومن أقبحها نهيه عن زيارة النبيّ عليه الصلاة والسلام. مرآة الجنان: ٤ / ٢٧٨.

١

زيارة النبي ﷺ وموقف ابن تيمية منها

سأل سائل ابن تيمية عمّا يُروىٰ عن النبي ﷺ: «مَن زار قبري وجبت له شفاعتي»، و «من زار البيت ولم يزرني فقد جفاني»، وهل زيارة النبي ﷺ على وجه الاستحباب أو لا؟

فأجاب : أمّا قوله: «مَن زار قبري وجبت له شفاعتي» فهذا الحديث رواه الدارقطني ـ فيما قيل ـ بإسناد ضعيف، ولهذا ذكره غير واحد من الموضوعات، ولم يروه أحد من أهل الكتب المعتمد عليها من كتب الصحاح والسنن والمسانيد.

وأمّا الحديث الآخر قوله: «مَن حج البيت ولم يزرني فقد جفاني» فهذا لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث، بل هو موضوع على رسول الله ﷺ ومعناه مخالف للإجماع، فإنّ جفاء الرسول ﷺ من الكبائر... إلخ.

وأمّا زيارته فليست واجبة باتّفاق المسلمين، بل ليس فيها أمر في

الكتاب ولا في السنّة، وإنّما الأمر الموجود في الكتاب والسنّة بالصلاة عليه والتسليم. وأكثر ما اعتمده العلماء في الزيارة قوله في الحديث الذي رواه أبو داود: «ما من مسلم يسلّم عليّ، إلّا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام».(١)

ثمّ إنّ ابن تيمية قسّم في موضع آخر زيارة القبور إلى قسمين: الشرعية، والبدعية.

أمّا الأُولى مثل الصلاة على الجنازة والمقصود بها الدعاء للميّت، كما يقصد بذلك الصلاة على جنازته، كما كان النبيﷺ يزور أهل البقيع ويزور شهداء أُحد، ويعلّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منّا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية. اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنّا بعدهم، واغفر لنا ولهم».

وأمّا الثانية وهي الزيارة البدعية ـ وهي زيارة أهل الشرك، من جنس زيارة النصارى الذين يقصدون دعاء الميت والاستعانة به وطلب الحوائج عنده، فيصلّون عند قبره ويدعون به ـ فهذا ونحوه لم يفعله أحد من الصحابة، ولا أمر به رسول الله ولا استحبّه أحدٌ من سلف الأُمّة وأئمتها.(٢)

وأجاب عن سؤال آخر حول الزيارة، فقال: أمّا الاختلاف إلى القبر بعد الدفن، فليس بمستحب، وإنّما المستحب عند الدفن أن يقام على قبره،

---

١. مجموع الفتاوى: ١٩/٢٧، طبعة القاهرة، دارالوفاء، ط٢، ١٤٢١هـ.

٢. مجموع الفتاوى: ١٨٣/٢٤.

ويدعى له بالتثبيت. كما روى أبو داود في سننه عن النبي ﷺ: أنّه كان إذا دفن الرجل من أصحابه يقوم على قبره، ويقول: سلوا له التثبيت، فإنّه الآن يسأل. وهذا معنى قوله:﴿وَلاٰ تُصَلِّ عَلىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلاٰ تَقُمْ عَلىٰ قَبْرِهِ﴾[1]، فإنّه لمّا نهى نبيّه ﷺ عن الصلاة على المنافقين وعن القيام على قبورهم، كان دليل الخطاب أنّ المؤمن يُصلّىٰ عليه قبل الدفن، ويقام على قبره بعد الدفن.

فزيارة الميّت المقرونة بالدعاء، والاستغفار هي من هذا القيام المشروع.

وحاصل كلامه: أنّ الزيارة الشرعية منحصرة بالتسليم على الميّت والدعاء له على أن يغفر الله له، فهذا المقدار من الزيارة مشروع.

وأمّا الزيارة البدعية فهي عبارة عن التسليم على الميّت والصلاة عنده والدعاء عنده، وطلب الحوائج من الرزق والنصر عنده وبه، فهذا ليس مشروعاً باتفاق أئمة المسلمين، إذ هذا لم يفعله رسول الله ولا أمر به ولا رغّب فيه ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين.[2]

فنقول ونحن ندرس كلامه في مقامات:

الأوّل: سرد الروايات الواردة في زيارته

إنّ دراسة الأحاديث الواردة في زيارة النبي ﷺ يميط الستر عن وجه الواقع، وهل أنّ الروايات الواردة صحيحة أو حسنة أو موضوعة؟

---

١ . التوبة:٨٤.

٢ . جامع المسائل، المجموعة الرابعة:١٦٢ـ ١٦٣.

والمراد من الحسنة عبارة عن الرواية التي في سندها ضعف، ولكن كثرت طرقها ورواتها، كما عليه أهل الحديث في تفسير الحسن.

الحديث الأوّل

قد أخرج قوله: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» عدّة من الحفاظ وأئمة الحديث يزيد عددهم على أربعين محدّثاً وحافظاً، وها نحن نذكر بعض من رواه من قدماء المحدّثين:

١. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي (المتوفّى ٢٨١هـ).[1]

٢. محمد بن إسحاق، أبو بكر النيسابوري (المتوفّى ٣١١هـ) الشهير بابن خزيمة (أخرجه في صحيحه).

٣. الحافظ أبو الحسن عليّ بن عمر الدارقطني (المتوفّى ٣٨٥هـ).[2]

٤. الحافظ أبو بكر البيهقي (المتوفّى ٤٥٨هـ).[3]

٥. القاضي عياض المالكي (المتوفّى ٥٤٤هـ).[4]

٦. الحافظ أبو القاسم عليّ بن عساكر (المتوفّى ٥٧١هـ).[5]

٧. الحافظ ابن الجوزي (المتوفّى ٥٩٧هـ) في مثير الغرام الساكن.

إلى غيرهم من العلماء والمصنّفين الذين ذكر أسماءهم وأسماء كتبهم

---

١. كما في الغدير: ١٤٣/٥.

٢. سنن الدارقطني: ٢٧٨/٢، برقم ١٩٤.

٣. السنن الكبرى: ٢٤٥/٥.

٤. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٩٤/٥.

٥. مختصر تاريخ دمشق: ٤٠٦/٢ في باب مَن زار قبره صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الباب أسقطه المهذّب من الكتاب في طبعه، والله يعلم سرّ تحريفه هذا وما أضمرته سريرته. [عن الغدير].

العلّامة المحقق الأميني.[1] حتى أنّ مؤلّفي «الفقه على المذاهب الأربعة» ـ وهم سبعة مؤلّفين ـ رووا هذا الحديث في موسوعتهم.[2]

فهل يمكن رمي هؤلاء الحفّاظ وفيهم ابن أبي الدنيا والبيهقي والدارقطني وابن خزيمة بأنّهم اعتمدوا على حديث موضوع مدسوس في أمر مهم؟

وأمّا سند الحديث فقد تكلّم فيه تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (المتوفّى ٧٥١هـ) في «شفاء السقام» ونحن نذكر بعض ما قاله:

إنّ الأحاديث التي جمعناها في الزيارة بضعة عشر حديثاً ممّا فيه لفظ الزيارة غير ما يستدلّ به لها من أحاديث أُخر، وتضافر الأحاديث يزيدها قوة، حتى أنّ الحسن قد يرتقي بذلك إلى درجة الصحيح. ثم قال: وبهذا بل بأقلّ منه، يتبيّن افتراء مَن ادّعى أنّ جميع الأحاديث الواردة في الزيارة، موضوعة.

فسبحان الله!! أما استحى من الله ومن رسوله في هذه المقالة التي لم يسبقه إليها عالم ولا جاهل؟ لا من أهل الحديث، ولا من غيرهم؟ ولا ذكر أحدٌ موسى بن هلال ولا غيره من رواة حديثه هذا بالوضع، ولا اتّهمه به فيما علمنا!

فكيف يستجيز مسلم أن يطلق على كلّ الأحاديث التي هو واحد منها: «أنّها موضوعة» و لم يُنقل ذلك عن عالم قبله، ولا ظهر على هذا الحديث شيء من الأسباب المقتضية للمحدّثين للحكم بالوضع، ولا حُكم متنه ممّا

١. الغدير:٥/١٤٣ـ١٤٧.
٢. الفقه على المذاهب الأربعة:١/٧١١.

يخالف الشريعة، فمن أي وجه يحكم بالوضع عليه لو كان ضعيفاً؟ فكيف وهو حسن أو صحيح؟[١]

أقول: رجال السند ـ كما أخرجه الدارقطني ـ كلّهم ثقات لا كلام فيهم إلّا في رجلين. وإليك البيان:

روى الدارقطني قال حدثنا القاضي المحاملي، ثنا«عبيد» بن محمد الوراق، ثنا موسى بن هلال العبدي، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر ، قال: قال رسول الله: من زار قبري وجبت له شفاعتي. ولا غبار في السند ولو كان كلام، فإنّما هو في موردين:

١. عبيد الله بن محمد الورّاق.

٢. موسى بن هلال العبدي.

أمّا الأوّل فهو بصورة المصغّر «عبيد» ثّقة بلا كلام، وثقّه الخطيب[٢] وقد أقام السبكي شواهد كثيرة على أنّ النسخة المصحّحة هو «عبيد».

وأمّا لو كان بصورة المكبر فقد ورد فيه التعديل والجرح، لا باتهامه بالوضع والدس والحيل ونظائره، بل بسوء الضبط وإليك كلمات القوم:

١. قال أبو حاتم الرازي: رأيت أحمد بن حنبل يحسن الثناء عليه.

وقال يحيى بن معين: ليس به بأس يكتب حديثه، وقال: إنّه في نافع: صالح، وقال ابن عديّ: لا بأس به صدوق، وقال ابن حبان: كان ممّن غلب عليه الصلاح حتى غُلب عن ضبط الأخبار، وجودة الحفظ للآثار، تقع

---

١ . شفاء السقام في زيارة خير الأنام ﷺ: ٧٩ـ٨٠.

٢ . تاريخ بغداد: ١١/٩٧، برقم ٥٧٨٩.

المناكير في روايته، فلما فحش خطؤه استحق الترك.[١]

فلو كان فيه كلام فإنّما هو في حفظه، وبما أنّ الحديث في غاية الاختصار، فاحتمال خطئه فيه بعيد.

٢. موسى بن هلال، قال ابن عدي: أرجو أنّه لا بأس به[٢]. كيف؟ وهو من مشايخ أحمد بن حنبل، والمشهور أنّ أحمد، ومالك، وشعبة، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، والبخاري، ومسلم، لا يروون إلّا عن ثقة.

وبذلك ظهر أنّ وصف الحديث بكونه موضوعاً في غاية الخروج عن قواعد الحديث، فإن الضعيف على قسمين: قسم يكون ضعفُ راويه ناشئاً من كونه متهماً بالكذب ونحوه، فاجتماع الأحاديث الضعيفة من هذا الجنس لا يزيدها قوة.

وقسم يكون ضعف راويه ناشئاً من ضعف الحفظ مع كونه من أهل الصدق والديانة، فإذا رأينا ما رواه قد جاء من وجه آخر، عرفنا أنّه ممّا قد حفظه ولم يختل فيه ضبطه، هكذا قاله ابن الصلاح وغيره.

فاجتماع الأحاديث الضعيفة من هذا النوع يزيدها قوة وقد يرقى ذلك إلى درجة الحسن أو الصحيح.[٣]

ثمّ إنّ لهذا الحديث صوراً أُخرى جمعها العلّامة السبكي في «شفاء

---

١. شفاء السقام:٧٤ـ٧٥.

٢. الكامل:٣٥١/٦، برقم ١٨٣٤، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.

٣. شفاء السقام:٧٨.

السقام» فبلغت إلى خمسة عشر حديثاً ويحتمل أن يكـون الجـميع صـوراً مختلفة لحديث واحد كما يحتمل أن تكون أحاديث متعدّدة.

ثمّ تابعه العلّامة المحقّق الأميني فى كتاب «الغدير» فبلغ عدد الأحاديث إلى اثنين وعشرين حديثاً.

وقـد درس هـذان العـلَمان الأحـاديث المـذكورة سـنداً ودلالة، وردّا الإشكالات المتوجّهة إليها.

وبما أنّ المجال لا يتّسع لنقل الأحاديث مع أسانيدها ومـا حـولها مـن الكلمات، فلنقتصر علىٰ نقل الحديث مع الإشارة إلى مصدر أو مصدرين مما وقفنا عليه أو ما ذكره المحقق السبكي أو العلّامة الأميني.

وهذه الروايات الكثيرة الواردة في غير واحد من كتب السنن والتاريخ، والتي عكف على نقلها جـهابذة الحـديث وأعـلامه لا يـمكن أن تـوصف بالكذب والدسّ، أو تُرمىٰ بسبب ضعف أحد الرواة في الحفظ والنقل، فهذه الكثرة تدل على أنّ مضمون الرواية متواتر معنى، وأنّ الرسـول حثّ عـلى زيارة قبره في غير موقف، وإليك الصور أو الأحاديث الأُخر.

الحديث الثاني

من زار قبري حلّت له شفاعتي[1]

---

١ . الظاهر أنّ هذا الحديث، هو نفس الحديث الأوّل، وفـي الثـاني: حـلّت، وفـي الأوّل: وجـبت، وينتهي السند في كليهما إلى ابن عـمر. ورواه بـاللفظ الثـاني؛ الدارقـطني فـي سـننه: ٢٧٨/٢، والسيوطي في الدر المنثور: ٢٣٧/١.

الحديث الثالث

مَن جاءني زائراً لا تحمله حاجة إلّا زيارتي كان حقّاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة.(١)

الحديث الرابع

مَن حجّ فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي.(٢)

الحديث الخامس

مَن حجّ البيت فلم يزرني فقد جفاني.(٣)

الحديث السادس

مَن زار قبري أو «مَن زارني» كنت شفيعاً له أو شهيداً.(٤)

الحديث السابع

مَن زارني متعمّداً كان في جواري يوم القيامة.(٥)

الحديث الثامن

مَن زارني بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي.(٦)

---

١. رواه الطبراني في معجمه الكبير:٢٩١/١٢، برقم ١٣١٤٩.

٢. رواه الدارقطني في سننه:٢٧٨/٣، برقم ١٩٣، كتاب الحج.

٣. رواه ابن عدي في الكامل:٢١٤/٧، برقم ١٩٥٦(النعمان بن شبل).

٤. رواه أبو داود الطيالسي في مسنده:١٢/١.

٥. رواه أبو جعفر العقيلي في الضعفاء:٣٦١/٤، برقم ١٩٧٣.

٦. رواه الدارقطني في سننه:١٩٣/٢.

الحديث التاسع

مَن حجّ حجّة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلّى عليّ في بيت المقدس، لم يسأله الله عزّ وجل فيما افترض عليه.(١)

الحديث العاشر

مَن زارني بعد موتي فكأنّما زارني وأنا حيّ.(٢)

الحديث الحادي عشر

مَن زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً.(٣)

الحديث الثاني عشر

ما من أحد من أُمّتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر.(٤)

الحديث الثالث عشر

مَن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً أو قال: «شفيعاً».(٥)

---

١ . نقله السبكي عن الحافظ أبي الفتح الأزدي في الجزء الثاني من فوائده، ونقله عنه ابن حجر في لسان الميزان:٤/٢ في ترجمة الأزدي على ما في تعليقة محقّق كتاب: شفاء السقام.

٢ . نقله السبكي عن أبي الفتوح سعد بن محمد بن إسماعيل اليعقوبي في جزء فيه فوائد، لاحظ: شفاء السقام:١٠٩.

٣ . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان:٤٨٨/٣.

٤ . رواه الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود ابن النجار في كتاب «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» كما في شفاء السقام:١١٢.

٥ . رواه الحافظ أبو جعفر العقيلي في كتاب الضعفاء:٤٥٧/٣.

الحديث الرابع عشر

من لم يزر قبري فقد جفاني.[١]

الحديث الخامس عشر

مَن أتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة.[٢]

هذه خمس عشرة رواية أخرجها السبكي في «شفاء السقام»، ودرس أسانيدها على نحو لا يبقى لمريب ريب ولا لمشكّك شك.

وقد تابعه المحقّق الأميني فأخرج صوراً أُخرى للرواية حتى تجاوزت العشرين حديثاً، نقتبس منها ما يلي:

الحديث السادس عشر

مَن حجّ إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان.[٣]

الحديث السابع عشر

مَن زارني متعمّداً كان في جواري يوم القيامة.[٤]

الحديث الثامن عشر

مَن زارني بعد وفاتي وسلّم عليّ رددت عليه السلام.[٥]

---

١. رواه الحافظ أبو عبد الله ابن النجار في الدرة الثمينة: ٣٩٧، الباب١٦.

٢. وفاء الوفا للسمهودي:١٣٤٨/٤.

٣. أخرجه الديلمي، ورواه السمهودي في وفاء الوفا:١٣٤٧/٤.

٤. رواه الدارقطني في سننه:٢٧٨/٢، الحديث ١٩٣.

٥. الفائق: الروض ٣٨٠.

الحديث التاسع عشر

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَن زار قبر رسول الله كان في جواره».[١]

إلى غير ذلك من الأحاديث التي رواها الأعلام من السنّة، وإذا أُضيف إليها ما رواه الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، لظهر أنّ استحباب زيارة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ممّا حثّ عليه النبي وآله الأطهار، ولا يمكن رمي هؤلاء الأعلام ومن رووا عنهم من الرواة بالكذب والدسّ، أو سوء الحفظ والذكر.

ولعمر الحق، لو ورد معشار ما ورد في المقام، في موضوع من المواضيع التي يتبنّاها ابن تيمية، لأقاموا الدنيا على صحّته وتضافره، ولم يقعدوها!!

المقام الثاني: الاستدلال بالكتاب على زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ثمّ إنّ الروايات المتقدّمة وإن كانت كافية في إثبات زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن يمكن الاستدلال قبلها بالآية الكريمة التي ستقرأها تالياً، وقد استدلّ بها لفيف من المحقّقين، أعني قوله سبحانه: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَحِيماً﴾**.[٢]

إنّ الآية في بدء النظر وإن كانت منصرفة إلى حياة النبي الدنيوية وانّ على المؤمنين أن يطلبوا منه الاستغفار في حقّهم، لكنّه انصراف بدْوي، لأنّ الدليل قام على حياة النبي بعد رحيله من الدنيا، وأنّه يسمع كلامنا وسلامنا ويردّ

---

١. رواه ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق: ٢/٤٠٦.

٢. النساء: ٦٤.

جواب سلامنا. وعلى هذا فالآية غير محدودة بحياة النبي الدنيوية، ويشهد على ذلك فهم السلف الصالح للآية، فقد أخرج الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنّ في سورة النساء لخمس آيات ما يسرّني أنّ لي بها الدنيا وما فيها ـ و قد علمت أنّ العلماء إذا مروا بها يعرفونها ـ ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظيماً﴾،[1] و﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخلاً كَريماً﴾[2]، و﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾[3]، [و] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَحِيماً﴾[4]، [و] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾.[5]

قال عبد الله: ما يسرّني أنّ لي بها الدنيا وما فيها.[6]

ووجه الدلالة هو أنّه لو كانت هذه الآية محدّدة بحياة النبي ﷺ فقط، لَما صحّ لابن مسعود أن يقول: ما يسرّني أن لي بها الدنيا وما فيها، لأنّ فيه إشارة إلى استمرارها بعد حياة النبي ﷺ، لأنّه قال ذلك بعد رحلته ﷺ.

قال الشوكاني: احتجّ القائلون بأنّها مندوبة بقوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾، ووجه

١ . النساء: ٤٠.
٢ . النساء:٣١.
٣ . النساء: ١١٦.
٤ . النساء:٦٤.
٥ . النساء:١١٠.
٦ . مجمع الزوائد:١١/٧ـ١٢. أخرجه الحاكم في المستدرك:٣٣٤/٢، المعجم الكبير للطبراني:٢٢٠/٩؛ الدر المنثور:٤٩٨/٣.

الاستدلال بها أنّهﷺ حيّ في قبره بعد موته، كما في حديث (الأنبياء أحياء في قبورهم) وقد صحّحه البيهقي وألّف في ذلك جزءاً. قال الأُستاذ أبو منصور البغدادي: قال المتكلّمون المحقّقون من أصحابنا إنّ نبيّناﷺ حيّ بعد وفاته.

ويؤيد ذلك ما ثبت أنّ الشهداء أحياء يرزقون في قبورهم، والنبيﷺ منهم، وإذا ثبت أنّه حيّ في قبره كان المجيء إليه بعد الموت كالمجيء إليه قبله.(١)

عمل الأعرابي

ذكر ابن عساكر في تاريخه، وابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن»، وغيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي، قال: دخلت المدينة فأتيت قبر النبيﷺ، فزرته وجلست بحذائه، فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرسل، إنّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَحِيماً**﴾، وانّي جئتك مستغفراً ربّك من ذنوبي مستشفعاً فيها بك، ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دُفنتْ بالقاع أعظُمهُ ... وطاب من طيبهنّ القاع والأكَمُ

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنُهُ ... فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

ثم استغفر وانصرف.(٢)

---

١ . نيل الأوطار:٩٤/٥، دار الجيل، بيروت.

٢ . وفاء الوفا:١٣٦١/٤؛ الدرر السنية:٧٥؛ مختصر تاريخ دمشق:٤٠٨/٢.

إنّ هذا الأعرابي أدرك بذهنه الوقّاد وسريرته الصافية وفطرته السليمة ما تنطوي عليه زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فوائد جمّة، وأنّ الآية غير محدّدة بحياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقط.

يقول العلّامة الأميني: هذه الحكاية حكاها محمد بن حرب الهلالي، عن أعرابيّ أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزاره، ثم قال ما يقرب ممّا ذكر، رواها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي، والقسطلاني في المواهب، والسبكي في شفاء السقام، والخالدي في صلح الاخوان، وقال: تلقّى هذه الحكاية العلماء بالقبول، وذكرها أئمّة المذاهب الأربعة في المناسك مستحسنين لها.[1]

***

المقام الثالث: المذاهب الأربعة وزيارة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ من تتبع كلمات العلماء الأبرار حول زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوجد أنّها سنّة عريقة بين المسلمين أجمع عليها العلماء، ورغّبوا فيها، وقد ذكر السبكي في كتابه «شفاء السقام» نصوص العلماء وإجماعهم على الزيارة.[2] كما نقل نصوص العلماء على الاستحباب، الدكتور محمد السيد صبيح في كتابه «أخطاء ابن تيمية»، وجعله ثالث الأدلّة باسم: الإجماع على الزيارة.[3]

كما أنّ شيخنا العلّامة الأميني قد استقصىٰ كلمات الأعلام في المذاهب

---

١. الغدير:٢٠٩/٥.

٢. شفاء السقام:١٥٥ـ١٧٥.

٣. أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته: ١٩٩ ـ ٢١٨.

الأربعة، فذكر (٤٢) نصاً من أقوال فقهاء المذاهب الأربعة، كلّهم يؤكّدون على استحباب الزيارة.[١] وها نحن نقتبس شيئاً مما صرّح به هؤلاء الأعلام:

١. قال أبو الحسن الماوردي (المتوفّى ٤٥٠هـ) في «الأحكام السلطانية»:

فإذا عاد وليّ الحاجّ سار بهم على طريق المدينة لزيارة قبر رسول الله ليجمع لهم بين حج بيت الله وزيارة قبر رسول الله، رعاية لحرمته وقياماً بحقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج، فهو من مندوبات الشرع المستحبّة، وعبادات الحجيج المستحسنة.[٢]

٢. وقال القاضي عياض المالكي (المتوفّى ٥٤٤ هـ) في الشفا: وزيارة قبره ﷺ سنّة مجمع عليها، وفضيلة مرغّب فيها. ثم ذكر عدّة من أحاديث الباب، فقال:

قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه [يعني إسحاق بن راهويه، شيخ البخاري]: وممّا لم يزل من شأن من حجّ المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، والتبرّك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطن قدميه والعمود الذي استند إليه ومنزل جبريل بالوحي فيه عليه، ومن عمّره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين، والاعتبار بذلك كلّه.[٣]

٣. عقد الحافظ ابن الجوزي الحنبلي (المتوفّى ٥٩٧هـ) في كتابه «مثير الغرام» باباً في زيارة قبر النبي ﷺ وذكر حديثي ابن عمر وأنس، المذكورين في الباب السابق.

---

١. الغدير: ١٦٥ـ١٨٧.   ٢. الأحكام السلطانية: ١٠٥/٢.

٣. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٩٤/٢؛ شرح الشفا للخفاجي: ٥١٥/٣.

٤. قال الشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (المتوفّى ٦٢٠ هـ) في كتابه «المغني»: فصل: يستحبّ زيارة قبر النبي ﷺ، ثمّ ذكر حديثي ابن عمر وأبي هريرة من طريق الدارقطني وأحمد.[1]

٥. قال محيي الدين النووي الشافعي (المتوفّى ٦٧٦ هـ) في المنهاج المطبوع بهامش شرحه للمغني[2]: ويستنّ شرب ماء زمزم وزيارة قبر رسول الله ﷺ بعد فراغ الحجّ.[3]

وإن شئت ـ عزيزي القارئ ـ أن تقف بصورة إجمالية، على رأي المذاهب الإسلامية في مسألة زيارة قبر رسول الله ﷺ، اقرأ معي كلام الشوكاني في هذا المجال، حيث قال:

ذهب الجمهور إلى أنّها مندوبة، وذهب بعض المالكية، وبعض الظاهرية إلى أنّها واجبة، وقالت الحنفية إنّها قريبة من الواجبات.

ثم قال: وذهب ابن تيمية الحنبلي إلى أنّها غير مشروعة، وتبعه على ذلك بعض الحنابلة.[4]

وممّا يؤكّد شذوذ رأي ابن تيمية (ومقلّديه)، ومخالفته للإجماع (أنّ المسلمين القاصدين للحجّ في جميع الأوقات، وعلى تباين الديار واختلاف المذاهب، قد دأبوا على الوصول إلى المدينة المشرّفة لقصد زيارته، ويعدّون

١ . شرح مختصر الخرقي في فروع الحنابلة:٥٨٨/٦، وهذا الكتاب من تأليف الشيخ أبي القاسم عمر الحنبلي (المتوفّى ٣٣٤هـ) والشرح المذكور من أعظم كتب الحنابلة التي يعتمدون عليها.

٢ . المغني:٤٩٤/١. ٣ . المنهاج:٥١١/١ ٤ . نيل الأوطار:٩٤/٥.

ذلك من أفضل الأعمال، ولم يُنقَل أنّ أحداً أنكر ذلك عليهم، فكان إجماعاً).[١]

ونختم الكلام بما قاله الإمام مالك لأبي جعفر المنصور، في مناظرة جرت بينهما، رواها القاضي عياض في «الشفا»، ونقلها بإسناده إلى ابن حميد، قال: ناظر أبو جعفر ـ أمير المؤمنين ـ مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإنّ الله تعالى أدّب قوماً فقال: ﴿لاتَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيّ...﴾ الآية، ومدح قوماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ...﴾ الآية، وذمّ قوماً، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ...﴾ الآية، وإنّ حُرْمته ميّتاً كحُرْمته حيّاً.

فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟

فقال: ولمَ تصرف وجهك عنه؟ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم ﵇ إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبلْه واستشفعْ به، فيشفعه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ ...﴾.[٢]

إكمال

قد قسّم ابن تيمية الزيارة إلى زيارة شرعية وزيارة بدعيّة، وعرّف الثانية

---

١. انظر: نيل الأوطار:٥/٩٧.

٢. الشفا للقاضي عياض: ٢ / ٢٠١ ـ ٢٠٦، الفصل ٩.

بالتسليم على الميّت والصلاة عنده والدعاء عنده، فقال: إنّ هذا ليس مشروعاً باتّفاق أئمة المسلمين.

مع أنّا نرى أنّ رسول الله ﷺ فعل ما وصف بدعياً، حيث دعا لنفسه عند قبور البقيع.

روى مسلم عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى المقابر يعلمهم أن يقولوا: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، أنتم لنا فَرَط، ونحن لكم تَبَع نسأل الله لنا ولكم **العافية**.(١)

أو ليس قوله: نسأل الله لنا ولكم العافية، دعاءً للنفس عند قبور المؤمنين.

وفي حديث عائشة الذي رواه مسلم: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين.(٢)

ولم يكتف ﷺ بذلك حتى علّم عائشة أن تزور قبور البقيع بالنحو الماضي.

والعجب أنّ الأمر بالدعاء في الكتاب والسنّة مطلق يعمّ كلّ الأمكنة ويكون عين التوحيد، ولكنّه يُصبح عند قبر الرسول ﷺ شركاً حسب دين ابن تيمية ورأيه!!

إلى هنا تمّ الكلام حول زيارة قبر رسول الله ﷺ وبقي الكلام عن قصد الزيارة والسفر إليها، وهذا ممّا أنكره أيضاً ابن تيمية.

---

١. صحيح مسلم:٦٧١/٢؛ مسند أحمد:٣٥٣/٥.

٢. صحيح مسلم:٦٧٠/٢؛ مسند أحمد:٢٢١/٦.

٢

ابن تيمية وشدّ الرحال إلى قبر النبيﷺ

قسّم ابن تيمية الزيارة إلى شرعية وبدعية، والأُولى أشبه بالدعاء للميت، وجعل الزيارة الدارجة بين المتشرعين من القسم الثاني، ولكنّه لم يكتف بذلك، بل حرّم السفر إلى زيارة قبر النبيﷺ أو غيره من الأنبياء في غير واحد من كتبه وفتاواه، قال:

بل نفس السفر لزيارة قبر من القبور ـ قبر نبي أو غيره ـ منهيٌّ عنه عند جمهور العلماء، حتى أنّهم لا يجوزون قصر الصلاة فيه بناءً على أنّه سفر معصية لقوله الثابت في الصحيحين:«لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا» وهو أعلم الناس بمثل هذه المسألة.[١] وقال: قالوا: ولأنّ السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أمر بها رسول اللهﷺ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله فهو مخالف للسنّة ولإجماع الأئمة.[٢]

---

١ . مجموع الفتاوى:٤/٥٢٠.

٢ . الفتاوى الكبرى:١/١٤٢.

وقال أيضاً: وقد ذكر أصحاب أحمد في السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين هل نقصر فيها الصلاة؟ أربعة أقوال: قيل لا تقصر مطلقاً، وقيل: تقصر مطلقاً، وقيل: لا تقصر إلّا إلى قبر نبينا، وقيل: لا يقصر إلّا إلى قبره المكرّم وقبور الأنبياء دون قبور الصالحين.

ولمّا كانت الأقوال الثلاثة الأخيرة مخالفة لرأيه، حاول أن يفسّر وجه الجواز، فقال:

والذين استثنوا قبر نبينا، لقولهم وجهان:

أحدهما ـ و هو الصحيح ـ: أنّ السفر المشروع إليه هو السفر إلى مسجده، وهذا السفر تقصر فيه الصلاة بإجماع المسلمين، وهؤلاء راعوا مطلق السفر، ولم يفصّلوا بين قصد وقصد إذ كان عامّة المسلمين لابد أن يصلّوا في مسجده، فكلّ من سافر إلى قبره المكرّم فقد سافر إلى مسجده المفضل.[1]

ولنا في كلامه وقفتان:

الأُولى: مقدّمة الأمر القربيّ لا توصف بالحرمة

إذا دلّت الروايات على استحباب زيارة النبي الأكرم ﷺ تكون زيارته أمراً قربيّاً يثاب الإنسان عليه إذا فعله، ويكون السفر إلى الأمر القربي إمّا مستحباً إذا قلنا بوحدة حكم المقدمة وذيها، أو يكون أمراً مباحاً، ولا يكون حراماً لأنّه يلزم منه التكليف بالمحال، إذ من جانب يأمر بالزيارة ـ و لو استحباباً ـ و من جانب يحرّم مقدّمته.

---

١ . مجموع الفتاوى:٢٨/١٨٥

ومنه يظهر حكم زيارة سائر المقابر وإن لم يكن فيها قبر نبي، بل يكفي وجود الصالحين من المؤمنين حيث إنّ رسول الله ﷺ أمر بزيارة القبور، وقال: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أُذن لمحمد بزيارة قبر أُمّه، فزوروها، فإنّها تذكّركم الآخرة».[١]

فإذا كانت زيارة القبور لأجل التذكّر والاعتبار، أمراً مرغوباً قربيّاً، فيكون السفر إليها إمّا مستحبّاً مثلها أو لا أقل مباحاً.

نعم، زيارة القبر المعيّن بشخصه لم يُؤمر به ـ إلّا النبي وآله ـ، وإنّما المطلوب زيارة القبور دون قبر خاص، فالسفر إلى زيارة قبر خاصّ كالوالد والصديق جائز لكن ليس بمأمور به بأمر خاص.

وإن شئت قلت: إنّ السفر إلى المشاهد والمقابر إذا كان لغاية غير أُخروية، ولم تكن تلك الغاية أمراً محرماً، كان السفر جائزاً، كسائر الأسفار.

وأمّا إذا كانت الغاية أمراً قربيّاً ـ كما هو المفروض ـ كان السفر إمّا مستحباً ـ إذا قلنا باستحباب مقدّمة الأمر المستحب ـ أو مباحاً إذا لم نقل. وعلىٰ كلّ تقدير لا يعقل تحريم السفر إليها.

دليل القائل بحرمة السفر

استدلّ ابن تيمية على حرمة السفر بحديث: «لا تشدّ الرحال»[٢]، الذي رُوي بألفاظ مختلفة، أشهرها:

---

١. صحيح مسلم:٩٧٧، في الجنائز؛ سنن أبي داود: برقم٣٢٣٥؛ سنن الترمذي:برقم ١٠٥٤، الجنائز؛ سنن النسائي: ٤ / ٨٩، باب الجنائز؛ جامع الأُصول من أحاديث الرسول لابن الأثير: ١٥٢/١١، برقم ٨٦٦٦

٢. مجموع الفتاوى:١٩٩/٢٧.

الأوّل: «لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى».(١) وهذه رواية سفيان بن عيينة عن الزهريّ، عن سعيد، عن أبي هريرة.

والثاني: «تشدّ الرحال إلى ثلاثة مساجد».(٢) من غير حصر، وهذه رواية معْمَر عن الزهري بالسند المذكور.

والثالث: «إنّما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء».(٣) وهذه رواية سلمان الأغرّ، عن أبي هريرة.

لقد استدلّ ابن تيمية بهذا الحديث على حرمة السفر، لغير هذه المساجد الثلاثة، ولكن الاستدلال من الوهن بمكان، ويُعرف وهنه بالبيان التالي:

إنّ المستثنى منه محذوف فهو أحد الأمرين:

١. لا تشدّ الرحال إلى مسجد من المساجد إلّا إلى ثلاثة مساجد... .

٢. لا تُشدّ الرحال إلى مكان من الأمكنة إلّا إلى ثلاثة مساجد... .

فلو كان المراد، الصورة الأُولى، كما هو الظاهر، كان معنى الحديث النهي عن شدّ الرحال إلى أيّ مسجد من المساجد سوى المساجد الثلاثة، ولا يعني عدم جواز شدّ الرحال إلى أيّ مكان من الأمكنة إذا لم يكن المقصود مسجداً، فالحديث يكون غير متعرض لشدّ الرحال لزيارة الأنبياء والأئمّة الطاهرين والصالحين، لأنّ موضوع الحديث إثباتاً ونفياً هو المساجد، وأمّا

١. صحيح مسلم:٣٢٧٤؛ صحيح البخاري:١١٨٩.

٢. صحيح مسلم:٣٢٧٥.

٣. صحيح مسلم:٣٢٧٦.

غير ذلك فليس داخلاً فيه، فالاستدلال به على تحريم شدّ الرحال إلى غير المساجد باطل.

وأمّا الصورة الثانية، فلا يمكن الأخذ بها، إذ يلزم منها كون جميع الأسفار محرّمة، سواء كان السفر لأجل زيارة المسجد أو غيره من الأمكنة، وهذا ممّا لا يلتزم به أحد من الفقهاء.

ثمّ إنّ النهي عن شدّ الرحال إلى أيّ مسجد غير المساجد الثلاثة ليس نهياً تحريمياً، وإنّما هو إرشاد إلى عدم الجدوى في سفر كهذا، وذلك لأنّ المساجد الأُخرى لا تختلف من حيث الفضيلة، فالمساجد الجامعة كلّها متساوية في الفضيلة، فمن العبث ترك الصلاة في جامع هذا البلد والسفر إلى جامع بلد آخر مع أنّهما متماثلان.

وفي هذا الصدد يقول الغزالي: القسم الثاني: وهو أن يسافر لأجل العبادة إمّا لحجّ أو جهاد... ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام، وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء. وكلّ من يُتبرّك بمشاهدته في حياته يُتبرّك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شدّ الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصىٰ» لأنّ ذلك في المساجد؛ فإنّها متماثلة (في الفضيلة) بعد هذه المساجد.[1]

يقول الدكتور عبد الملك السعدي: إنّ النهي عن شدّ الرحال إلى المساجد الأُخرى، لأجل أنّ فيه إتعاب النفس دون جدوى، أو زيادة ثواب؛

---

١ . إحياء علوم الدين:٢٤٧/٢، كتاب آداب السفر.

لأنّها في الثواب سواء بخلاف الثلاثة، لأنّ العبادة في المسجد الحرام بمائة ألف، وفي مسجد النبوي بألف، وفي المسجد الأقصى بخمسمائة، فزيادة الثواب تُحبِّب السفر إليها، وهي غير موجودة في بقية المساجد.(١)

والدليل على أنّ السفر لغير هذه المساجد ليس أمراً محرّماً، ما رواه أصحاب الصحاح والسنن: «كان رسول الله يأتي مسجد قُبا، راكباً وماشياً، فيصلّي فيه ركعتين».(٢)

وهذا يعني أنّ النهي عن شدّ الرّحال لغير المساجد الثلاثة ليس على التحريم، لكون النبيّ كان يأتي مسجد قباء راكباً.(٣)

وممّا يعضد القول بأنّ شدّ الرّحال لغير المساجد الثلاثة ليس محرّماً، أنّ سعد بن أبي وقّاص كان يحثّ المسلمين على شدّ الرّحال إلى مسجد قُباء. قال ابن حجر: ومن فضائل مسجد قُباء، ما رواه عمر بن شَبّة في «أخبار المدينة» بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقّاص، قال: لأن أصلّي في مسجد قباء ركعتين أحبّ إليّ من أن آتي بيت المقدس مرّتين، لو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد الإبل.(٤)

---

١. البدعة: ٦٠.

٢. صحيح مسلم: (٣٢٨٠)؛ صحيح البخاري: (١١٩٤)؛ سنن النسائي: (٦٩٤).

٣. فتح الباري: ٣/٦٩.

٤. المصدر نفسه.

الوقفة الثانية: هل كان المسلمون يـقصدون السـفر إلى المسـجد دون زيـارة النبي ﷺ؟

إنّه حاول أن يفسّر سفر المسـلمين إلى المـدينة المـنوّرة بأنّـهم كـانوا يقصدون السفر إلى المسجد دون زيارة قبر النبي الأكـرمﷺ، وهـذا أمـر تكذّبه السيرة المستمرة بين المسلمين عبر القرون، فإنّ الإجماع من السلف والخلف على أنّ الناس لم يزالوا في كلّ عام إذا قضوا الحجّ يتوجّهون إلى زيارته، وربما يزورونه قبل الحجّ، قال السبكي:

هكذا شاهدناه وشاهده من قبلنا، وحكاه العلماء عن الأعصار القديمة، وكلُّهم يقصدون ذلك ويعرجون إليه وإن لم يكن طـريقهم، ويـقطعون فـيه مسافةً بعيدة وينفقون فيه الأموال، ويبذلون فيه المهج، معتقدين أنّ ذلك قربةٌ وطاعةٌ، وإطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومـغاربها عـلى مـرّ السنين وفيهم العلماء والصلحاء وغيرهم يستحيل أن يكون خـطأ، وكـلُّهم يفعلون ذلك على وجه التقرّب به إلى الله عزّ وجلّ، ومَن تأخّر فإنّما يتأخر بعجزٍ أو تعويق المقادير مع تأسُّفه عليه وودّه لو تيسّر له، ومن ادّعى أنّ هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأٍ، فهو المخطئ.

وما ربّما يقال من أنّ سفرهم إلى المدينة لأجل قصد عبادةٍ أُخرى وهو الصلاة في المسجد، باطلٌ جداً، فإنّ المنازعة فيما يقصدُه الناس مكابرةٌ في أمر البديهة، فمن عَرف الناس عرف أنّهم يقصدون بسفرهم الزيارة يعرّجون إلى طريق المدينة، ولا يخطر غير الزيارة من القُرُبات إلّا ببال قـليل مـنهم، ولهذا قلَّ القاصدون إلى البيت المقدَّس مع تيسّر إتيانه، وإن كان في الصلاة

فيه من الفضل ما قد عُرف، فالمقصود الأعظم في المدينة الزيارة، كما أنّ المقصود الأعظم في مكّة الحجّ أو العمرة، وصاحب هذا السؤال إن شكّ في نفسه فليسأل كلّ من توجّه إلى المدينة ما قَصَد بذلك؟[١]

ويدلّ على ما ذكرنا ما نقله المؤرّخون عن بعض الصحابة والتابعين في هذا المجال.

قال ابن عساكر في ترجمة بلال: إنّ بلالاً رأى في منامه النبيّ وهو يقول له: ما هذه الجَفْوة يا بلال، أما آن لك أن تزورني يا بلال؟ فانتبه حزيناً، وجِلاً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يبكي عنده ويمرّغ وجهه عليه، فأقبل الحسنُ والحسين فجعل يضمُّهما ويقبّلهما فقالا له: يا بلال نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذّن به لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففعل، فعلا سطح المسجد، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلمّا أن قال: «الله أكبر ـ الله أكبر» ارتجّت المدينة، فلما أن قال: «أشهد أن لا إله إلّا الله» ازدادت رجّتها، فلما أن قال: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله» خرجت العواتق من خدورهن فقالوا: أبُعِث رسول الله!؟ فما رُئي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك اليوم.[٢]

قال السبكي: إنّ سفر بلال في زمن صدر الصحابة، ورسول عمر بن عبد العزيز في زمن صدر التابعين من الشام إلى المدينة، لم يكن إلّا للزيارة والسلام على النبيّ ولم يكن الباعثُ على السفر ذلك من أمر الدنيا ولا من

---

١ . شفاء السقام:٢١١ـ٢١٢.

٢ . مختصر تاريخ دمشق: ٢٦٥/٥، و أُسد الغابة:٢٠٨/١.

أمر الدين ولا من قصد المسجد ولا من غيره.[١]

إنّ عمر بن عبد العزيز كان يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرئ النبيّ السلام ثمّ يرجع.[٢]

ثمّ إنّ عمر لمّا صالح أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرحَ عمر بإسلامه، قال عمر له: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي وتتمتع بزيارته؟ فقال لعمر: أنا أفعل ذلك، ولمّا قدم عمر المدينة أوّل ما بدأ بالمسجد وسلّم على رسول الله.[٣]

وهكذا بانت الحقيقة، وظهر وجه الحق، ودلّت الروايات والأخبار على أنّ زيارة قبر النبيﷺ تُعدّ من القربات، وأنّ السفر إليها أمر قربي، يتبع في حكمه حكم نفس الزيارة، وأنّ ما ذهب إليه ابن تيمية من تحريم السفر إلى قبر النبيﷺ يخالف رأي الجمهور، ويضادّ سيرة السلف، ولا يجنح إليه إلّا من اغترّ به، ورضي بتقليده عن تقصير أو قصور.

كلام الإمام النووي في السفر إلى زيارة النبيّﷺ

قال الإمام النووي: واعلم أنّ زيارة قبر رسول اللهﷺ من أهمّ القربات وأنجح المساعي، فإذا انصرف الحجّاج والمعتمرون من مكة استحبّ لهم استحباباً متأكداً أن يتوجّهوا إلى المدينة لزيارتهﷺ وينوي الزائر من الزيارة التقرّب وشدّ الرحل إليه والصلاة فيه، وأنّ الذي شرفت بهﷺ خير الخلائق

---

١. شفاء السقام:٢٥١.

٢. شفاءِ السقام: ١٤٣، الباب ٣: في ما ورد في السفر إلى زيارته.

٣. فتوح الشام:١٤٨/١ في ذكر فتح بيت المقدس.

وليكن من أوّل قدومه إلى أن يرجع مستشعراً لتعظيمه ممتلئ **القلب من هيبته كأنّه يراه**، فإذا وصل باب مسجده ﷺ ثم يأتي القبر الكريم فيستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر ويبعد من رأس القبر نحو أربع أذرع، ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العتبي مستحسنين له قال: كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَروا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَحِيماً**﴾[1] وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ من دُفنت بالقاع أعظمُهُ   فطاب من طِيبهنَّ القاع والأكَمُ[2]

---

١. النساء:٦٤.

٢. المجموع:٨/٢٠١ـ٢٠٢.

٢

ابن تيمية وشدّ الرحال إلى قبر النبيﷺ

قسّم ابن تيمية الزيارة إلى شرعية وبدعية، والأُولى أشبه بالدعاء للميت، وجعل الزيارة الدارجة بين المتشرعين من القسم الثاني، ولكنّه لم يكتف بذلك، بل حرّم السفر إلى زيارة قبر النبيﷺ أو غيره من الأنبياء في غير واحد من كتبه وفتاواه، قال:

بل نفس السفر لزيارة قبر من القبور ـ قبر نبي أو غيره ـ منهيٌّ عنه عند جمهور العلماء، حتى أنّهم لا يجوزون قصر الصلاة فيه بناءً على أنّه سفر معصية لقوله الثابت في الصحيحين:«لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا» وهو أعلم الناس بمثل هذه المسألة.[١] وقال: قالوا: ولأنّ السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أمر بها رسول اللهﷺ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله فهو مخالف للسنّة ولإجماع الأئمة.[٢]

---

١ . مجموع الفتاوى:٥٢٠/٤.

٢ . الفتاوى الكبرى:١٤٢/١.

الثاني: عمل السلف في ذلك.

أمّا الأوّل: فيُردّ بوجوه:

١. أنّ التركيز على عدم استحباب الدعاء عند قبر النبي ﷺ يراد به ترك الدعاء هناك مطلقاً، سواء أكان للمكان مزية أو لا، مع أنّه سبحانه يأمر بالدعاء في كلّ مكان، قال سبحانه: ﴿**ٱدْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[1]، فهل يمكن أن يقال: إنّه يجوز الدعاء في كلّ مكان إلّا في قبر النبي ﷺ.

٢. قال سبحانه: ﴿**واتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهيمَ مُصَلّىً**﴾،[2] فقد أمر سبحانه أن يصلّوا عند مقام إبراهيم عليه السلام (قاله قتادة والسُّدّي، وهو المروي في أخبار الإمامية)، أو أن يدعوا عنده (قاله مجاهد).[3] وما هذا إلّا لأجل التبرّك بالمقام، الذي بورك بموطئ قدم إبراهيم عليه السلام. فإذا جاز التبرّك بالقيام (أو الدعاء) في مقام إبراهيم عليه السلام، فكيف لا يجوز التبرك بالقيام والدعاء في مكان دفن فيه النبي ﷺ؟ أفلا يكون الدعاء عنده أرجىٰ للإجابة؟

٣. أنّ صبر هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام على الأذى والبُعد والوحدة والغربة، قد صار سبباً لجعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين إلى يوم القيامة، فهل يُستكثر على أفضل الأنبياء الذي قال: «ما أُوذي نبي بمثل ما أُوذيت»، وصبر أجمل الصبر، هل يُستكثر عليه أن تكون آثاره محلّاً للتبرّك بالصلاة والدعاء عندها؟!

٤. كيف لا يستجاب الدعاء عند مرقد خاتم الأنبياء؟ وقد نقل الدارمي في سننه في باب «**ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته**»، قال: حدّثنا أبو

---

١. غافر:٦٠.　　٢. البقرة:١٢٥.　　٣. التبيان في تفسير القرآن:١/٤٥٣.

النعمان، ثنا سعيد بن زيد، ثنا عمرو بن مالك النُّكري، ثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله، قال: قُحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كُوّاً إلى السماء، حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا فمُطرنا مطراً، حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمّي عام الفتق.[1]

ويبدو من الآثار والروايات أنّ السلف الصالح كانوا يصلّون ويدعون عند قبر النبي ﷺ، تبركاً بتراب قبره ومحلّ دفنه. وإليك عدداً من تلك الروايات:

١ . روى ابن حبّان والطبراني بإسناد صحيح. قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، رأيت أُسامة قال: ورأيته يصلّي عند قبر رسول الله ﷺ فخرج مروان بن الحكم، فقال: تصلّي عند قبره؟ قال: إنّي أُحبّه. فقال له قولاً قبيحاً، ثم أدبر. فانصرف أُسامة فقال لمروان: إنّك آذيتني، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله يبغض الفاحش المتفحّش، وإنّك فاحش متفحّش.[2]

والحديث يدلّ على أنّ المسلمين بصفاء قلوبهم كانوا يقصدون قبر النبي بالصلاة والدعاء لديه، وأنّ الطغمة الأموية وعلى رأسها مروان بن الحكم كانوا يمنعون من هذا العمل، وليس ما ذكر أوّل بادرة بدرت من مروان، بل كان يستمرّ على ذلك حقداً وضغينة على النبي.

٢. أخرج الحاكم في مستدركه وصحّحه (ووافقه الذهبي)، عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ

---

١ . سنن الدارمي: ٥٦/١، برقم ٩٢.

٢ . صحيح ابن حبان: ٥٠٦/١٢، برقم ٥٦٩٤؛ المعجم الكبير: ١٦٦/١، برقم ٤٠٥؛ تاريخ دمشق: ٢٤٨/٥٧ـ ٢٤٩.

برقبته، فقال: أتدري ما تصنع؟ قال: نعم، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فقال: جئت رسول الله ولم آت الحجر. سمعت رسول الله يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله.[1]

لا شكّ في أنّ أبا أيوب مضيف رسول الله ﷺ كان يدعو الله تبارك وتعالى ووجهه على القبر.

٣. روى الحاكم والبيهقي عن أُمّ علقمة أنّ امرأة دخلت بيت عائشة، فصلّت عند بيت النبي ﷺ وهي صحيحة فسجدت فلم ترفع رأسها حتى ماتت. فقالت عائشة: الحمد لله الذي يحيي ويميت. إنّ في هذه لعبرة لي في عبد الرحمن بن أبي بكر رقد في مقيل له قاله، فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات.[2]

كلّ ذلك يدلّ على أنّ ما نسبه ابن تيمية إلى السلف الصالح لا يستند إلى دليل صحيح.

***

وأمّا **المقام الثاني** ـ أي ما نسبه إلى السلف من عدم استحباب الدعاء، أو جوازه عند قبر النبي ـ : فيردّه ما نقلناه من مناظرة المنصور مع مالك وهي قضية معروفة، ولا ندري لأي جهة يكذبها ابن تيمية، وقد نقلها غير واحد من العلماء.

---

١. المستدرك:٤/٥١٥.

٢. المستدرك: ٤ / ٤٧٥ ـ ٤٧٦ ؛ شعب الإيمان: ٧ / ٢٥٦ ، برقم ١٠٢٢٢. يُذكر أنّ وفاة عبد الرحمن بن أبي بكر كانت في سنة ٥٣ هـ.

ويكفي في ذلك ما يذكره الحصني في كتاب «دفع شبه مَن تشبّه وتمرّد»، حيث قال: أمّا الدعاء عند القبر فقد ذكره خلق ومنهم الإمام مالك وقد نصّ على أنّه يقف عند القبر، ويقف كما يقف الحاج عند البيت للوداع ويدعو، وفيه المبالغة في طول الوقوف والدعاء، وقد ذكره ابن المواز في الموازية، فأفاد ذلك أنّ إتيان قبر النبي ﷺ والوقوف عنده والدعاء عنده من الأُمور المعلومة عند مالك، وأنّ عمل الناس على ذلك قبله وفي زمنه، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لأنكره، فضلاً عن أن يفتي به، أويقرّ عليه.

وقال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلّم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر، لا إلى القبلة، ويدعو ويسلّم،ولا يمسّ القبر بيده.

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله السامري في كتاب «المستوعب» في باب زيارة قبر النبي ﷺ: «وإذا قدم مدينة رسول الله ﷺ يستحب له أن يغتسل لدخوله، ثم يأتي مسجد رسول الله ﷺ ويقدّم رجله اليمنى في الدخول... إلى أن يقول: ثم ذكر كيفية السلام والدعاء وأطال، ومنه: اللهم إنّك قلت في كتابك ... وذكر دعاء طويلاً، ثم قال: وإذا أراد الخروج عاد إلى القبر فودّع».

وهذا أبو عبد الله من أئمة الحنابلة، وساق هذا الكلام سياق المتّفق عليه، ومن جملة ما أفاد: أنّه يتوسّل بالنبي ﷺ، ويتوجّه به بعد وفاته كما في حياته، وأنّ الآية عامّة وشاملة للحياة وبعد الوفاة، فتنبّه لذلك.

وكذلك ذكره أبو منصور الكرماني من الحنفية: أنّه يدعو ويطيل الدعاء عند القبر المكرّم.

وقال الإمام أبوزكريا النووي في مناسكه وغيره: فصل في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر كلاماً مطوّلاً، ثم قال: «فإذا صلّى تحيّة المسجد أتى القبر، فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر، وسلّم مقتصداً لا يرفع صوته»، وذكر كيفيّة السلام، ثم قال: «ويجتهد في إكثار الدعاء، ويغتنم هذا الموقف الشريف...» إلى آخره.

فهذه نقول الأئمة بتطويل الدعاء عند القبر المكرّم، وقد خاب من افترى وكلّ أحد تلحقه الخيبة على قدره.[1]

والعجب أنّ ابن تيمية يرمي السلف بترك الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أنّا نرى أنّ السلف الصالح يدعون عند مرقد الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام:فكيف عند قبر جده: النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

١. روى الحافظ ابن حجر في ترجمة الإمام الرضا عليه السلام عن الحاكم في تاريخ نيسابور قال: وسمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا عليه السلام بطوس، قال: فرأيت من تعظيمه ـ يعني ابن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحيّرنا.[2]

٢. وقال ابن حبّان، وهو يتحدّث عن زياراته لقبر الإمام الرضا عليه السلام: قد زرتُه مراراً كثيرةً، وما حلّت بي شدّة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي

---

١ . دفع الشبه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والرسالة «أو دفع شبه من تشبّه وتمرد»:٢٠١ـ٢٠٢.

٢ . تهذيب التهذيب:٧/٣٣٩.

بن موسى الرضا صلوات الله على جدّه وعليه، ودعوت الله إزالتها عنّي، إلّا استجيب لي، وزالت عني تلك الشدّة، وهذا شيء جربته مراراً فوجدته كذلك.(١)

وفي هذا الصدد يقول العالم المجاهد السيد محسن الأمين العاملي في أُرجوزته المسمّاة بـ«العقود الدرّية في ردّ شبهات الوهابية»:

وكذا الصلاة لدى القبور تبرّكاً ... بذوي القبور فليس بالصُّنع الردي

إنّ الأئمة من سلالة أحمد ... ثِقل النبي وقدوة للمقتدي

قالوا الصلاة لدى محلّ قبورنا ... في الفضل تعدل مثلها في المسجد

عنهم روته لنا الثقات فبالهدى ... منهم إذا شئت الهداية فاقتد

شرَفُ المكان بذي المكان محقق ... وأخو الحجىٰ في ذاك لم يتردد

خير عبادة ربنا في مثله ... من غيره فإليه فاعمد واقصد

وكذلكم طلب الحوائج عندها ... من ربنا أرجىٰ لنيل المقصد

إنّ القبور بساكنيها شُرِّفت ... فلساكنيها منزل لم يجحد

بركاتها ترجى لداع إنّها ... بركات شخص في الضريح موسَّد

لا بدع إن كان الدعاء إليه فيـ ... ـها صاعداً وبغيرها لم يصعد

طلب الحوائج عند قبر مفضَّل ... عند الإله وبالفعال مسوَّد

كسؤالها من ربنا في مسجد ... أو في زمان فاضل لم يردد(٢)

---

١ . كتاب الثقات:٨/٤٥٧، ترجمة علي بن موسى الرضا(عليه السلام).

٢ . كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب:٣٩٩ـ ٤٠٠، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ.

٤

ابن تيمية ومسّ قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره

إنّ من السنن الجارية بين العقلاء، الاعتزاز بما يتركه أحباؤهم وأصدقاؤهم أو آباؤهم من أشياء. ومن مظاهر ذلك الاعتزاز، الاحتفاظ بها، وإدامة النظر إليها لاستذكار أصحابها، وغير ذلك من وجوه التعبير عن مشاعر الحبّ والوفاء لهم، كتقبيل الولد لصورة والده، أو لما كتبه بخطّه.

ومن المعلوم أنّ النبي الأكرم ﷺ هو أحبّ الخلق إلى المسلمين، ففي حال حياته كانوا يتبرّكون بماء وضوئه وشعره وكلّ ما له صلة به، وبعد رحيله يتبرّكون بمنبره[1] وقبره وآثاره، والباعث على كلّ ذلك هو الحبّ والولاء لصاحب الرسالة الكبرى، أو الرغبة في التبرّك بآثاره، من دون أن يكون فيه أي رائحة للشرك، فإنّ التبرك بآثاره في حال حياته، هو نفس التبرك بآثاره بعد رحيله، فإنّ الداعي إذا كان هو الحب فهو مشترك بين الحالين، وإن كان الداعي هو التبرك أي ترقّب رحمة الله سبحانه عن طريق آثاره ﷺ، فهو

١. عن ابن قُسيط (يزيد بن عبدالله بن قسيط، المتوفّى ١٢٢هـ) والعتبي: كان أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد جسّوا رمّانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون. الشفا بتعريف حقوق المصطفى:٢/٢٠٠.

أيضاً كذلك. وعلى كلّ تقدير، فالمؤثر هو الله سبحانه، والتبرّك بالآثار تمسُّك بالسبب.

وقد صدر إمام الحنابلة أحمد بن حنبل عن معرفة وعن فطرة سليمة، فأفتىٰ بجواز مسّ منبر النبيﷺ والتبرّك به وبقبره وتقبيله، قال ولده عبد الله بن أحمد: سألته عن الرجل يمسُّ منبر النبيﷺ ويتبرّك بمسِّه، ويُقَبّله، ويفعل بالقبر مثل ذلك، يريد بذلك التقرب إلى الله عزّ وجلّ؟ فقال: لا بأس بذلك.(١)

وقال عبدالله بن أحمد أيضاً: رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبيﷺ فيضعها علىٰ فيهِ يُقبِّلها، وأحسب أني رأيته يضعها علىٰ عينه، ويغمسها في الماء ويشربه، يستشفي به.

نقل ذلك الذهبي، وعلّق عليه بقوله:

أين المتنطِّع المنكر على أحمد، وقد ثبت أنّ عبد الله سأل أباه عمّن يلمس رُمّانة منبر النبيﷺ ويمسّ الحجرة النبوية، فقال: لا أرىٰ بذلك بأساً. أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع.(٢)

وقال العلاّمة أحمد بن محمد المقري المالكي (المتوفّى ١٠٤١هـ) في «فتح المتعال» نقلاً عن ولي الدين العراقي قال: أخبر الحافظ أبو سعيد بن العلا، قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن

---

١. العلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل:٤٩٢/٢، برقم ٣٢٤٣، تحقيق الدكتور وحي الله...، ط. بيروت ١٤٠٨هـ.

٢. سير أعلام النبلاء:٢١٢/١١، الترجمة ٧٨.

ناصر[1] وغيره من الحفّاظ: أنّ الإمام أحمد سُئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره؟ فقال: لا بأس بذلك.

قال: فأريناه التقي ابن تيمية فصار يتعجّب من ذلك، ويقول: عجبت من أحمد عندي جليل، هذا كلامه أو معنى كلامه.

وقال: وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنّه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به.[2]

وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم، فما بالك بمقادير الصحابة؟ وكيف بآثار الأنبياء عليهم السلام؟[3]

روى محمد بن البزار قال: كنت مع أبي عبد الله أحمد بن حنبل في جنازة فأخذ بيدي وقمنا ناحية، فلمّا فرغ الناس من دفنه وانقضى الدفن جاء إلى القبر وأخذ بيدي وجلس ووضع يده على القبر، فقال: اللهم إنّك قلت في كتابك الحق: ﴿فأمّا إنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعيمٌ* وَأَمّا إنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ اليَمينِ* فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمينِ* وَأَمّا إنْ كانَ مِنَ الْمُكَذِّبينَ الضّالِّينَ* فَنُزُلٌ مِنْ حَميمٍ* وَتَصْلِيَةُ جَحيمٍ﴾[4] إلى آخر السورة. اللهم وأنا أشهد أنّ هذا فلان بن فلان ما كذب بك، ولقد كان

---

١. هو الحافظ محمد بن ناصر أبو الفضل البغدادي توفّي سنة (٥٥٠هـ) قال ابن الجوزي في المنتظم: ١٠/١٦٣: «كان حافظاً متقناً ثقة لا مغمز فيه».

٢. ذكره ابن الجوزي في مناقب أحمد: ٤٥٥، وابن كثير في تاريخه: ١٠/٣٣١.

٣. انظر الغدير: ٥/١٥٠ـ١٥١.

٤. الواقعة: ٨٨ـ ٩٤.

يؤمن بك وبرسولك ﷺ اللهم فاقبل شهادتنا له، ودعا له وانصرف.[١]

فإذا جاز مسّ قبر المسلم لداع من الدواعي، فالنبي الأعظم ﷺ أولى بذلك، وتصوُّر أنّ مسّ قبر النبي قد يؤدّي إلى الشرك، تصوّر خاطئ، فالمسلمون كانوا يتبرّكون بقبر النبي ﷺ عبر القرون، ولم يُذكر عن أحد منهم أنّه أشرك، أو رُمي بالغلوّ.

ورغم كلّ هذا نرى أنّ ابن تيمية قد خالف إمام مذهبه حيث قال: اتّفق الأئمة على أنّه لا يمسّ قبر النبي ﷺ ولا يقبّل، وهذا كلّه محافظة على التوحيد، فإنّ من أُصول الشرك بالله اتّخاذ القبور مساجد.[٢]

إنّ تقبيل آثار النبي ﷺ لا يوصف بالعبادة ؛ لأنّ العبادة ليست مجرد خضوع للشيء، فلا يُعدّ نفس التوجّه إلى الأجسام والجمادات عبادة، بل هي عبارة عن الخضوع إلى الشيء، باعتبار أنّه إله أو ربّ، أو بيده مصير الخاضع في عاجله وآجله، وأمّا مسّ المنبر أو القبر وتقبيلهما لغاية التكريم والتعظيم لنبيّ التوحيد، فلا يوصف بالعبادة ولا يتجاوز التبرّك به في المقام عن تبرّك يعقوب بقميص ابنه يوسف، ولم يخطر بخلد أحد من المسلمين إلى اليوم الذي جاء فيه ابن تيمية بالبدع الجديدة، أنّها عبادة لصاحب القميص والمنبر والقبر أو لنفس تلك الأشياء.

والعجب انّ ابن تيمية يدّعي اتّفاق الأئمة على أنّه لا يمسّ قبر النبي، وكأنّ إمام مذهبه أحمد بن حنبل ليس من الأئمة!!

وها نحن نذكر نبذة يسيرة من تبرُّك السلف بقبر النبي ﷺ:

---

١ . طبقات الحنابلة:١/٢٩٣ـ٢٩٤.

٢ . مجموع الفتاوى: ٢٧ / ٢٢٣ ؛ الجواب الباهر لزوار المقابر: ٣١؛ الرد على الأخنائي:١/٣١.

١. أنّ فاطمة الزهراءعليها السلام ـ بنت رسول اللهﷺ، وسيدة نساء العالمين ـ حضرت عند قبر أبيها وأخذت قبضة من تراب القبر وراحت تشمّها وتبكي وتقول:

ماذا على مَنْ شمّ تربة أحمد ألّا يشمّ مدى الزمان غواليا[١]

إنّ عمل السيدة الزهراءعليها السلام هذا، يدلّ على جواز التبرّك بقبر رسول الله وتربته الطاهرة.

٢. أنّ بلالاً ـ مؤذّن رسول الله ـ أقام في الشام بعد وفاة النبيﷺ فرأى في منامه النبيﷺ في عهد عمر بن الخطاب، وهو يقول: «ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني يا بلال» فانتبه حزيناً وجلاً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النبيﷺ فجعل يبكي عنده ويمرّغ وجهه عليه.[٢]

٣. كان عبدالله بن عمر يضع يده اليمنى على قبر النبيﷺ.[٣]

وقد مرّ عليك حديث أبي أيوب الأنصاري الذي رواه الإمام أحمد والحاكم عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فقال: أتدري ما تصنع؟ قال: نعم، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب، فقال: نعم جئت رسول اللهﷺ ولم آت الحجر، سمعت رسول اللهﷺ يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله».[٤]

---

١. وفاء الوفا: ٤ / ١٤٠٥؛ صلح الاخوان: ٥٧.

٢. مختصر تاريخ دمشق: ٥ / ٢٦٥؛ أُسد الغابة: ١ / ٢٠٨.

٣. وفاء الوفا: ٤/١٤٠٥.

٤. مسند أحمد: ٥ / ٤٢٢، برقم ٢٣٦٣٣؛ مستدرك الحاكم: ٤ / ٥٦٠، برقم ٨٥٧١؛ تاريخ دمشق: ٥٧ / ٢٤٩.

وأمّا التابعون فحدّث عن ذلك ولا حرج.

ثمّ إنّ محقّق كتاب «العلل ومعرفة الرجال» بعد أن نقل فتوى أحمد بن حنبل بجواز مسّ منبر النبيﷺ، حاول أن يفرّ من هذا المأزق بقوله: هذا لمّا كان منبره الذي لامس جسمه الشريف، وأمّا الآن بعد ما تغيّر لا يقال بمشروعية مسّه تبركاً به.

يلاحظ عليه: أوّلاً: لو كان جواز المسّ مختصّاً بالمنبر الذي لامسه جسم النبي الشريف دون ما لم يلامسه كان على الإمام المفتي أن يذكر القيد، ولا يطلق كلامه، حتى ولو افترضنا أنّ المنبر الموجود في المسجد النبوي في عصره كان نفس المنبر الذي لامسه جسم النبي الأكرم، وهذا لا يغيب عن ذهن المفتي، إذ لو كان تقبيل أحد المنبرين نفس التوحيد، وتقبيل المنبر الآخر عين الشرك، لما جاز للمفتي أن يَغفل عن التقسيم والتصنيف.

وثانياً: أنّ ما يفسده هذا التحليل أكثر ممّا يصلحه، وذلك لأنّ معناه أنّ لجسمه الشريف تأثيراً على المنبر ومن تبرّك به، وهذا يناقض التوحيد الربوبي من أنّه لا مؤثر في الكون إلّاالله سبحانه، فكيف يعترف الوهابي بأنّ لجسمه الشريف تأثيراً في الجسم الجامد، وأنّه يجوز للمسلمين أن يتبرّكوا به عبر القرون؟ أو ليس من المنطق الشائع عندكم قول القائل:

ومن يقل بالطبع أو بالعلّة   فذاك كفر عند أهل الملّة

٥

ابن تيمية والحطّ من مقام النبي وخصائصه ﷺ

للنبي الأكرم ﷺ مقامات وخصائص حفلت بذكرها مؤلّفات علماء الإسلام، ومنهم علماء الإمامية كالحسن بن المطهر الحلّي، حيث تطرّق إلى جانب منها في مقدّمة كتاب النكاح من كتابه «تذكرة الفقهاء». ولا يمكن لعالم منصف أن ينكر هذه الخصائص، أو يقوم بمحاولة تسوية مقامه ﷺ مع مقام الآخرين، ولكنّ ابن تيمية جهد في إنكار كثير من تلك الفضائل ببيان خاص، وكما يلي:

١. روى غير واحد من الحفّاظ أنّه ﷺ قال: «ما من أحد يسلّم عليّ إلّا وقد ردّ الله عليّ روحي حتى أُسلّم عليه».[١] وفي رواية أُخرى قال: «إنّ لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلغوني عن أُمّتي السلام».[٢]

والحديثان ـ خصوصاً الأوّل منهما ـ صريحان في أنّ الرسول لا يترك

---

١ . سنن أبي داود، المناسك، برقم١٥٤٧؛ مسند أحمد، برقم ١٠٣٩٥.

٢ . سنن النسائي، باب السهو، برقم ١٢٦٥؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم:٤٢١/٢؛ مسند أحمد، برقم ٣٤٨٤.

الجواب ويردّ على المسلِّم، ولكن ابن تيمية لما كان يعتقد بموت النبيﷺ موتاً انقطعت به صلته بأُمّته، أراد أن ينفي جواب السلام، فقال: وإذا سلم المسْلم عليه في صلاته «**فإنّه وإن لم يردّ عليه**» لكن الله يسلّم عليه عشراً، كما جاء في الحديث: من سلّم عليّ مرّة سلّم الله عليه عشراً، فالله يجزيه على هذا السلام أفضل «**مما يحصل بالردّ**»، كما أنّه من صلّىٰ عليه مرّة، صلّى الله عليه بها عشراً.(١)

فقوله: (فإنّه وإن لم يردّ عليه)، من قبيل إدخال السمّ في العسل، حيث ذكر في ذيل كلامه شيئاً من فضائلهﷺ، ولكنّه حاول بذلك إقناع المخاطب بما ذكره من عدم ردّ سلامه. لكن الله يسلّم عليه.

٢. الظاهر أنّ ما في الحديث المذكور يُعدّ من خصائصهﷺ، وهو أنّ الله سبحانه يردّ عليه روحه حتى يجيب، ولكنّ ابن تيمية يريد سلب هذه الفضيلة منهﷺ، فقال: فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعرفون أنّ هذا السلام عليه عند قبره الذي قال فيه: «ما من أحد يسلّم عليّ إلّا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام» **ليس من خصائصه ولا فيه فضيلة له على غيره**، بل هو مشروع في حقّ كلّ مسلم حي وميّت.

ومن سلّم(عليه) يسلّم الله عليه عشراً كما يصلّي عليه إذا صلّى عليه عشراً، فهو المشروع المأمور به الأفضل الأنفع الأكمل الذي لا مفسدة فيه، وذاك جهد لا يختصّ به.(٢)

---

١. مجموع الفتاوى:٢٧/٣٩٥ـ ٣٩٦.

٢. مجموع الفتاوى:٢٧/٤١٣.

فابن تيمية بصدد تجريد النبي من خصائصه ومنها هذه الخصيصة، ومن الواضح أنّه لو لم يكن هذا من خصائصه لما تكلّم به النبي ﷺ، فإذا كان هو وسائر الناس في هذا الأمر سواء، فهل يصحّ أن يخاطب أُمّته بقوله: «ما من أحد يسلّم عليّ إلّا وردّ الله روحي»؟!

يُذكر أنّ مستنده في عموم هذا الأمر، هو ما رواه ابن عبد البرّ في الاستذكار عن ابن عباس: «ما من أحد مرّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا، فسلم عليه إلّا عرفه وردّ عليه السلام».[1]

ويلاحظ عليه: **أوّلاً**: أنّ ما رواه ابن عباس أخصّ ممّا ورد في حقّ الرسول ﷺ ؛ لأنّه مختص بالمؤمن إذا سلّم على مؤمن كان يعيش معه في الحياة الدنيا، دون النبي الأكرم ﷺ، فكلّ من سلّم عليه بعد رحيله من أُمّته إلى يوم القيامة يردّ الجواب عليه.

وثانياً: بأنّه ليس في حديث ابن عباس: «إلّا ردّ الله عليه روحه»، كما ذكره ابن تيمية في غير واحد من كتبه.[2]

٣. أنّ الحديث يحتاج إلى تأويل وتوجيه، إذ لازم ما ورد فيه أنّ المسلمين كلّهم أحياء في القبر أو في عالم البرزخ، فأي رجل سلّم على من يعرفه يردّ عليه السلام، مع أنّ المستفاد من الآيات أنّ الأنبياء والأولياء والطبقة العليا من المؤمنين، وطبقة خاصّة من الطواغيت كفرعون وآله أحياء

---

١. الاستذكار:١٦٥/٢.

٢. منهاج السنّة:٤٤٢/٢، من النسخة المحقّقة، والنصّ غير موجود في طبعة بولاق.

يرزقون أو يعذّبون، لا كلّ مسلم مات وإن لم يكن من هذه الطبقة، والتفصيل في محلّه.

وممّا يشهد على أنّ الرجل يحمل في قلبه حقداً وضغينة على النبي الأكرمﷺ، أنّه فرّق بين إتيان مسجد قباء والبقيع وبين إتيان قبر النبيﷺ فزعم أنّ في الأوّلين فائدة (يعني ثواباً) دون الثالث، وإليك نصّ كلامه:

فلم يبق في إتيان القبر فائدة لهم ولا له، بخلاف إتيان مسجد قباء، فإنّهم كانوا يأتونه كلّ سبت فيصلّون فيه اتّباعاً لهﷺ فإنّ الصلاة فيه كعمرة، ويجمعون بين هذا وبين الصلاة في مسجده يوم الجمعة، إذ كان أحد هذين لا يغني عن الآخر، بل يحصل بهذا أجر زائد، وكذلك إذا خرج الرجل إلى البقيع وأهل أُحد كما كان يخرج إليهم النبيﷺ يدعو لهم كان حسناً، لأنّ هذا مصلحة لا مفسدة فيها، وهم لا يدعون لهم في كلّ صلاة حتى يقال هذا يغني عن هذا.[1]

يلاحظ عليه: لا يخفى ما في كلامه من سوء أدب وتجرّؤ، إذ كيف يترتّب على زيارة قبور المسلمين ثواب ولا يترتّب ذلك على زيارة قبر نبيّهم؟! أيمكن أن يقال: إنّهﷺ دعا إلى زيارة قبور المسلمين وفي نفس الوقت استثنى نفسه؟! وأي فائدة أعظم من تلك التي تترتّب على زيارته، وهو صاحب الشفاعة الكبرىٰ في الآخرة، كما وردت بذلك الروايات؟

---

١. مجموع الفتاوى:٤١٦/٢٧.

على أنّ المسلمين حينما يزورون النبي ﷺ في الروضة المشرّفة يؤكّدون ميثاقهم مع النبي ﷺ على أن يبقوا على إيمانهم بما آمن به وعملهم بما أمر به وتركهم عمّا نهى عنه، إلى غير ذلك ممّا يُعدّ من الفرائض والوظائف.

ثمّ إنّ السيرة الجارية بين المسلمين منذ رحلة النبي ﷺ هي الوفود على قبر النبي الأكرم ﷺ قبل الحجّ وبعده، وهذا أمر لا ينكره إلّا معاند، فهل يصحّ رمي كلّ هذه الجموع الغفيرة بالانحراف عن الدين؟!

أليس اتّفاق المسلمين على أمر في عصر واحد يكون حجّة على مشروعيته، ولو كان معهم دليل ظنّي على الحكم يرتقي الحكم إلى مرتبة القطع؟ وهذا أمر نصّ عليه الأُصوليّون في كتبهم.

وهؤلاء فقهاء الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة كلّهم يؤكّدون استحباب زيارة قبر النبي ﷺ وترتّب الثواب عليها، أفلا يكون الخروج على ما اتّفقت عليه الأُمّة أمراً محرّماً، لو لم يكن ارتداداً عن السيرة؟!

ابن تيمية واسم النبي ﷺ في العهدين

سأل ابن تيمية سائل وقال: مشهور عندكم في الكتاب والسنّة أنّ نبيكم كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، لكنّهم محوه عنهما، ثم قال: وهذا أمر يستشكله العقل.

فأجاب ابن تيمية بما هذه خلاصته: إنّ الربّ سبحانه إنّما أخبر عن كون رسوله مكتوباً عندهم ـ أي الإخبار عنه، وصفته ومخرجه ونعته ـ ولم يخبر

بأنّ صريح اسمه العربي مذكور عندهم في التوراة والإنجيل، وهذا أبلغ من ذكره بمجرد اسمه.[1]

وهذا الجواب عن السؤال عجيب ؛ لأنّ القرآن الكريم ظاهر في أنّ المسيح بشّر بمجيء نبي اسمه أحمد، قال سبحانه:﴿**وَإِذْ قالَ عِيسى بنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إسرائيلَ إنّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوراةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأتِي مِنْ بَعْدي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلمّا جاءَهُمْ بِالبَيِّنات قالُوا هذا سِحْرٌ مُبينٌ**﴾.[2]

وأي عبارة أوضح من قوله:﴿**وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يأتي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أحْمَدُ**﴾، وقال سبحانه:﴿**الَّذينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ في التَّوراةِ وَالإِنْجِيلِ**﴾.[3]

فقوله: «مكتوباً» كما يحتمل أنّه مكتوبٌ عندهم بالوصف والنعت والمخرج، كذلك يحتمل أن يكون مكتوباً ومذكوراً عندهم بالاسم خصوصاً إذا كان المكتوب اسمه المعروف محمد، فإنّ المسمّى به كان قليلاً عند العرب، بالأخصّ إذا سمّي باسمه واسم أبيه فعندئذٍ يتعيّن، بخلاف التعريف بالوصف فربما لا يتعيّن.

ويظهر من آية أُخرى أنّ نبي الإسلام وُصف في العهدين على نحو يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال سبحانه: ﴿**الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ**﴾.[4]

---

١ . هداية الحيارى:١/٤٢.

٢ . الصف:٦.

٣ . الأعراف:١٥٧.

٤ . البقرة:١٤٦ و الأنعام:٢٠.

والآية تشمل التعرّف بالاسم والوصف.

ومن حسن الحظ وجود اسمه في العهدين، فقد ورد اسمه ﷺ في إنجيل يوحنا، بلفظ فارقليطا.[١]

كما ورد في التوراة، الباب١٧ من سفر التكوين، فقد جاءت البشارة فيه باسمه وبخلفائه الاثني عشر: واسمه بالعبرانية: «ماد ماد» ولفظة: «شنيم اسار» يعني اثنى عشر، و «نِسِی اِم» يعني إمام ؛ وبالسريانية اسمه : «طاب طاب»، و «روربنين» يعني: إمام. وإليك نص التوراة باللغتين المذكورتين:

ـ وَلِيَشْمِعيل شَمْعتَخ هِنّي بِريختي أتُودِ هَفْرتي أتُودِهَرْبَتي أتُو بِمادْمادْ شِينِمْ اسار نِسِي اِمْ وَانَاتِيتُّوا لَكُوىَ كادِلْ. (بالعبرانية).

ـ دَعال اِسْمَعَيْلَ شِمْعِتُك هابَرْكَتِهِ وَاسْكِتُه وَاكْبِرتِه طاب طاب تِرِعْ سَرْرُوربِنينِ تَوْليدي وَاتْليُوحْ لِغامارْبا.(بالسريانية).[٢]

وترجمة النص المذكور هي:

قد سمعت دعاءك يا إبراهيم في حقّ إسماعيل، فقد باركته، وصيّرته كبيراً بمحمد (ماد ماد) واثنا عشر إماماً من نسله، وسأُصيّره أُمّة عظيمة.[٣]

---

١ . انجيل يوحنا: الآية ١٥.

٢ . العهد القديم: سفر التكوين، الباب١٧ .

٣ . لاحظ : أنيس الأعلام في نصرة الإسلام: ٦٨/٥ـ٦٩، البشارة الرابعة.

٦

التوسّل بالنبيﷺ حيّاً وميّتاً

قد حرّم ابن تيمية وبعده محمد بن عبد الوهاب التوسّل بالنبي الأكرمﷺ بعد رحيله، سواء بدعائه أو بذاته وقداسته ومقامه،وإنّما جوّز التوسّل بدعاء الرسولﷺ حينما كان حيّاً، أخذاً بقوله سبحانه: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَحِيماً**﴾.[١]

وإليك نصّين من كلامه:

قال في كتاب «التوسّل والوسيلة»: ولهذا لمّا ذكر العلماء الدعاء في الاستسقاء وغيره ذكروا الصلاة عليه ولم يذكروا فيما شرّع للمسلمين في هذه الحال التوسّل به، كما لم يذكر أحدٌ من العلماء دعاء غير الله، والاستعانة المطلقة بغيره في حال من الأحوال.[٢]

وقال في موضع آخر: وأمّا الزيارة البدعية فهي التي يقصد بها أن يطلب

١ـ النساء:٦٤.

٢ـ التوسّل والوسيلة:١٥٠.

من الميّت الحوائج، أو يطلب منه الدعاء والشفاعة، أو يقصد الدعاء عند قبره لظن القاصد أنّ ذلك أجوب للدعاء، فالزيارة على هذه الوجوه كلّها مبتدعة لم يشرّعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا فعلها الصحابة لا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عند غيره، وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك.[1]

أقول: إنّ التوسّل بالنبي يتحقّق على صورتين:

١. التوسّل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونفسه وشخصه، كأن يقول:

اللّهمّ إنّي أتوسّل إليك بنبيّك محمد أن تقضي حاجتي.

٢. التوسّل بمقامه ومنزلته عند الله، كأن يقول:

اللهمّ إنّي أتوسّل إليك بجاه محمد وحرمته أن تقضي حاجتي.

فابن تيمية ومقلّدوه من الوهابية يحرّمون الصورتين، ويصفونهما بالشرك، ولكن الروايات الصحيحة تدلّ على صحّتهما، وقبل أن نذكر الروايات نأتي بمقدّمة موجزة.

لا شكّ أنّ المؤثر والمجيب هو الله سبحانه، وأنّه لا تأثير في عالم الوجود إلّا له، وما سواه من العلل الطبيعية والملكوتية كلّها أسباب تحمل رحمة الله تبارك وتعالى، وتجري رحمته ونعمته وكرمه وإحسانه عن طريق تلك العلل، وقد تعلّقت إرادته سبحانه ومشيئته على نزول الرحمة عن طريق العلل والأسباب التي جعلها عللاً إعدادية للمسببات، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

١ . التوسّل والوسيلة:٢٤.

«أبى الله أن تجري الأشياء إلّا بأسباب، فجعل لكلّ شيء سبباً».[١]

ومكانة الرسول ﷺ وقداسته من إحدى الوسائل التي تنزل رحمتُه سبحانه من خلالها، ولا بُعد في ذلك، كما هو الحال في طلب الدعاء والاستغفار من النبي في حال حياته، فإنّ دعاء النبي أحد أسباب استجابة الدعاء.

ومن درس الآيات القرآنية يقف على أنّ الكون يعتمد على نظام الأسباب والمسبّبات والعلل والمعلولات، وفي الوقت نفسه الجميع قائم بالله سبحانه مستمدّ منه.

فهذه هي الأرض والنباتات تعيش بسبب الماء النازل من السماء، فللماء تأثير في حياة الأرض والنبات، كما في قوله سبحانه:﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتّى﴾،[٢] فإذاً لا مانع من اتّخاذ ذات النبي ﷺ وسيلة إلى الله سبحانه حتى تجري رحمته من خلال دعائه أو لأجل قداسته وقربه من الله.

فالتوسّل بنبيّ التوحيد هو عين التوحيد، والتعلّق به هو تعلّق بالله سبحانه.

فإن قلت: لماذا لا ندعو الله سبحانه مباشرة مع أنّه أقرب إلينا من حبل الوريد؟

قلت: لا مانع من أن يكون لهذا الهدف طريقان: طريق بالمباشرة، وطريق بالوسيلة والسبب، والله سبحانه حينما يقول: ﴿ادْعُوني أَستَجِب

---

١. الكافي: ١/ ١٨٣. ٢. طه:٥٣.

لَكُم﴾،[١] أو يقول: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إليهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٢]، يقول أيضاً: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَحِيماً﴾.

إذا عرفت تلك المقدّمة، فلنذكر الروايات الصحيحة الدالّة على جواز التوسّل بكلا قسميه: التوسّل بنفس النبي ﷺ، والتوسّل بحق النبيّ ومنزلته.

١. التوسّل بنفس النبي ﷺ

روى عثمان بن حنيف، قال:إنّ رجلاً ضريراً أتىٰ إلى النبي ﷺ فقال: ادعُ الله أن يعافيني، فقال ﷺ: إن شئت دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ وهو خير؟ قال: فادعُهُ، فأمره ﷺ أن يتوضّأ فيُحسن وضوءه ويُصلّي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك نبي الرحمة يا محمّد إنّي أتوجّه بك إلى ربّي في حاجتي لتُقضىٰ، اللهمّ شفّعه فيّ**».

قال ابن حنيف: فوالله ماتفرّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأن لم يكن به ضُرّ.

وهذا الحديث ذكره كثير من الحفّاظ والمحدّثين، نذكر ما وقفنا عليه نحن مباشرة:

١. ابن ماجة في سننه .[٣]

قال ابن ماجة: قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح.

---

١ . غافر:٦٠.

٢ . ق: ١٦.

٣ . سن ابن ماجة:٤٤١/١، برقم ١٣٨٥. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء الكتب العربية.

٢. أحمد بن حنبل في مسنده.[1] وقد روى هذا الحديث من ثلاثة طرق.

٣. الترمذي في سننه.[2]

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

٤. النسائي في عمل اليوم والليلة.[3]

٥. ابن خزيمة في صحيحه.[4]

٦. الحاكم النيسابوري في مستدركه.[5]

قال بعد ذكر الحديث: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٧. السيوطي في الجامع الصغير.[6] ورواه عن الترمذي والحاكم.

قال زيني دحلان مفتي مكة المكرّمة: ذكر هذا الحديث مع أسانيد صحيحة، البخاري وابن ماجة والحاكم في مستدركه والسيوطي في جامعه.

وقال الرفاعي ـ الكاتب الوهابي المعاصر، الذي يسعى دوماً إلى تضعيف الأحاديث الخاصة بالتوسّل ـ حول هذا الحديث: لا شكّ أنّ هذا الحديث صحيح ومشهور وقد ثبت بلا شكّ، وجه ارتداد بصر الأعمى بدعاء رسول

---

١. مسند أحمد:١٣٨/٤، نقله عن مسند عثمان بن حنيف، طبع المكتب الإسلامي مؤسسة دار صادر، بيروت.

٢. سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، برقم ٣٥٨٩.

٣. عمل اليوم والليلة:٤٢٩ـ ٤٣١، برقم ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠، تحقيق الدكتور فاروق حمادة.

٤. صحيح ابن خزيمة:٢٢٢٥/٢، برقم ١٢١٩، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي.

٥. المستدرك:٣١٣/١، طبعة حيدر آباد، الهند.

٦. الجامع الصغير:٥٩.

الله.[١] حتى أنّ ابن تيمية وصف هذا الحديث بالصحّة وقال: بأنّ المقصود من أبي جعفر الموجود في الحديث هو أبو جعفر الخطمي، وهو ثقة.

أقول: جاء في مسند أحمد وغيره: أبوجعفر الخطمي، وأمّا في سنن ابن ماجة، ففيه: أبو جعفر.

هذا ما وقفنا عليه من مصادر الحديث، وقد نقل الدكتور محمود السيد صبيح أنّ الحديث قد رواه البخاري في التاريخ الكبير:٢٠٩/٦، والترمذي:٥٦٩/٢، والنسائي:١٦٨/٦، ١٦٩، وابن خزيمة:٢٢٥/٢، والطبراني في المعجم الكبير:٣٠/٩، ٣١، والصغير:٣٠٦/١، والدعاء:٣٢٠/١، ٣٢١، وعبد بن حميد:١٤٧/١، وابن قانع في معجم الصحابة:٢٥٧/٢، ٢٥٨، وابن عساكر في الأربعون حديثاً: ٥٣/١، ٥٤، ٥٥، وتاريخ دمشق:٢٤/٦.

وقد صحّح الحديث جمع من علماء الحديث منهم: الترمذي، وابن ماجة، وابن خزيمة، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، وأقرّ تصحيحه النووي في الأذكار، والحافظ المنذري، والذهبي، والهيثمي ابن حجر في أمالي الأذكار، والسيوطي، والمناوي، وابن أبي حاتم، وأبو زرعة، وابن حبان، وابن عساكر.[٢]

وممّا تقدّم يتّضح أنّ سند الحديث لا غبار عليه، وأنّ محاولة تضعيف الحديث، تُعدّ محاولة بائسة، مبعثها العناد والتعصّب.

إلى هنا تمّت دراسة الحديث من حيث السند، وبقي الكلام في دلالته.

---

١. التوصل إلى حقيقة التوسل:١٥٨. وما ذكره «بدعاء رسول الله» فيه مغالطة والصحيح بالدعاء الذي علّمه النبي ﷺ، كما سيظهر.

٢. انظر: أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله ﷺ وأهل بيته:٢٣٣.

دلالة الحديث على التوسّل بنفس النبيّ ﷺ

إنّ دلالة الحديث على أنّ النبي ﷺ أرشد الأعمى إلى التوسّل به في دعائه الذي علّمه إيّاه، أمر واضح،وهذا يظهر بالتأمّل في الجُمل التالية:

الأُولى: اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك

فإنّ قوله: «بنبيّك» متعلّق بفعلين:

أ. أسألك بنبيّك.

ب. أتوجّه إليك بنبيّك.

فالمسؤول به وما يتوجّه به إلى الله هو نفس النبي الأطهر ﷺ، لا دعاؤه وإلّا كان عليه أن يقول: اللهم إنّي أسألك وأتوجّه إليك بدعاء نبيّك، فإنّ من تمسّك برأي مسبق، لمّا رأى أنّه صريح في خلاف ما رامه، أخذ يؤوّل الكلام، فقدّر لفظ (دعاء) وقال: إنّ الأعمى إنّما توسّل بدعاء النبي ﷺ، وهذا من البطلان بوضوح، فأين كلمة دعاء في الحديث؟! وما الدليل على تقديره، سوى رأيه المسبق؟!

الثانية: محمد نبي الرحمة

إنّ هذه الفقرة توضح بأنّ المسؤول به نفس النبي ﷺ لا دعاؤه، كما أنّ الفقرة التالية تؤيد ذلك.

الثالثة: يا محمد إنّي أتوجه بك إلى ربي

فالأعمى بحكم هذا الدعاء اتّخذ قداسة النبي ﷺ ومنزلته ونفسه الطيّبة وسيلة لاستجابة دعائه، وأين هو من توسّله بدعائه؟!

الرابعة: وشفّعه فيّ

ومعنى هذه الجملة هو: اجعل النبيّ ﷺ شفيعي وتقبل شفاعته في حقّي.

وبذلك يتّضح أنّ رسول الله ﷺ بشخصه ونفسه الكريمة، هو محور الدعاء كلّه، وليس فيه أي دليل على التوسّل بدعائه ﷺ أصلاً.

وكلّ من يزعم أنّ ذلك الرجل الضرير قد توسّل بدعاء النبي ﷺ لا بشخصه وشخصيّته، فإنّما تغافل عن نصوص الرواية وتجاهلها.

وبما أنّ الرواية صريحة في ردّ مذهب ابن تيمية ومَنْ تابعه، حاولوا أن يشكّكوا في دلالة الحديث بشكوك واهية، نذكر منها ما يلي:

١. أنّ التوسّل كان في حضور النبي لا في غيابه، مع أنّ محطّ البحث في هذه الأيام هو التوسّل به في غياب النبي ﷺ.

يلاحظ عليه: كيف يقول ذلك والحديث نصّ على أنّ الضرير توسّل بالنبي ﷺ في غيابه، بشهادة ذيل الحديث حيث يقول ابن حنيف: «فوالله ما تفرّقنا وطال بنا الحديث، حتى دخل علينا كأن لم يكن به ضرٌّ»، فإنّ قوله: قد دخل علينا، حاكٍ عن أنّ الأعمى قد ذهب إلى التوضّؤ والصلاة في مكان بعيد عن محضر النبي ﷺ وعمل بما أمر به النبي ﷺ ثم جاء إليه وقد ذهب ضرّه.

٢. أنّ التوسّل كان في حياة النبي ﷺ وإن لم يكن في محضره، ولكن الكلام في التوسّل بالنبي ﷺ بعد رحيله إلى الله سبحانه، ولا يمكن الاستدلال بهذه الرواية على جوازه.

يلاحظ عليه: أنّ الإشكال نابع عن قلّة التتبّع، كيف وقد فهم الصحابي الجليل عثمان بن حنيف عدم الفرق بين حياته ورحيله، فقد روى الطبراني عن عثمان بن حنيف أنّ رجلاً كان يختلف على عثمان بن عفان في حاجته، وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة ثم ائت المسجد فصلّ فيه ركعتين وقل: اللهم إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمدﷺ نبي الرحمة، يا محمد إنّي أتوجّه بك إلى ربّي فتقضي لي حاجتي. وتذكر حاجتك ورُح حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: حاجتك، فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال:ما كانت لك من حاجّة،فاذكرها ، ثم إنّ الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلّمتَه فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلّمتُه فيك، ولكنّي شهدت رسول اللهﷺ وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبيﷺ... إلى آخر الحديث.[1]

والناظر إلى كتب الحديث يقف على أنّ من نقله عنونه في باب ظاهر على استمرار العمل بالحديث، حيث ذكروه في باب صلاة الحاجة[2]، وكلّ ذلك يدلّ على أنّ المحدّثين فهموا بأنّه ضابطة عامّة تعمّ جميع الأزمان.

ومن عجائب القول أنّهم يركّزون على أنّ من دعا نبيّاً أو ولياً بعد رحيله

١ . المعجم الكبير للطبراني:٣٠/٩ و ٣١، برقم ٨٣١١.

٢ . كنز العمال:٥٢١/٦؛ العهود المحمدية للشعراني: ١١٢.

وقال مثلاً: يا محمد اشفع لي، فقد أشرك؛ لأنّ الدعاء مخّ العبادة، ودعاء الميّت ـ على رأيهم ـ من صميم العبادة، وقد عزب عن المسكين أنّ على ما ذكره يكون المتوسّل في زمان عثمان مشركاً لأنّه قال: يا محمد، وهو ميّت.

أضف إلى ذلك: وجود المغالطة في معنى الحديث، فإنّ المراد من قوله: الدعاء مخّ العبادة، أي دعاء الله سبحانه، لا دعاء كلّ شخص شخصاً، وإلّا لم يبق على أديم الأرض من يسجل اسمه في قائمة التوحيد، فإنّ الآباء والأُمهات ما زالوا يدعون أبناءهم.

سيرة الصحابة والتوسّل بنفس النبيّ ﷺ

إنّ من سبر سيرة الصحابة في حياتهم يقف على أنّهم كانوا يتوسّلون بالنبي ويتوجّهون به إلى الله تعالى في الأزمات والشدائد، وهانحن نذكر هنا بعض النماذج على ذلك:

١. عَنْوَن البخاري باباً بعنوان: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، وقد ذكر فيه الحديث التالي:

إنّ عمر بن الخطاب كان إذا قُحطُوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللّهم إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبينا فتسقينا وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبينا فاسقنا، فيسقون.[1]

فالحديث يدلّ على أنّ الإمام (عمر بن الخطاب) كان نفسه هو الداعي، وأنّه كان يقول في دعائه ذلك القول: إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقينا وإنّا نتوسّل إليك بعم نبينا فاسقنا.

---

١. صحيح البخاري، برقم ١٠١٠.

فالإمام الداعي يقول إنّهم كانوا يتوسّلون بالنبيّ نفسه وبذاته وكرامته وقداسته لا بدعائهﷺ، وإنّهم يتوسّلون الآن بشخص العباس لا بدعائه رحمه الله، وعلى ذلك فتقدير كلمة (بدعائه) تخرّص على الغيب، ويؤيد ذلك أنّ ابن حجر قال ضمن تفسيره لهذا الحديث: إنّ بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة جاء إلى قبر النبيﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأُمّتك فإنّهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام فقيل له: «ائت عمر»، الحديث.[1]

وأمّا توسّل عمر بشخص العباس دون النبيﷺ فوجهه واضح، وهو أنّه أراد أن يتوسّل بشخص يشارك القوم في الحياة ومشاكلها من الشدّة والضرّاء، قائلاً بأنّا إذا لم نكن مستحقين لنزول الرحمة، لكن عمّ الرسولﷺ مستحقّ لذلك، فليشملنا أيضاً.

٢. روى ابن عساكر، قال: روى ابن عُيينة عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: خطب عمر بن الخطاب أُمّ كلثوم بنت أبي بكر إلى عائشة فأطمعته، وقالت: أين المذهب بها عنك؟ فلمّا ذهبت قالت الجارية: تزوجيني عمر وقد عرفت غيرته وخشونة عيشه، والله لئن فعلت لأخرجنّ إلى قبر رسول اللهﷺ ولأصيحنّ به، إنّما أُريد فتى من قريش يصبّ عليّ الدنيا صبّاً.[2]

وواضح أنّ الضمير في «به» راجع إلى رسول اللهﷺ.

٣. روى الطبري وابن كثير عن قرّة بن قيس التميمي: لا أنس قول زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسينعليه السلام صريعاً وهي تقول: يا محمداه، يا

---

١. فتح الباري: ٤٩٦/٢.
٢. تاريخ دمشق: ٩٦/٢٥؛ الاستيعاب: ١٨٠٧/٤ و١٨٠٨.

محمداه، صلّى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطع الأعضاء... .[1]

ثمّ إنّ مَن يؤوِّل التوسّل بالذات إلى التوسّل بالدعاء غافل عن نكتة مهمّة وهي أنّ استجابة الدعاء لأجل قداسة نفس الداعي ونزاهته وعلو مقامه ومنزلته عند الله، وإلّا فالدعاء الصادر من نفس غير زكية لا يصعد ولا يستجاب، فلو كان للدعاء اعتبار فلأجل أنّه صادر عن روح قدسية ونفس كريمة لم تعص الله تعالى طرفة عين ، فيرجع التوسل بالدعاء إلى التوسّل بالذات.

إلى هنا تمّ الكلام في المقام الأوّل وهو التوسّل بنفس النبي ﷺ.

وإليك الكلام في المقام الثاني أعني التوسّل بحق النبي ﷺ ومنزلته وكرامته وجاهه، أو ما شئت...

***

٢. التوسّل بحقّ النبي ﷺ والأولياء

قد منع ابن تيمية في كلامه السابق والوهابيون عامّة هذا النوع من التوسّل، وهانحن نذكر نصوصاً صحيحة تدلّ عليه، اعترف الأعاظم بصحّتها:

١. روى عطيّة العوفي، عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: «من خرج من بيته إلى الصلاة؛ فقال: اللهم إنّي أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا فإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، وخرجت اتّقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن

١. تاريخ الطبري: ٣٤٨/٤؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٨١/٤.

تغفر لي ذنوبي، إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ملك».[١]

إنّ هذا الحديث واضح جدّاً في معناه، ويدلّ على أنّه يجوز للمسلم أن يتوسّل إلى الله بحرمة أُوليائه الصالحين ومنزلتهم ووجاهتهم عند الله سبحانه، فيجعل أولئك لله وسطاء وشفعاء لقضاء حاجته واستجابة دعائه، ودلالة الحديث على الموضوع الذي نتحدّث عنه واضحة.

ولمّا لم يجد المخالف ثغرة في دلالة الحديث حاول تضعيف السند، فلم ير فيه من يغمزه أو يطعن عليه، إلّا عطيّة العوفي، الذي لم يكن له أي جرم سوى ولائه وحبه لعليّ عليه السلام[٢]، ولو صار هذا سبباً لرفض الحديث لذهب جُلُّ الأحاديث الصحيحة كما قال الذهبي: فلو ردّ حديث هؤلاء (يعني: الشيعة) لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بيّنة.[٣]

٢. روى الطبراني عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: لمّا أذنب آدم الذنب الذي أذنبه، رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحق محمد إلّا غفرت لي فأوحى الله إليه: ومَنْ محمد؟ فقال: تبارك اسمك، لمّا خُلقْتُ رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: لا إله إلّا الله ومحمد رسول الله،

---

١. سنن ابن ماجة:٢٥٦/١، برقم ٧٧٨؛ مسند أحمد:٢١/٣؛ كنز العمال:٣٩٦/١٥؛ المصنّف:٢٩/٧؛ كتاب الدعاء للطبراني:١٤٩.

٢. ويدلّ على ذلك، قول الساجي: ليس بحجّة وكان يقدّم علياً على الكلّ، وقول الجوزجاني (الناصبي): مائل. يُذكر أنّه روى عن عطية جلّة الناس، وقد وثّقه ابن سعد، وابن معين(في رواية عنه)، وقال عباس الدوري عن ابن معين: صالح. انظر: مجمع الزوائد:١٠٩/٩، وتهذيب الكمال: ١٤٥/٢٠، الترجمة ٣٩٥٦.

٣. ميزان الاعتدال:٥/١.

فقلت: إنّه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممّن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى إليه إنّه آخر النبيين من ذريتك، ولولا محمد لما خلقتك.[١]

قال سبحانه: ﴿فَتَلَقّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحيمُ﴾.[٢]

والحديث يفسّر الكلمات، وهي الأسماء الخمسة الطيّبة، روى الطبرسي: إنّ آدم رأى مكتوباً على العرش أسماءً معظّمة مكرّمة، فسأل عنها فقيل له: هذه أسماء أجلّ الخلق منزلة عند الله، والأسماء: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فتوسّل آدم إلى ربّه بهم في قبول توبته ورفع منزلته.[٣]

ويظهر من الحوار الدائر بين مالك بن أنس إمام المالكية والمنصور الدوانيقي أنّ قصة توسّل آدم عليه السلام بالنبي محمد ﷺ كانت معروفة مشهورة بين الناس، ولذلك قال مالك للمنصور: هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم.

وقد أشار الشعراء إلى هذه الحقيقة في قصائدهم، قال أحدهم:

بـــــه أجـــــاب الله آدمَ إذ دعا ونجا في بطن السفينة نوحُ

وقال الآخر:

قـــوم بـهم غُـفرت خـطيئة آدم وهم الوسيلة والنجوم الطُلّعُ[٤]

---

١. المستدرك على الصحيحين:٦١٥/٢؛ المعجم الأوسط:٣١٤/٦؛ المعجم الصغير:٨٢/٢؛ إمتاع الاسماع للمقريزى:١٨٨/٣؛ الشفا بتعريف حقوق المصطفى:١٧٤/١؛ السيرة الحلبية:٣٥٥/١.

٢. البقرة:٣٧.

٣. مجمع البيان: ١ / ٨٩، طبعة صيدا.

٤. كشف الارتياب:٣٠٧، نقلاً عن المواهب، والبيت الأوّل لابن جابر، والثاني للواسطي.

٣. توسّل النبي ﷺ بحقّه وحقّ مَن سبقه من الأنبياء عليهم السلام

لمّا ماتت فاطمة بنت أسد، دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أُمّي...، بعد أُمّي ثمّ دعا رسول الله ﷺ أُسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلمّا بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج تُرابه بيده، فلمّا فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه ثم قال: «الله الذي يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت، اغْفر لأُمّي فاطمة بنت أسد ولقِّنْها حجّتها، ووسّع عليها مدخلها، بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلي».(١)

إلى هنا تبيّن أنّ التوسّل بالنبي ﷺ وبدعائه ونفسه وشخصه ومنزلته وجاهه ومقامه، أمر ندبت إليه السنّة النبوية وعمل به الصحابة، والروايات الواردة في هذا المضمار كثيرة استقصينا قسماً منها في كتابنا: «**الوهابية بين المباني الفكرية والنتائج العملية**»، فلا حاجة إلى التكرار.

إنّما الكلام فيما يدّعيه ابن تيمية من اتّفاق الصحابة وسلف الأُمة وأئمة المسلمين، في كلّ ما يتبنّاه من عقائد، وما يختاره من آراء، ومنها تحريم التوسّل بالنبي ﷺ في حين أنّ دراسة سيرة المسلمين والتتبُّع في غضون التاريخ يثبتان بوضوح أنّ التوسل بالنبي ﷺ بأشكاله المختلفة، كان دأب المسلمين عبر القرون، ومنذ رحيل النبي الأكرم ﷺ، وقد قام المحقّق السيد الشريف الدكتور محمود السيد صبيح برصد مواضع تلك التوسّلات بشكل

---

١. المعجم الكبير للطبراني: ٣٥٢/٢٤، برقم ٨٧١؛ حلية الأولياء: ١٢١/٣؛ المعجم الأوسط للطبراني: ٦٨/١، برقم ١٨٩؛ كنز العمال: ١٤٨/١٢، برقم ٣٤٤٢٥.

موسّع في كتابه: «أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله ﷺ وأهل بيته»، وقد استفدنا منه في هذا المجال، كما رجعنا إلى المصادر التي نقل عنها. وإليك نزراً منها:

٤. «يا محمداه» شعار المجاهدين والمظلومين

قال الطبري في تاريخه في ذكر حرب المسلمين مع أهل اليمامة من أتباع مسيلمة الكذّاب: وكان شعارهم يومئذٍ «**يا محمداه**».[١]

وليس لهذا الشعار من معنى إلّا الاستعانة بالنبي ﷺ وليست هي في الحقيقة إلّا الاستعانة بربّ النبي ﷺ، وقد سبق منّا أنّ العلل والأسباب تنتهي إلى الله سبحانه، فكلّ فعل وقوّة من عباد الله، فهو بحول الله وقوته سبحانه.

وروى الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل أنّ عمال الحجّاج كتبوا إليه:إنّ الخراج قد انكسر وإنّ أهل الذمّة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار، فكتب الحجّاج إليهم: إنّ من كان له أصل في قرية فليخرج إليها، فخرج الناس فعسكروا فجعلوا يبكون وينادون: **يا محمّداه، يا محمّداه** وجعلوا لا يدرون أين يذهبون.[٢]

وروى ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة (١٣٧هـ) في حرب المسلمين مع المجوس بقيادة سنباذ، قال: فلمّا التقوا قدّم سنباذ السبايا من النساء المسلمات على الجمال، فلما رأين عسكر المسلمين قمن في المحامل ونادين **وامحمداه ذهب الإسلام**، ووقعت الريح في أثوابهن،

---

١. تاريخ الطبري:٥١٣/٢؛ البداية والنهاية:٣٥٧/٦.

٢. تاريخ الطبري:١٨٢/٥؛ الكامل لابن الأثير:٢٠٠/٤.

فنفرت الإبل وعادت على عسكر سنباذ، فتفرّق العسكر وكان ذلك سبب الهزيمة، وتبع المسلمون الإبل ووضعوا السيوف في المجوس ومن معهم.(١)

٥. الاستعاذة برسول الله ﷺ

أخرج مسلم عن أبي مسعود إنّه كان يضرب غلامه، فجعل يقول: أعوذ بالله، قال: فجعل يضربه فقال: أعوذ برسول الله، فتركه، فقال رسول الله ﷺ: والله، لله أقدر عليك منك عليه، فاعتقه.(٢)

والشاهد في أنّ العبد قد استعاذ برسول الله بعد الاستعاذة بالله سبحانه، وقد بلغ من تكريمه لرسول الله أنّه ترك ضربه، فلو كانت الاستعاذة بالرسول كفراً وشركاً، لكان عليه أن يضربه بأشدّ من ذلك.

وأمّا لماذا لم يترك ضربه عندما استعاذ بالله سبحانه، فشرّاح الصحيح يحملونه على عدم سماعه لشدّة غضبه. وعلى كلّ حال فإن تلقّي الصحابة لهذه الكلمة يعبّر عن تكريم الرسول ﷺ لا الشرك بالله سبحانه.

روي عن عائشة أنّها قالت: بعثت صفيّة إلى رسول الله ﷺ بطعام، قد صنعته له وهو عندي، فلمّا رأيت الجارية أخذتني رعدة حتى استقبلتني فضربت القصعة فرميت بها، قالت: فنظرت إلى رسول الله ﷺ فعرفت الغضب في وجهه، فقلت: أعوذ برسول الله ﷺ أن يلعنّي اليوم.(٣)

---

١. الكامل في التاريخ:٤٨١/٥.

٢. صحيح مسلم:٩٢/٥؛ شرح النووي لصحيح مسلم:١٣١/١١.

٣. مسند أحمد:٢٧٧/٦؛ مجمع الزوائد:٣٢١/٤.

فهذا هو رسول الله ﷺ يسمع من زوجته الاستعاذة به، فلو كانت الاستعاذة أمراً محرّماً أو سبباً للشرك أو تجاوزاً للحدّ وروداً في الغلو، لنهىٰ رسول الله عائشة وكان عليه أن يغضب عليها أكثر من غضبه لضرب القصعة والرمي بها.

٦. التقرّب إلى النبي ﷺ

روى أبو هريرة أنّ النبي قال: إنّ النساء أكثر أهل النار يوم القيامة، وعندئذٍ تقربت النساء بما استطعن، وكان في النساء امرأة عبد الله بن مسعود فانقلبتْ إلى عبد الله بن مسعود، فأخبرتْه بما سمعت من رسول الله ﷺ وأخذت حليّها، قال ابن مسعود: أين تذهبين بهذه الحليّ؟ قالت: أتقرّب بها إلى الله ورسوله... الخ.(١)

والشاهد في قول زوجة ابن مسعود: «أتقرّب بها إلى الله ورسوله»، فجعلت التقرّب إلى الرسول في عداد التقرّب إلى الله، دون أن يستشمّ منها المقرئ الكبير ريح الشرك والغلو.

وما ذلك إلا لأنّ التقرّب إلى الرسول بما أنّه رسول الله، والمبلّغ عنه، فهو تقرّب إلى الله سبحانه، ويشهد على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا نَقَمُوا إلّا أنْ أغناهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقالُوا حَسْبُنا اللهُ سَيُؤتِينا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾.(٣)

ومن المعلوم أنّ إغناء الرسول وإيتائه إنّما هو بحول من الله سبحانه، فما

---

١. مسند أحمد:٢/٣٧٣؛ حلية الأولياء:٢/٦٩.

٢. التوبة:٧٤. ٣. التوبة:٥٩.

يصدر منه هو فعل للرسول ﷺ وفي الوقت نفسه فعل لله سبحانه، وهذا هو نفس التوحيد الأفعالي الذي يشير إليه قوله سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمىٰ﴾.(١)

ترى أنّه سبحانه يسلب عن رسوله الرمي في عين الإثبات فيقول: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾، وليس هذا بتناقض ؛ لأنّ ما نفاه غير ما أثبته، فالأوّل هو الرمي بقوة مستقلة غير معتمدة على الله سبحانه، والثاني هو الرمي المستمدّ من حوله وقوته وإقداره.

٧. التوبة إلى الرسول ﷺ

روى البخاري عن عائشة أنّها اشترتْ نمرقة فيها تصاوير، فلمّا رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل، فعرفتْ في وجهه الكراهية، قالتْ: يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبتْ؟...الخ.(٢)

والشاهد في قولها: أتوب إلى الله وإلى رسوله، مع أنّها لم تعص إلّا الله سبحانه، ولكن لمّا أنّ الرسول هو الذي بلّغ حكمه، كان عصياناً له أيضاً، فتابت إليهما معاً.

٨. المفزع إلى الله ورسوله ﷺ

روى أحمد بإسناده إلى موسى، عن أبيه، عن عمرو بن العاص، قال: كان فزع بالمدينة فأتيت على سالم مولى أبي حذيفة وهو محتب بحمائل سيفه،

---

١. الأنفال:١٧.

٢. صحيح البخاري:٧٧/٤، برقم ٥٩٦١، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

فأخذت سيفاً فاحتبيت بحمائله، فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس ألا كان مفزعكم إلى الله وإلى رسوله، قال: ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان»[١].

أقول: لو أنّ التكلّم بما في الرواية يُعدّ شركاً، لمّا رواها أحمد ولا مشايخه.

٩. خطاب النبي ﷺ بالسلام في التشهّد

لمّا ذهب ابن تيمية إلى انقطاع الصلة بين الأحياء والأموات، بل إلى القول بأنّ الأنبياء والأولياء أموات لا يسمعون، صار ذلك مبرراً لبعض أتباع منهجه إلى القيام بتحريف التشهد، فالمسلمون قاطبة يسلّمون على النبي ﷺ في التشهد بصيغة الخطاب، ويقولون: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. غير أنّ بعض مقلّديه عمد إلى تحريف الكلم عن مواضعه، فحرّف التشهد إلى قوله: السلام على النبي ورحمة الله وبركاته.[٢]

ولكي نقف على شذوذ هؤلاء المبتدعة، نأتي بصيغة التشهّد عند المذاهب السنيّة الأربعة، وإليك البيان:

جاء في «الموسوعة الفقهية الكويتية»، وتحت عنوان (ألفاظ التشهّد) ما يلي:[٣]

يرى الحنفية والحنابلة أنّ أفضل التشهد، التشهد الذي علّمه النبي ﷺ،

---

١ . مسند أحمد:٢٠٣/٤؛ السنن الكبرى للنسائي:٨٢/٥؛ مجمع الزوائد للهيثمي:٣٠٠/٩(وقال: رجاله رجال الصحيح)؛ صحيح ابن حبان:٥٦٧/١٥؛ سير أعلام النبلاء:٥٦٥/٣.

٢ . انظر: أخطاء ابن تيمية:٣٩٠.

٣ . الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٢ / ٣٥ ـ ٣٦.

عبد الله بن مسعود وهو: التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته... الخ.[١]

ويرى المالكية أنّ أفضل التشهد تشهد عمر بن الخطاب وهو: التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات الصلوات لله، السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته... الخ.[٢]

وأمّا الشافعية فأفضل التشهد عندهم ما روي عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلّمنا التشهد كما يعلّمنا السورة من القرآن،فيقول: «قولوا: التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته... الخ.[٣]

وعلى هذا فالمذاهب الأربعة متّفقة على أنّ التسليم على النبي ﷺ هو بصورة الخطاب،فمن حرّفها إلى التسليم بصيغة الغائب، فقد حرّف الكلم عن مواضعه، واتّبع غير سبيل المؤمنين، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبيلِ الْمُؤْمِنينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَت مَصِيراً﴾.[٤]

ومن العجيب أن يصبح السلام غير جائز على النبي ﷺ بصيغة

---

١. حديث تعليم النبي ﷺ التشهد لعبد الله بن مسعود، أخرجه البخاري في صحيحه: ١ / ٢٠٢، باب المكث بين السجدتين، وج ٧ / ١٢٧ و ١٣٦، كتاب الاستئذان ؛ ومسلم في صحيحه: ٢ / ١٣، باب التشهد في الصلاة.

٢. القوانين الفقهية:٧٠؛ حاشية الدسوقي:٢٥١/١ .

٣. الأذكار:٦١ـ٦٢؛ روضة الطالبين:٢٦٣/١؛ صحيح مسلم:٣٠٢/١ـ٣٠٣.

٤. النساء:١١٥.

الخطاب، مع أنّه جائز على غيره، فقد روى مسلم عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، أنتم لنا فرَط، ونحن لكم تبع، نسأل الله لنا ولكم العافية.(١)

وفي حديث عائشة الذي رواه مسلم: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين.(٢)

---

١. صحيح مسلم:٦٧١/٢؛ مسند أحمد:٣٥٣/٥.

٢. صحيح مسلم:٣٧٠/٢؛ مسند أحمد:٢٢١/٦.

٧

ابن تيمية وعدم تمييز النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أهل الحق عن أهل الباطل

ذكر العلّامة الحلّي أنّ رسول الله قال في حق عليّ عليه السلام: «هذا فاروق أُمّتي يفرّق بين أهل الحق والباطل». وقال عبد الله بن عمر: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلّا ببغضهم عليّاً عليه السلام.

وردّ ابن تيمية على العلّامة الحلّي بكلام طويل قائلاً: ما المعنيّ بكون عليّ أو غيره فاروق الأُمة، يفرّق بين الحق والباطل؟ إن عنىٰ بذلك أنّه يميّز بين أهل الحق وأهل الباطل فيميّز بين المؤمنين والمنافقين، فهذا أمر لا يقدر عليه أحد من البشر، لا نبي ولا غيره، وقد قال تعالى لنبيه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدينَةِ مَرَدُوا عَلى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾.[1]

فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم عين كلّ منافق في مدينته وفيما حولها، فكيف يعلم ذلك غيره؟[2]

---

١ . التوبة:١٠١.

٢ . منهاج السنّة: ٤ / ٢٩٠، وفي طبعة بولاق: ٢ /١٧٩ـ ١٨٠.

لقد عزب عن المسكين أنّ النبي ﷺ وإن كان لا يعلمهم ما لم يتكلّموا، ولكن يميّزهم بطريق آخر صرّح به كتاب الله العزيز، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ الْقَوْلِ﴾.[١] على أنّه قد وهم في فهم الحديث إذ المقصود من كونه الفاروق بين أهل الحق والباطل، أنّه يُميَّز بولائه أهل الحق عن غيرهم، فمن تولّىٰ علياً عليه السلام وأطاعه واتّبع منهاجه، فهو من أهل الحق، ومن تولّىٰ عنه وخالفه وعصاه، فهو من أهل الباطل.

وأيّة غرابة في أن يكون عليّ عليه السلام، هو الفاروق الذي يفصل بين أهل الحق والباطل، وقد صحّ عن النبي ﷺ أنّه قال فيه: «إنّه لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق»[٢]، وصحّ عنه ﷺ أيضاً أنّه قال:«مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصىٰ عليّاً فقد عصاني».[٣]

ثمّ إنّ ابن تيمية ادّعىٰ أنّ حديث «هذا فاروق أُمتي» حديث موضوع مكذوب على النبيّ، ولم يرو في شيء من كتب العلم المعتمدة، وليس له إسناد معروف.[٤]

---

١. محمد:٣٠.

٢. مسند أحمد:٩٥/١، ١٣٨، وروىٰ مسلم عن عليّ عليه السلام أنّه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمة إنّه لعهد النبيّ الأُمّيّ إليّ أن لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، برقم ١٤٤. وانظر: سنن ابن ماجة، كتاب السنة، برقم ١١٤؛ وسنن الترمذي، كتاب المناقب، برقم ٣٧٥٧.

٣. المستدرك على الصحيحين:١٢١/٣. صحّحه الحاكم، ووافقه الذهبيّ.

٤. انظر: منهاج السنّة: ٢٨٦/٤، وفي طبعة بولاق : ١٧٩/٢.

إنّ هذا الإصرار على ردّ الحديث والجزم بوضعه، لا يصدران من عالم يحتاط في إطلاق الأحكام الجاهزة، ولكنّ ابن تيمية يسارع إلى ردّ أو تأويل الأحاديث التي تسطع بفضائل عليّ، تعصّباً وعناداً، ومن المعلوم أنّ التعصّب داء عُضال لا دواء له.

ولا أدري كيف يقطع بتكذيب الحديث، وقد رواه الطبراني عن أبي ذر وسلمان، ورواه البزّار عن أبي ذرّ وحده[1]، ورواه ابن عساكر عن أبي ذرّ وسلمان، وعن أبي ذرّ، وعن ابن عباس[2]، ورُوي أيضاً عن أبي ليلى الغفاري.[3]

هذا وقد زاد الدكتور محمد رشاد سالم (محقّق منهاج السنّة) في الطين بِلَّة، حين قال: إنّه لم يجد الحديث المذكور لا في كتب الأحاديث الصحيحة ولا كتب الأحاديث الموضوعة!!!

وهكذا يضع التعصب الذميم والتقليد الأعمىٰ لـ(شيخ الإسلام الأمويّ) غشاوةً على العينين، فلا تبصران شيئاً يخالف هوىٰ صاحبهما!!

١. مجمع الزوائد:١٠٢/٩.

٢. تاريخ مدينة دمشق:٤١/٤٢ـ٤٣، ترجمة علي بن أبي طالب برقم ٤٩٣٣.

٣. أُسد الغابة: ٢٨٧/٥، ترجمة أبي ليلى الغفاري.

٨

ابن تيمية وعصمة الأنبياء والنبي الأعظم ﷺ

اتّفق المسلمون على أنّ الأنبياء معصومون بعد البعثة، إلّا من شذّ منهم ولا يعبأ به، وأمّا قبل البعثة فالأكثر على عصمتهم من الكبائر والصغائر، ومنهم من ذهب إلى عدم عصمتهم من الصغائر.

ويظهر من ابن تيمية عدم عصمتهم بعد البعثة من غير فرق بين نبي الإسلام وغيره، قال: والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه كانوا لا يؤخّرون التوبة، بل يسارعون ويسابقون إليها، لا يؤخّرون ولا يصرّون على الذنب، بل هم معصومون من ذلك، ومن أخّر ذلك زمناً قليلاً كفّر الله ذلك بما يبتليه به كما فعل بذي النون عليه السلام.[1]

وظاهر العبارة أنّهم يرتكبون الكبيرة بعد البعثة، غير أنّهم لا يصرّون على الذنب، بل يتوبون بين كبيرة وكبيرة.

ويستدلّ على ذلك بقوله سبحانه:﴿**إِنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً* لِيَغْفِرَ لَكَ**

---

١ . مجموع الفتاوى: ٣٠٩/١٠.

الله ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْك وَيَهْدِيَك صِراطاً مُسْتَقِيماً﴾.[١]

ثمّ وصف مَن فسّر هذه الآية وشبهها بنحو يعارض رأية بأنّه من الجهمية والباطنية.

ونقل في «منهاج السنّة» عن بعضهم: كان داود بعد التوبة خير منه قبل الخطيئة، وقال بعضهم: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه.[٢]

وقال في موضع آخر: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلىٰ بالذنب أكرم الخلق عليه.[٣]

ومراده من أكرم الخلق هو النبي الأعظمﷺ ومن الذنب هو الذنب الكبير، وهو ما ورد في قوله سبحانه: **﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك وَمَا تَأَخَّرَ﴾**.

ولمّا كانت الآية ذريعة لاتّهام النبي الأعظم بعدم العصمة، فلنعطف عنان الكلام إلى تفسير الآية فنقول: الذنب في اللغة وإن فُسّر بالإثم والجرم والمعصية، والجمع ذنوب،[٤] لكنّ المعنى الحقيقي أوسع من ذلك وهو كلّ شيء له تبعة سيئة بشهادة قوله سبحانه حاكياً عن موسىؑ: **﴿وَلَهُمْ عَليَّ**

---

١. الفتح: ١ـ٢.

٢. منهاج السنّة: ٢ / ٤٣٢ من الطبعة المحقّقة فقط.

٣. منهاج السنّة: ٢١٠/٦، وفي طبعة بولاق: ٣ / ١٨٠.

٤. لسان العرب: ٦٢/٥.

ذَنْبٌ﴾.[١] عنىٰ بالذنب قتل الرجل الذي وكزه موسى ﷺ فقضى عليه، وكان ذلك الرجل من آل فرعون.[٢]

وقال في المقاييس: ذنب، الذال والنون والباء، أُصول ثلاثة: أحدها الجرم، والآخر مؤخّر الشيء، والثالث كالحظ والنصيب.

فإذا أُريد الأوّل الذَّنْب والجُرم، والأصل الآخر الذَّنَب وهو مؤخّر الدواب.[٣]

وبما أنّ الذَنْبَ والذَنَبَ من مادة واحدة وإنّما الاختلاف بالحركات فيمكن أن يقال: إنّ المادة أي الذال والنون والباء، بمعنى ما يتبع الشيء ومؤخّره، فلو يطلق على ذنب الحيوانات فلأجل كونه مؤخّر الشيء، ولو يطلق على المعصية والجرم فلأنّ له تبعة عرفية أو شرعية، فيستنتج من ذلك أنّ الذنب في ألسن المتأخّرين وإن كان هو الجرم والمعصية ولكن المعنى الحقيقي ما للشيء من التبعة، سواء أكان جرماً شرعياً أو جرماً عرفياً وغير ذلك.

إذا علمت ذلك فاعلم أنّه كان للنبي عند المشركين تبعات كثيرة حيث إنّ النبي بدعوته ونهضته وثورته على الكفر والوثنية وما وقع بينه وبين المشركين من الحروب والمغازي بعد الهجرة، صار ذا تبعة سيئة عند الكفّار والمشركين على حدّ لم يكونوا غافرين له مادامت لهم شوكة ومقدرة، وما

---

١ . الشعراء:١٤.

٢ . لسان العرب:٦٢/٥.

٣ . مقاييس اللغة:٣٦١/٢.

كانوا لينسوا زهوق ملّتهم وانهدام سنّتهم وطريقتهم،ولا ثارات من قتل من صناديدهم دون أن يشفوا غليل صدورهم بالانتقام منه وإمحاء اسمه وإعفاء رسمه، غير أنّ الله سبحانه رزقه ﷺ هذا الفتح وهو فتح مكة أو فتح الحديبية المنتهي إلى فتح مكة، فذهب بشوكتهم وأخمد نارهم، فستر بذلك عليه ما كان لهم عليه ﷺ من الذنب وآمنه منهم.

فالمراد بالذنب ـ والله أعلم ـ التبعة السيئة التي لدعوته ﷺ عند الكفّار والمشركين، وهو ذنب لهم عليه كما في قول موسى لربه:﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُون﴾ [1]، وما تقدّم من ذنبه هو ما كان منه ﷺ بمكة قبل الهجرة، وما تأخّر من ذنبه هو ما كان منه بعد الهجرة، ومغفرته تعالى لذنبه هي ستره عليه بإبطال تبعته بإذهاب شوكتهم وهدم بنيتهم، ويؤيد ذلك ما يتلوه من قوله: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَيَنْصُرَكَ نَصْراً عَزِيزاً﴾.[2]

وبكلمة قصيرة: المراد، هو الذنب من منظار المشركين كما هو المراد في قصة موسى عليه السلام حيث إنّ قتل القبطي كان ذنباً عندهم.

وللإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام كلام يؤيد هذا التفسير، وهو ما أجاب به المأمون الذي سأله قائلاً: فأخبرني عن قول الله تعالى:﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقال الرضا عليه السلام: «لم يكن أحد عند مشركي مكة أعظم ذنباً من رسول الله ﷺ ؛ لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلمّا جاءهم ﷺ بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبُر ذلك عليهم

---

١ . الشعراء:١٤.

٢ . تفسير الميزان:٢٥٤/١٨.

وعظم وقالوا: ﴿وَجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً واحِداً إنّ هذا لَشَيءٌ عُجابٌ* وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلىٰ آلِهَتِكُمْ إنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ* ما سَمِعْنا بِهذا في الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إنْ هٰذا إلّا اخْتِلاقٌ﴾[١]، فلمّا فتح الله على نبيه مكة قال: يا محمد ﴿إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ عند مشركي مكة بدعائك إلى التوحيد فيما تقدّم وما تأخّر».[٢]

بيان آخر للآية

هناك بيان آخر للآية وهو أنّ النبي الأعظمﷺ بسبب نهضته بوجه الشرك والمشركين والوثنية صار غرضاً لسهام الاتّهام والشبهات، ولأجل أن توضع الحواجز بينه وبين الناس اتّهمه المشركون بتهم كثيرة ذكرها القرآن الكريم وهي(كاهن، ساحر، يتعلّم القرآن من غيره، أو مجنون لا يعتدّ بقوله وعمله) وغير ذلك.

وكلّ هذه الأوصاف انتشرت في الجزيرة العربية بين الناس، ومن المعلوم أنّ أكثر المشركين تلقّوا ذلك بالقبول، ولذا كانوا يبتعدون عن رسول اللهﷺ والإيمان به، ولمّا قام النبيﷺ بهذا الفتح المبين الذي زالت به شوكتهم وكسرت قوتهم، وأصبح هو القائد المحنّك الذي أصبح قادراً على قيادة أُمّة كبيرة وإدارة أُمور لا يقوم بها إلّا الأمثل من الرجال، فأثبت بذلك أنّه ليس بكاهن ولا ساحر ولا مجنون، وأين فتح البلاد وغزو الأقوام المسلحة،

---

١. ص: ٥ـ٧.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ١٨٠؛ مجمع البحرين:١٠٤/٢.

من الكهنة والسحرة والمجانين؟!

فالله سبحانه يقول: ﴿إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبيناً﴾، ليترتب على ذلك زوال كلّ ما أُلصق به من صفات باطلة وتهم مزيّفة قبل الهجرة وبعدها.

فعلى هذا فالآية لو لم تدلّ على عظمة النبيﷺ خلقاً ومنطقاً وحنكة، فهي لا تدلّ على أنّه كان عاصياً لله سبحانه.

ثمّ إنّ لابن تيمية ذريعة أُخرى لاتّهام النبيﷺ بعدم العصمة وهو ذيل الآية، قال في «مجموع الفتاوى»: وقد قال الله لنبيّه بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوان: ﴿إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبيناً* لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً* وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزيزاً﴾، فأخبر أنّه فعل هذا ليهديه صراطاً مستقيماً، فإذا كان هذا حاله فكيف بحال غيره.[1]

وكان عليه أن يستدلّ على ما رامه بأنّ النبيﷺ يقرأ كلّ يوم سورة الحمد ويقول:﴿إهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ﴾، فلو كان على صراط مستقيم فما معنى طلبه الهداية على الصراط المستقيم؟!

ولكنّ المقصود واضح لمن صفا قلبه وخلت روحه عن الحقد والعناد، فالمراد بـ ﴿وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقيماً﴾ أي يثبّتك على صراط مستقيم؛ كما هو المراد من قوله: ﴿إهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ﴾.

ثمّ إنّ ذيل الآية: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزيزاً﴾ خير دليل على أنّ المراد هو أنّه سبحانه يثبّت النبي في الطريق المتصل إلى الغاية، الذي سلكه بعد

١. مجموع الفتاوى:٢٢/٤٠١.

الرجوع من الحديبية وفتح خيبر، حيث بسط سلطة الدين في أقطار الجزيرة حتى تتطهر الأرض من أرجاس الشرك وأدران الوثنية، فإنّ فتح مكة والطائف صار سبباً لقطع الشرك عن مواطن التوحيد، وذلّ اليهود وخضوع نصارى الجزيرة للإسلام، وهذا لا ينال إلّا بتثبيت النبيﷺ على الصراط المستقيم الذي له ثمرات مثل ما ذكرنا.

بقيت هنا ذريعة أُخرى لمن يتّهم النبي بعدم العصمة، وهي قوله سبحانه: **﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوىٰ* وَوَجَدَكَ ضالّاً فَهَدىٰ* وَوَجَدَكَ عائلاً فَأَغْنىٰ﴾**.(١)

فربما يتوهّم المتوهّم أنّ النبيﷺ كان ضالّاً بنحو من الضلال، فهداه الله سبحانه إلى طريق التوحيد، ولكنّ هذا التفسير تفسير بالرأي، فدراسة مجموع آيات السورة يدلّ على أنّ محور الآيات هو بيان حالات النبيﷺ منذ أن ولد: كان يتيماً، فآواه؛ وفقيراً، فأغناه؛ وضالّاً (بالضلالة الطبيعية التي تعمّ كلّ إنسان لولا هداية الله تبارك وتعالى)، فهداه، فلا مانع، إذاً من أن يكون ضالّاً بالطبيعة حتى شملته الهداية منذ فتح عينه على الدنيا.

والضلالة الطبيعية ذاتية وهي لازمة لكلّ موجود ممكن، فتزال بتوفيق من الله سبحانه.

وإن شئت التفصيل فنقول: إنّ الضلالة التي تقابل الهداية والرشاد، تُتصوّر على قسمين:

قسم تكون الضلالة فيه وصفاً وجودياً وحالة واقعية كامنة في النفس

---

١. الضحى:٦ـ٨.

توجب منقصتها وظلمتها، كالكافر والمشرك والفاسق، والضلالة في هاتيك الأفراد صفة وجودية تكمن في نفوسهم، وتتزايد حسب استمرار الإنسان في الكفر والشرك والعصيان والتجرّؤ على المولى سبحانه، قال الله سبحانه:﴿**ولاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسهِمْ إنّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾.[١]

فإنّ لازدياد الإثم بالجوارح تأثيراً في زيادة الكفر، وقد وصف سبحانه بعض الأعمال بأنّها زيادة في الكفر، قال سبحانه: ﴿**إِنَّما النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾.[٢]

وقسم تكون الضلالة فيه أمراً عدمياً، بمعنى كون النفس فاقدة للرشاد غير مالكة له، وعندئذٍ يكون الإنسان ضالاً بمعنى أنّه غير واجد للهداية من عند نفسه، وفي الوقت نفسه لا تكمن فيه صفة وجودية مثل ما تكمن في نفس المشرك والعاصي، وهذا كالطفل الذي أشرف على التمييز وكاد أن يعرف الخير من الشر، والصلاح من الفساد، والسعادة من الشقاء، فهو آنذاك ضالّ، لكن بالمعنى الثاني، أي غير واجد للنور الذي يهتدي به في سبيل الحياة، لا ضالّ بالمعنى الأوّل بمعنى كينونة ظلمة الكفر والفسق في روحه.

إذا عرفت ذلك، فاعلم: أنّه لو كان المراد من الضالّ في الآية، ما يخالف الهداية والرشاد فهي تهدف إلى القسم الثاني منه لا الأوّل، بشهادة أنّ الآية بصدد توصيف النعم التي أفاضها الله سبحانه على نبيّه يوم افتقد أباه ثم أُمّه

---

١ . آل عمران:١٧٨.

٢ . التوبة:٣٧.

فصار يتيماً لا ملجأ له ولا مأوى، فآواه وأكرمه بجدّه عبد المطلب ثم بعمّه أبي طالب، وكان ضالّاً حسب الطبيعة الإنسانية، فهداه إلى أسباب السعادة وعرّفه وسائل الشقاء.

والالتزام بالضلالة بهذا المعنى لازم القول بالتوحيد الافعالي، فإنّ كلّ ممكن كما لا يملك وجوده وحياته، لا يملك فعله ولا هدايته ولا رشده إلّا عن طريق ربّه سبحانه، وإنّما يفاض عليه كلّ شيء منه، قال تعالى:﴿يَا أَيُّها النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَميدُ﴾[1]، فكما أنّ وجوده مفاض من الله سبحانه، فهكذا كلّ ما يوصف به من جمال وكمال فهو من فيوض رحمته الواسعة، والاعتقاد بالهداية الذاتية، وغَناء الممكن بعد وجوده عن هدايته سبحانه، يناقض التوحيد الافعالي.

---

١ . فاطر:١٥.

٩

ابن تيمية وإيمان أبويّ النبيﷺ

سأل سائل ابن تيمية عن إسلام والديّ النبيﷺ وقال: هل يصحّ عن النبيﷺ أنّ الله تبارك وتعالى أحيا له أبويه حتى أسلما على يديه ثم ماتا بعد ذلك؟

فأجاب ابن تيمية بقوله: لم يصحّ ذلك عن أحد من أهل الحديث... لأنّ ظهور كذب ذلك لا يخفىٰ على متديّن. ثمّ هذا خلاف الكتاب والسنّة الصحيحة والإجماع، قال تعالى:**﴿إنّما التَّوبَةُ عَلى اللهِ لِلّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَة...﴾**[1]، فبيّن الله تعالى أنّه لا توبة لمن مات كافراً.[2]

ولا يخفى على القارئ الكريم أنّ السائل قد سلّم بأمر غير مسلّم وهو:أنّ

---

١ . النساء:١٧.

٢ . مجموع الفتاوى:٤/٣٢٤ـ٣٢٦. وهذا تصريح من ابن تيمية بأنّ أبويّ النبيﷺ ماتا كافرين، ولم يقتصر بذلك بل استدلّ عليه ـ في ذيل كلامه ـ ببعض الروايات.

والدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماتا وهما مشركان، لكن فرّع عليه ما سمعه من أنّ الله أحياهما حتى أسلما، ولكنّ الحق أنّه لم يدلّ دليل ـ ولو كان ضعيفاً ـ على أنّهما كانا مشركين، حتى يفرّع عليه ما ذكره السائل، بل القرائن تدلّ على أنّ بيت عبد المطلب كان بيت التوحيد، وأنّ خيمة التوحيد كانت قائمة في بيته، استظل تحتها الهاشميون عامّة إلّا من شذّ منهم.

وقد أشبعنا هذا الموضوع بحثاً في موسوعتنا «مفاهيم القرآن»[١]، ولكن نذكر للقارئ نزراً ممّا قلناه هناك:

اتّفقت الإمامية على أنّ آباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله عزّ وجلّ موحّدون، واحتجّوا على ذلك بالكتاب والأخبار، قال الله عزّ وجلّ: ﴿الّذي يَراكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبَكَ في السّاجِدينَ﴾[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا، ولم يدنسني بدنس الجاهلية».[٣]

وأجمعوا على أنّ عمّه أبو طالب مات مؤمناً، وأنّ آمنة بنت وهب كانت على التوحيد، وأنّها تحشر في جملة المؤمنين.[٤]

---

١. لاحظ : مفاهيم القرآن:٢٧٦/٥.

٢. الشعراء:٢١٨ـ٢١٩.

٣. تفسير الرازي:١٧٤/٢٤؛ السيرة الحلبية:٣٠/١؛ الدر المنثور:٩٨/٥.

٤. أوائل المقالات:١٢ـ١٣.

نعم الاستدلال بالآية مبني على أنّ المراد نقل روحه من ساجد إلى ساجد، وهو المروي عن ابن عباس، في قوله تعالى:﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ أي من نبيّ إلى نبيّ حتى أُخرجت نبياً.

وأمّا الاستدلال بالحديث فهو مبني على أنّه مَن كان كافراً فليس بطاهر، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّما الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.[1]

ويمكن الاستدلال على طهارة الوالد بما نقلت عنه من كلمات وأبيات عندما عرضت فاطمة الخثعمية نفسها عليه، فقال والد النبيﷺ ردّاً عليها:

أمّا الحرام فالممات دونه ... والحلّ لا حلّ فأستبينه

يحمي الكريم عرضه ودينه ... فكيف بالأمر الذي تبغينه[2]

وقد روي عن النبيﷺ أنّه قال: «لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» ولعل فيه إيعازاً إلى طهارة آبائه وأُمهاته من العهر والزنا، بل العصيان والشرك.

وأمّا والدتهﷺ فكفى في ذلك ما رواه الحفّاظ عنها عند وفاتها فإنّها (رضي الله عنها) خرجت مع النبيﷺ وهو ابن خمس أو ست سنين ونزلت بالمدينة تزور أخواله ـ أي أخوال جدهﷺ ـ[3] وهم بنو عَديّ بن النّجار، ومعها أُم أيمن «بركة» الحبشية، فأقامت عندهم، وكان الرسول بعد الهجرة يذكر أُموراً حدثت في مقامه ويقول: «إنّ أُمّي نزلت في تلك الدار،

---

١. مفاتيح الغيب:٤٣١، والآية ٢٨ من سورة التوبة.

٢. السيرة الحلبية:٤٦/١.

٣. السيرة الحلبية: ٢ / ٢٤٤، دار المعرفة ـ ١٤٠٠ هـ.

وكان قوم من اليهود يختلفون وينظرون إليّ، فنظر إليّ رجل من اليهود، فقال: يا غلام ما اسمك؟ فقلت: أحمد، فنظر إلى ظهري وسمعته يقول: هذا نبي هذه الأُمّة، ثم راح إلى إخوانه فأخبرهم، فخافت أُمّي عليّ، فخرجنا من المدينة، فلمّا كانت بالأبواء توفّيت ودفنت فيها».

روى أبو نعيم في دلائل النبوّة عن أسماء بنت رهم قالت: شهدت آمنة أُمّ النبي ﷺ في علّتها التي ماتت بها، ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يَفَع،[1] له خمس سنين عند رأسها، فنظرت إلى وجهه وخاطبته بقولها:

إنّ صحّ ما أبصرتُ في المنام ... فأنت مبعوث إلى الأنام

فالله أنهاك عن الأصنام ... أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كلّ حي ميّت، وكلّ جديد بال، وكلّ كبير يفنى، وأنا ميّتة، وذكري باق، وولدت طهراً.

وقال الزرقاني في«شرح المواهب» نقلاً عن جلال الدين السيوطي تعليقاً على قولها: وهذا القول منها صريح في أنّها كانت موحّدة، إذ ذكرت دين إبراهيم عليه السلام وبشّرت ابنها بالإسلام من عند الله، وهل التوحيد شيء غير هذا؟! فإنّ التوحيد هو الاعتراف بالله وانّه لا شريك له والبراءة من عبادة الأصنام.[2]

هذا بعض ما يمكن أن يقال، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى موسوعتنا

---

١. يفَع الغلام: ترعرعَ.

٢. الإتحاف للشبراوي:١٤٤؛ سيرة زيني دحلان بهامش السيرة الحلبية:١/٥٧.

١٠

ابن تيمية والصلاة في غار حراء

إنّ المسلمين قاطبة عندما يعتمرون أو يحجّون، يزورون غار حراء ويتبرّكون به ويصلّون فيه، وقد تشرّف غار حراء بنزول القرآن فيه وتعبّد النبيﷺ فيه عدّة أعوام، ولكن ابن تيمية يريد نفي كرامة هذا المكان، ويقول في كتاب «اقتضاء الصراط»: وأصل دين المسلمين أنّه لا تختص بقعة بقصد العبادة فيها إلّا المساجد خاصّة، وما عليه المشركون وأهل الكتاب من تعظيم بقاع للعبادة غير المساجد كما كانوا في الجاهلية يعظمون حراء، ونحوه من البقاع، هو ممّا جاء الإسلام بمحوه وإزالته ونسخه.[١]

أقول: إنّه سبحانه تبارك وتعالى أمرنا باتّخاذ مقام إبراهيم مصلّى وقال: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إبْراهيمَ مُصَلّى﴾.[٢] أوَ لا يكون مصلّى خاتم الأنبياء مثله أو أفضل منه؟

يقول الإمام النووي:وأجمع السلف والخلف على التبرّك بالصلاة في مصلّى رسول اللهﷺ في الروضة المباركة، ودخول الغار الذي دخلهﷺ.[٣]

١. اقتضاء الصراط:٤٣٩/١. ٢. البقرة:١٢٥.
٣. كما نقله عنه السيد الشريف في كتابه: «أخطاء ابن تيمية»، ص ٤٩٢.

وقال ابن جُزَيّ الغرناطي المالكي(المتوفّى ٧٤١هـ): من المواضع التي ينبغي قصدها تبرّكاً، قبر إسماعيل عليه السلام وأُمّه هاجر وهما في الحجر، وقبر آدم عليه السلام في جبل أبي قبيس، والغار المذكور في القرآن وهو جبل أبي ثور، والغار الذي في جبل حراء حيث ابتدأ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزيارة قبور من بمكّة والمدينة من الصحابة والتابعين والأئمة.[1]

ثمّ إنّ ابن تيمية يستدلّ على عدم جواز التبرّك بزيارة غار حراء والصلاة فيه قائلاً: بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أقام في مكة بعد النبوة بضع عشر سنة لم يزره ولم يصعد إليه، وكذلك المؤمنون معه بمكة، وبعد الهجرة أتى مكة مراراً في عمرة الحديبية وعام الفتح وأقام بها قريباً من عشرين يوماً وفي عمرة الجعرانة لم يأت غار حراء ولا زاره.[2]

أقول: قد تقدّم منا أنّ من خصائص ابن تيمية القضاء البات في موضوعات ليس له فيها أي دليل ضعيف فضلاً عن القوي، فَمِنْ أين علم أنّ النبي لم يزره وكذلك المؤمنون؟ على أنّ عدم زيارة ذلك المحلّ لأجل أُمور هامّة كانت تقع على عاتقه، لا يدلّ على حرمته، وقد قلنا في محلّه: إنّ ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الصحابة شيئاً لا يدلّ على التحريم، وهذا هو أحد المواضيع التي يتمسّك بها أبناء ابن تيمية(وهو المسمّى بالترك) وهو من الصحّة بمعزل.

إلى هنا تمّ ما ذكره ابن تيمية في حقّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يكشف عن عدم

---

١. القوانين الفقهية:٩٦/١.

٢. مجموع الفتاوى:١٥١/٢٧.

حبّه للنبي ﷺ أو عناده له ﷺ، وهو وإن كان يتظاهر في بعض المقامات بالحبّ والتكريم لكن بوادر كلامه تكشف عمّا كان يحمل في قرارة نفسه من بغض وكراهية تجاه النبي ﷺ.

***

بقي هنا شيء، وهو أنّ ابن تيمية يتمسّك ـ في عامّة المقامات ـ بفعل الصحابي، لكنّنا نراه يعدل عن ذلك الأصل في مورد تتبع عبد الله بن عمر للمواضع التي صلّىٰ فيها النبي ﷺ فيصلّي فيها.

ولمّا كان فعل ذلك الصحابي على خلاف رأيه وهواه، أخذ يصفه بالابتداع.

يقول: وتحرّي هذا ـ أي عبد الله بن عمر ـ ليس من سنّة الخلفاء الراشدين، بل هو ممّا ابتدع، وقول الصحابي وفعله إذا خالفه نظيره ليس بحجّة فكيف إذا انفرد عن جماهير الصحابة.[1]

أقول: كيف يصف عبد الله بن عمر بالتبديع وقد عقد البخاري باباً لهذا، وقال: **باب المساجد التي على طرف المدينة والمواضع التي صلّىٰ فيها النبي ﷺ**، وقد نقل فيه أحاديث عشرة، ننقل منها حديثاً واحداً، ومن أراد المزيد فليرجع إليه.

روى البخاري وقال: حدّثنا محمد بن أبي بكر المقدّمي قال: حدّثنا فضيل بن سليمان قال: حدّثنا موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله يتحرّى أماكن من الطريق فيصلّي فيها، ويحدّث أنّ أباه كان يصلّي فيها، وأنّه

---

١ . اقتضاء الصراط: ١/ ٣٩٠.

رأى النبي ﷺ يصلّي في تلك الأمكنة. وحدّثني نافع عن ابن عمر أنّه كان يصلّي في تلك الأمكنة، وسألت سالماً فلا أعلمه إلّا وافق نافعاً في الأمكنة كلّها، إلّا أنّهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء.[1]

وروى ابن عبد البرّ في «الاستذكار» عن مالك بن محمد بن عمرو بن طلحة الديلمي، عن محمد بن عمران الأنصاري، عن أبيه أنّه قال: عدل إليّ عبد الله بن عمر وأنا نازل تحت سَرْحة بطريق مكة، فقال: ما أنزلك تحت هذه السرحة؟ فقلت: أردت ظلّها، فقال: هل غير ذلك؟ فقلت: لا ما أنزلني إلّا ذلك، فقال عبد الله بن عمر: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنت بين الأخشبين من منىٰ (ونفخ بيده نحو المشرق) فإنّ هناك وادياً يقال له السرر به شجرة سرّ تحتها سبعون نبيّاً».

ثم قال ابن عبد البرّ: هذا الحديث دليل على التبرّك بمواضع الأنبياء والصالحين وآثارهم، وإلى هذا قصد ابن عمر بحديثه هذا. والله أعلم.[2]

هذا ما آثرنا إيراده من أخطاء ابن تيمية في حقّ النبي الأعظم ﷺ، وضربنا الصفح عن كثير ممّا زلت قدماه في هذا المضمار.

ونودّ ـ الآن ـ أن نطلع القارئ الكريم علىٰ شيء من كلماته في حقّ الإمام علي عليه السلام وأولاده الطاهرين، ليقف على حقيقة موقفه منهم، سلام الله تعالى عليهم. وهذا ما نطرحه في الفصلين القادمين.

---

١. صحيح البخاري: ١٢٩، الباب ٨٨ ـ ٨٩، الحديث ٤٨٣. ولاحظ عامّة روايات الباب، ترى أنّ عبد الله بن عمر ليس الوحيد في تتبع الآثار.

٢. الاستذكار:٤/٤٠٧، ولاحظ: التمهيد:١٣/٦٧.

الفصل الثالث

آراء ابن تيمية في الإمام علي عليه السلام

موقف أحمد بن حنبل من الإمام علي عليه السلام

إنكار ابن تيمية فضائل الإمام علي عليه السلام

مواقف ابن تيمية من الإمام علي عليه السلام

١. اتّهامه علياً بإيذاء فاطمة عليها السلام

٢. دعواه بغض أكثر الصحابة لعلي عليه السلام

٣. إنكار ابن تيمية حديث المؤاخاة

٤. إنكار ابن تيمية حديث الطائر

٥. اتّهامه علياً بأنّه قاتل للرئاسة لا للديانة

٦. إنكار ابن تيمية عرفان المنافقين ببغض علي عليه السلام

٧. لم يكن لسيف علي عليه السلام في الوقائع تأثير

٨. ادّعاء تخلّف أكثر الأُمّة عن بيعة علي عليه السلام

٩. نتائج خلافة علي عليه السلام

١٠. ابن تيمية ونزول آية الولاية في حق علي عليه السلام

١١. صور أُخرى لتعرّض ابن تيمية للإمام علي عليه السلام، وأصحابه

١٢. ابن تيمية وحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي

١٣. ابن تيمية وحديث سدّ الأبواب كلّها إلّا باب علي عليه السلام

١٤. إنكار ابن تيمية حديث باب مدينة العلم

١٥. ابن تيمية وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أقضاكم علي»

١٦. ابن تيمية وحديث قتال الناكثين والقاسطين والمارقين

١٧. ابن تيمية وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني»

١٨. ابن تيمية ونزول ﴿هَلْ أَتَى﴾ في حق العترة

١٩. مناقشته في خصائص علي عليه السلام

تمهيد

موقف أحمد بن حنبل من الإمام علي عليه السلام

إنّ أحمد بن تيمية ينتمي إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل الذي كان متجاهراً بفضائل أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم علي بن أبي طالب، وكفى في ذلك ما نقله من فضائل علي عليه السلام في كتاب فضائل الصحابة، ونذكر هنا أُموراً تعرب عن موقف ابن حنبل من علي ومن خصمه معاوية بن أبي سفيان.

١. قال محمد بن منصور الطوسي: كنّا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله، ما تقول في هذا الحديث الذي يروى أنّ علياً قال: «أنا قسيم النار»؟ فقال: وما تنكرون من ذا؟ أليس روينا أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي: «لايحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»؟ قلنا: بلىٰ. قال: فأين المؤمن؟ قلنا: في الجنة. قال: وأين المنافق؟ قلنا: في النار، قال: فعليٌّ قسيم النار.[1]

٢. وقال أيضاً: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل ما جاء لعلي عليه السلام.[2]

٣. أخرج ابن الجوزي من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألت

---

١. طبقات الحنابلة:١/٣٢٠. طبعة دار المعرفة، بيروت.

٢. المستدرك على الصحيحين:٣/١٠٧.

أبي فقلت: ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال:إيش أقول فيهما؟إنّ علياً كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا، فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطرَوه كياداً منهم له.(١)

قال ابن حجر بعد أن نقل هذا: فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل ممّا لا أصل له، وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها ما يصحّ من طريق الإسناد، وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما.(٢)

٤. إنّ تربيع الخلفاء كان من قِبَل أحمد بن حنبل، وكان قبول خلافته ثقيلاً على بعض أهل الحديث ـ أعني: الذين كانوا عثمانيّي الهوىٰ ـ فهذا هو ابن أبي يعلى ينقل بالإسناد عن دويزة الحمصي قال: دخلت على أبي عبد الله أحمد بن حنبل حين أظهر التربيع لعلي عليه السلام فقلت: يا أبا عبد الله إنّ هذا لطعن على طلحة والزبير. فقال: بئسما قلت، وما نحن وحرب القوم وذكرها. فقلت: أصلحك الله إنّما ذكرناها حين ربّعت بعلي، وأوجبت له الخلافة، وما يجب للأئمة قبله، فقال لي: وما يمنعني من ذلك؟ قال: قلت: حديث ابن عمر؟ فقال لي: عمر خير من ابنه. قد رضي علياً للخلافة على المسلمين، وأدخله في الشورى، وعلي بن أبي طالب عليه السلام قد سمّىٰ نفسه أميرالمؤمنين، فأقول أنا: ليس للمؤمنين بأمير؟! فانصرفت عنه.(٣)

---

١. الموضوعات لابن الجوزي: ٢٤/٢.
٢. فتح الباري:١٠٤/٧، باب ذكر معاوية.
٣. طبقات الحنابلة:٣٩٣/١.

إنكار ابن تيمية فضائل الإمام علي عليه السلام

هذا هو موقف إمام الحنابلة، وإمام ابن تيمية من عليّ عليه السلام، فكان عليه أن يقتدي به، إلّا أنّه خالفه في ذلك وأبىٰ إلّا أن ينال من علي وكرامته، فأنكر الكثير من فضائله الثابتة عند حفّاظ المحدّثين، ثم وصفه بعبارات، يندى لها الجبين، ويخجل من إيرادها القلم.

وقد بلغ إنكار فضائله إلى حدّ أثار حفيظة علماء أهل السنّة، فاستنكروا آراءه في حق علي عليه السلام.

يقول ابن حجر: طالعت الردّ المذكور[يعني: «منهاج السنّة» الذي ردّ به على «مفتاح الكرامة» للعلّامة الحلّي] لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في ردّ الأحاديث التي يوردها ابن المطهر، وإن كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات، لكنّه ردّ في ردّه كثيراً من الأحاديث الجياد التي لم يستحضر حالة التأليف مظانّها، لأنّه كان لاتّساعه في الحفظ يتّكل على ما في صدره، والإنسان عامد للنسيان، وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحياناً إلى تنقيص علي رضي الله عنه، وهذه الترجمة لا تحتمل إيضاح ذلك وإيراد أمثلته، وقد بلغه تصنيف ابن تيمية فكاتبه بأبيات.[1]

والأبيات التي أنشأها العلّامة الحلّي وخاطب بها ابن تيمية، هي:

لو كنتَ تعلمُ كل ما علم الورىٰ   طُرّاً لصرتَ صديق كل العالَمِ

---

١ . لسان الميزان:٣١٩/٦ـ ٣٢٠.(ويلاحظ أنّ مكان هذه الأبيات في هذه الطبعة ترك بياضاً، ثمّ إنّ ابن حجر اشتبه عليه الأمر حيث تخيّل أنّ اسم العلّامة يوسف بن الحسن فترجمه تحت هذا العنوان يوسف بن الحسن، والصحيح هو: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر).

لكن جهلت فقلت إنّ جميع مَن   يهوى خلاف هواك ليس بعالِمِ(١)

والعجب أنّ الشيخ تقي الدين السبكي الذي ردّ على ابن تيمية واتّهمه بالحشو وخلط الحقّ بالباطل، قد استجاد ردّ ابن تيمية على العلّامة الحلّي، وقال من قصيدة له:

وابن المطهَّر لم تطهُر خلائقهُ   داعٍ إلى الرفض غالٍ في تعصّبهِ

ولابن تيميةٍ ردّ عليه به   أجاد في الرد واستيفاء أضربهِ(٢)

أقول: قاتل الله التعصّب، يقول السبكي هذا في العلّامة ابن المطهّر، مع أنّ ابن حجر العسقلاني وصفه بقوله: كان ابن المطهّر مشتهر الذكر، حسن الأخلاق، ولمّا بلغه كتاب ابن تيمية، قال: لو كان يفهم ما أقول أجبته.(٣)

ومن هنا آثر سيّدنا محسن الأمين أن يصحّح البيتين المذكورين، فقال:

وابن المطهر قد طابت خلائقه   داعٍ إلى الحق خال من تعصّبهِ

ولابن تيميّة ردّ عليه وما   أجاد في ردّه في كل أضربهِ

ثم أضاف أبياتاً أُخرى هي:

حسب ابن تيمية ما كان قبل جرىٰ

له وعاينه من أهل مذهبه

في مصر أو في دمشق وهو بعد قضىٰ

في السجن ممّا رأوه من مصائبه

١. أعيان الشيعة:٣٩٨/٥، نقلاً عن تذكرة ابن عراق المصري؛ والدرر الكامنة:٧١/٢(البيت الأوّل فقط).

٢. الوافي بالوفيات:٢٦٢/٢١، الترجمة ١٨٠.   ٣. لسان الميزان:٣١٧/٢، الترجمة ١٢٩٥.

مـــــجسِّم وتــــــعالى الله خـــــالقنا
عـــن أن يكـــون له بـــالجسم مـــن شـــبه
بـــذاك صـــرّح يـــوماً فـــوق مـــنبره
بـــالشام حسْـــبك هـــذا مـــن مـــعائبه
الله يـــنزل مـــن فـــوق الســـماء كـــما
نـــزلت عـــن مـــنبري ذا مـــن عـــجائبه(١)

ثمّ إنّ تلميذ منهج ابن تيمية في العصر الحاضر ـ أعني: الشيخ الألباني ـ قد صحّح حديث الغدير في كتابه «سلسلة الأحاديث الصحيحة» أعني قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، وذكر في آخر دراسته للحديث: قد كان الدافع لتحرير الكلام عن الحديث وبيان صحّته أنّني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعّف الشطر الأوّل من الحديث، وأمّا الشطر الآخر فزعم أنّه كذب!! وهذا من مبالغته الناتجة في تقديري من تسرعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقّق النظر فيها، والله المستعان.(٢)

وهذا الاعتذار لابن تيمية بأنّه يتسرّع في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها، ليس بصحيح، وإنّما الصحيح في تقدير كلّ مطّلع منصف على أسلوب تعاطي ابن تيمية مع الأحاديث، أنّه يتسرّع فقط، وعن عمد وقصد، في تكذيب وتضعيف ما يتعلّق بفضائل عليّ من الأحاديث، لما يضمره في نفسه تجاه الإمام عليه السلام.

---

١. أعيان الشيعة:٣٩٨/٥، ترجمة العلامة الحلي.
٢. الأحاديث الصحيحة:٣٣٠/٤، الحديث ١٧٥٠.

يُذكر أن ابن تيمية، قال : حديث الموالاة قد رواه الترمذي وأحمد في مسنده عن النبي ﷺ أنّه قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه». وأما الزيادة، وهي قوله: «اللهمّ والِ مَن والاه وعادِ من عاداه...» الخ، فلا ريب أنّه كذب.[1]

هكذا يزعم ابن تيمية مع أنّ الشطر الثاني للحديث «اللهمّ والِ مَن والاه وعادِ من عاداه» قد أخرجه بإسناد صحيح عن أبي الطفيل، كلٌّ من: أحمد في مسنده (٤ / ٣٧٠) ؛ والنسائي في خصائصه (٩٠) ؛ وابن حبان في صحيحه (٢٢٠٥)؛ وابن أبي عاصم في السنّة (١٣٦٧) ؛ والطبراني في المعجم الكبير (٤٩٦٨) ؛ والضياء في المختارة (٥٢٧). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٠٤): (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة، وهو ثقة). وقال الألباني: (وإسناده صحيح علىٰ شرط البخاري).

وأخرجه أيضاً عبدالله بن أحمد (المسند: ١ / ١١٩) من طريق يزيد بن أبي زياد وسماك بن عبيد بن الوليد العبسي، عن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ، عن علي عليه السلام. قال الألباني: وهو صحيح بمجموع الطريقين عنه .

وأخرجه عن زيد بن أرقم كلٌّ من: أحمد (١ / ١١٨) ؛ وابن أبي عاصم (١٣٦٥) ؛ والطبراني (٤٩٦٩ ـ ٤٩٧٠) ؛ والحاكم (٣ / ١٠٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين. قال الألباني: سكت عنه الذهبي، وهو كما قال لولا أن حبيباً كان مدلساً وقد عنعنه .

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن زيد بن أرقم. قال الهيثمي في المجمع (٩ / ١٠٦): رجاله ثقات.

---

١ . منهاج السنة: ٧ / ٣١٩، وفي طبعة بولاق : ٤ / ٨٥

قال الألباني: وجملة القول أن حديث الترجمة (يعني: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه) حديث صحيح بشطريه.[١]

ثمّ إنّ الألباني أصاب الحق في إثبات صحّة الحديث، ولكنّه أخطأ في ذيل كلامه، حيث قال: وأمّا ما يذكره الشيعة في هذا الحديث وغيره أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في علي عليه السلام: «إنّه خليفتي من بعدي» فلا يصحّ بوجه من الوجوه، بل هو من أباطيلهم الكثيرة التي دلّ الواقع التاريخي على كذبها؛ لأنّه لو فرض أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال، لوقع كما قال، لأنّه ﴿وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢] والله سبحانه لا يخلف وعده.

والحقّ أنّ المسكين قد خلط بين الإخبار والإنشاء، والجملة قصد بها الإنشاء، ولم يقصد الإخبار حتى يلزم التخلّف، وكم من أخبار في القرآن والسنة قُصد بها الإنشاء ولم تقع. مثل قوله:﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٣] وهل كانوا كذلك؟ لا أدري. والقارئ الكريم ـ العارف بما جرى في عصر الصحابة من الحروب الطاحنة ـ أدرىٰ.

وها نحن نذكر نماذج من مواقفه من علي وأولاده عليهم السلام.

---

١ . سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤ / ٣٤٣ .

٢ . النجم: ٧.

٣ . الفتح:٢٩.

١

اتّهامه عليّاً بإيذاء فاطمةعليها السلام

يوجد في «منهاج السنّة» ما يدلّ على أنّ ابن تيمية كان يبغض علياً ويظهر هذا في مواضع كثيرة من منهاجه نقتصر بذكر بعضها:

قال: لو قُدّر أنّ أبا بكر آذاها (فاطمة) فلم يؤذها لغرض نفسه، بل ليطيع الله ورسوله ويوصل الحق إلى مستحقه، وعلي رضي الله عنه كان قصده أن يتزوّج عليها فله في أذاها غرض بخلاف أبي بكر، فعُلم أنّ أبا بكر كان أبعد أن يُذمّ بأذاها من علي وإنّما قصد طاعة الله ورسوله بما لا حظّ له فيه بخلاف عليّ فإنّه كان له حظّ فيما رابها به.[1]

حاصل ما ذكره أمران:

١. إنّ أبا بكر آذاها ليطيع أمر الله ورسوله.

٢. إنّ عليّاً قصد أن يتزوج على فاطمة للإيذاء.

وها نحن ندرس كلا الأمرين:

---

١ . منهاج السنّة: ٢٥٥/٤، وفي طبعة بولاق : ١٧١/٢.

أمّا الأوّل: فما ذكره من أنّ أبا بكر آذاها فلم يؤذها لغرض نفسه بل ليطيع الله ورسوله، يخالف كلام أبي بكر نفسه في أُخريات حياته، حيث ندم على كشفه بيت فاطمة، وقد ذكر ذلك غير واحد من المؤرّخين منهم:

١. أبو عبيد صاحب كتاب «الأموال»، حيث نقل عن عبد الرحمن بن عوف قوله: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفّي فيه فسلّمت عليه فقلت: ما أرى بك بأساً والحمد لله ولا تأس على الدنيا فوالله إن علمناك إلّا كنت صالحاً مصلحاً، فأجاب أبا بكر بقوله: إنّي لا آسىٰ على شيء إلّا على ثلاث فعلتهنّ وودت أنّي لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن وودت أنّي أفعلهن، وثلاث وددت أنّي سألت رسول الله عنهن. فأمّا التي فعلتها وودت أنّي لم أفعلها، فوددت أنّي لم أفعل كذا وكذا لخلّة ذكرها، قال أبو عبيد: لا أُريد ذكرها، وودت يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين (عمر أو أبي عبيدة) فكان أميراً وكنت وزيراً، وودت أنّي حيث كنت وجهت خالداً إلى أهل الردّة أقمت بذي القسطة فإن ظفر المسلمون، وإلّا كنت بصدد لقاء أو مدد.[1]

إنّ صاحب كتاب الأموال لم يصرّح بما قاله أبو بكر وكره تدوينه في كتابه بألفاظه، وليس هو إلّا كشف بيت فاطمة بشهادة أنّ غيره ذكر القصة وبنفس اللفظ.

٢. ذكر ابن أبي الحديد نفس القصة وقال: روى أحمد ـ و روى المبرّد في «الكامل» صدر هذا الخبر عن عبد الرحمن بن عوف ـ قال:

---

١. الأموال: ١٩٣ـ ١٩٤، مكتبة الكليات الازهرية.

... فأمّا الثلاث التي فعلتها وودت أنّي لم أكن فعلتُها: فوددت أنّي لم أكن كشفت عن بيت فاطمة وتركته ولو أُغلق على حرب، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: عمر أو أبي عبيدة فكان أميراً وكنت وزيراً، ووددت أنّي إذ أُتيت بالفجاءة لم أكن أحرقته وكنت قتلته بالحديد أو أطلقته.(١)

٣. نقل المسعودي في «مروج الذهب» نفس القصة بطولها وجاء فيها: فأمّا الثلاث التي فعلتها وودت أنّي تركتها: فوددت أنّي لم أكن فتشت بيت فاطمة، ووددت أنّي لم أكن حرقت الفجاءة... الخ.(٢)

٤. روى أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني نفس القصة وقال: فأمّا الثلاث اللاتي وددت أنّي لم أفعلهن: فوددت أنّي لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته وإن أُغلق على الحرب.(٣)

٥. نقل ابن عبد ربه نفس القصة فقال: فأمّا الثلاث التي فعلتهن وددت أنّي تركتهن: فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا أغلقوه عن الحرب.(٤)

٦. نقل ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق نفس القصة وقال: فأمّا التي وددت أنّي تركتهن... إلى أن قال: فوددت أن لم أكن كشفت بيت فاطمة عن

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:٢/٤٥ـ ٤٧؛ الكامل:١١/١. تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

٢. مروج الذهب:٢/٣٠١، طبع دار الأندلس، بيروت.

٣. المعجم الكبير:١/٦٢، برقم ٤٣.

٤. العقد الفريد:٤/٩٣، تحت عنوان استخلاف أبي بكر لعمر.

شيء مع أنّهم أُغلقوه على الحرب.[١]

٧. نقل ابن أبي الحديد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري مؤلّف كتاب (السقيفة): فذكر قوله: إنّي لا آسىٰ إلّا على ثلاث... ثم قال: فوددت أنّي لم أكن كشفت عن بيت فاطمة وتركته ولو أُغلق على حرب.[٢]

٨. وروى الذهبي هذه القصة، وأورد قول أبي بكر، بنفس الألفاظ المتقدّمة.[٣]

٩. ورواها أيضاً الحافظ الهيثمي بنفس الألفاظ .[٤]

١٠. ورواها أيضاً ابن حجر العسقلاني بنفس الألفاظ.[٥]

١١. ورواها أيضاً المتقي الهندي بنفس الألفاظ.[٦]

إلى هنا تمّ الكلام في الأمر الأوّل.

وأمّا الأمر الثاني ـ أعني: قول ابن تيمية بأنّه كان لعليّ غرض في إيذاء فاطمة ـ فقد استوحاه (وبنيّة سيئة) من قصة خطبة عليّ بنت أبي جهل، فهاك الكلام في تلك القصة .

خطبة علي عليه السلام بنت أبي جهل رواية موضوعة وقصّة خرافية

لقد أوضحنا حال تلك الخطبة في كتابنا «الحديث النبوي بين الرواية والدراية» وأثبتنا، بالأدلّة القاطعة، بأنّها قصة خرافية، ولا أصل لها، نسجها

١ . مختصر تاريخ دمشق:١٢٢/١٣.

٢ . شرح نهج البلاغة:٤٦/٢ـ٤٧.

٣ . تاريخ الإسلام:١١٧/٣ـ١١٨.

٤ . مجمع الزوائد:٢٠٢/٥ـ ٢٠٣.

٥ . لسان الميزان:١٨٨/٤ـ١٨٩.

٦ . كنز العمال:٦٣١/٥، برقم ١٤١١٣.

بعض الحاقدين، المتمرّغين في وحل الباطل، لينالوا من تلك القمّة الشمّاء.وها نحن ننقل إليك ما حقّقناه هناك ليتبيّن للقارئ أنّ أعداء عليّ ينحتون له أعمالاً هو منها بريء .

أخرج الترمذي عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن الزبير؛ أنّ عليّاً ذكر بنت أبي جهل، فبلغ ذلك النبيﷺ فقال: «إنّما فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها».[1]

ولكنّ البخاري رواها بصور مختلفة عن المِسْوَر بن مَخْرمة في غير واحد من الأبواب، وهي كما يلي:

١. ما روى بسنده عن الوليد بن كثير، عن محمد بن عمرو بن حَلحَلة الدُّؤلي، عن ابن شهاب أنّ علي بن حسين حدّثه: أنّهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية، مقتلَ حسين بن علي رحمة الله عليه، لقيه المِسْوَر بن مَخْرمة، فقال له: هل لك إليَّ من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له: لا، فقال له: فهل أنت مُعطِيَّ سيف رسول اللهﷺ؟ فإنّي أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله لئن أعطيتنيه لا يُخلَص إليهم أبداً، حتى تُبلَغ نفسي.

إنّ علي بن أبي طالبعليه السلام خطب ابنة أبي جهل على فاطمةعليها السلام، فسمعت رسول اللهﷺ يخطب الناس في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذٍ مُحتلم.

فقال: إنّ فاطمة منّي، وأنا أتخوّف أن تُفتَن في دينها. ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إيّاه.

---

١ . سنن الترمذي:٥/٦٩٩، برقم ٣٨٦٩؛ ورواه أحمد في مسنده:٤/٥.

قال: حدّثني فصدَقَني، ووعدني فوفىٰ لي، وإنّي لست أُحرِّم حلالاً، ولا أُحلُّ حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبنت عدو الله أبداً.(١)

٢. وأخرج بسنده عن الزهري، قال: حدّثني علي بن حسين: أنّ المسور بن مخرمة، قال: إنّ عليّاً خطب بنت أبي جهل، فسمعتْ بذلك فاطمة، فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: يزعم قومك أنّك لا تغضب لبناتك، وهذا عليّ ناكح بنت أبي جهل.

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعتُه حين تشهّد، يقول: أمّا بعد، أنكحتُ أبا العاص بن الربيع فحدَّثني وصدقَني، وإنّ فاطمة بضعة منّي، وإنّي أكره أن يسوءَها، والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد. فترك عليّ الخطبة.

وزاد محمد بن عمرو بن حلحلة، عن ابن شهاب، عن عليّ، عن مسور: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر صهراً له من بني عبد شمس، فأثنىٰ عليه في مصاهرته إيّاه فأحسن، قال: حدّثني فصدقني، ووعدني فوفىٰ لي.(٢)

٣. روى بسنده عن ابن أبي مُلَيكة، عن المسور بن مخرمة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وهو على المنبر: إنّ بني هشام بن المغيرة استأذنوا أن يُنكحوا ابنتهم عليَّ بن أبي طالب، فلا آذن، ثمّ لا آذن، ثمّ لا آذن، إلّا أن يريد ابن أبي طالب أن يُطلِّق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنّما هي بَضعة منّي يُريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها.(٣)

---

١. صحيح البخاري: ٨٣/٤، باب ما ذكر من درع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. صحيح البخاري: ٢٢/٥ـ٢٣، باب ذكر أصهار النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. صحيح البخاري: ٣٧/٧، باب ذبّ الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف من كتاب النكاح.

مناقشة الرواية سنداً ومضموناً

إنّ اختلاف ألفاظ الرواية، وتعدُّد الصور المعروضة بها، وتباينَ الزيادات المُلحقة في كلّ صورة، لابدّ أنّه استوقف القارئ اللبيب ـ و قد ألقىٰ نظرة سريعة عليها ـ قبل أن تتراكم لديه الأسئلة حول العديد من فقراتها، والإشكالات الّتي تكتنفها من كلّ جانب.

وممّا يجدر ذكره أنّ ما يُثار حول الرواية من إشكالات وتساؤلات، قائم على أساس صحّة صدورها عن (ابن الزبير، والمسور)، مع غضّ الطرف عمّا في أسانيدها من رواة، لهم هوىً ومَيْل إلى خصوم عليّ وأهل بيته عليهم السلام، وإن لم يقدح في وثاقتهم جلّ علماء الجرح والتعديل من السنّة، ومنهم:

ـ ابن أبي مُليكة، وهو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة بن عبد الله بن جُدعان القرشيّ التيميّ(المتوفّى ١١٧هـ). كان قاضياً لعبد الله بن الزبير، ومؤذّناً له.[1]

ـ و ابن شهاب الزهريّ(المتوفّى ١٢٤هـ)، كان مقرّباً لدىٰ خلفاء بني أُميّة: عبد الملك، وهشام، ويزيد بن عبد الملك، الّذي جعله قاضياً مع سليمان بن حبيب المحاربي.[2] قال عمر بن رُويح: كنت مع ابن شهاب الزهري نمشي، فرآني عمرو بن عبيد بعد، فقال: مالك ولمنديل الأُمراء، يعني ابن شهاب.[3] وقال يحيى بن معين في منصور بن المعتمر، والزهريّ: هما سواء ومنصور

١. تهذيب الكمال:١٥/٢٥٦، برقم ٣٤٠٥.
٢. تاريخ مدينة دمشق:٥٥/٣٥٦، الترجمة ٧٠٠١.
٣. تاريخ مدينة دمشق:٥٥/٣٧٠.

أحبّ إليّ، لأنّ الزهريّ كان سلطانياً.[١]

ـ والوليد بن كثير القرشي المخزومي بالولاء (المتوفّى ١٥١هـ). قال الساجيّ: كان إباضياً، ولكنّه كان صدوقاً. وعن أبي داود: ثقة إلّا أنّه إباضيّ. وقال ابن سعد: ليس بذاك. وذكره العقيليّ في الضعفاء.[٢]

وليس القصد من ذكر ميول هؤلاء الرواة وأهوائهم لإثبات بطلان الرواية وكذبها ـ طبعاً بضميمة ما تقدّم من اختلاف ألفاظ الرواية وصورها، وما سيأتي حولها من تساؤلات وإشكالات ـ هو الدفاع عن (ابن الزبير، والمسور)، وقد دلّ التاريخ الصحيح على بغض ابن الزبير وعدائه الصارخ لأمير المؤمنين عليّ، ولسائر بني هاشم. أمّا المسور، فيكفي في اتّضاح ميله وهواه، الاطلاع فقط على الكلمات الآتية، الّتي ذكرها الذهبي في ترجمته:

ـ قدم دمشق بريداً من عثمان يستصرخ بمعاوية.

ـ كانت الخوارج تغشاه وينتحلونه.

ـ قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلّا صلّىٰ عليه.

ـ إنّ ابن الزبير لا يقطع أمراً دون المسور بمكة.[٣]

نعم، لم يكن القصد من وراء ذلك الدفاع عن (ابن الزبير، والمسور)، وإنّما للتأمّل في صدور الرواية عنهما، وذلك لأنّ الدواعي إلى إشاعة ما جاء

---

١. تهذيب الكمال:٢٦/٤٤٢، الترجمة٥٦٠٦، تحقيق الدكتور بشار عوّاد.
٢. تهذيب الكمال:٣١/٧٣، الترجمة ٦٧٣٣.
٣. سير أعلام النبلاء:٣/٣٩٠ـ ٣٩٤، برقم ٦٠.

في الرواية من قَدْحٍ في عليّ عليه السلام كانت متوفّرة، فلماذا لم تُبَثّ في عهده؟ ولِمَ لم يُشنِّع بها عليه حُسّادُه وخصومه، كأصحاب الجمل (ومنهم ابن الزبير نفسه)، ومعاوية وفئته الباغية، الذين لم يتركوا سهماً في كنائنهم إلّا رمَوه به، وقد شهد لهم التاريخ أنّهم كانوا بارعين في نسج التُّهم الباطلة ضدّه، فكيف فاتهم تعييره بالغضب النبويّ الهابط عليه كالصاعقة في خضمّ النزاعات الدامية، والمناظرات والردود الحادّة، الّتي جرت بينهم وبينه عليه السلام؟

بل، لِمَ لم نجد لهذا الطعن الّذي تتضمّنه الرواية، أثراً في كلام ابن الزبير، الّذي وقف ـ أيّام تغلّبه على الحجاز ـ موقفاً عدائياً سافراً من بني هاشم، ومن ابن عليّ عليه السلام نفسه، أعني محمد بن الحنفية؟

ولماذا يلجأ إلى ترك الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لئلّا يشرئبّ بني هاشم لذكره، وبين يديه هذا السلاح النافذ (الرواية)؟ أما كان الأجدىٰ له سياسياً ودينياً أن يبالغ في الصلاة عليه، ثم يذكر لهم موقفه صلى الله عليه وآله وسلم الغاضب من سيّدهم عليّ، ليُرغمهم على طأطأة رؤوسهم، وغضّ أبصارهم؟

كلّ ذلك يشير إلى أنّ الرواية وضعت في زمن متأخّر، حين خلا الجوّ لبني أُميّة، وبعد موت أكثر الصحابة وأكابرهم.

التساؤلات والإشكالات حول الرواية

هذا، وقد حان الآن وقت الوفاء بما وعدناك به ـ عزيزي القارئ ـ من ذكر التساؤلات والإشكالات الّتي يمكن أن تُثار حول الرواية، وأهمّها:

الأوّل: ولد المسور بمكة بعد الهجرة بسنتين، وقدم به أبوه المدينة في

عقب ذي الحجة سنة ثمان، وهو أصغر من ابن الزبير بأربعة أشهر، وقُبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسور ابن ثمان سنين،[١] فكيف يُنقل عنه في الصورة الأُولى من رواية البخاري قوله: (فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب الناس في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذٍ محتلم)؟!

فابن ثمان سنين لا يُطلق عليه محتلم، ولا كالمحتلم.

الثاني: لماذا لم يروِ خبر الخِطبة من بين كلّ الصحابة سوى ابن الزبير، والمسور، مع أنّه كان لهما من العمر عند وفاة النبي ثمان سنوات؟!

وإذا كان الأمر بهذه الشهرة والخطورة، بحيث يصرّح به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من على المنبر جهاراً، كان من الطبيعي أن ينقله عدد منهم، وممّن هم أكبر سنّاً، وأكثر وعيّاً وإدراكاً من هذين الصبيّين،فلماذا اقتصرت رواية الخبر عليهما؟[٢]

وربّما تنتهي أسانيد الرواية إلى شخص واحد، هو المسور بن مخرمة، فقد قال أبو عيسى الترمذي(بعد أن أخرج الرواية عن ابن أبي مليكة عن ابن الزبير): هكذا قال أيوب ـ يعني السختياني ـ عن ابن أبي مليكة عن ابن

---

١ . الاستيعاب:١٣٩٩/٣، برقم ٢٤٠٥؛ وتهذيب الكمال:٥٨١/٢٧، برقم ٥٩٦٧.

٢ . أمّا ما رواه الحاكم بإسناده إلى سُوَيد بن غَفَلة، فهو مرسل أوّلاً، لأنّ سويداً لم يلقَ النبيّ، وإن أسلم في حياته صلى الله عليه وآله وسلم، وفي طريقه الشعبيّ ثانياً، وهو معروف بانحرافه عن عليّ عليه السلام. يُضاف إلى هذين: أنّ الخبر خالٍ من اللهجة الغاضبة، الّتي عرضتها لنا روايات البخاري. وإليك نصّ الخبر: عن سويد بن غفلة، قال: خطب عليّ ابنة أبي جهل إلى عمّها الحارث بن هشام، فاستشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أعن حَسَبها تسألني؟ قال عليّ: قد أعلم ما حسبها، ولكن تأمرني بها؟ فقال: لا، فاطمة مضغة مني ولا أحسب إلّا وإنّها تحزن أو تجزع. فقال عليّ: لا آتي شيئاً تكرهه. المستدرك:١٥٨/٣ـ١٥٩.

الزبير، وقال غير واحد عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة، ويحتمل أن يكون ابن أبي مليكة روى عنهما جميعاً.

وهذا يعني أنّ رواية ابن الزبير للخبر مجرّد احتمال!!

الثالث: إنّ الصلة بين القصتين في كلام المسور مع علي بن الحسين مقطوعة ـ أعني: بين قصة سيف النبيﷺ، وقصة خطبة ابنة أبي جهل ـ ومن هنا جهد الشُّرّاح في إيجاد وجه للمناسبة بينهما، فذكر الكرمانيّ ثلاثة وجوه، أغنانا ابن حجر عن ذكر اثنين منها، لأنّ كلّاً منهما ـ حسب تعبيره ـ ظاهر التكلّف. أمّا الوجه الثالث الّذي وصفه بالمعتمد، فهو: كما أنّ رسول اللهﷺ كان يحبّ رفاهية خاطر فاطمةعليها السلام، فأنا أيضاً أحبّ رفاهية خاطرك لكونك ابن ابنها، فأعطني السيف حتى أحفظه لك.[1] لكنّ ابن حجر عاد، فأورد عليه هذا الإشكال:

لا أزال أتعجّب من المسور كيف بالغ في تعصّبه لعلي بن الحسين، حتى قال: إنّه لو أودع عنده السيف لا يُمكّن أحداً منه حتى تزهق روحه، رعاية لكونه ابن ابن فاطمة، محتجّاً بحديث الباب، ولم يُراعِ خاطره في أنّ ظاهر سياق الحديث المذكور غضاضة على عليّ بن الحسين لما فيه من إيهام غضٍّ من جدّه عليّ بن أبي طالب، حيث أقدم على خطبة بنت أبي جهل على فاطمة، حتى اقتضى أن يقع من النبيّ في ذلك من الإنكار ما وقع، بل أتعجّب من المسور تعجّباً آخر أبلغ من ذلك، وهو أن يبذل نفسه دون السيف رعاية لخاطر ولد ابن فاطمة، وما بذلَ نفسه دون ابن فاطمة نفسه، أعني الحسين

١ . فتح الباري:٦/٢١٤.

والد عليّ، الّذي وقعت له معه القصة حتى قُتل بأيدي ظلمة الولاة، لكن يُحتمل أن يكون عذره أنّ الحسين لمّا خرج إلى العراق ما كان المسور وغيره من أهل الحجاز يظنون أنّ أمره يؤول إلى ما آل إليه، والله أعلم.[1]

وهذا الاعتذار لمسور في عدم نصرة الحسين عليه السلام لا يصحّ بتاتاً، فلقد تقدّم آنفاً أنّ هواه كان مع أعداء عليّ وأهل بيته، فكيف يُنتظر منه أن يبذل نفسه دون ابن فاطمة، حتى وإن علم أنّ أمره يؤول إلى ما آل إليه؟!

الرابع: كيف ينقل عليّ بن الحسين عليهما السلام للزهريّ تلك القصة الّتي تنتقص من شخصية جدّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وتحطّ من شأنه، لا سيّما بعد ذلك الوقت الّذي عاش فيه المأساة الدامية لمصرع أبيه الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وسمع ما يبثّه الإعلام الأموي ومناصروه من أخبار كاذبة، وقصص مفتعلة، تستهدف النيل من العترة الطاهرة، وطمس مآثرهم الجليلة؟

إنّ هذا الأمر لا يفعله إنسان عاديّ، فكيف يفعله مَن كان قمّةً في سجاياه، علماً وعقلاً وحكمة وجلالة قدر، حتى لو افترضنا أنّه حقاً سمع القصة من المسور؟

الخامس: إنّ الأُمّة مُجمعة على أنّ علياً لو نكح ابنة أبي جهل، مضافاً إلى نكاح فاطمة عليها السلام لجاز، لأنّه داخل تحت عموم الآية المبيحة للنساء الأربع، فابنة أبي جهل المشار إليها كانت مسلمة، لأنّ هذه القصة كانت بعد فتح مكة وإسلام أهلها طوعاً وكرهاً، ورواة الخبر موافقون على ذلك. هذا ما قاله ابن أبي الحديد.[2]

---

١. فتح الباري:٣٢٧/٩.

٢. شرح نهج البلاغة:٦٥/٤.

وعندئذٍ نقول: هل يُعقَل إذاً، إذا كان الأمر كذلك ـ وهو فعلاً كذلك ـ أن يغضب الأسوة الحسنة في الخلُق العظيم وفي تطبيق الأحكام، وأمام الملأ هذا الغضب العارم ـ الّذي تصوّره روايات البخاري ـ على ابن عمه وصهره وموضع سرّه وأبي ذريّته، وهل يُعقل والأمر كذلك أن يوجّه الرحمة المهداة للعالمين، والرؤوف الرحيم بالمؤمنين هذه الرسالة الشديدة اللهجة ـ وعبر الناس ـ إلى فاديه وناصره ورفيق دربه وجهاده وأوّل المؤمنين به؟!

ولمّا كان غضب النبيﷺ إلى هذه الدرجة من أمرٍ جائز، لا يمكن أن يقبل به مسلم واعٍ عارف بسيرته ومنزلتهﷺ، حاول بعض مَن يقدّس كلّ ما ورد في الصحيحين من روايات أن يتمحّل له أسباباً مختلفة، فقال ابن التين: أصحّ ما تُحمل عليه هذه القصة أنّ النبيﷺ حرّم على عليّ أن يجمع بين ابنته وبين ابنة أبي جهل، لأنّه علّل بأنّ ذلك يؤذيه وأذيته حرام بالاتفاق، ومعنى قوله: (لا أُحرّم حلالاً) أي هي له حلال لو لم تكن عنده فاطمة، وأمّا الجمع بينهما الّذي يستلزم تأذّي النبيﷺ لتأذّي فاطمة به فلا.

وقال ابن حجر: وزعم غيره أنّ السياق يُشعر بأنّ ذلك مباح لعليّ، لكنه منعه النبيﷺ رعاية لخاطر فاطمة، وقَبِل هو ذلك امتثالاً لأمر النبيّﷺ، والّذي يظهر لي أنّه لا يبعد أن يُعدّ في خصائص النبيﷺ أن لا يُتزوج على بناته، ويُحتمل أن يكون ذلك خاصّاً بفاطمةعليها السلام.(١)

وهكذا تتعدّد الاحتمالات، والتحميلات على محامل بعيدة، من أجل الدفاع عن الرواية، الّتي لو كانت (في غير عليّعليه السلام) لرُئي فيها موقف آخر.

---

١. فتح الباري: ٩/٣٢٨ـ٣٢٩.

وعلىٰ أية حال، فإنّ ما قاله ابن حجر يخالف ما تقدّم عن ابن أبي الحديد من إجماع الأُمّة على جواز النكاح لعليّ.

كما فات هؤلاء أنّ علياً ـ كما تدلّ سيرته ـ كان مثل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يراعي خاطر فاطمة، ويتأذّىٰ لتأذّيها، فكيف لا يحسّ بحزنها وجزعها من هذا الأمر، فيتركه حباً بأنيسته ورفيقة حياته، ورعايةً لمشاعر صفيّة أخيه وحبيبه، قبل أن تنطلق إلى أبيها شاكيةً؟!

ثمّ ألا يؤذي جهرُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعاتبة عليّ هذا العتاب الشديد، وتعريضُه به من خلال الثناء على صهره من بني عبد شمس، ألا يؤذي ذلك علياً، حتى وإن كان قصده صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما يحتمله ابن حجر ـ المبالغة في رضا فاطمة عليها السلام، [1] فالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أجلّ من أن يحيف على أحد في حكم وغيره، وأجلّ من أن ينقض وصاياه في عليّ عليه السلام، الّتي حذّر فيها من إيذائه، تماماً كما كان يحذّر من إيذاء فاطمة.

روى ابن عبد البرّ المالكي بسنده عن عمرو بن شاس، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قد آذيتني، فقلت: ما أُحبُّ أن أُوذيك، فقال: مَن آذىٰ علياً فقد آذاني. [2]

كما تقدّم في رواية عمران بن حُصين إعراض النبيّ عن أربعة من الصحابة، كانوا قد أخبروه بما صنع عليّ، قال: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والغضب يُعرف في وجهه، فقال: «ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ إنّ علياً مني، وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي».

---

١. فتح الباري: ٨٦/٧.

٢. الاستيعاب: ١١٨٣/٣، الترجمة ١٩٢٥.

وفي الختام نقول: إنّ قصارىٰ ما بذله بعض الشرّاح ومنهم ابن حجر، لا يخرج عن محاولة تبرير غضب النبيﷺ، وخطبة عليّ، وإيجاد وجه للمناسبة بين قصة السيف وقصة الخطبة، كلّ ذلك بحزمة من الاحتمالات والتحميلات البعيدة والمتكلّفة.

ومن هنا كان عليهم أن يبذلوا جهودهم في تقييم الرواية بعرضها على التاريخ الصحيح في سيرة عليّعليه السلام وقُربه من النبي، وأنّه كان يتّبعه اتّباع الظلّ لذي الظلّ وكان واقفاً على ما يبغض النبيﷺ أو يرضيه، فهل يتصوّر منهعليه السلام أن يخطب بنت أبي جهل ـ الذي هو من ألد أعداء الإسلام ـ على فاطمة الزهراء من دون استئذان النبيﷺ؟!

نعم لا نقول إنّ تزويج بنت أبي جهل المسلمة كان حراماً، ولكن ليس كلّ حلال يُعمل به، خصوصاً مثل عليعليه السلام بالنسبة إلى النبيﷺ وبضعته.

وهكذا يتبيّن من خلال الأدلّة الساطعة والقرائن القوية الّتي ذكرناها، أنّ غرض الخائبين من وضع الخبر على وجوه مختلفة وزيادات متفاوتة، هو النيل من شخصية عليّعليه السلام ومنزلته الرفيعة من النبيﷺ، ولو على حساب الإساءة إلى النبي، الّذي صوّره الخبر ـ وحاشاه ـ رجلاً ثائراً، منساقاً مع عواطفه، فيغضب لأمر لا جُناح في إتيانه شرعاً وعرفاً!! وقد جاء اختيار القصة في أمر يتعلّق بفاطمة، إمعاناً في تأكيد غرضهم، وللتشويش على الحقيقة المرة، وصرف الأذهان عمّن غضبت عليهم حقاً فاطمة، الّتي قال فيها رسول اللهﷺ: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني».[1]

---

١. صحيح البخاري: ٥١/٥ في كتاب مناقب قرابة الرسولﷺ.

روى البخاري أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يَقْسِم لها ميراثها، ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممّا أفاء الله عليه.

فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: لا نُورث ما تركنا صدقة.

فغضبت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفّيت.[1]

وروى البخاري أيضاً أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما يبقى من خمس خيبر ـ إلى أن قال: ـ فأبىٰ أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرتْه، فلم تكلّمه حتى توفّيت، وعاشت بعد النبي ستة أشهر، فلمّا توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّىٰ عليها.[2]

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ
أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.[3]

---

١ . صحيح البخاري:٤/٧٩، باب فرض الخمس.

٢ . صحيح البخاري:٥/١٣٩، باب غزوة خيبر؛ وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه:٥/١٥٣، كتاب الجهاد، باب قول النبي: لا نورث ما تركناه صدقة؛ وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده:١/٩.

٣ . ق:٣٧.

٢

دعواه بغض أكثر الصحابة لعلي عليه السلام

قال ابن تيمية: إنّ الله قد أخبر أنّه سيجعل للذين آمنوا وعملوا الصالحات وداً وهذا وعد منه صادق، ومعلوم أنّ الله قد جعل للصحابة مودّة في قلب كلّ مسلم، لا سيّما الخلفاء رضي الله عنهم ولا سيّما أبو بكر وعمر، فإنّ عامّة الصحابة والتابعين كانوا يودّونهما وكانوا خير القرون.

ولم يكن كذلك عليّ فإنّ كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبّونه ويقاتلونه .(١)

يلاحظ عليه: أوّلاً: أنّ لازم كلامه أنّ علياً لم يكن من مصاديق الآية المباركة، أعني قوله سبحانه:﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدّاً**﴾(٢) فإنّ مفاد الآية عند ابن تيمية أنّ شارة المؤمن وعلامته هي ودّ الناس له، وبما أنّ كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبّونه، فهذا آية عدم كونه مؤمناً وعاملاً للصالحات.

١ . منهاج السنّة: ١٣٧/٧، وفي طبعة بولاق : ٤ / ٣٨.

٢ . مريم:٩٦.

أفيصحّ لمسلم أن يتفوّه بذلك، ويُخرج أوّل من آمن بالنبي عن عداد المؤمنين؟ لا والله، كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

وثانياً: لو كان معنى الآية أنّ علامة الإيمان حب جميع الناس لما وجد على وجه الأرض مؤمن يحبه جميع الناس، فاليهود تبغض المسيح عليه السلام كما أنّهم يبغضون نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، والماديّون يبغضون الإلهيين، وهذا يدلّ على أنّ ابن تيمية لم يفهم معنى الآية وتسرّع في القضاء.

وثالثاً: أنّ معنى الآية أنّ المؤمن والذي يقوم بالعمل الصالح يحبّه الناس إجمالاً ؛ وذلك لأنّ تحلّيه بالإيمان يدعوه للتحلّي بالقيم والأعمال النافعة للناس، فلو كان هذا معنى الآية فعليّ عليه السلام في سنامها.

ورابعاً: لو صحّ ما ذكره للزم نفاق وفسق كثير من الصحابة والتابعين لما ثبت في الصحيح من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام:«لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق» وقد أخرجه غير واحد من الحفّاظ.[1] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله».[2]

إلى غير ذلك من الروايات الحاثّة على حبّ عليّ عليه السلام ومودّته وموالاته.

وقد روى البخاري قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه **يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

١ . انظر: صحيح مسلم: ١ / ٦١، باب نقص الإيمان بنقص الطاعات، كتاب الإيمان، ح١٤٤، دار الفكر؛ ومسند أحمد:١/١٥٣، ح٧٣٣؛ والسنن الكبرى للنسائي:١٣٧/٥، ح٨٤٨٧؛ وخصائص أمير المؤمنين: ١١٩، ح١٠٢، وغيرها.

٢ . مستدرك الحاكم:١٢١/٣. وقد صحّحه الحاكم، وأقرّه الذهبيّ.

كلّهم يرجو أن يُعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأُتي به، فبصق رسول الله في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ: انفُذ على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكون لك حُمر النَّعم.[1]

أبعد هذا الحديث الذي يصوّر لنا منزلة عليّ عند الله ورسوله، نأخذ بدعوى ابن تيمية الباطلة: بأنّ كثيراً من الصحابة والتابعين يبغضونه ويسبّونه؟ إنّه بدعواه هذه إنّما يسيء إلى الصحابة والتابعين، لأنّهم يبغضون ويسبّون ويقاتلون (كما يزعم) مَن يحبّه الله ورسوله!!

وخامساً: إنّ دعواه بأنّ علياً لم يكن من مصاديق الآية المتقدّمة، يكذّبها ما رواه بعض محدّثي السنّة في هذا الشأن، فقد أخرج ابن مردويه، والديلمي عن البراء بن عازب أنّه قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ ـ كرم الله تعالىٰ وجهه ـ: قل اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين ودّاً، فأنزل الله هذه الآية[2] ـ يعني قوله: ﴿إِنّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدّاً﴾.

قال العلّامة الآلوسي: وروى الإمامية خبر نزولها في عليّ ـ كرّم الله تعالى وجهه ـ عن ابن عباس، والباقر.[3]

---

١. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، الحديث ٤٢١٠.

٢. روح المعاني، للآلوسي: ١٦/١٤٣. وانظر: تفسير المراغي: ١٦/٨٨.

٣. روح المعاني: ١٦/١٤٣.

فأيّ تعصب، وأيّ عناد، يسوقان شيخ الإسلام الأموي إلى هذا المنحدر، ونحن نرىٰ هذا البون الشاسع بين دعواه، وبين ما وردت به الرواية؟!

وسادساً: إنّ الادّعاء بأنّ كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضون عليّاً.... هو ادّعاء كاذب، يفضحه الواقع التاريخي للصحابة والتابعين. فهاك بعض الشواهد التي تكشف عن وقوف الصحابة إلى جانب عليّ في الأيام العصيبة، وهو، بالطبع، أقوى تعبيراً عن مجرّد الودّ، ولا يتسع المجال لذكر موقف التابعين منه عليه السلام.

ـ على الرغم من حصول البيعة لأبي بكر في السقيفة بتلك الطريقة المعروفة، فإنّ عامّة الأنصار كان هواهم في عليّ، وقد عبّر عن ذلك بوضوح أحد ساداتهم، وهو النعمان بن عَجْلان الزُّرقي، حيث قال من قصيدة له:

وكان هوانا في عليّ وإنّه
لأهل لها من حيث ندري ولا ندري[1]

ويؤيد ذلك أنّ أبا بكر لمّا بايعه عمر وغيره في السقيفة، قالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلّا علياً.[2]

ـ إنّ جلّ المهاجرين والأنصار الذين أدركوا خلافه الإمام علي، كانوا قد انضوَوا تحت رايته، ويؤكد ذلك أنّ معاوية لمّا تمرّد على الإمام وكتب إليه يتهدّده، كتب عليه السلام إليه كتاباً، جاء فيه: وأنا مُرقل نحوك في جحفلٍ من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديدٍ زِحامُهم... .[3]

ويؤيد ذلك أنّ جيش الإمام عليه السلام لمّا سار إلى أهل الشام، كان (علي في

١ . الاستيعاب:٤/١٥٠٥، الترجمة ٢٦١٩.
٢ . الكامل في التاريخ:٢/٣٢٥.
٣ . نهج البلاغة، قسم الرسائل، رقم ٢٨.

القلب في أهل المدينة، وأكثر مَن معه من أهل المدينة، الأنصار، ومعه عدد من خزاعة وكنانة وغيرهم من أهل المدينة).(١)

-إنّ الذين والَوا علياً من المهاجرين والأنصار، والذين شهدوا معه جهاده ضد معاوية وفئته الباغية، كانت أسماؤهم من ألمع الأسماء في سماء الفضل والورع والإيمان، وهم كثيرون جدّاً، منهم: حذيفة بن اليمان، وأبو ذرّ الغفاري، وأُبيّ بن كعب، والمقداد بن الأسود، والعباس(عمّ النبي)، والفضل بن العباس، وعبد الله بن العباس (حبر الأُمة)، وأبو الهيثم بن التيهان، وجابر الأنصاري، وأبو أيوب الأنصاري، وخبّاب بن الأرتّ، وعديّ بن حاتم الطائي، وأبو عمرة الأنصاري، وعثمان بن حُنيف، وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت الأنصاري، وعمّار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن بُديل الخزاعي، و... .

فليعرّفنا ابن تيمية بأسماء الصحابة الذين أبغضوا علياً وسبّوه وقاتلوه، وليكشف عن سيرتهم وأعمالهم، وخصائصهم النفسية والإيمانية... وليكشف عن عدد الذين شهدوا مع معاوية حربه الظالمة ضد الإمام والخليفة الشرعي.

لا شكّ في أنّ أسماءهم -مع قلّتهم- كانت ذائعة في دنيا المكر والخداع، والتلوّن والنفاق، والتكالب على الحطام.

ورحم الله تعالى أبا قيس الأودي، حين قال: أدركتُ الناس، وهم ثلاث طبقات: أهل دين يحبّون علياً، وأهل دنيا يحبّون معاوية، وخوارج.(٢)

فطوبىٰ لابن تيمية، وهو يثني علىٰ أهل الدنيا، ويصطفّ معهم!!

---

١. الكامل في التاريخ:٢٩٧/٣.

٢. الاستيعاب: ١١١٥/٣، الترجمة١٨٥٥.

٣

إنكار ابن تيمية حديث المؤاخاة

ذكر العلّامة الحلي حديث المؤاخاة بين النبي ﷺ وعليّ عليه السلام، فردّ عليه ابن تيمية بقوله: إنّ هذا الحديث موضوع عند أهل الحديث لا يرتاب أحد من أهل المعرفة بالحديث أنّه موضوع وواضعه جاهل، كذب كذباً ظاهراً مكشوفاً، يعرف أنّه كذب من له أدنىٰ معرفة بالحديث.

إنّ أحاديث المؤاخاة لعليّ كلّها موضوعة والنبي ﷺ لم يؤاخِ أحداً، ولا آخىٰ بين مهاجريّ ومهاجريّ، ولا بين أبي بكر وعمر، ولا بين أنصاريّ وأنصاريّ، ولكن آخىٰ بين المهاجرين والأنصار في أوّل قدومه المدينة.[1]

ثمّة أمران في كلام ابن تيمية:

١. إنكار المؤاخاة بين المهاجرين.

٢. إنكار مؤاخاة النبي ﷺ لعليّ عليه السلام بشكل مطلق. وهذا هو المهمّ عند ابن تيمية.

وقبل أن نذكر كلمات الحفّاظ والمؤرخين في قضية المؤاخاة بين

---

١. منهاج السنّة: ٧/٣٦٠ـ٣٦١، وفي طبعة بولاق: ٤ / ٩٦.

المهاجرين، نودّ أن نتقل هنا ردّ الحافظ ابن حجر العسقلاني، الذي دحض به كلام ابن تيمية المتقدّم، قال: أنكر ابن تيمية في كتاب الردّ على ابن المطهر (....) المؤاخاة بين المهاجرين، وخصوصاً مؤاخاة النبي لعليّ، قال: لأنّ المؤاخاة شُرّعت لإرفاق بعضهم بعضاً، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي لأحدٍ منهم، ولا لمؤاخاة مهاجريّ لمهاجريّ.

وهذا ردٌّ للنص بالقياس وإغفالٌ عن حكمة المؤاخاة، لأنّ بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوة، فآخىٰ بين الأعلى والأدنىٰ ليرتفقنّ الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنىٰ، وبهذا نظر في مؤاخاته لعليّ لأنّه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة واستمرّ، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة، لأنّ زيداً مولاهم، فقد ثبت أخوّتهما وهما من المهاجرين، وسيأتي في عمرة القضاء قول زيد بن حارثة: إنّ بنت حمزة بنت أخي.[1]

وإليك كلمات بعض المؤرخين والحفّاظ، الذين ذكروا المؤاخاة بين المهاجرين، وذكروا أيضاً مؤاخاة النبيﷺ لعليّعليه السلام:

١. قال محمد بن حبيب البغدادي(المتوفّى٢٤٥هـ):

ذِكر مؤاخاة النبيّﷺ بين أصحابه المهاجرين قبل الهجرة، وكان آخىٰ بينهم على الحقّ والمواساة وذلك بمكّة، فآخىٰﷺ بين نفسه وبين عليّ بن أبي طالبعليه السلام، وآخىٰ بين حمزة بن عبد المطلبرضي الله عنه وبين زيد بن حارثة مولى

---

١. فتح الباري:٢٧١/٧.

رسول الله ﷺ... وآخىٰ بين أبي بكر وعمر رحمهما الله، وبين عثمان بن عفّان وعبد الرحمن بن عوف... .[١]

٢. قال البلاذري (المتوفّى ٢٧٩هـ):

قالوا: وكان رسول الله ﷺ آخىٰ بين حمزة وبين زيد بن حارثة على الحقّ والمواساة، وبين أبي بكر وعمر، وبين... وقال لعلي:أنت أخي.[٢]

وقال أيضاً في ترجمة زيد بن حارثة: وآخىٰ رسول الله ﷺ بينه وبين حمزة. وإليه أوصىٰ حمزة يوم أحد حين أراد القتال.[٣]

٣. قال الحافظ المؤرّخ ابن عبد البرّ(المتوفّى ٤٦٣هـ):

آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين بمكة، ثم آخىٰ بين المهاجرين والأنصار بالمدينة، وقال في كلّ واحدة منهما لعليّ: أنت أخي في الدنيا والآخرة، وآخىٰ بينه وبين نفسه، فلذلك كان هذا القول وما أشبه من علي عليه السلام.[٤]

ويعني بـ(هذا القول وما أشبه من عليّ)، قوله عليه السلام الذي رُوي من وجوه: أنا عبد الله، وأخو رسول الله، لا يقولها أحد غيري إلّا كذّاب.[٥]

٤. قال الحافظ جمال الدين المزّي(المتوفّى ٧٤٢هـ) في ترجمة زيد بن

١ . المحبَّر:٧٠ـ٧١.

٢ . أنساب الأشراف:٢٧٠/١، برقم ٦٢٥.

٣ . أنساب الأشراف:٤٧٢/١، برقم ٩٤٩.

٤ . الاستيعاب:١٠٩٨/٣ـ١٠٩٩، الترجمة ١٨٥٥.

٥ . الاستيعاب:١٠٩٨/٣.

حارثة: وآخىٰ رسول الله ﷺ بينه وبين حمزة بن عبد المطلب.(١)

هذا وقد نقل كثير من المحدّثين وأصحاب السنن والآثار حديث مؤاخاة النبي ﷺ لعليّ عليه السلام، وقوله ﷺ له: أنت أخي، وقول علي عليه السلام: أنا أخو رسول الله، فهاك بعض رواياتهم:

أخرج الترمذي عن ابن عمر، قال: آخىٰ رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء عليّ تدمع عيناه، فقال رسول الله ﷺ: آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال له رسول الله ﷺ: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

قال أبو عيسى[يعني الترمذي]: هذا حديث حسن غريب. وفي الباب عن زيد بن أبي أوفىٰ.(٢)

وروى الإمام أحمد بإسناده عن ابن عباس، قال: لمّا خرج رسول الله ﷺ من مكّة خرج علي بابنة حمزة، فاختصم فيها علي وجعفر وزيد إلى النبي ﷺ... وقال زيد: ابنة أخي وكان زيد مؤاخياً لحمزة، آخىٰ بينهما رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لزيد: أنت مولاي ومولاها، وقال لعلي: أنت أخي وصاحبي، وقال لجعفر: أشبهت خَلقي وخُلقي.(٣)

وروى الحاكم بإسناده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان عليّ

---

١. تهذيب الكمال: ١٠/٣٦، الترجمة ٢٠٩٤.

٢. سنن الترمذي: ٥/٥٩٥، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب، برقم ٣٧٢٠. وانظر: المستدرك على الصحيحين: ٣/١٤(مؤاخاة رسول الله بين الصحابة)؛ ومصابيح السنة: ٤/١٧٣، برقم ٤٧٦٩؛ والرياض النضرة: ٣/١١١، ١٦٤.

٣. مسند أحمد: ١/٢٣٠. وانظر: الاستيعاب لابن عبد البرّ: ٣/١٠٩٨(وفيه: قال رسول الله ﷺ لعلي: أنت أخي وصاحبي).

يقول في حياة رسول الله ﷺ: إنّ الله يقول: ﴿أَفَإِنْ ماتَ أو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقابِكُمْ﴾[1]، والله لانقلب علىٰ أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قُتل لأقاتلنّ علىٰ ما قاتل عليه حتىٰ أموت. والله إنّي لأخوه ووليّه وابن عمّه ووارث علمه، فمن أحقّ به منّي.[2]

قال الحافظ نور الدين الهيثمي، بعد أن نقل الحديث المتقدّم: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.[3]

أفرأيت، عزيزي القارئ، كيف يتعامىٰ (شيخ الإسلام الأموي) عن رؤية كلّ هذه الآثار الواردة في كتب مؤرّخي وحفّاظ ومحدّثي أهل السنّة، ويُنكر، بكلّ صلافة، المؤاخاة بين المهاجرين، ومؤاخاة النبي ﷺ لعلي عليه السلام؟ أفهكذا يفعل بغض عليّ بصاحبه، فيهين نفسه بنفسه ويُرديها في مهاوي الجهل والضلال؟

إذا ما أهان امرؤ نفسَهُ   فلا أكرمَ اللهُ من يُكرمُهْ

---

١. آل عمران:١٤٤.

٢. المستدرك على الصحيحين:١٢٦/٣. وانظر: المعجم الكبير للطبراني:١٠٧/١، برقم ١٧٦؛ والسنن الكبرىٰ للنسائي:١٢٥/٥، برقم ٨٤٥٠.

٣. مجمع الزوائد:١٣٤/٩.

٤

إنكار ابن تيمية حديث الطائر

من الأحاديث المشهورة، في فضائل الإمام عليّ، عند محدّثي السنّة، ويزعم ابن تيمية أنّها من الموضوعات، حديث الطائر المشوي.

وقبل أن نأخذ في مناقشة كلام ابن تيمية حول هذا الحديث، يحسن أن نذكر الحديث نفسه، فهاكه كما ورد في أحد طرق الحاكم إليه:

روى الحاكم بإسناده عن يحيى بن سعيد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقُدِّم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرخ مشوّي، فقال: اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، قال: فقلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء علي عليه السلام فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حاجة، ثم جاء فقلت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حاجة، ثم جاء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: افتح. فدخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما حبسك عليّ، فقال: إنّ هذه آخر ثلاث كرّات يردّني أنس يزعم أنّك على حاجة.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما حملك على ما صنعت؟

فقلت: يا رسول الله! سمعت دعاءك فأحببت أن يكون رجلاً من قومي. فقال رسول الله ﷺ: إنّ الرجل قد يحب قومه. قال الحاكم:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً، ثمّ صحّت الرواية عن عليّ، وأبي سعيد الخدري، وسفينة.(١)

وقد أنكر ابن تيمية هذا الحديث، وقال في ردّه على العلّامة الحلّي، الذي كان قد أورد الحديث في كتابه:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بتصحيح النقل، وقوله[يعني العلّامة الحلّي]: «روى الجمهور كافّة» كذب عليهم، فإنّ حديث الطير لم يروه أحد من أصحاب الصحيح، ولا صحّحه أئمّة الحديث، ولكن هو ممّا رواه بعض الناس، كما رووا أمثاله في فضل غير عليّ، بل قد رُوي في فضائل معاوية أحاديث كثيرة، وصُنِّف في ذلك مصنّفات، وأهل العلم بالحديث لا يصحّحون لا هذا ولا هذا.

الثاني: أنّ حديث الطائر من المكذوبات والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل، قال أبوموسى المديني:«قد جمع غير واحد من الحفاظ طرق أحاديث الطير للاعتبار والمعرفة، كالحاكم النيسابوري وأبي نُعيم، وابن مردويه، وسئل الحاكم عن حديث الطير فقال: «لا يصحّ».(٢)

---

١ . المستدرك على الصحيحين:٣/١٣٠ـ١٣١.

٢ . منهاج السنّة: ٧/٣٧١ـ٣٧٢، وفي طبعة بولاق : ٤/٩٩.

ونحن، بدورنا، نناقش كلام ابن تيمية من وجوه:

الأوّل: ماذا يعني بـ(أصحاب الصحيح) في قوله:«إنّ حديث الطير لم يروه أحد من أصحاب الصحيح»، فإن عنىٰ بهم الشيخين(البخاري ومسلم) لا غير، تمّ قوله، وإن عنىٰ جميع أصحاب الصحيح، لم يتمّ، لأنّ حديث الطير رواه أبو عيسى الترمذي في «الجامع الصحيح»[1] الذي عُرف بـ «سنن الترمذي»، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة عند أهل السنّة، بل ذهب بعضهم إلى أنّه ثالث الكتب الستة، يعني أنّ رتبته بعد صحيحي الشيخين.

ثمّ إنّ عدم رواية أصحاب الصحيح لحديثٍ ما، لا يضير بشهرته وانتشاره بين جمهور المحدّثين، ولا صحّته أيضاً، فكم من حديث صحيح شائع بين المحدّثين، لم يروه أصحاب الصحيح، ولعلّ مراجعة سريعة لكتاب «المستدرك على الصحيحين» لأبي عبد الله الحاكم، تكفي لمعرفة صحّة ما ذكرناه، فقد أورد هذا الحافظ طائفة من الأحاديث التي لم يروها الشيخان مع أنّها علىٰ شرطهما، وقد وافق الذهبيّ أبا عبد الله الحاكم في تصحيح كثير من تلك الأحاديث على شرطهما أو على شرط أحدهما.

الثاني: أنّ غرض ابن تيمية من الادّعاء بأنّ حديث الطير(هو ممّا رواه بعض الناس)، هو التوهين من شأن الحديث، ومن رواته، وهو ادّعاء فارغ، تكذّبه كلمات أعلام حفّاظ ومحدّثي السنّة حول الحديث، فهاك عدداً منها:

أ. قال الحاكم النيسابوري: «قد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً...».[2]

---

١ . الجامع الصحيح(سنن الترمذي):٥/٦٣٦ـ ٦٣٧، برقم ٣٧٢١.

٢ . المستدرك على الصحيحين:٣/١٣١.

ب. وقال الذهبيّ: «وأمّا حديث الطير فله طرق كثيرة جداً، وقد أفردتها بمصنّف...».(١)

ج. وقال ابن كثير الدمشقي:«وحديث الطير قد صنّف الناس فيه، وله طرق متعدّدة...». ثم قال: «وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة، منهم:أبو بكر بن مردويه، والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان...ورأيت فيه[يعني في حديث الطير] مجلّداً في جمع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسّر، صاحب التاريخ...».(٢)

د. وقال الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (ذهبيّ العصر): «وحديث الطير مشهور، روي من طرق كثيرة...».

وبعد، فإمّا أن يكون ابن تيمية جاهلاً بهذه الطرق الكثيرة إلى الحديث، وشهرته، فادّعى ما ليس له به علم، وعندئذٍ يقال: كيف يتلاءم هذا مع كلّ هذا التعظيم والتبجيل له، وإطلاق لقب (شيخ الإسلام)عليه؟!

وإمّا أن يكون عارفاً بتلك الطرق، ولكنّه لبّس، عن عمدٍ، على نفسه، بكتمان الحقيقة، لشيء يعتمل في قلبه من الإمام علي عليه السلام.

الثالث: أنّ ابن تيمية ينقل قول أبي موسى المديني (المتوفّى ٥٨١ هـ) أنّه «سُئل الحاكم (المتوفّى ٤٠٥هـ) عن حديث الطير، فقال: لا يصحّ»، بينما هو يُعرض عن تصحيح الحاكم نفسه للحديث، وتصريحه بذلك في كتابه «المستدرك على الصحيحين»!!! فأين الأمانة العلمية، وأين الموضوعية يا سماحة شيخ الإسلام (الأموي).

---

١. تذكرة الحفّاظ:١٠٤٢/٣، ترجمة الحاكم النيسابوري.   ٢. البداية والنهاية:٣٨٣/٧ـ٣٨٧.

وبهذا التصحيح، تصحيح الحاكم (الذي وصفه الذهبي بالحافظ الكبير، إمام المحدّثين)[١] يُدحَض ـ أيضاً ـ ادّعاء ابن تيمية بأنّ أئمة الحديث لا يصحّحون الحديث.

ولم ينفرد الحاكم بهذا التصحيح، بل ثمة طريق آخر إلى الحديث عند الطبراني، صحّحه الهيثمي، فقد روى الطبراني بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي نعم، عن سفينة مولى رسول الله ﷺ أنّ النبيّ أوتي بطير، فقال: اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير: فجاء علي عليه السلام، فقال النبي ﷺ: «اللهمّ وإليّ».[٢]

قال الحافظ نور الدين الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح غير فطر بن خليفة، وهو ثقة.[٣]

وممّا يثير العجب أنّ الدكتور محمد رشاد سالم (محقّق كتاب منهاج السنّة) نقل في هامش الكتاب المذكور تعليقات الهيثمي على أحاديث الطير، ولكنّه تغافل عن نقل التعليق المتقدّم ـ[٤] أعني قول الهيثمي: «رجال الطبراني رجال الصحيح غير فطر بن خليفة، وهو ثقة» ـ لأنّه يعلم أنّ هذا التعليق يأتي على كلّ مزاعم شيخه حول الحديث. وهكذا تتّسق جهود أتباع النهج الأُموي الرامية إلى طمس الحقائق، من خلال تغييب كلمات وأقوال علماء السنّة بشأن الأحاديث الواردة في فضل علي عليه السلام خاصّة، وفضل أهل البيت عامّة.

الرابع: أنّ ابن تيمية إنّما يُزري بنفسه وبعلمه حين يدّعي (أنّ حديث

---

١ . تذكرة الحفّاظ: ٣/١٠٣٩.

٢ . المعجم الكبير: ٧/٨٢، برقم ٦٤٣٧.

٣ . مجمع الزوائد: ٩/١٢٦.

٤ . منهاج السنّة: ٧/٣٧١ـ ٣٧٢ (الهامش ٥).

الطائر من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل)، فليس ثمّة أحد من أهل المعرفة بحقائق النقل، مَن تفوّه بمثل هذا الادّعاء، الذي لا يجرؤ عليه إلّا من تلبّس بالجهل، أو تردّى في هوّة العناد والتعصّب المقيت.

لقد روىٰ هذا الحديث جمع من حفّاظ ومحدثي السنّة، وأودعوه في كتبهم، وأفرد عدد منهم طرقه في مؤلَّف، ومنهم: أبو جعفر الطبري (المتوفّى ٣١٠هـ)، والحاكم النيسابوري، وأبو نُعيم الأصبهاني، وابن مردويه، وشمس الدين الذهبي، ولم يذكر أيٌّ منهم أنّ الحديث مكذوب، كما تعرّض لنقده جملة من أعلام الجرح والتعديل، ولم يرمِهِ حتى المتمذهبون منهم بالوضع، وإنّما أقصىٰ ما وصفوا به الحديث أنّه ضعيف.

وإليك بعض كلماتهم:

قال الترمذي، بعد أن روى الحديث من طريق السُّدّي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث السُّدي إلّا من هذا الوجه، وقد رُوي هذا الحديث من غير وجهٍ عن أنس... والسُّدّي اسمه إسماعيل بن عبد الرحمن وسمع أنس بن مالك، ورأى الحسين بن علي. وثّقه شعبة، وسفيان الثوريّ، وزائدة، ووثّقه يحيى بن سعيد القطّان.[1]

وقال أبو جعفر محمد بن عمرو العُقَيلي المكي(المتوفّى ٣٢٢هـ): طرق هذا الحديث فيها لين.[2]

---

١. الجامع الصحيح(سنن الترمذي):٥/٦٣٦ـ٦٣٧، برقم ٣٧٢١.

٢. الضعفاء الكبير:٤/١٨٩ برقم ١٧٦٥.

وأخرجه ابن الجوزي (المتوفّى ٥٩٧هـ) في كتابه «العلل المتناهية» من طريق واحد عن ابن عباس، وستة عشر طريقاً عن أنس[١]، ولم يذكره في كتابه «الموضوعات».

يُذكر أنّ بعض محقّقي كتب الحديث وشرّاحها(كالعلّامة علي بن سلطان محمد القاري) قد زعم بأنّ ابن الجوزي قال بأنّ حديث الطير موضوع[٢]، وهذا خطأ بيّن، والصواب أنّه قال بوضع حديث آخر، رواه القاسم بن جندب عن أنس، وفيه أنّ رسول اللهﷺ، قال: «يا أنس أوّل من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين... إذ جاء عليّ عليه السلام».[٣]

وقال شمس الدين الذهبي: وأمّا حديث الطير فله طرق كثيرة جدّاً، وقد أفردتها بمصنَّف، ومجموعها يوجب أن يكون للحديث أصل.[٤]

وقال أيضاً: وحديث الطير ـ على ضعفه ـ فله طرق جمّة، وقد أفردتها في جزء، ولم يثبت، ولا أنا بالمعتقد بطلانه.[٥]

وقال ابن كثير الدمشقي: قد جمع الناس في هذا الحديث مصنّفات مفردة... وبالجملة، ففي القلب من صحّة هذا الحديث نظر، وإن كثرت طرقه.[٦]

---

١. العلل المتناهية: ١ / ٢٢٨ ـ ٢٣٦، الأرقام ٣٦٠ـ٣٧٧.

٢. مرقاة المفاتيح: ٩/٣٩٣٨، دارالفكر، ١٤٢٢ هـ.

٣. الموضوعات لابن الجوزي: ١/٣٧٦ـ ٣٧٧، الحديث السادس والعشرون.

٤. تذكرة الحفاظ: ٣/١٠٤٢.

٥. سير أعلام النبلاء: ١٣/٢٣٣، الترجمة ١١٨.

٦. البداية والنهاية: ٧/٣٨٧.

وأنت ترى، عزيزي القارئ، أنّ هؤلاء الحفّاظ من أهل السنّة، لم يرموا حديث الطير بالوضع، وإنّما ذهبوا إلى تضعيفه، وبهذا تبيّن كذب ابن تيمية في ادّعائه بأنّ الحديث من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل.

تأثير العقيدة في محاولات تضعيف حديث الطائر

والحقّ، أنّه لولا أنّ عقيدة هؤلاء الحفّاظ وغيرهم في تفضيل أبي بكر، تسبق نظرتهم إلى الحديث، لما ضعّفه أحد منهم، وهذا ما تشهد به كلماتهم المضطربة والمتسرّعة حول رجال أسانيد الحديث الذي رُوي بطرق جمّة (حسب وصف الذهبي الذي مرّ آنفاً)، وكذا تأويلاتهم المتعسّفة لمتنه، حين لم يجدوا قدحاً في رجال إسناد بعض طرقه.

وممّا يدلّ على ذلك:

١. قول الذهبيّ في تعليقه على رواية الحاكم (التي رواها من طريق محمد بن أحمد بن عياض بن أبي طيبة، عن أبيه، عن يحيى بن حسّان، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أنس بن مالك)، قال: ابن عياض لا أعرفه.

ونسأل: هل أنّ عدم معرفته بابن عياض، تسوّغ له القول، بعد ذلك: ولقد كنت زماناً طويلاً أظنّ أنّ حديث الطير، لم يجسر الحاكم أن يودعه في مستدركه...؟!!!(١)

ألا يحتمل الذهبي أنّ الحاكم، وهو عنده إمام المحدّثين، قد كان يعرف

---

١. التلخيص، المطبوع في ذيل المستدرك على الصحيحين:١٣١/٣.

من لا يعرفه هو، خصوصاً مع كونه متقدّماً عليه زماناً؟

نعم، لابدّ للباحث الموضوعي أن يحتمل أو يظنّ ذلك، فقد ينكشف ـ بعد البحث ـ ما كان خافياً عليه من قبل، وهذا ما وقع للذهبيّ نفسه، سبحان الله، ومع الرجل الذي كان لا يعرفه، حيث قال في ترجمة **(محمد بن أحمد بن عياض)** في الميزان:

روى عن أبيه أبي غسان أحمد بن عياض بن أبي طيبة المصري، عن يحيى بن حسّان، فذكر حديث الطير. وقال الحاكم: هذا على شرط البخاري ومسلم.

وأضاف (الذهبي): قلت: الكلّ ثقات إلّا هذا، فأنا أتّهمه، **ثم ظهر لي أنّه صدوق**. روى عنه الطبراني، و... (إلى أن قال): مات في سنة إحدى وتسعين ومائتين.

ثم قال: فأمّا أبوه فلا أعرفه.[1]

٢. قول الشيخ شهاب الدين فضل الله التوربشتي(كما نقله عنه شرف الدين الطيبي وغيره) في تعليقه على حديث الطير برواية الترمذي: نحن وإن كنّا بحمد الله لا نجهل فضل عليّ عليه السلام وقدمه وسوابقه في الإسلام، واختصاصه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقرابته القريبة ومؤاخاته في الدين... فلسنا نرى أن نضرب عن تقرير أمثال هذه الأحاديث في نصابها صفحاً، لما يُخشىٰ فيها من تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين... وهذا حديث يريش به المبتدع سهامه ويوصل به المبتدع جناحه، فيتّخذه ذريعة إلى الطعن في خلافة أبي

١ . ميزان الاعتدال:٤٦٥/٣، الترجمة ٧١٨٠.

بكر!! [لاحظ]، التي هي أوّل حكم أجمع عليه المسلمون في هذه الأُمّة...، فنقول وبالله التوفيق: هذا الحديث لا يقاوم ما أوجب تقديم أبي بكر والقول بخيريته من الأخبار الصحاح منضمّاً إليها إجماع الصحابة، لمكان سنده، فإنّ فيه لأهل النقل مقالاً، ولا يجوز حمل أمثاله على ما يخالف الإجماع، لا سيّما والصحابي[يعني أنساً] الذي يرويه ممّن دخل في هذا الإجماع...، فلو ثبت هذا الحديث، فالسبيل أن يؤوّل على وجه لا ينقض عليه ما اعتقده!! [لاحظ]، ولا يخالف ما هو أصحّ منه متناً وإسناداً، وهو أن يقال: يُحمَل قوله: «بأحبّ خلقك»، على أنّ المراد منه ائتني بمن هو من أحبّ خلقك إليك فيشاركه فيه غيره، وهم المفضّلون بإجماع الأُمّة... فيؤوّل هذا الحديث على الوجه الذي ذكرناه، أو على أنّه أراد به أحبّ خلقه إليه من بني عمّه وذويه، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطلق القول، وهو يريد تقييده، ويعمّ به ويريد تخصيصه... .(١)

٣. قول ابن كثير الدمشقي المتقدّم: وبالجملة، ففي القلب من صحّة هذا الحديث [يعني حديث الطير] نظر، وإن كثرت طرقه!!

نعم، المشكلة، إذاً، في القلب، وليست في سند الحديث أو في متنه، ولو تجرّد القلب للحقّ، وسَلم من الهوى، لزالت المشكلة، وأُودع الحديث في سائر كتب الصحيح، ولم يتنظّر فيه أحد.

٤. مبالغة ابن الجوزي في قدح بعض رجال أسانيد الحديث، وإصراره على اقتناص أي كلمة تجريح صدرت في حقّهم مع غض الطرف عن

---

١. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (المسمّى الكاشف عن حقائق السنن):١١/٢٧٠ـ٢٧١، دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ. وانظر: مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح:٩/٣٩٣٨؛ وتحفة الأحوذي للمباركفوري:٩/٢٣٤، دار الحديث بالقاهرة، ١٤٢١هـ.

كلمات التعديل الواردة فيهم، ومن ذلك:

ألف: ما رواه من طريق عبيد الله بن موسى العبسي، عن عيسى بن عمر القاري، عن إسماعيل بن عبد الرحمٰن السُّدّي، عن أنس .

قال ابن الجوزي: وهذا لا يصحّ، لأنّ إسماعيل السُّدّي قد ضعّفه عبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن معين.[١]

يقول هذا ابن الجوزي، مع أنّ السُّدّي(المتوفّى ١٢٧هـ) قد روىٰ عنه شعبة، وسفيان الثوري، وزائدة بن قدامة[٢]، ووثّقوه، وروىٰ له مسلم في «صحيحه» وروى له أصحاب السنن الأربعة، ووثّقه يحيى بن سعيد القطّان، وأحمد بن حنبل، والعجليّ، وابن حبّان، وقال ابن عديّ: وهو عندي مستقيم الحديث، صدوق لا بأس به.[٣]

ثمّ إنّه قد ورد عن عبد الرحمن بن مهدي ما ينافي تضعيفه للسدّي، حيث قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي، قال: قال يحيى بن معين يوماً عند عبد الرحمن بن مهدي، وذكر إبراهيم بن مهاجر، والسُّدّي، فقال يحيى: ضعيفان، فغضب عبد الرحمن وكَرِه ما قال.[٤]

وهكذا يتّضح (بعد أن تعرّفنا على كلمات أعلام محدّثي أهل السنّة، وكبار علمائهم في الجرح والتعديل، في حقّ إسماعيل السُّدّي) أنّ رجال

---

١. العلل المتناهية:٢٣٠/١، برقم ٣٦٣(الطريق الثالث).

٢. قال أحمد بن حنبل: المتثبّتون في الحديث أربعة: سفيان، وشعبة، وزهير، وزائدة. سير أعلام النبلاء: ٧ / ٣٧٦، برقم ١٣٩.

٣. انظر: الجامع الصحيح (سنن الترمذي):٦٣٧/٥، برقم ٣٧٢١؛ وتهذيب الكمال:١٣٢/٣، الترجمة٤٦٢(إسماعيل بن عبد الرحمٰن السّدّي)؛ وميزان الاعتدال:٢٣٦/١، برقم ٩٠٧.

٤. تهذيب الكمال:١٣٥/٣.

إسناد حديث الطير (بهذا الطريق) ثقات.

ب : و ما رواه من طريق الحسن بن حمّاد الضبّي، عن مسهر بن عبد الملك، عن عيسى بن عمر القاري، عن إسماعيل بن عبد الرحمٰن السُّدّي، عن أنس. ثم ضعّفه بالسُّدّي، وبمُسهر، لقول البخاري: وفي مُسهر بعض النظر.[1]

أقول: أمّا السُّدّي، فقد تبيّن أنّ جُلّ علمائهم قد وثّقوه، وفيهم من أدركه وروىٰ عنه، وهم أعرف به من المتأخّرين كيحيى بن مَعين (المتوفّى ٢٣٣هـ) وغيره.

وأمّا مُسهر، فقد وثّقه تلميذه الحسن بن حمّاد الضبّي(الثقة)[2]، وأبو يعلى الموصلي، وذكره ابن حبّان في كتاب «الثقات» وقال: يخطئ ويهم، وقال النسائي: ليس بالقويّ.[3]

وقد روىٰ هذا الحديث النسائي[4] عن زكريا بن يحيى، عن الحسن بن حمّاد، ورواه أبو يعلى الموصلي[5] (المتوفّى ٣٠٧هـ) عن الحسن بن حمّاد، كلاهما بالإسناد المتقدّم.

ثمّ إنّ ابن الجوزي روى حديث الطير من طريق (أحمد بن سعيد بن فرقد الجُدّي، عن أبي حُمّة محمد بن يوسف اليمامي، عن أبي قُرّة موسى

١ . العلل المتناهية:٢٢٩/١، برقم ٣٦٢(الطريق الثاني).
٢ . انظر ترجمته في: تهذيب الكمال:١٣٣/٦، الترجمة ١٢٢٠.
٣ . تهذيب الكمال:٥٧٧/٢٧، الترجمة ٥٩٦٣؛ وميزان الاعتدال:١١٣/٤، برقم ٨٥٣٤.
٤ . خصائص أمير المؤمنين:٣٤، برقم ١٢.
٥ . مسند أبي يعلى الموصلي:١٣٠/٤، برقم ٤٠٣٩(مسند أنس بن مالك).

بن طارق، عن موسى بن عقبة، عن أبي النضر سالم مولى عمر بن عبيد الله، عن أنس بن مالك)[١]، ولم يتكلّم حول رجاله، ولم يجرح أحداً منهم، فالحديث، إذاً، غير معلول عنده، ولكنّ بعض المتأخّرين عصراً عن ابن الجوزي، أبىٰ إلّا أن يقدح في أحد رجاله، من دون الاستناد إلى دليل، فقد قال الذهبي، وهو يذكر (أحمد بن سعيد بن فرقد الجُدّي) في ميزانه:

روى عن أبي حُمّة، وعنه الطَّبراني، فذكر حديث الطّير بإسناد الصحيحين، فهو المتّهم بوضعه.[٢]

وعقّب ابن حجر العسقلاني على كلام الذهبي بقوله: أخرجه الحاكم عن محمد بن صالح الأندلسي، عن أحمد هذا، عن أبي حُمّة... **وأحمد بن سعيد معروف من شيوخ الطبراني**، وأظنه دخل عليه إسناد في إسناد!![٣]

قال السيد محسن الأمين العاملي: ولو كان معروفاً من شيوخ الطبري، فالذهبيّ لا يمكن أن يصدّقه وكيف يصدّقه، وهو يروي أنّ علياً أحبّ الخلق إلى الله وإلى رسولهﷺ؟! إنّ هذا ما لا يكون.[٤]

وأمّا ظنّ العسقلاني أنّه دخل عليه إسناد في إسناد، فهو ظنٌّ لا يغني من الحقّ شيئاً، وتضليل ليس لأحد إلىٰ قبوله من سبيل.[٥]

---

١. العلل المتناهية:١/٢٣٣، برقم ٣٧١(الطريق العاشر).

٢. ميزان الاعتدال:١/١٠٠، برقم ٣٩٠.

٣. لسان الميزان:١/١٧٧، برقم ٥٦٦.

٤. أعيان الشيعة:٢/٥٩٨.

٥. نفحات الأزهار للسيد علي الميلاني: ١٣/١٨٩.

ونستخلص ممّا تقدّم أنّ حديث الطير، حديث مشهور عند السنّة، صحيح عند الحاكم النيسابوري وغيره.

وقد رواه جمع من حفّاظهم ومحدّثيهم، وبطرق كثيرة، بعضها على شرط السُّنن[1]، وبعضها بأسانيد رجالها كلّهم ثقات، أو كلّهم ثقات غير رجل واحد اختلفت كلمة رجالييهم فيه بين التوثيق والتضعيف، وقد أثبتنا دَور النزعة المذهبية الحاسم في محاولات تضعيف الحديث، ومن هنا اتّسمت تلك المحاولات بالتعنّت والتعسّف، والإسراف في تجريح الرواة، وإطلاق الاتّهامات الجاهزة.

ومع كلّ ذلك لم نجد من أهل العلم بحقائق النقل مَن رمى الحديث بالوضع، وإنّما هم بين مصحّح، ومحسِّنٍ، ومضعِّفٍ، وساكتٍ[2] عن بعض طرقه، ولكنّ ابن تيمية لم يُبالِ ما يقول، ولم يخش الله فيما يكتب ويسطِّر، فادّعى أنّ الحديث من الموضوعات، وكأنّه لم يقرأ قوله سبحانه: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾.[3]

---

١. قال الذهبي، وقد ذكر حديث الطير: له طرق كثيرة عن أنس، متكلَّم فيها، وبعضها على شرط السنن، من أجودها حديث قطن بن نُسَير شيخ مسلم، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا عبد الله بن المثنى، عن عبد الله بن أنس بن مالك، عن أنس، قال: أُهدي إلى رسول الله ﷺ حَجَل مشويّ، فقال: اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي، وذكر الحديث. تاريخ الإسلام(عصر الخلفاء الراشدين):٦٣٣/٣.

٢. مثل البوصيري، حيث عزا حديث الطير، برواية سفينة، للبزّار، وسكت عنها، انظر: المطالب العالية لابن حجر:٦٣/٤، برقم ٣٩٦٤(هامش١)، تحقيق الأُستاذ المحدّث حبيب الرحمن الأعظمي.

٣. القمر:٥٣.

المعاند لا تقنعه حُجّة

قال الشيخ زين الدين المُناوي القاهري(المتوفّى ١٠٣١هـ)، وهو يردّ على ابن تيمية في حديث الطير:

وهذه الأخبار وإنْ فُرض ضعفها جميعاً، لكن لا يُنكِر تقوّي الحديث الضعيف بكثرة طرقه، وتعدّد مخرّجيه إلّا جاهل بالصناعة الحديثية، أو معاند متعصّب، والظنّ به [يعني ابن تيمية] أنّه من القبيل الثاني.(١)

ونودّ في الختام أن نذكر لطلّاب الحقّ سنداً آخر لحديث الطير، أورده ابن كثير الدمشقي في كتابه «البداية والنهاية»، وأقرّ بأنّه أجود من إسناد الحاكم، فرجاله كلّهم ثقات، وليس لأحد فيهم مقال، فإليك سند الحديث، مع كلمات نقّاد الحديث حول رجاله:

قال ابن كثير، وهو يسرد عدداً من طرق الحديث: ورواه ابن أبي حاتم، عن عمار بن خالد الواسطي، عن إسحاق الأزرق، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن أنس، فذكر الحديث.(٢)

هذا هو إسناد الحديث، وأمّا كلمات النقّاد، فهي كما يلي:

ـ ابن أبي حاتم، وهو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي الرازي (المتوفّى ٣٢٧هـ) .

قال أبو يعلى الخليلي: كان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال.

وقال الإمام أبو الوليد الباجي: ثقة حافظ.(٣)

---

١ . فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٣ / ٢٢١، ولاحظ : نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار:١٤/١٣ .

٢ . البداية والنهاية:٣٦٣/٧.

٣ . سير أعلام النبلاء:٢٦٣/١٣، الترجمة ١٢٩.

ـ عمّار بن خالد الواسطي.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: كان ثقة، صدوقاً.

وذكره ابن حبّان في «الثقات».

وقال ابن حجر: ثقة.[١]

ـ إسحاق بن يوسف الأزرق (المتوفّى ١٩٥هـ).

وثّقه يحيى بن معين، والعجلي، وهو من رجال الصحيحين، وروى له أصحاب السنن الأربع.[٢]

ـ عبد الملك بن أبي سليمان مَيْسرة العرزمي (المتوفّى ١٤٥هـ).

وثّقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، والعجلي، والنَّسائي، وغيرهم.

وعن سفيان الثوري أنّه كان يقول له الميزان.

روى له مسلم، وأصحاب السنن الأربع، واستشهد به البخاري في «الصحيح»، وروى له في الأدب.[٣]

ومن أراد التعرّف على المزيد من طرق الحديث، فليرجع إلى موسوعة «عبقات الأنوار» للسيد حامد حسين الموسوي الكنتوري اللكهنوي (المتوفّى ١٣٠٦هـ)، وقد لخّص السيد علي الميلاني (حفظه الله) هذه الموسوعة باسم «نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار»، فوقعت أبحاثه في حديث الطير، فقط، في جزأين مستقلّين، هما الثالث عشر، والرابع عشر، فراجعهما إن أحببت.

---

١. تهذيب الكمال: ١٨٧/٢١، الترجمة ٤١٥٨.

٢. تهذيب الكمال: ٤٩٦/٢، الترجمة ٣٩٥.

٣. تهذيب الكمال: ٣٢٢/١٨، الترجمة ٣٥٣٢.

٥

اتّهامه علياً بأنّه قاتَلَ للرئاسة لا للديانة

إنّ مَن سبر كتاب «منهاج السنّة» يقف على مواضع كثيرة تكشف عن بغض مؤلّفه لعلي وأولاده، وأنّه كان يستر ذلك ببعض المدائح أحياناً، ولكنّه سرعان ما ينقضها ويتركها، وقد وقف على ذلك ابن حجر العسقلاني في ترجمته لابن تيمية في كتابه «الدرر الكامنة»، فقال:

ومنهم مَن ينسبه إلى النفاق لقوله في عليّ ما تقدّم.

ولقوله: إنّه كان مخذولاً حيثما توجّه.

وإنّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها.

وإنّما قاتل للرياسة لا للديانة.

ولقوله: إنّه كان يحب الرياسة وأنّ عثمان كان يحب المال.

ولقوله: أبو بكر أسلم شيخاً يدري ما يقول، وعليٌّ أسلم صبيّاً والصبي لا يصحّ إسلامه على قول.

ولكلامه في قصة خطبة أبي جهل ومات وما نسيها.

فألزموه بالنفاق لقولهﷺ: «ولا يبغضك إلّا منافق».[١]

وهذه الجمل تفصح عن حقده، وعمّا ينطوي قلبه من ضغينة على أبي الحسنعليه السلام، وهذا الذي ذكره عنه ابن حجر قليل من كثير، فإنّ مَن تفحّص كتاب «منهاج السنّة» يقف على العشرات من أمثال هذه الجمل.

وقد تتبع الدكتور محمود السيد صبيح كتب ابن تيمية وعلى رأسها «منهاج السنّة» وجمع أخطاءه في حق رسول اللهﷺ وأهل بيته بعد ما قرأ أربعين ألف صفحة من كتبه يقول: وقد تتبعت كثيراً من أقوال مبتدعة هذا العصر فوجدت استدلالهم بابن تيمية، فتتبعت بحول الله وقوته كلام ابن تيمية فيما يقرب من أربعين ألف صفحة أو يزيد فوجدته قد أخطأ أخطاء شنيعة في حق رسول اللهﷺ وأهل بيته وصحابته. وأنت خبير أنّ جناب رسول اللهﷺ وأهل بيته أهم عندنا أجمعين من جناب ابن تيمية، لذا غيرة على رسول اللهﷺ وعلى جنابه الرفيع جمعت جملة أخطاء لابن تيمية وقع فيها في حق رسول اللهﷺ وأهل بيته وصحابته.[٢]

وها نحن نقتبس من هذا الكتاب ما استخرجه مؤلفه في ذلك المضمار مع الرجوع إلى المصدر الذي أشار إليه حتى نكون على اطمئنان في النقل.

١. قال ابن تيمية: وفتاويه [يعني فتاوىٰ الإمام عليّ] من جنس فتاوى عمر وعثمان، ليس هو أولى بالصواب منهم، ولا في أقوالهم من الأقوال المرجوحة أكثر ممّا في قوله، ولا كان ثناء النبي ﷺ ورضاه عنه بأعظم من ثنائه عليهم ورضائه عنهم، بل لو قال القائل: إنّه لا يُعرف من النبيﷺ أنّه

---

١. الدرر الكامنة: ١ / ١٥٥، طبعة حيدر آباد.

٢. أخطاء ابن تيمية:٦(المقدمة)، طبعة القاهرة، ١٤٢٣ هـ.

عتب على عثمان في شيء وقد عتب على علي في غير موضع، لما أبعَدَ، فإنّه لمّا أراد أن يتزوج بنت أبي جهل اشتكته فاطمة لأبيها... .[١]

أقول: حاصل كلامه أنّه جعل علياً والخليفتين في كفة واحدة في العلم بالشريعة، وكفى في بطلان ذلك لجوء عمر إلى علي في مواضع كثيرة، وقد تواتر قوله: لولا علي لهلك عمر[٢]، وربما يلتجئ إلى عليﷺ ويقول: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب.[٣]

كيف يقول ذلك وكان عمر نفسه يقول: عليٌّ أقضانا؟[٤]

ومن تجرُّئه تقوّله على وليّ الله الأعظم من أنّ النبي عتب على عليّ في غير موضع. أمّا دعوى أنّه أراد أن يتزوج بنت أبي جهل، فقد تقدّم الكلام حولها، وأثبتنا أنّها قصة مختلقة، نسجها خصوم عليّﷺ للنيل من شخصيته ومنزلته من النبيﷺ، ولصرف الأنظار عمّن غضبت عليهم فاطمةﷺ وهجرتهم ولم تكلّمهم حتى توفّيتﷺ.

٢. قال ابن تيمية: كقولهﷺ: «لأعطينّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، وقوله: «إنّه لعهد النبي الأُمّي إليّ أنّه لا يحبني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق»، وقولهﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون

١ . منهاج السنّة: ٤ / ٢٤١ ـ ٢٤٢، وفي طبعة بولاق : ٢ / ١٦٨.

٢ . لاحظ: الاستيعاب: ١١٠٣/٣؛ الرياض النضرة:١٤٢/٣؛ مناقب الخوارزمي:١٨٠، برقم ٦٥؛ الأربعين للرازي:٤٦٦.

٣ . الرياض النضرة:١٤٥/٣؛ تذكرة الخواص:١٤٨، إلى غير ذلك من المصادر.

٤ . الاستيعاب: ٣ / ١١٠٢، ترجمة علي بن أبي طالب. رواه باسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عمر، ورجال الرواية ثقات. ورواه أيضاً بإسناده عن ابن عباس.

من موسى، إلّا أنّه لا نبي بعدي». فهذه الأُمور ليست من خصائص عليّ، لكنّها من فضائله ومناقبه التي تُعرف بها فضيلته، واشتهر رواية أهل السنّة لها، ليدفعوا بها قدح من قدح في عليّ، وجعلوه كافراً أو ظالماً، من الخوارج.(١)

أقول: لا يخفى أنّ الرجل بصدد إنكار خصائص علي عليه السلام بتبديلها إلى الفضائل ثم التهوين ممّا أوردوه منها بزعم أنّ الغاية منها هو ردّ عادية الخوارج الذين كفّروا علياً.

كيف لا يكون من خصائصه عليه السلام قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له في غزوة تبوك: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي» فإنّ الاستثناء دليل على أنّ كل ما للنبي من مناصب دينية فجميعها ثابت لعلي عليه السلام إلّا النبوة، فهل قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل هذا القول لأحد من الصحابة؟ وهل هناك مَن تحلّىٰ بهذه المنقبة غيره؟

وهل قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»، لغير عليّ؟

وعلى كلّ تقدير فهذه الكلمات الصادرة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لدليل واضح على علو مقامه وسموّ كعبه.

وللحافظ ابن حجر في «الإصابة» كلام حول خصائص علي عليه السلام يليق بالمحقق الرجوع إليها ومطالعتها حتى يقف على ما لعلي عليه السلام من الفضائل والمناقب ما ليس لغيره.(٢)

٣. وقال: ومن المعلوم أنّ الخلفاء الثلاثة اتّفقت (اتّفق) عليهم

---

١. منهاج السنّة: ٤ / ٣٧١، وفي طبعة بولاق: ٢ / ١٩٩.

٢. الإصابة: ٤/٥٦٤ـ٥٦٩.

المسلمون، وكان السيف في زمانهم مسلولاً على الكفّار، مكفوفاً عن أهل الإسلام، وأمّا عليّ فلم يتّفق المسلمون على مبايعته، بل وقعت الفتنة تلك المدّة، [وكان السيف في تلك المدّة] مكفوفاً عن الكفّار مسلولاً على أهل الإسلام.(١)

أقول: أوّلاً: إنّ السيف لم يكن مكفوفاً عن الكفّار في زمان علي عليه السلام بل كان مسلولاً عليهم في المشرق الإسلامي كما يذكره المؤرّخون، حيث حصلت الفتوحات في زمان خلافته.

ذكر ابن الأثير في الكامل: وفيها (يعني سنة تسع وثلاثين) توجّه الحارث بن مُرّة العبدي إلى بلاد السند غازياً متطوعاً بأمر أمير المؤمنين علي عليه السلام فغنم وأصاب غنائم وسبياً كبيراً، وقسم في يوم واحد ألف رأس، وبقي غازياً إلى أن قُتل بأرض القيقان هو ومن معه إلّا قليلاً سنة اثنتين وأربعين أيّام معاوية.(٢)

وثانياً: إنّ الاختلافات والصراعات التي وقعت أيّام خلافة علي عليه السلام قد كانت نتيجة طبيعية لسياسة الخلفاء، خصوصاً الثالث منهم، حيث حلّت العصبية والقبلية، والطبقية، محل العدالة والمساواة والموازين الإسلامية، وكان الإمام علي عليه السلام يريد إرجاع هذه الأُمّة عن تلك القبلية والعصبيّة وهاوية الانحراف وحب الدنيا، إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأيامه، فتمرّد عليه أصحاب الدنيا وعشّاق السلطة، وجيّشوا الجيوش بالأموال التي اغتصبوها من بيت مال المسلمين لمحاربة الإمام عليه السلام، فحاربهم عليه السلام امتثالاً لصريح القرآن، وأوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

١. منهاج السنّة: ١٦١/٤، وفي طبعة بولاق: ٢ / ١٤٨.

٢. الكامل في التاريخ: ٣٨١/٣.

روى أبو أيوب الأنصاري قال: أمر رسول الله ﷺ عليّاً ﵇ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.(١)

وروى أبو سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع مَن؟ قال: «مع علي بن أبي طالب».(٢)

فعلىٰ هذا فقد قام عليّ بما أمر به رسول الله، ولكنّ ابن تيمية لا يعبأ بكلام رسول الله إذا ما تعلّق بعليّ﵇، ولا بنبوءاته ﷺ التي تأتي في إطار حرصه على أُمّته، ورغبته في أن تمضي في السير على طريق الهداية، وأن تتنكّب عن طريق الضلال، فيدلّها على معالم الطريق، ويرشدها إليه بإشارات واضحة، ومن ذلك قوله ﷺ لأصحابه: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، قال أبو سعيد الخدري: فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل ـ يعني علياً [وكان﵇ يخصف نعل رسول الله ﷺ] ـ فأتيناه، فبشّرناه فلم يرفع به رأسه، كأنّه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ.(٣)

---

١ . المستدرك:٣/١٣٩.

٢ . انظر تاريخ ابن كثير:٧/٣٠٥. إلى غير ذلك من مصادر الحديث التي تناهز حدّ التضافر.

٣ . المستدرك على الصحيحين: ٣ / ١٢٢ ـ ١٢٣، وصحّحه علىٰ شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي. يذكر أنّ الحاكم رواه من طريقين: أحدهما: من طريق عبد السلام بن حرب، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، عن أبي سعيد. والثاني: من طريق عبيد الله بن موسى، عن فطر بن خليفة، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، عن أبي سعيد. ورجال كلا الطريقين، ثقات.

إذن، فالقتال على تأويل القرآن، كان من مواطن البشرىٰ، ولذا استشرف لها أبو بكر وعمر، ولكن تلك النبوءة لم تتحقّق إلّا على يد حليف القرآن، وتلك البُشرى لم تُزَفّ للقرآن، وللرسالة وصاحبها، وللأُمّة جمعاء، إلّا من بطل الإسلام، الذي كان في طليعة مَن قاتل مع رسول الله ﷺ على تنزيل القرآن.

ونسأل: ألا يُعتبَر ابن تيمية، بذلك الكلام الذي يعيب به مَن حَمل راية الدفاع عن القرآن، وصانه من تحريف المتأوِّلين المبطلين، ألا يُعتبر بذلك طاعناً على رسول الله نفسه، ومنغِّصاً عليه فرحه وسروره ببقاء القرآن، الذي جاد بكلّ شيء في سبيل تحكيمه في الحياة، مصوناً من التحريف بعد رحيله ﷺ؟

ثمّ إنّ السيف في زمان الخلفاء الثلاثة لم يكن مكفوفاً عن أهل الإسلام، فعلى الرغم من أنّ التاريخ الذي كتبوه بأيديهم قد أسرف كثيراً في ذكر أخبار المرتدّين الذين حاربهم أبو بكر، فإنّك تجد في ثنايا صفحاته أنّ ثمّة جماعة من المسلمين، لم ترتدّ، وأُخرى امتنعت عن أداء الزكاة لسبب من الأسباب، ليس من بينها إنكار فريضة الزكاة، وممّا يدلّك على ذلك قول الخفشيش، الذي يستنكر فيه تولّي أبي بكر للأمر:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكر
أيملكنا بكر، إذا مات، بعده ... فذاك وبيت الله قاصمةُ الظَّهرِ[1]

ويدلّ على ذلك أيضاً قصة مالك بن نويرة وقومه، الذين قتلهم خالد بن

---

١ . تاريخ المدينة المنورة لابن شبّة: ٥٤٧ ـ ٥٤٨؛ وانظر: تاريخ الطبري:٢/٤٧٧.

الوليد، وهم ممّن شهد لهم أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري بالإسلام، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها،وكان يحدّث أنّهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل، فأخذ القوم السلاح، قال: فقلنا: إنّا المسلمون، فقالوا: نحن المسلمون، قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، قال: ثمّ صلّينا وصلّوا، وكان خالد يعتذر في قتله أنّه قال وهو يراجعه: ما أخال صاحبكم إلّا وقد كان يقول كذا وكذا، قال: أوَما تعدّه لك صاحباً؟ ثمّ قدّمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه!!! فلمّا بلغ قتلهم عمر بن الخطاب، تكلّم فيه عند أبي بكر فأكثر، وقال: عدوّ الله[يعني خالداً] عدا على امرئ مسلم فقتله، ثم نزا على امرأته... .[1]

فكيف يدّعي ابن تيمية، بعد هذا وغيره أنّ السيف كان مسلولاً فقط على الكفّار؟

ثمّ إنّ عليّاً ما خاض غمار الحروب إلّا بعد إتمام الحجّة، وإبلاغ القوم بما يجب عليهم، وبعد تكبّرهم ورفضهم ما كان له بد إلّا محاربة المفسدين وتجار الأموال، ومستغلّي المناصب غير المستحقين لها.

ولذا فالاختلاف والصراعات لم تكن معلولة لحكومة عليعليه السلام، بل كانت أثراً طبيعياً للتربية غير السليمة لمن سبقه ممّن رفضوا حكومة العدل الإلهي وسعوا وراء ملذّاتهم الدنيوية، والتي وقف عليعليه السلام حائلاً بينهم وبينها، مما دعاهم للتآمر عليه ومحاربته.

---

١. تاريخ الطبري :٢/٥٠٣ـ٥٠٤.

٦

إنكار ابن تيمية عرفان المنافقين ببغض عليعليه السلام

تضافرت الروايات على أنّ قسماً من الصحابة كانوا يعرفون المنافقين ببغضهم علي بن أبي طالبعليه السلام وهذا من فضائله التي لا تنكر، ولكن ابن تيمية حاول أن ينكره، حيث قال:

«ومن قدّر أنّه سمع عن بعض الأنصار أمراً يوجب بغضه فأبغضه، لذلك كان ضالاً مخطئاً ولم يكن منافقاً لذلك، وكذلك من اعتقد في بعض الصحابة اعتقاداً غير مطابق فظنّ فيه أنّه كان كافراً أو فاسقاً فأبغضه لذلك، كان جاهلاً ظالماً ولم يكن منافقاً. وهذا ممّا يبيّن به كذب ما يُروى عن بعض الصحابة كجابر أنّه قال:«**ما كنّا نعرف المنافقين على عهد النبيصلى الله عليه وآله وسلم إلّا ببغضهم عليّ بن أبي طالب**» فإنّ هذا النفي من أظهر الأُمور كذباً، لا يخفى بطلان هذا النفي على آحاد الناس فضلاً عن أن يخفى مثل ذلك على جابر أو نحوه. ثم ذكر علامات المنافقين الواردة في سورة التوبة، وقال:ليس في شيء منها بغض عليّ.[1]

لقد بذل ابن تيمية كلّ ما في وسعه، لردّ هذه المنقبة التي اختصّ بها عليّ

---

١. منهاج السنّة: ١٤٩/٧، وفي طبعة بولاق: ٤ / ٣٩.

وحده من دون الصحابة أجمعين، واستثار كلّ أضغانه الأموية للحطّ من قدر الإمام عليه السلام، ولجأ، لهذا الغرض، إلى مختلف الأساليب المموِّهة والمضلِّلة، الأمر الذي أوقعه في تناقضات واضحة، أعماه الحقد عن رؤيتها.

والحقّ أنّ كلام جابر من أنّهم كانوا يعرفون المنافقين ببغض عليّ، هو تجسيد حيّ لما صحّ من قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ: «إنّه لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق».(١)

فلمَ، إذاً، كلّ هذا التعسّف في ردّ كلامه، بل في ردّ الحديث الشريف؟

ومن الغريب قول ابن تيمية: إنّ القرآن الكريم ذكر علامات المنافقين، وليس في شيء منها بغض عليّ، ثم هو ينقل عن الصحيحين من أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».(٢) وهذه العلامات، كماترى، لم تُذكر في القرآن الكريم.

وينقل، أيضاً، عن الصحيحين من أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار».(٣) وهذه العلامة، أيضاً، لم تُذكر في القرآن الكريم. والسبب واضح، وهو أنّ تلك الآيات لم تكن بصدد الحصر... وابن تيمية يعلم ذلك، ولكن بغض عليّ عليه السلام، هو الذي حمله على هذا الجدل المقيت.

---

١. مسند أحمد: ١/٩٥، و١٣٨، وانظر: سنن الترمذي: ٥/٣٤٣، وصحيح مسلم: ١/٨٦ وفيه عن عليّ عليه السلام: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبيّ الأُمّيّ أنّه لا يحبني إلّا مؤمن، ولا يبغضني إلّا منافق».

٢. منهاج السنّة: ٧/١٤٨، وفي طبعة بولاق: ٤/٤١.

٣. منهاج السنّة: ٧ / ١٤٧، وفي طبعة بولاق: ٤ / ٤٠.

ثمّ إنّ ابن تيمية قد فسّر كلام جابر، بما يراه، ثم ذهب إلى بيان امتناعه!! قال: والمقصود هنا أنّه يمتنع أن يقال: لا علامة للنفاق إلّا بغض عليّ، ولا يقول هذا أحد من الصحابة.[1]

ونسأل ابن تيمية: من قال لك أنّ ما فسّرتَ به كلام جابر، هو المعنى المقصود منه؟!

ولمّا ضاقت به السبل، عاد فقال: لكنّ الذي قد يقال: إنّ بغضه من علامات النفاق، كما في الحديث المرفوع:«لا يبغضني إلّا منافق» فهذا يمكن توجيهه، فإنّه مَنْ عَلِمَ ما قام به عليّ عليه السلام من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله، ثم أبغضه على ذلك، فهو منافق.[2]

فلمَ إذاً، كلّ هذا الجدل واللجاج، والإطناب المملّ، والذهاب في كلّ اتجاه، من أجل ردّ كلام جابر؟؟!

ولست أدري، كيف يرى ابن تيمية أنّ نفاق من يبغض الأنصار أظهر[3] من نفاق من يبغض عليّاً، مع أنّ هذه المزية ثابتة لعليّ وحده، في حين أنّها ثابتة (مع القول بصحة الحديث) للأنصار بمجموعهم، ففرق كبير بين أن يبغض شخص عليّاً فيوصم بالنفاق، وبين أن يبغض طائفة واسعة هم الأنصار، وهذا يعني أنّ من يبغض بعض الأنصار ـ لأمرٍ ما ـ لا يُعدّ منافقاً، في حين أن من يبغض عليّاً وحده يُعدّ منافقاً، فأيّ النفاقين أظهر؟

---

١. منهاج السنّة: ١٥٢/٧، وفي طبعة بولاق: ٤ / ٤٢.

٢. منهاج السنّة: ١٥٢/٧، وفي طبعة بولاق: ٤ / ٤٢. الظاهر من عبارته(فإنّه من علم ما قام به علي من الايمان... ثم أبغضه على ذلك، فهو منافق) أنّه يرى أنّ من أبغضه على غير ذلك، كأن يكون على قتاله عليه السلام سيّده معاوية، الخصم الألدّ لعليّ، فهو ليس بمنافق.

٣. منهاج السنة:١٥٢/٧، وفي طبعة بولاق: ٤ / ٤٢.

ومن أعجب العجائب قول ابن تيمية: (أنّ النفاق في بغض عمر أظهر منه في بغض علي).[1]

فليأتنا بحديث نبويّ يثبت هذا؟ وإلّا فإنّ إطلاق الكلام جُزافاً وبلا دليل لا يعجز عنه الجاهلون. اللهم إلّا أن يدّعي ابن تيمية أنّه أعلم بعمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ قوله هو الحقّ، ولا يمكن أن يرقىٰ إليه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم!!! وعندئذٍ فلا كلام لنا معه، لأنّه لا يُستبعد من مثله أن يشتطّ فيقول ـ وقد دافع عن يزيد ـ أنّ النفاق في بغض يزيد أظهر منه في بغض عليّ.

وختاماً إنّ القائل بعرفان المنافقين ببغض عليّ ليس هو جابر بن عبد الله وحده بل شاركه فيه غيره، وقد أخرج شيخنا المحقّق الأميني في غديره مَنْ ذَكرَ هذا الموضوع من رواة الحديث، ومنهم:

١. أبو ذر الغفاري فإنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلّا بثلاث: بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلّف عن الصلاة، وبغضهم عليّ بن أبي طالب.

٢. أبو سعيد الخدري، قال: كنّا نعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم عليّاً.

٣. أبو سعيد محمد بن الهيثم، قال: إن كنّا لنعرف المنافقين نحن معاشر الأنصار إلّا ببغضهم عليّ بن أبي طالب.

٤. أبو الدرداء. قال: إن كنّا نعرف المنافقين معشر الأنصار إلّا ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام.[2]

---

١ ـ منهاج السنّة: ١٥٣/٧، وفي طبعة بولاق: ٤ / ٤٢.

٢ ـ للوقوف على مصادر هذه الصور، راجع: الغدير في الكتاب والسنة: ٣ / ١٨٢ـ ١٨٤.

٧

لم يكن لسيف عليّ عليه السلام في الوقائع تأثير

أنكر ابن تيمية دور الإمام علي عليه السلام في الحروب والغزوات التي خاضها المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: سيفه جزء من أجزاء كثيرة ـ إلى أن قال: ـ وكثير من الوقائع التي ثبت بها الإسلام لم يكن لسيفه فيها تأثير، كيوم بدر كان سيفاً من سيوف كثيرة.[1]

أقول: نحن نعرض قول ابن تيمية هذا على ما ورد في «السيرة النبوية» لابن هشام حوَل مَنْ قُتل في معركة بدر من المشركين على يد علي بن أبي طالب:

١. العاص بن سعيد بن العاص بن أُميّة.

٢. الوليد بن عتبة بن ربيعة.

٣. عامر بن عبد الله.

---

١ . منهاج السنّة: ٨٩/٨ ـ ٩٠، وفي طبعة بولاق: ٤ / ١٦٧.

٤. طعيمة بن عدي بن نوفل[١].

٥. نوفل بن خويلد بن أسد.

٦. النضر بن الحارث بن كلدة.

٧. عمير بن عثمان بن عمرو[٢].

٨. حرملة بن عمرو. قتله خارجة بن زيد، ويقال: بل علي بن أبي طالب.

٩. أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة[٣].

١٠. حاجز بن السائب.

١١. معاوية بن عامر.

١٢. أوس بن مِغْير[٤].

١٣. مسعود بن أبي أُمية بن المغيرة.

١٤. عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة.

١٥. العاص بن منبّه بن الحجّاج.

١٦. أبو العاص بن قيس بن عديّ[٥].

١٧. عقبة بن أبي مُعيط. قتله عاصم بن ثابت، ويقال: علي بن أبي طالب.

وممّن اشترك عليه السلام في قتله:

---

١. ويقال: قتله حمزة بن عبد المطلب.

٢. ويقال: قتله عبد الرحمن بن عوف.

٣. ويقال: قتله عمّار بن ياسر.

٤. ويقال: قتله الحصين بن الحارث، وعثمان بن مظعون.

٥. ويقال: قتله النعمان بن مالك، ويقال: أبو دجانة.

١. حنظلة بن أبي سفيان. يقال: اشترك فيه هو وحمزة وزيد بن حارثة.

٢. عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. اشترك فيه هو وعبيدة بن الحارث وحمزة.

٣. زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد. يقال: اشترك فيه هو وحمزة وثابت.

٤. عقيل بن الأسود بن المطلب.اشترك فيه هو وحمزة.[١]

وها هو الإمام علي عليه السلام يخاطب معاوية في كتاب له إليه: «وعندي السيف الذي أعضضته بجدّك وخالك وأخيك في مقام واحد».وخاطبه في كتاب آخر: «فأنا أبو حسن قاتل جدّك وأخيك وخالك شدخاً يوم بدر».[٢]

وروى مسلم في صحيحه باسناده عن قيس بن عُباد، قال: سمعت أبا ذرّ يقسم قسماً أنّ ﴿هذانِ خَصْمانِ اختَصَمُوا في رَبِّهِم﴾.[٣] أنّها نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة.[٤]

وأمّا آثار عليّ عليه السلام في غزوة أُحد، فهي آثار مشهورة سجّلها المؤرخون وأصحاب السير في صحائفهم، ومن ذلك ما رواه الطبري في تاريخه، قال:

---

١ . السيرة النبوية لابن هشام:٢/٣٦٥ـ٣٧٢، دار إحياء التراث العربي، وقال الشيخ المفيد: وقد أحصي عدد من قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام فكان ٣٥ رجلاً سوى من شرك في قتله .

٢ . نهج البلاغة، قسم الرسائل، برقم ٦٤، ١٠.

٣ . الحج:١٩.

٤ . لاحظ: صحيح مسلم:٨/٢٤٥، برقم ٣٠٣٣؛ تاريخ الطبري:٢/١٩٧ و ٢٦٩؛ كنز العمال:٥/٢٧٣؛ الطبقات الكبرى لابن سعد:٣/١٧، وغيرها.

حدّثنا أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا حبان بن علي، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه قال: لمّا قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من المشركين، فقال لعلي: إحمل عليهم، فحمل عليهم وفرق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجحمي، ثم أبصر جماعة أُخرى، فقال لعلي: إحمل عليهم، فحمل عليهم، وفرّق جمعهم، وقتل شيبة بن مالك، فقال جبريل: يا رسول الله إنّ هذه للمواساة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّه مني وأنا منه»، فقال جبريل: وأنا منكما، قال: فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلّا ذو الفقار ... ولا فتىٰ إلّا علي[1]

وقال ابن أبي الحديد(بعد أن نقل عن الواقدي وابن حبيب والمدائني، أسماء المقتولين من المشركين بأُحد، وأسماء قاتليهم)، قال: فجميع من قُتل من المشركين يوم أُحد ثمانية وعشرون، قَتل عليّ عليه السلام منهم ما اتُّفق عليه، وما اختُلف فيه، اثني عشر، وهو إلى جملة القتلىٰ كعدّة من قَتل يوم بدر إلى جملة القتلى يومئذٍ، وهو قريب من النصف.[2]

وفي وقعة الأحزاب، ألم يسمع ابن تيمية بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما برز علي عليه السلام لعمرو بن عبد ود العامري: «برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه»...

قال الفخر الرازي: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لضربة عليٍّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين».[3]

---

١. تاريخ الطبري:١٩٧/٢و ٥١٤.

٢. شرح نهج البلاغة:٥٤/١٥.

٣. نهاية الفصول في دراية الأُصول:١١٤، ولاحظ: تاريخ دمشق:١٥٥/١(ترجمة علي عليه السلام)؛ فرائد السمطين:٢٥٥/١، برقم ١٩٧؛ الدر المنثور:١٩٢/٥.

وعن الحاكم: أنّ يحيى[١] بن آدم قال: ما شبهت قتل عليّ عمراً إلّا بقول الله عزّ وجل: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾[٢].[٣]

وهل أنّ ابن تيمية لم يقرأ التاريخ ولم يسمع بغزوة خيبر ولم يبلغه ما ورد في مسند أحمد من عدّة طرق، وصحيحي مسلم، والبخاري من طرق متعدّدة، وفي الجمع بين الصحاح الستة أيضاً عن عبد الله بن بريد، قال: سمعت أبي يقول: حاصرنا خيبر، وأخذ اللّواء أبو بكر، فانصرف، ولم يفتح له، ثمّ أخذه عمر من الغَد فرجع، ولم يفتح له، وأصاب النّاس يومئذٍ شدّة وجُهد، فقال رسول الله ﷺ: «لأُعطينّ هذه الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه».

فبات الناس يتداولون ليلتهم، أيّهم يُعطاها؟ فلمّا أصبح النّاس غدوا إلى رسول الله ﷺ كلّهم يرجو أن يُعطاها. فقال النبيّ: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقيل: يشتكي عينه... فأرسل إليه، فأتىٰ، فبصق رسول الله ﷺ في عينه، ودعا له فبَرأ، فأعطاه الراية، ومضى عليّ فلم يرجع، حتّى فتح الله على يديه».

قال عمر بن الخطّاب ما أحببتُ الإمارة إلّا يومئذٍ، قال: فتطاولتُ ـ فتساورت لها ـ رجاء أن أُدعى لها: قال: فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب فأعطاها إيّاه(فأعطاه إيّاها) وقال: امشِ ولا تلتفت حتّى يفتح الله عليك.

قال: فسار عليّ شيئاً ـ ماشياً ـ ثمّ وقف ولم يلتفت فصرخ عليّ: يا رسول

---

١. هو يحيى بن آدم بن سليمان القرشي، الأموي بالولاء، روايته في الصحيحين، وفي السُّنن. توفّي سنة (٢٠٣هـ).تهذيب الكمال:١٨٨/٣١، الترجمة ٦٧٦٨.

٢. البقرة:٢٥١.

٣. المستدرك على الصحيحين(كتاب المغازي):٢٤/٣؛ المناقب للخوارزمي:١٧١.

الله على ماذا أُقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتّى يشهدوا أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها، وحسابهم على الله، ففتح الله بيده».[1]

ولنُسمِعْ ابنَ تيمية وأتباعه ومقلّديه قولَ ابن هشام في السيرة في أحداث غزوة حنين: قال: قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: بينا ذلك الرجل من هوازن صاحبُ الراية على جمله يصنع ما يصنع، إذ هوىٰ له [يعني مال عليه] عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه، فضرب عُرقوبي الجمل، فوقع على عجزه، ووثب الأنصاري على الرجل، فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه، فانجعف عن رحله [يعني: سقط عنه صريعاً]، قال: واجتلد الناس، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى مكتّفين عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.[2]

وحامل راية المشركين ـ هذا ـ كان اسمه جرول، وكان يكرّ على المسلمين وينال منهم، وبقتله تمّ النصر للنبي والمؤمنين.

هذا جانب من آثار عليّ المشهودة فى أهم المعارك الّتي قامت عليها أعمدة الاسلام، ولكن ابن تيمية تعامى عن ذلك، وجحد أمراً هو أسطع من

---

١. لاحظ: صحيح البخاري: ٤ / ١٢ و ٢٠، باب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وص ٢٠٧، باب مناقب المهاجرين وفضلهم؛ وج ٥ / ٧٦، باب غزوة خيبر؛ صحيح مسلم: ٥ / ١٩٥، باب قوله تعالى: ﴿هُوَ الذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ الفتح: ٢٤ ؛ وج ٧ / ١٢٠ و ١٢٢، باب فضائل علي عليه السلام ؛ سنن الترمذي: ٥ / ٣٠٢ ؛ باب مناقب علي عليه السلام ؛ مسند أحمد: ٢ / ٣٨٤، وج ٥ / ٣٣٣ و ٣٥٨.

٢. السيرة النبوية لابن هشام:٣ و٤٤٥/٤.

نور الشمس في رائعة النهار، وشذّ شذوذاً عجيباً؛ بقوله: «وكثير من الوقائع التي ثبت بها الإسلام لم يكن لسيفه فيها تأثير».

وممّا يدلّك على شذوذ هذا القول (الّذي شاء الله تعالى أن ينطق به صاحبه ليشين به نفسه، ويفضح به سريرته)، هو قول الحافظ الكبير المؤرّخ ابن عبدالبرّ القرطبي المالكي (المتوفّى ٤٦٣هـ)، وهو يترجم لابن أبي طالب:

وأجمعوا على أنّه صلّى القبلتين، وهاجر، وشهد بدراً والحديبية، وسائر المشاهد وأنّه أبلى ببدر وبأُحد وبالخندق وبخيبر بلاء عظيماً، وأنّه أغنى في تلك المشاهد، وقام فيها المقام الكريم.[١]

(لقد كان عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ فارس الجماعة الإسلامية الأُولى، وإنّ حسابه فيها ليس حساب عشرة رجال، وإنّما حساب عشرات وعشرات.

والصحف التي سجّلت غزوات الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تشهد أنّ عليّ بن أبي طالب كان جيشاً عاملاً في كلّ ملتحم بين المسلمين والمشركين.

وهذه حقيقة تظاهرت على صدقها الأخبار المتواترة نثراً وشعراً، كما سجّلها القصص الشعبي الشائع على الألسنة، والمتلقّى من جيل إلى جيل.

والحقّ أنّ مكان عليّ بن أبي طالب في معارك الإسلام، ومكانته في الأبطال، أكبر من أن تخفى وراء دخان التعصّب والجدل، وأن تعمى عليها مقولات القائلين في مواقف الخصومة والملاحاة).[٢]

---

١. الاستيعاب:٣/١٠٩٦ـ١٠٩٧، الترجمة ١٨٥٥.

٢. علي بن أبي طالب، لعبد الكريم الخطيب المصري:١٣٠، ١٤٥.

وممّن سجّل بطولات عليّ في معارك الإسلام الخالدة، من الشعراء المتقدّمين، الشاعر المفلق أبو تمّام حبيب بن أوس الطائي (المتوفّى ٢٣١هـ) فقال من قصيدة له في مدحه عليه السلام:

أخوه إذا عُدّ الفخار، وصهره ... فلامثله أخ، ولا مثله صهرُ

وشُدّ به أزر النبي محمّد ... كما شُدّ من موسى بهارونه الأزْر

ومازال صبّاراً دياجير غمرةٍ ... يمزّقها عن وجهه الفتح والنصر

هو السيف سيف الله في كلّ مشهد ... وسيف الرسول، لا دَدان ولا دثْر[1]

فأيّ يد للذمّ لم يبْرِ زندها ... ووجه ضلال ليس فيه له أثْر

يسدّ به الثّغر المخوف من الردى ... ويعتاص[2] من أرض العدوّ به الثغر

بأُحد وبدرٍ حين ماج برجله ... وفرسانه أحد وماج بهم بدر

ويوم حنين والنضير وخيبر ... وبالخندق الثاوي بعقْوته[3] عمرو

سما للمنايا الحمر حتى تكشّفتْ ... وأسيافه حمرٌ وأرماحه حمر[4]

---

١ . الددان: السيف الكليل. والدَّثر: البطيء الخامل.

٢ . يعتاص: يقوى ويشتدّ.

٣ . العَقوة: الساحة.

٤ . ديوان أبي تمّام:١٤٤، طبعة دار صعب، بيروت.

٨

ادّعاء تخلّف أكثر الأُمّة عن بيعة علي عليه السلام

تضافرت الروايات والأخبار على أنّ الصحابة والتابعين قد بايعوا علـيّاً بيعة واقعية ولم يتخلّف عنه إلّا بضعة أفراد.

وإليك نتفاً ممّا ذكره المؤرخون، قال ابن واضح الأخباري: وبايع الناس إلّا ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة... إلى أن قال: وقام قوم من الأنصار فتكلّموا وكان أوّل من تكلّم ثابت بن قيس بن شمّاس الأنصاري وكان خطيب الأنصار، فقال: والله يا أمير المؤمنين لئن كانوا تقدموك في الولاية [يريد الخلفاء الثلاثة] فما تقدّموك في الدين، ولئن كانوا سبقوك أمس فقد لحقتهم اليوم، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك، ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك.

ثم قام خزيمة بن ثابت الأنصاري، وهو ذوالشهادتين، فقال: يا أميرالمؤمنين ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك، ولا كان المنقلب إلّا إليك، ولئن

صدقنا أنفسنا فيك، فلأنت أقدم الناس إيماناً، وأعلم الناس بالله، وأولى المؤمنين برسول الله، لك ما لهم، وليس لهم ما لك.

وقام صعصعة بن صوحان فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زيّنتَ الخلافة وما زانتْك، ورفعتَها و ما رفعتك، ولهي إليك أحوج منك إليها.

ثم قام مالك بن الحارث الأشتر فقال: أيّها الناس هذا وصي الأوصياء،... إلى أن قال: من كملت فيه الفضائل، ولم يشكّ في سابقته وعلمه وفضله الأواخر، ولا الأوائل.

ثم قام عقبة بن عمرو فقال: من له يوم كيوم العقبة وبيعة كبيعة الرضوان، والإمام الأهدى الذي لا يُخاف جوره، والعالم الذي لا يُخاف جهله. [١]

وممّا قاله عليﷺ في وصف بيعته بالخلافة: وبسطتم يدي فككفتُها، ومددتُموها فقبضتها، ثم تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم وردها، حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسَرت إليها الكعاب. [٢]

وروى أحمد بن حنبل باسناده عن محمد بن الحنفية قال: كنت مع علي، وعثمان محصور، قال: فأتاه رجل فقال: إنّ أمير المؤمنين مقتول،... إلى أن قال: فأتىٰ عليٌّ الدار، وقد قُتل الرجل فأتىٰ داره فدخلها وأغلق عليه بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إنّ هذا الرجل قد قُتل، ولابدّ للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فقال لهم علي: لا

١ . تاريخ اليعقوبي: ١٧٩/٢.
٢ . نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٢٩.

تريدوني [وفي رواية الطبري: لا تفعلوا] فإنّي لكم وزير خير مني لكم أمير.

فقالوا: لا والله ما نعلم أحداً أحقّ بها منك. قال: فإن أبيتم عليّ فإنّ بيعتي لا تكون سرّاً ولكن أخرج إلى المسجد، فمن شاء أن يبايعني بايعني. قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس.(١)

والرواية تدلّ على أُمور:

١. زهد علي في الخلافة، وعدم طلبه لها أو طمعه فيها، واعتزاله في بيته حتى جاء الصحابة يطلبونه للبيعة.

٢. أنّ الصحابة من المهاجرين والأنصار والناس عامّة هم الذين قصدوا عليّاً وطلبوا منه أن يوافق على البيعة وألحّوا عليه حتى قبلها.

٣. أنّ عليّاً كان أحقّ الناس بالخلافة يومئذٍ في نظر الصحابة، ويدلّ على ذلك إلحاحهم عليه، ليقبل البيعة وتصريحهم بأنّهم لا يعلمون أحقّ منه بالخلافة يومئذٍ.

٤. اتّفاق الناس على عليّ وإجماعهم على بيعته وفيهم المهاجرون والأنصار، ولم يتوقّف عن بيعته إلّا أهل الشام، وهذا لا يضر بعد إجماع أهل المدينة.(٢)

وما ذكره المؤلّفان إنّما هو على غرار كون الخلافة أمراً انتخابياً، وهذا هو الذي لم يرغب فيه الإمام عليه السلام، ولذلك قال: «فإنّي لكم وزير خير منّي لكم

---

١ . فضائل الصحابة:٢/٥٧٣؛ تاريخ الطبري:٤/٤٢٧.

٢ . بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة تأليف: أُمّ مالك الخالدي وحسن فرحان المالكي:١٠٤ـ١٠٥، مركز الدراسات التاريخية في الأردن، الطبعة الثالثة.

أمير»، وأمّا على المبنى الصحيح وهو أنّ الخلافة أمر تنصيصي من الله سبحانه، فليس للإمام رفضها أو ردّها، ولكن حيثما أعرضت الأُمّة عن ذلك لم يرغب الإمام فيها على ضوء اقتراحهم.

ومع هذه الشواهد، وأقواها، حسب مباني القوم، رواية أحمد بن حنبل، وهي صحيحة على شرط مسلم ورجالها ثقات رجال الشيخين، هل يبقى في قلب أحد شكّ في بيعة المهاجرين والأنصار لعليّ عليه‌السلام بالخلافة؟

وهل يحق لمنصف أن يذعن لما قاله ابن تيمية: نصف الأُمّة ـ أو أقل أو أكثر ـ لم يبايعوه (يعني: عليّ بن أبي طالب)؟[١]

أو يذعن لما قاله في موضع آخر، وقد تمادىٰ أكثر: فلم يظهر في خلافته دين الإسلام.[٢]

ولكي تطمئنّ أكثر، عزيزي القارئ، إلىٰ كذب دعوى ابن تيمية بأنّ نصف الأمة أو أقلّ أو أكثر لم يبايعوا عليّاً، نعرض لك شيئاً ممّا أورده العلماء والحفّاظ والمؤرّخون حول إصفاق الناس على بيعتهعليه‌السلام.

أ. قال ابن سعد(المتوفّى ٢٣٠هـ): قالوا... وبويع لعلي بن أبي طالب رحمه الله بالمدينة، الغد من يوم قُتل عثمان، بالخلافة، بايعه: طلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمّار بن ياسر، وأُسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت،

١ . انظر منهاج السنّة: ١٠٥/٤، وفي طبعة بولاق : ٢ / ١٣٥.

٢ . منهاج السنّة: ١١٧/٤، وفي طبعة بولاق : ٢ / ١٣٨.

وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم.[١]

ب. قال أبو حنيفة الدينوري(المتوفّى ٢٨٢هـ):

فلمّا قُتل [يعني عثمان] بقي الناس ثلاثة أيام بلا إمام، وكان الذي يصلّي بالناس الغافقي، ثم **بايع الناس عليّاً** ﷺ، فقال: «أيّها الناس، بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي، وإنّما الخيار قبل أن تقع البيعة، فإذا وقعت فلا خيار، وإنّما على الإمام الاستقامة، وعلى الرعيّة التسليم، **وإنّ هذه بيعة عامّة**، من ردّها رغب عن دين الإسلام، وإنّها لم تكن فلتة».

ثمّ قال الدِّينوري:

وكتب عليّ بن أبي طالب إلىٰ معاوية:«أمّا بعد، فقد بلغك الذي كان من مصاب عثمان، **واجتماع الناس عليّ ومبايعتهم لي**، فادخل في السلم أو ائذن بحرب». وبعث الكتاب مع الحجّاج بن غَزِيّة الأنصاري.[٢]

ج. روى الطبري باسناده عن أبي بشير العابدي، قال:

كنت بالمدينة حين قُتل عثمان، واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاً، فقالوا: يا أبا حسن، هلمّ نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به فاختاروا، فقالوا: والله ما نختار غيرك... .[٣]

د. روى الحاكم النيسابوري باسناده عن الأسود بن يزيد النخعي، قال:

---

١ . الطبقات الكبرى:٣١/٣.

٢ . الأخبار الطوال: ١٤٠ـ١٤١(بيعة علي بن أبي طالب).

٣ . تاريخ الطبري:٤٥/٣(خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب).

لمّا بويع علي بن أبي طالب عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله قال خزيمة بن ثابت، وهو واقف بين يدي المنبر:

إذا نحن بايعنا عليّاً فحسبنا ... أبو حسنٍ مما نخاف من الفتن

وجدناه أولى الناس بالناس إنّه ... أطبُّ قريش بالكتاب وبالسُّنن

وإنّ قريشاً ما تشقّ غباره ... إذا ما جرىٰ يوماً على الضُّمَر البُدُن

وفيه الذي فيهم من الخير كلّه ... وما فيهمُ كلّ الذي فيه من الحَسن

ثمّ نفى الحاكم صحّة ما ادّعي على بعضهم من أنّهم قعدوا عن بيعته، ووصم من زعم ذلك بأنّه يجحد تلك الأحوال، والصواب أنّهم قعدوا عن نصرته في الحرب، وروى في هذا الشأن عدّة أخبار، ثمّ قال:

فبهذه الأسباب وما جانسها، كان اعتزال من اعتزل عن القتال مع علي عليه السلام أو قتال من قاتله.[1]

وممّا يؤكد ما سبق، وأنّ نفيراً من الصحابة إنّما قعدوا عن القتال معه لا عن بيعته عليه السلام، هو تلك الأعذار التي قدّموها بين يدي الإمام، ونقلها أبو حنيفة الدينوري، قال:

ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام نادى في الناس بالتأهُّب للمسير إلى العراق، فدخل عليه سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن مسلمة، فقال لهم: «قد بلغني عنكم هناة كرهتها لكم»، فقال سعد: «قد كان ما بلغك، فأعطني سيفاً يعرف المسلم من الكافر حتى أُقاتل به معك»!!!

---

١ . المستدرك على الصحيحين:٣/١١٤ـ١١٨.

وقال عبد الله بن عمر: «أُنشدك الله أن تحملني على ما لا أعرف».

وقال محمد بن مسلمة: «إنّ رسول الله ﷺ أمرني أن أُقاتل بسيفي ما قوتل به المشركون، فإذا قوتل أهل الصلاة ضربت به صخر أُحد حتى ينكسر، وقد كسرته بالأمس». ثم خرجوا من عنده.

ثمّ إنّ أُسامة بن زيد دخل، فقال: «اعفني من الخروج معك في هذا الوجه، فإنّي عاهدت الله ألّا أُقاتل من يشهد أن لا إله إلّا الله».[1]

ويؤكّده أيضاً قول ابن أبي الحديد:

فأمّا أصحابنا [يعني المعتزلة] فإنّهم يذكرون في كتبهم أنّ هؤلاء الرّهط إنّما اعتذروا بما اعتذروا به لمّا ندبهم إلى الشخوص معه لحرب أصحاب الجمل، وأنّهم لم يتخلّفوا عن البيعة، وإنّما تخلّفوا عن الحرب.

هـ. قال الإمام أبو عبد الله القرطبي (المتوفّى ٦٧١هـ):

انعقدت خلافته [يعني خلافة عليّ عليه السلام] في مسجد رسول الله ﷺ، ومهبط وحيه، ومقرّ النبوة، وموضع الخلافة، **بجميع من كان فيها من المهاجرين والأنصار**، بطوع منهم وارتضاء واختيار... .[2]

فهل يجهل ابن تيمية هذه الأقوال، وهذه الأخبار والروايات التاريخية؟ نحن لا نظنّ ذلك، ولكنّه الهوى الذي يوافق الهوى الأمويّ البغيض، ويهوي بصاحبه في هذا الوادي السحيق.

وهاك، أخيراً، نموذجاً واحداً من أقوال العلماء، المتأخّرين عن ابن

---

١. الأخبار الطوال: ١٤٢ـ١٤٣.

٢. بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة: ١٢٢، نقله عن التذكرة للقرطبي: ٦٢٣.

تيمية، حول بيعة الإمام عليّ عليه السلام، واتفاق الناس عليها:

و. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (المتوفّى ٨٥٢هـ):

وكانت بيعة عليّ بالخلافة عقب قتل عثمان... **فبايعه المهاجرون والأنصار وكلّ من حضر**، وكتب ببيعته إلى الآفاق، فأذعنوا كلّهم إلّا معاوية في أهل الشام، فكان بينهم بعدُ، ما كان.(١)

ونختم البحث في هذا الموضوع بالإشارة إلى أنّ مؤلّفا كتاب «بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة» قد تتبّعا الروايات التي تزعم أنّ بعض الصحابة امتنع عن بيعة عليّ عليه السلام، وناقشا أسانيدها، فوجدا أنّها كلّها ضعيفة أو منكرة، وأوردا الروايات والأقوال التي تثبت إجماع المهاجرين والأنصار والبدريين وكبار الصحابة على بيعته عليه السلام، وخلصا إلى النتيجة التالية، وهي أنّ:

(كلّ الروايات التي استثنت بيعة بعض كبار الصحابة كسعد وابن عمر وأُسامة وغيرهم، روايات ضعيفة منكرة، تعارضها الروايات الصحيحة، وإلى الآن لم نجد رواية سليمة تثبت تخلّف بعض هؤلاء عن البيعة).(٢)

---

١. فتح الباري: ٧/٧٢.

٢. بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة: ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

٩

نتائج خلافة علي عليه السلام

يقول ابن تيمية: وعلي رضي الله عنه لم يخصّ أحداً من أقاربه بعطاء، لكن ابتدأ بالقتال لمن لم يكن مبتدئاً بالقتال حتى قتل بينهم أُلوف مؤلّفة من المسلمين، وإن كان ما فعله هو متأوّل فيه تأويلاً وافقه عليه طائفة من العلماء وقالوا: إنّ هؤلاء بغاة، والله تعالى أمر بقتال البغاة بقوله: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتي تَبْغي﴾، لكن نازعه أكثر العلماء، كما نازع عثمان أكثرهم، وقالوا إنّ الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحداهُما عَلى الأُخرىٰ فقاتِلُوا الّتي تَبْغِي حَتّى تَفيءَ إلى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ﴾.(١)

قالوا: فلم يأمر الله بقتال البغاة ابتداءً، بل إذا وقع قتال بين طائفتين من المؤمنين فقد أمر الله بالإصلاح بينهما، فإن بغت إحداهما على الأُخرى قوتلت، ولم يقع الأمر كذلك.(٢)

وقال أيضاً: ولم يحصل بالقتال لا مصلحة الدين ولا مصلحة الدنيا، ولا

---

١ . الحجرات:٩.

٢ . منهاج السنّة: ٨/٢٣١ـ ٢٣٢، وفي طبعة بولاق: ٤ / ٢٠٤.

قوتل في خلافته كافر، ولا فَرِح مسلم.[١]

أقول: إنّ مَن يقول: لم يكن قتال علي في الجمل وصفين لم يكن بأمر من رسول الله وإنّما كان رأياً رآه[٢]، إمّا جاهل بالحديث المتضافر، الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه علياً عليه السلام: «بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين»، أو متجاهل؛ فقد روى البزّار، وأبو يعلى، والطبراني، والحاكم، وابن أبي عاصم، وابن عساكر بأسانيد كثيرة، عن علي، وأبي أيوب، وأُمّ سلمة، وغيرهم حديث أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أمر علياً بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين).

ومجموع هذه الطرق يقتضي صحّة الحديث، أو حسنه علىٰ أقل تقدير.[٣]

وقد احتجّ به الحافظ ابن حجر، وقال: «الناكثين أهل الجمل؛ لأنّهم نكثوا البيعة، والقاسطين أهل الشام؛ لأنّهم جاروا على الحق في عدم مبايعته، والمارقين أهل النهروان؛ لثبوت الخبر الصحيح فيهم: إنّهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».[٤]

ولا شكّ في أنّ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقتال هؤلاء، فيه مصلحة دينية كبرىٰ، وعزّة للإسلام، وليس على الإمام عليه السلام الذي استجاب لذلك الأمر، من حرج، إذا لم يدرك ابن تيمية وأمثاله تلك المصلحة.

---

١. منهاج السنّة: ٧/٤٥٤، وفي طبعة بولاق: ٤ / ١٢١.

٢. منهاج السنّة: ٤ / ٤٩٦، وفي طبعة بولاق: ٢/٢٣١.

٣. انظر كتاب: بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة:٧٨(وفيه مصادر الحديث المذكور).

٤. المصدر نفسه، نقلاً عن «تلخيص الحبير: ٤ / ٥١ » لابن حجر.

وكيف لا يكون قتال عليﷺ بأمر النبيﷺ، وقد صحّ عنهﷺ أنّه نهىٰ عائشة عن الخروج علىٰ عليّﷺ، فقد روى أحمد في «مسنده» بإسناده عن قيس بن أبي حازم، قال: لما أقبلت عائشة، فلمّا بلغت مياه بني عامر ليلاً، نبحت الكلاب. فقالت: أيّ ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب. قالت: ما أظنّني إلّا أنّني راجعه. قال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراكِ المسلمون، فيُصلح الله ذات بينهم. قالت: إنّ رسول اللهﷺ قال ذات يوم: «كيف بإحداكن تَنبُحُ عليها كلاب الحوأب».[1]

وفي رواية البزّار: «ليت شعري أيّتكن صاحبة الجمل الأدبب، تخرج فتنبحها كلاب الحوأب، يُقتل عن يمينها وعن يسارها قتلىٰ كثير، ثم تنجو بعد ما كادت».[2]

ونذكر في المقام، أيضاً، ما أخرجه الحاكم عن أبي سعيد قال: كنّا جلوساً ننتظر رسول اللهﷺ، فخرج علينا من بعض بيوت نسائه قال: فقمنا معه فانقطعت نعله، فتخلّف عليها عليّ يخصفها، ومضى رسول الله ومضينا معه ثم قام ينتظره وقمنا معه فقال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله» فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر، فقال: «لا ولكنّه خاصف النعل» قال: فجئنا نبشره، قال: فكأنّه قد سمعه.[3]

---

١ . مسند أحمد:٥٢/٦ و ٩٧. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري:٥٥/١٣» : أخرج هذا أحمد، وأبو يعلىٰ، والبزّار، وابن حبّان وصحّحه، والحاكم. وصحّحه أيضاً الذهبي، وابن حجر، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»:٢١٢/٦: وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجوه. انظر: سير أعلام النبلاء: ٢ / ١٧٧ ـ ١٧٨، الترجمة١٩، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٢ . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد:٢٣٤/٧»: رواه البزّار ورجاله ثقات، وكذلك قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري:٥٥/١٣».

٣ . مستدرك الحاكم:١٢٣/٣، وصحّحه على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي.

ثمّ إنّ علياً لم يبدأ بقتال أحد، وإنّما قاد خصومه الجيوش لمحاربته، فقد جمع الناكثون ـ مثلاً ـ الأموال، ودخلوا بجيشهم البصرة، ووالي عليّ عليه السلام يومئذٍ عليها عثمان بن حنيف، فمنع (عائشة) ومن معها من الدخول، فقالا: لم نأت لحرب، وإنّما جئنا لصلح، فكتبوا بينهم وبينه كتاباً أنّهم لا يحدثون حدثاً إلى قدوم عليّ عليه السلام وأنّ كلّ فريق منهم آمن من صاحبه، ثم افترقوا فوضع عثمان بن حنيف السلاح، فنتفوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه وانتهبوا بيت المال وأخذوا ما فيه... الخ.(١)

فإذا كان تعامل القوم مع والي علي عليه السلام علىٰ البصرة، بهذه الصورة، فهل يصحّ لعلي عليه السلام أن يتركهم وشأنهم؟!

كيف يتركهم وقد خرجوا من مكة ومعهم خلق عظيم، يقول ابن واضح الأخباري: خرجت عائشة ومعها طلحة والزبير في خلق عظيم وقدم يعلىٰ بن منية بمال من مال اليمن قيل إنّ مبلغه أربعمائة ألف دينار فأخذه منه طلحة والزبير فاستعانا به وسارا نحو البصرة.(٢)

وأفضل دليل على أنّ الإمام علي عليه السلام لم يبدأ بالقتال قوله لأصحابه: «لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم، فإنّكم بحمد الله على حجّة، وترككم إياهم حتى يبدأوكم حجّة أُخرى لكم عليهم».

ثمّ إنّ الإمام علي عليه السلام أخذ مصحفاً وقال: مَن يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وله الجنّة.

---

١ . انظر : تاريخ اليعقوبي:١٨١/٢، وتاريخ الطبري:٤٨٥/٣ و ٤٨٦.

٢ . تاريخ اليعقوبي:١٨١/٢.

فقام غلام شاب اسمه مسلم فأخذ القرآن بيمينه ونادى القوم، فقطعوا يده اليمنىٰ، فتناول القرآن باليسرى، وناداهم فقطعوها، فانهالوا عليه بالسيوف حتى قُتل.[١]

ثمّ أخذ أصحاب الجمل يرمون عسكر عليّ بالنبل رمياً متتابعاً، حتى قتل ثلاثة أو أكثر، وضجّ إليه أصحابه، قالوا: عقرتْنا سهامُهم، وهذه القتلىٰ بين يديك، عند ذلك استرجع الإمامعليه السلام وقال: اللهم اشهد، ثم لبس درع رسول الله(ذات الفضول) وتقلّد ذا الفقار، ودفع راية رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم السوداء وهي المعروفة بالعقاب دفعها إلى ولده محمد بن الحنفية، وقال للحسن والحسين إنّما دفعت الراية لأخيكما وتركتكما لمكانكما من رسول الله.[٢]

فكيف يدّعي ابن تيمية، مع هذا، أنّ الإمام ابتدأ بالقتال، ولم يبدأ بالإصلاح كما أمر الله؟!

كيف يدّعي ذلك، والإمام نفسه يقول لعامر بن مطر الشيباني: والله ما أُريد إلّا الصلح حتّى يُردّ علينا؟![٣]

كيف يدّعي ذلك، وقد صرّح المؤرّخون بأنّ علياًعليه السلام أقام ثلاثة أيام يبعث رسله إلى أهل البصرة، فيدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة والدخول في الجماعة، فلم يجد عند القوم إجابة، فزحف نحوهم؟!![٤]

اقرأ واقضِ

١ . أُسد الغابة:٣٠٨/٣؛ الأغاني:٢٠٣/١٠؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:١١٢/٩، وغيرها.

٢ . شرح نهج البلاغة:١١١/٩.

٣ . الكامل في التاريخ: ٣ / ٢٢٥.

٤ . الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري :١٤٧.

١٠

ابن تيمية ونزول آية الولاية في حقّ علي عليه السلام

روى جمع من المحدّثين والمفسّرين نزول آية الولاية في علي عليه السلام، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾.(١)

روي عن أنس بن مالك: أنّ سائلاً أتى المسجد وهو يقول: مَن يقرض المليّ الوفيّ؟ وعليٌّ عليه السلام راكع يقول بيده خلفه للسائل، أي اخلع الخاتم من يدي.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عمر وجبت». قال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ما وجبت؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «وجبت له الجنّة والله، وما خلعه من يده حتى خلعه الله من كلّ ذنب ومن كلّ خطيئة» قال: فما خرج أحدٌ من المسجد حتى نزل جبرئيل بقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ

١. المائدة:٥٥.

﴿يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، فأنشأ حسّان بن ثابت يقول:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي
وكلُّ بطيءٍ في الهدى ومسارع

أيذهب مدحي والمحبّين ضائعاً
وما المدحُ في ذات الإله بضائع

فأنت الذي أعطيت إذ أنت راكعٌ
فدتكَ نفوسُ القوم يا خير راكع

بخاتمك الميمون يا خيرَ سيّدٍ
ويا خيرَ شارٍ ثمَّ يا خير بائع

فأنزل فيك اللهُ خيرَ ولايةٍ
وبيّنها في محكمات الشرائع

إذا عرفت ذلك فلنقرأ ما قاله ابن تيمية، وننظر كيف أنّه حكم حكماً قاطعاً بكذب نزول الآية في علي، وسوف نقف على مصادر نزول الآية في حقّه عليه السلام... وأنّ الحفّاظ والمفسّرين أوردوا حديث النزول في آثارهم.

قال: وقد وضع بعض الكذّابين حديثاً مفترىً أنّ هذه الآية نزلت في عليٍّ لمّا تصدّق بخاتمه في الصلاة، وهذا كذب بإجماع أهل العلم، وكذبه بيّن من وجوه كثيرة.[1] ثم ردّ نزولها في حقّ علي عليه السلام بوجوه واهية أشبه بالاجتهاد في مقابل النص.

١. منهاج السنّة: ٣٠/٢، وفي طبعة بولاق: ١ / ١٥٥.

هلم معي، أيّها القارئ، لنسرد لك أسماء عدد من الأعلام، الذين روَوْا نزول هذه الآية في علي عليه السلام وجميعهم من حفّاظ السنّة ومفسّريهم، ومَن يُعتمد عليهم في الحديث والتفسير والعقيدة، وهؤلاء ـ والعياذ بالله ـ هم الكذّابون عند ابن تيمية!! وهؤلاء الأعلام هم:

١. الحافظ عبد بن حُميد الكشي (المتوفّى ٢٤٩هـ) بإسناده عن ابن عباس.(١)

٢. ابن جرير الطبري (المتوفّى ٣١٠هـ) بإسناده عن السُّدّي، وعتبة بن أبي حكيم، ومجاهد.(٢)

٣. ابن أبي حاتم الرازي (المتوفّى ٣٢٧هـ) في تفسيره، بإسناده عن سَلَمة بن كُهيل، وعتبة بن أبي حكيم.(٣)

٤. الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الأوسط.(٤)

٥. الحافظ أبو بكر الجصّاص الرازي (المتوفّى ٣٧٠ هـ) في أحكام القرآن.(٥)

٦. الحافظ أبو الحسن الواحدي النيسابوري (المتوفّى ٤٦٨ هـ).(٦)

٧. الحافظ أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي (المتوفّى ٥٧١ هـ).(٧)

---

١ . انظر: الدرّ المنثور:١٠٥/٣، دارالفكر، ١٤٠٩ هـ.

٢ . جامع البيان(تفسير الطبري):٣٧٢/٤ـ٣٧٣، برقم ١٢٢١٥، و١٢٢١٨، و ١٢٢١٩.

٣ . تفسير القرآن العظيم(تفسير ابن أبي حاتم):١١٦٢/٤، برقم ٦٥٤٩ و ٦٥٥١.

٤ . المعجم الأوسط:١٣٠/٧، الحديث ٦٢٢٨.

٥ . أحكام القرآن:٤٤٦/٢.

٦ . أسباب النزول:١٣٣.

٧ . تاريخ مدينة دمشق:٣٠٥/١٢، وفي ترجمة الإمام علي عليه السلام الطبعة المحقّقة برقم ٩١٥.

٨. الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي (المتوفّى ٥٩٧ هـ).[١]

٩. أبو السعادات مبارك بن الأثير الشيباني الجزري الشافعي(المتوفّى ٦٠٦هـ).[٢]

١٠. القاضي ناصر الدين البيضاوي في تفسيره.[٣]

وهؤلاء العشرة الذين انتخبناهم من جمع غفير قد رووا نزول الآية في حق عليّ عليه السلام قبل أن يولد ابن تيمية، ولو أردنا الاستقصاء لطال بنا البحث، ولكن كفانا عناء ذلك شيخنا العلامة الأميني رحمه الله حيث أنهىٰ عدد من ذكر نزول الآية إلى (٦٦)محدّثاً ومفسّراً وكلامياً.[٤]

وقد ناقش البعض في صحّة نزول الآية في حقّ عليٍّ عليه السلام بأنّ الوارد في الآية صيغة الجمع، فإنّ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ﴾صيغة جمع فلا يكون عليّ هو المراد وحده.[٥]

وقد سبقه إلى هذا الإشكال غيره، كابن كثير الدمشقي في تفسيره.[٦]

وقد أجاب عنه غير واحد من علمائنا بأنّ استخدام صيغة الجمع لأجل الترغيب بالإتيان بمثله، ولا ينافي انطباقه على الفرد الخارجي.

---

١. الرياض النضرة:١٨٢/٣.

٢. جامع الأُصول:٤٧٨/٩، الحديث ٦٥٠٣. وقد نقله من طريق النسائي.

٣. أنوار التنزيل:٢٧٢/١.

٤. الغدير:٢٢٠/٣ـ٢٣٠.

٥. نثر اللآلي على نظم الأمالي:١٦٩.

٦. تفسير ابن كثير:٧٣/٢.

هذا وقد استعملت صيغة الجمع في الذكر الحكيم وأُريد بها الواحد في مواضع، منها:

١. قوله تعالى:﴿والَّذينَ هاجَروا في اللهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنَبَوِّئَنَّهُمْ في الدُّنيا حَسَنَةً﴾.[١]

فإنّ الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل العامري.[٢]

٢. قوله تعالى: ﴿إنّ الّذين يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَانفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ﴾،[٣] نزلت في الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف،[٤] وغيرهما كثير.

وأمّا كيفية دلالتها على ولاية الإمام علي عليه السلام فقد أشبعنا الكلام فيها، في أسفارنا الكلامية.

---

١. النحل:٤١.

٢. تاريخ مدينة دمشق:٦٦٨/٨؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٧١/١٠.

٣. فاطر:٢٩.

٤. الإصابة:٣٣٦/١.

١١

صور أُخرى لتعرّض ابن تيمية للإمام علي عليه السلام وأصحابه

قد سبق منّا أنّ ابن حجر قال في ترجمة العلّامة الحلّي: وكم من مبالغة له(يعني ابن تيمية) لتوهين كلام الحلّي، أدّت به أحياناً إلى تنقيص عليّ عليه السلام.[1]

وليس ابن حجر وحيداً في هذا المقال بل أدركه غير واحد ممّن قرأ كتبه، وهذا هو العلّامة العلوي بن طاهر الحدّاد، يقول: وفي منهاج ابن تيمية من السبّ والذم الموجه المورد في قالب المعاريض ومقدّمات الأدلّة في أمير المؤمنين علي والزهراء البتول والحسنين وذريتهم ما تقشعر منه الجلود وترجف له القلوب، ولا سبب لعكوف النواصب والخوارج على كتابه المذكور إلّا كونه يضرب على أوتارهم ويتردّد على أطلالهم وآثارهم، فكنْ منه ومنهم على حذر.[2]

١ . لسان الميزان:٦/٣١٩.

٢ . القول الفصل في ما لبني هاشم من الفضل، الجزء الثاني، نقلاً عن كتاب المقالات السنية:٣٧٦.

وممّا يدل على ذلك الأُمور التالية:

١. التشكيك في إيمان علي عليه السلام قبل البلوغ

حكم ابن تيمية بكفر عليّ قبل البلوغ، فقال: ولا إيمان الصبي مثل إيمان البالغ، فأُولئك يثبت لهم حكم الإيمان والكفر وهم بالغون، وعليٌّ يثبت له حكم الكفر والإيمان وهو دون البلوغ، والصبي المولود بين أبوين كافرين يجري عليه حكم الكفر في الدنيا باتّفاق المسلمين، وإذا أسلم قبل البلوغ على قولين للعلماء، بخلاف البالغ فإنّه يصير مسلماً باتّفاق المسلمين فكان إسلام الثلاثة مخرجاً لهم من الكفر باتّفاق المسلمين، وأمّا إسلام علي فهل يكون مخرجاً له من الكفر على قولين مشهورين، ومذهب الشافعي أنّ إسلام الصبي غير مخرج له من الكفر.[١]

أقول: قل لي بربّك متى كفر عليّ، وهو الذي وُلد في بيت التوحيد، حتى يؤمن؟؟! متى كفر عليه السلام وقد نشأ وتربّى في أحضان النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ نعومة أظفاره، (وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قبل النبوة، يتعبّد على ملّة إبراهيم ودين الحنيفية، ويتحنّث ويجانب الناس، ويعتزل ويطلب الخلوة، وينقطع في جبل حراء، وكان عليّ عليه السلام معه كالتابع والتلميذ)؟[٢] ولقد وصف عليّ عليه السلام علاقته بالنبي في تلك الفترة بقوله: ولقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا وليد يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه ويُمسُّني جسده، ويُشمّني عَرْفَه، وكان يمضغ الشيء ثم

---

١. منهاج السنّة: ٢٨٥/٨، وفي طبعة بولاق: ٢١٨/٤ـ٢١٩.

٢. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٢٤٨/١٣.

يُلقمنيه... إلى أن قال عليه السلام: ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل إثر أُمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه عَلَماً ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال: «هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبي، ولكنّك لوزير وإنّك لعلىٰ خير».[1]

أيّها القارئ المنصف: قل لي بربك هل يمكن أن يحكم بالكفر على من يرفع له رسول الله كلّ يوم من أخلاقه عَلَماً ويأمره بالاقتداء به، وكان معه في غار حراء، ويرى نور الوحي والرسالة ويشمّ ريح النبوّة؟

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ ابن تيمية لمّا كان مولَعاً، لسوء حظّه، باقتناص كلّ فكرة سوداء خطرت علىٰ أذهان من سبقه من النواصب، الذين كتب عليهم شقاؤهم أن ينالوا من عليّ عليه السلام، فإنّه اقتنص هذه الفكرة من الجاحظ، ثم شانَها أكثر، بما نضح عليها من بغضه وحنقه.

وتتلخّص فكرة الجاحظ في: تفضيل إسلام أبي بكر علىٰ إسلام عليّ، بعد افتراض أنّ إسلامهما كان معاً، والسبب الأساس في هذا التفضيل، كما يدّعي هو: أنّ عليّاً أسلم وهو حَدَث غرير، وطفل صغير، فلا يُلحق إسلامه بإسلام البالغين.

وقد ردّ الشيخ أبو جعفر الإسكافي المعتزلي (المتوفّى ٢٤٠ هـ) على

---

١. نهج البلاغة:١٥٩/٢، الخطبة القاصعة، برقم ١٩٢.

الجاحظ، من جهات، وها نحن نقتبس شيئاً ممّا قاله الإسكافي، لأنّه يصلح أيضاً للردّ على ابن تيمية.

قال: قد بيّنا أنّه [عليه السلام] قد أسلم بالغاً، ابن خمس عشرة سنة، أو ابن أربع عشرة سنة، علىٰ أنّا لو نزلنا على حكم الخصوم، وقلنا ما هو الأشهر والأكثر من الرواية، وهو أنّه أسلم وهو ابن أحد عشر، لم يلزم ما قاله الجاحظ، لأنّ ابن عشر قد يستجمع عقله، ويعلم من مبادئ المعارف ما يستخرج به كثيراً من الأُمور المعقولة.

ولولا أنّ إسلامه كان إسلام المميّز العارف، لَما مدحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، حيث قال لابنته فاطمة: «زوّجتك أقدمهم سِلماً»، ولاقرن إلى قوله: «وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً»، والحلم: العقل، وهذان الأمران غاية الفضل، فلولا أنّه أسلم إسلام عارف مميّز، لَما ضمّ إسلامه إلى العلم والحِلم اللّذين وصفه بهما، وكيف يجوز أن يمدحه بأمر لم يكن مُثاباً عليه، ولا معاقباً به لو تركه؟[1]

ولولا أنّ إسلامه كان كذلك، لما افتخر هو عليه السلام بالسبق إلى الإسلام علىٰ رؤوس الأشهاد، ولا خطب به على المنبر، وخصوصاً في عصرٍ قد حارب فيه أهلَ البصرة والشام والنهروان، وقد اعتورته الأعداء وهجته الشعراء، فلو وجد هؤلاء سبيلاً إلى دحض ما كان يفخر به من

---

١. روى الحاكم بإسناده عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن الأغرّ، عن سلمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوّلكم وروداً عليّ الحوض، أوّلكم إسلاماً علي بن أبي طالب.
وروى أيضاً بإسناد صحيح (وافقه عليه الذهبي) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: إنّ أوّل من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. المستدرك على الصحيحين: ٣/١٣٦.

تقدّم إسلامه لبدأوا بذلك، وتركوا ما لا معنىٰ له.[١]

ثمّ إنّ الشعراء مدحته عليه السلام بسبقه إلى الإسلام، فكيف لم يردّ علىٰ هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربه؟ ولقد قال في أُمّهات الأولاد قولاً خالف فيه عمر، فذكروه بذلك وعابوه، فكيف تركوا أن يعيبوه بما كان يفتخر به ممّا لا فخر فيه عندهم، وعابوه بقوله في أُمّهات الأولاد؟[٢]

٢. نزول آية: ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ ...﴾ في حق عليّ

نسب ابن تيمية إلى عليّ عليه السلام ما هو بريء منه، كبراءة يوسف ممّا اتّهم به، وقال: وأنزل الله تعالى في علي قوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارىٰ حتّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ﴾.[٣] لمّا صلّى فقرأ وخلَط.[٤]

روى الترمذي، وأبو داود، والطبري، وابن أبي حاتم بإسنادهم عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي أنّ جماعة من الصحابة دُعوا إلى بيت أحدهم، فصنع لهم طعاماً، وسقاهم خمراً، قبل تحريم الخمر، ثم حضرت الصلاة، فتقدّم أحدهم ليصلّي بهم، فخلط في صلاته، وحرّف آية من القرآن.

وقد اضطربت الروايات المذكورة، مع أنّها مرويّة عن رجل واحد، في

---

١. روت معاذة بنت عبد الله العدوية، قالت: سمعتُ علياً عليه السلام يخطب على منبر البصرة، ويقول: أنا الصِّديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يُسلم.

ورَوىٰ حبّة بن جُوَين العُرني أنّه سمع علياً عليه السلام يقول: أنا أوّل رجل أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. شرح نهج البلاغة:١٣/٢٢٨ـ٢٢٩.

٢. انظر: شرح نهج البلاغة:١٣/٢١٩ـ ٢٤١.

٣. النساء:٤٣.

٤. منهاج السنّة: ٧ / ٢٣٧، وفي طبعة بولاق : ٤ / ٦٥.

صاحب الدعوة، والإمام والمأموم، وفي الآية التي حصل فيها التحريف؛ وذلك كما يلي:

١. فرواية الترمذي تقول: إنّ صاحب الدعوة هو عبد الرحمن بن عوف، وإنّ علياً كان هو الإمام[١].

٢. ورواية أبي داود تقول: إنّ صاحب الدعوة رجل من الأنصار[٢].

٣. وفي رواية للطبري، وابن المنذر: أنّ إمام الجماعة كان عبد الرحمن بن عوف[٣].

٤. وفي رواية لابن أبي حاتم: أنّهم قدّموا فلاناً[٤] (يعني للصلاة).[٥]

وأنت ترى أنّ ابن تيمية قد تعلّق، لغرض (أو مرض) في قلبه، بالرواية التي تزعم أنّ عليّاً كان هو إمام الجماعة، وأغمض عينيه عن سائر الروايات التي تذكر غيره، كما أنّه لم يُشر ـ للغرض نفسه ـ إلى اختلاف الروايات واضطرابها في الموضوع، وحكم حُكماً قاطعاً بأنّ الآية نزلت في عليّ!!

ثمّ إنّ هذه الروايات معارضة برواية صحيحة الإسناد، مرويّة عن أبي عبد الرحمن السلميّ، أيضاً، وإليك نصّها:

روى الحاكم النيسابوري بإسناده عن أبي عبد الرحمن عن عليّ رضي الله عنه، قال:

---

١ . سنن الترمذي: ٨٦٠، كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة النساء)، برقم ٣٠٣٧.

٢ . سنن أبي داود: ٦٨٩، كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر، برقم ٣٦٧١.

٣ . جامع البيان (تفسير الطبري): ١٢٨/٤، برقم ٩٥٢٦، وكتاب تفسير القرآن لابن المنذر: ٧١٩/٢، برقم ١٧٩٩.

٤ . تفسير القرآن العظيم(تفسير ابن أبي حاتم): ٩٥٨/٣، برقم ٥٣٥٢.

٥ . انظر: تفسير آلاء الرحمن للشيخ البلاغي: ٤١٣/٢ـ٤٢٢؛ والتفسير الكاشف: ٣٣١/٢ـ٣٣٢.

دعانا رجل من الأنصار، قبل تحريم الخمر، فحضرت صلاة المغرب، فتقدّم رجل فقرأ﴿قُلْ يا أَيُّها الكافِرُونَ﴾ فالتبس عليه، فنزلت ﴿لا تَقْرَبُوا الصلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارىٰ حَتّىٰ تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ﴾ الآية.[١]

ومن الملاحظ أنّ هذه الرواية لم تتحدّث عن مجلس للخمر حضره عليّ عليه السلام، وإنّما عن رجل (لم يُسمّ) كان قد تقدّم لإمامة الجماعة، فالتبست عليه الآية بسبب سُكره.

فأين هذا ممّا زُعم من تقدّم عليّ لإمامة الجماعة ونزول الآية فيه؟ ولكن ابن تيمية أبىٰ أن يأخذ بهذه الرواية وأمثالها، وآثر الاقتداء بالمارقين الذين كانوا يذهبون إلى أنّ الآية المذكورة نزلت في علي عليه السلام.

قال الحاكم، بعد أن أورد تلك الرواية:

وفي هذا الحديث فائدة كثيرة، وهي أنّ الخوارج تنسب هذا السكر وهذه القراءة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب دون غيره وقد برّأه الله منها، فإنّه راوي هذا الحديث.[٢]

فطوبىٰ لابن تيمية، وهو يتّبع رأي الخوارج، ويتمسّك به دون غيره من الآراء والأقوال!!

وليت الأمر اقتصر على هذا الاختلاف والاضطراب بين الروايات المروية عن أبي عبد الرحمن نفسها، بل هناك اختلاف بينها وبين الروايات

---

١ . المستدرك على الصحيحين:٣٠٧/٢. صحّحها الحاكم، ووافقه الذهبيّ.

٢ . المصدر نفسه.

الواردة عن غيره في سبب نزول الآية، فعن ابن عباس، قال:

نزلت هذه الآية في جماعة من الصحابة كانوا يشربون الخمر، قبل التحريم، ثم يأتون الصلاة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيصلّون معه، فنهاهم الله تعالى عن ذلك.(١)

وعن محمد بن كعب القُرظي:... ثمّ أُنزلت التي في النساء، بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي بعض الصلوات إذ غنّى سكران خلفه، فأنزل الله: **﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارىٰ﴾** الآية. فشربها طائفة من الناس وتركها طائفة،ثم نزلت الرابعة التي في المائدة، فقال عمر بن الخطاب: انتهينا يا ربّنا.(٢)

وختاماً نقول: لو كان عند ابن تيمية بعض الإنصاف، لذكر ما رواه جماعة من محدّثي السنّة في شأن الآيات الّتي نزلت في الخمر، حتى يتبيّن للقارئ مَن كان يكرع الخمر، وظلّ يشربها إلى أن نزل في تحريمها نصّ صريح.

روى أبو داود، والترمذي، والنسائي، والطبري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم بأسانيدهم إلى أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل، أنّ عمر بن الخطاب، قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت الآية التي في البقرة: **﴿يسألونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إثمٌ كَبيرٌ﴾** الآية، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في النساء: **﴿يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا لاٰ تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكارى﴾**، فدعي عمر فقرئت عليه، ثم قال... فنزلت التي في المائدة: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ ...﴾** إلى قوله:

---

١. أبو بكر الحدّاد اليمني، تفسير الحدّاد:٢/٢٥٨، طبعة دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٣م.

٢. الدرّ المنثور:٣/١٦٥، وقال: أخرجه ابن المنذر.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ فدُعي عمر فقرئت عليه، فقال: انتهينا انتهينا.[1]

قال الشيخ محمد جواد مغنية: وعلى أية حال، فإن صحّ أنّ جماعة من الصحابة شربوا، وأنّ إمامهم خلط في صلاته، فهؤلاء هم الذين أشركوا بالله، وعبدوا الأوثان، وشربوا الخمر، وأكلوا الحرام في الجاهلية التي نشأوا فيها، وتربّوا عليها... وعلي بن أبي طالب ليس منهم، لأنّه نشأ وترعرع في حجر الرسول الأعظمﷺ، وهو الذي تولّىٰ تربيته وتهذيبه منذ نعومة أظفاره، وصاغه كما يشاء ويريد.[2]

٣. تكذيب ابن تيمية فضائل أصحاب عليعليه السلام

بما أنّ الرجل كان يعادي عليّاً (كما يتبيّن ذلك بوضوح، من مواضع كثيرة من كتابه)، فمن الطبيعيّ جداً، أن يعادي أصحاب علي وأنصاره، بحكم أنّ صديق عدوك هو عدو أيضاً، وقد تجلّت تلك المعاداة بإنكار فضيلة رابية لعمّار بن ياسر، اتّفق المسلمون عليها وأصفق رواتهم على نقلها، وهي قول رسول اللهﷺ له: «تقتلك الفئة الباغية».

يقول ابن تيمية: فهاهنا للناس أقوال: منهم مَن قدح في حديث عمّار.

ومنهم مَن تأوّله علىٰ أنّ الباغي: الطالب، وهو تأويل ضعيف .

وأمّا السلف والأئمة فيقول أكثرهم ـ كأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم ـ لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغيّة، فإنّ الله لم يأمر بقتالها ابتداءً، بل أمر إذا

---

١. سنن الترمذي:٨٦٨، برقم ٣٠٦٠. وانظر: سنن أبي داود:٦٨٩، برقم ٣٦٧٠، وجامع البيان:٥/٤٤ـ٤٥، برقم ١٢٥١٦ـ ١٢٥٢٠، وغيرها.

٢. التفسير الكاشف:٢/٢٣٢.

اقتتلت طائفتان أن يصلح بينهما، ثم إنْ بغت إحداهما على الأُخرى قوتلت الّتي تبغي، وهؤلاء قوتلوا ابتداءً قبل أن يبدؤوا بقتال.[١]

قد تقدّم أنّ من الاساليب التي درج عليها ابن تيمية، أنّه إذا مرّ بحديث في فضائل علي وآله وأصحابه وكان مخالفاً لهواه، ادّعى علىٰ بعض الناس تضعيفه، أو القدح فيه من دون أن يذكر المضعّف، أو القادح.

والعجب أنّه يضعّف حديثاً رواه أكثر من عشرين صحابياً، ويقول في حقّه الحافظ ابن عبدالبرّ: تواترت الآثار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية»، وهو من أصحّ الأحاديث.[٢]

فإذا كان مثل هذا الحديث ضعيفاً فما هو الصحيح عنده؟!

وللحافظ ابن حجر كلام حول الحديث، نذكره بنصّه حتى يُعلم مدى انحراف الرجل عن أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه، قال:

فائدة: روى حديث: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية» جماعة من الصحابة منهم: قتادة بن النعمان ـ كما تقدّم ـ وأُمّ سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان وحذيفة وأبو أيوب وأبو رافع وخزيمة بن ثابت ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو اليسر وعمّار نفسه وكلّها عند الطبراني وغيره، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عدّهم. وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعليّ ولعمّار، وردٌّ على

---

١. منهاج السنّة: ٤ / ٣٩٠ ـ ٣٩١، وفي طبعة بولاق: ٢ / ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

٢. الاستيعاب: ٣ / ١١٤٠.

النواصب الزاعمين أنّ عليّاً لم يكن مصيباً في حروبه.[١]

وكفىٰ في صحّة الحديث عند أهل السنّة أنّ الشيخين قد خرّجاه.[٢]

وأمّا قوله: إنّ السلف والأئمة فيقول أكثرهم لم يوجد شرط قتال الطائفة الباغية، فهو من الأكاذيب القبيحة، والّذي نقله كبار العلماء والفقهاء، عن السلف الصالح (لا عن أتباع النهج الأموي) خلاف ذلك، فقد صرّح الإمام ابن قدامة المقدسيّ الحنبليّ (المتوفّىٰ ٦٢٠ هـ) بأنّه (أجمعت الصحابة رضي الله عنهم علىٰ قتال البغاة، فإنّ أبا بكر قاتل مانعي الزكاة، وعليّ قاتل أهل الجمل وصفين وأهل النهروان)[٣] .

وممّا يؤكّد ذلك أنّ كلّ مَن تبقّىٰ من أهل بيعة الرضوان، وفيهم البدريّون (إلّا أفراداً معدودين معروفين اعتزلوا القتال)، كانوا مع الإمام علي في (صفّين) .

روىٰ خليفة بن خيّاط، عن أبي غسان، عن عبدالسلام بن حرب، عن يزيد بن عبدالرحمن، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبزىٰ، عن أبيه، قال:

(شهد مع علي ثمانمائة ممّن بايع بيعة الرضوان، قال: قُتل فيهم ثلاثة وستون، منهم عمّار بن ياسر)[٤] .

---

١ . فتح الباري:٥٤٣/١.

٢ . لاحظ : صحيح البخاري:٢٠٧/٣؛ وصحيح مسلم:١٨٦/٨.

٣ . المغني: ٨ / ٥٢٢ (كتاب قتال أهل البغي)، مطبعة الإمام بمصر.

٤ . تاريخ خليفة: ١٩٦ .

وهذا السند صحيح، ورجاله بين الثقة والصَّدوق.[1]

وهؤلاء الصحابة الكرام أورع من أن يقاتلوا من لم يوجد فيها شرط الطائفة الباغية، ولكنّ ابن تيمية لا يقيم لهذا العدد الكبير من الصحابة وزناً، ما داموا في صفّ الإمام علي عليه السلام.

وممّا يشهد لما تقدّم، أنّ عبدالله بن عمر بن الخطاب، سمّىٰ فئة معاوية بالفئة الباغية، وعبّر عن ندمه على قعوده عن حرب صفّين.

روىٰ عمر بن شَبّة (المتوفّى ٢٦٢ هـ)، عن الفضل بن دُكين وأبي أحمد الزبيري، قالا: حدثنا عبدالله بن حبيب بن أبي ثابت، عن أبيه، عن ابن عمر أنّه قال ـ حين حضرته الوفاة ـ: ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئاً، إلّا أنّي لم أُقاتل الفئة الباغية مع عليّ بن أبي طالب.[2]

وروى الحاكم النيسابوري بإسناده عن الزُّهري، عن حمزة بن عبدالله بن عمر أنّ عبدالله بن عمر قال: ما وجدتُ في نفسي من شيء في أمر هذه الآية،[3] ما وجدتُ في نفسي أنّي لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عزوجلّ.

قال الحاكم بعد أن روى ذلك: هذا باب كبير قد رواه عن عبدالله بن عمر جماعة من كبار التابعين، وإنّما قدّمت حديث شعيب بن أبي حمزة، عن

---

١ . بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة: ١٩٦ .

٢ . نقله ابن عبدالبرّ في الاستيعاب: ٣ / ٩٥٣، وروىٰ ابن عبدالبرّ نحوه بإسناده عن يحيى بن سليمان الجعفي وأسد بن موسى، عن أسباط بن سالم، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر، ورواه أيضاً بإسناده عن أبي بكر بن أبي الجهم، عن ابن عمر .

٣ . يعني قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنينَ اقْتَتَلُوا﴾.

الزهريّ، واقتصرت عليه لأنّه صحيح على شرط الشيخين.[١]

ونسأل: أيّهما أعرف بوصف فئة معاوية في حرب (صفّين): ابن تيمية، أم ابن عمر، الّذي عاصر أحداث (صفّين)، ووصم فئةَ معاوية (كما وصمها رسول الله ﷺ من قبل) بالفئة الباغية بعد مرور أكثر من ثلاثين عاماً على نهاية تلك الحرب، وعبّر عن أساه على ترك قتالها؟!

ونقول أخيراً: إنّما نحن أوردنا هذه الأدلّة على سبيل الاحتجاج على ابن تيمية ومقلّديه، وإلّا فإنّ قول الرسول ﷺ لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية» كافٍ، وحده، لإثبات بغي معاوية وفئته، وإلّا كيف يصف الرسول ﷺ الفئة الّتي تقتل عمّاراً بالفئة الباغية، ولم يتحقّق فيها شرط البغي والعدوان؟!

ومن هنا، فإنّ كلّ مَن يدّعي أنّ فئة معاوية لم تكن بالباغية، فإنّما هو يردّ على رسول الله ﷺ ويصرّ على تخطئته ﷺ في قوله.. أعاذ الله المؤمنين الصادقين من سُبات العقل وقبح الزلل، ومن الخذلان والخسران.

١. المستدرك على الصحيحين: ٣ / ١١٥ ـ ١١٦، وقد أقرّ الذهبي بصحّته على شرط الشيخين.

١٢

ابن تيمية وحديث النبي ﷺ:

«أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي»

روى أصحاب السنن والمسانيد أنّ النبي ﷺ قال لعلي: «أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي»، غير أنّ مفاد الحديث لمّا لم يوافق هوى ابن تيمية، أفتى بتضعيفه وتكذيبه، فقال: ومثل قوله: «أنت ولي كلّ مؤمن بعدي» فإنّ هذا موضوع باتّفاق أهل المعرفة بالحديث.[١] ويقول أيضاً في مكان آخر: وكذلك قوله: «هو ولي كلّ مؤمن بعدي» كذب على رسول الله.[٢]

وكان على ابن تيمية أن يقول: إنّ هذا الحديث صحيح باتّفاق أهل المعرفة، غير أنّه راقه أن يموّه على صحّته ويشوّهه بيهرجته كما هو دأبه.

أفهل يحسب الرجل أنّ من أخرج هذا الحديث من أئمّة فنّه ليسوا من أهل المعرفة بالحديث، وفيهم إمام مذهبه أحمد بن حنبل، الّذي أخرجه باسناد صحيح، رجاله كلّهم ثقات؟ قال: حدّثنا عبد الرزاق، حدّثنا جعفر بن سليمان، حدّثني يزيد الرِّشك، عن مطرف بن عبد الله، عن عمران بن

١. منهاج السنّة: ٥ / ٣٥ ـ ٣٦، وفي طبعة بولاق: ٣ / ٩.
٢. منهاج السنّة: ٧ / ٣٩١، وفي طبعة بولاق: ٤ / ١٠٤.

حصين، قال: بعث رسول الله سرّية وأمّر علي بن أبي طالب، فأحدث شيئاً في سفره، فتعاقد أربعة من أصحاب محمد أن يذكروا أمره إلى رسول الله ﷺ.

قال عمران: وكنّا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله فسلّمنا عليه، قال: فدخلوا عليه فقام رجل منهم، فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه. ثم قام الثاني فقال: يا رسول الله إنّ عليّاً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه. ثم قام الثالث فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا. ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله إنّ عليّاً فعل كذا وكذا.

قال: فأقبل رسول الله على الرابع وقد تغيّر وجهه وقال: «دعوا عليّاً، دعوا عليّاً، دعوا عليّاً، إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو ولي كلّ مؤمن بعدي».[1]

وقد أخرجه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي عن عبيد الله بن عمر القواريري، عن جعفر بن سليمان، بالسند المذكور.[2]

وأخرجه ابن أبي شيبة[3]، وابن حبّان في صحيحه [4]، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء[5]، ومحب الدين الطبري[6]، والبغوي[7]، وابن

١ . مسند أحمد: ٥ / ٦٠٦، الحديث ١٩٤٢٦. وانظر: مسند أبي داود الطيالسي: ١١١، الحديث ٨٢٩.

٢ . مسند أبي يعلى: ١/ ٢٠٣، الحديث ٣٥٠، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ومؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٨ هـ.

٣ . المصنف:١٨٠/١٢، الحديث ١٢١٧٠.

٤ . صحيح ابن حبّان: ٥ / ٣٧٤، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ.

٥ . حلية الأولياء:٢٩٤/٦.

٦ . الرياض النضرة:١١٦/٣.

٧ . مصابيح السنّة:١٧٢/٤، الحديث ٤٧٦٦.

كثير في تاريخه[1]، والسيوطي[2]، والمتقي[3].

وهناك من المحدّثين والرواة وأصحاب المصادر الحديثية من روى أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما تريدون من عليٍّ؟ ما تريدون من عليٍّ؟ ما تريدون من عليٍّ، إنّ علياً منّي وأنا منه، وهو وليُّ كلّ مؤمن بعدي». أخرجه بهذا اللفظ: الترمذي في جامعه، وقال: هذا حديث حسن غريب، [4] وكذلك النسائي[5]، ومحبّ الدين[6]، وابن حجر[7]، وقال: إسنادٌ قويٌّ.

وهناك إسناد آخر لهذا الحديث، وهو: أخرج أبو داود الطيالسي، عن أبي عوانة ، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ قال لعليٍّ: «أنت وليُّ كلِّ مؤمن بعدي».[8] والإسناد صحيح، ورجاله كلّهم ثقات.

قال العلّامة الأميني بعد أن ناقش ابن تيمية في هذا الحديث وغيره: هذه

---

١ . البداية والنهاية: ٣٨١/٧ حوادث سنة ٤٠ هـ.

٢ . جامع الأحاديث:٣٥٢/٤، الحديث ١٢١٠١.

٣ . كنز العمال:٦٠٨/١١، الحديث ٣٢٩٤٠ و ٣٢٩٤١، و ص ٥٩٩ برقم ٣٢٨٨٣.

٤ . سنن الترمذي:٥٩٠/٥، الحديث ٣٧١٢.

٥ . خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ٩٢، الحديث ٨٦ ، قال محقّق الكتاب أبو إسحاق الأثري: إسناده صحيح . ولاحظ : السنن الكبرى:١٣٢/٥، الحديث ٨٤٧٤.

٦ . الرياض النضرة:١١٥/٣.

٧ . الإصابة:٢/ ٥٠٩.

٨ . مسند أبي داود الطيالسي: ٣٦٠، الحديث ٢٧٥٢؛ ولاحظ: المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٣٤ (وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي)، ومسند أحمد: ١ / ٣٣١. قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي بلج الفزاري، وهو ثقة. مجمع الزوائد: ٩/ ١٢٠ .

نبذة يسيرة من مخاريق ابن تيمية، ولو ذهبنا إلى استيفاء ما في منهاج بدعته من الضلالات، والأكاذيب، والتحكّمات، والتقوّلات، فعلينا أن نعيد استنساخ مجلّداته الأربع ونردفها بمجلّدات في ردِّها، ولم أجد بياناً يعرب عن حقيقة الرجل ويمثِّلها للملأ العلميّ، غير أنّي أقتصر علىٰ كلمة الحافظ ابن حجر في كتابه «الفتاوى الحديثية»[1] قال: ابن تيميّة عبدٌ خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذلّه، وبذلك صرّح الأئمة الذين بيّنوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتَّفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العزّ بن جماعة، وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعيّة والمالكيّة والحنفيّة.[2]

---

١ ـ الفتاوى الحديثية: ١١٤.

٢ ـ الغدير: ٣/٣٠٦.

١٣

ابن تيمية وحديث سدّ الأبواب كلّها إلّا باب علي عليه السلام

إنّ ابن تيمية يهتمّ ويجهد نفسه في إنكار كلّ فضيلة من الفضائل، الّتي رواها الثقات ونقلها الحفّاظ في كتبهم، في حقّ علي عليه السلام، وما هذا إلّا لأنّ ثبوت هذه الفضائل له عليه السلام لا يوافق هواه، ولذا تراه يشطب على الجميع بقلم عريض ويصفه بالكذب والوضع، وها هو يقول في الحديث المعروف بسد الأبواب: إنّ هذا ممّا وضعته الشيعة على طريق المقابلة.[١]

وقد استشهد على رأيه بقوله: وإنّ الذي في الصحيح عن أبي سعيد عن النبي أنّه قال في مرضه الذي مات فيه: «لا يبقين في المسجد خَوخَة إلّا سُدّت إلا خوخة أبي بكر» ورواه ابن عباس أيضاً في الصحيحين.[٢]

ولسائل أن يسأل ابن تيمية: من أين علم أنّ الحديث ممّا وضعته الشيعة على طريق المقابلة؟ ومجرد حبّ الشيعة علياً لا يكون دليلاً على اتّهامهم بالوضع!!

ثم هل تكون المعارضة دليلاً على وضع هذا الحديث؟ فلماذا لا تكون

١. منهاج السنّة: ٥ / ٣٥، وفي طبعة بولاق: ٣ / ٩.

٢. نفس المصدر.

المعارضة دليلاً على وضع الحديث الآخر؟

وعلى كلّ تقدير فالمعارضة لا تكون دليلاً إذا لم يمكن الجمع بين الحديثين، فإنّ سد الباب غير سدّ الخوخة، فالخوخة عبارة عن طاقات كانت في المسجد، فالخوخة في اللغة هي كوّة تعدّي الضوء إلى البيت، فلا مانع من أن يسدّ النبيﷺ الأبواب كلّها إلّا باب علي، ويأمر أيضاً بسدّ الخوخات كلّها إلّا خوخة بيت أبي بكر، ولذلك يقول العلّامة الأميني تعليقاً على عبارة ابن تيمية: لا أجد لنسبة وضع هذا الحديث إلى الشيعة دافعاً إلّا القحّة والصلف، ودفع الحقائق الثابتة بالجلبة والسخب[1]، فإنّ نصب عينيّ الرجل كتب الأئمة من قومه وفيها مسند إمام مذهبه أحمد قد أخرجوه فيها بأسانيد جمّة صحاح وحسان، عن جمع من الصحابة تربو عدّتهم على عدد ما يحصل به التواتر عندهم.[2]

هذا كلّه على سبيل المماشاة، وهلمّ معي الآن لتقرأ مَن نقل الحديث من أئمة الحديث والرواية، لنرىٰ مدى صدق كلام ابن تيمية ودقّته.

فقد أخرج هذا الحديث جمع من الصحابة نأتي بأسمائهم:

١. زيد بن أرقم، ٢. عمر بن الخطاب، ٣. البراء بن عازب، ٤. عبد الله بن عمر بن الخطاب، ٥. عبدالله بن عباس، ٦. أبو سعيد الخدري، ٧. سعد بن مالك، ٨. أبو حازم الأشجعي، ٩. جابر بن عبد الله الأنصاري، ١٠. جابر بن سمرة، ١١. سعد بن أبي وقّاص، ١٢. أنس بن مالك.

---

١. السخب والصخب: الصِّياح واضطراب الأصوات.

٢. الغدير:٢٨٥/٣.

مضافاً إلى أنّ الإمام عليعليه السلام هو أحد من يُروى عنه هذا الحديث، ومن أراد أن يقف على متون الحديث ومصادره فليرجع إلى موسوعة الغدير.[1]

وها نحن نذكر نزراً يسيراً منها، ليكون كنموذج لما لم نذكره:

١. روى الإمام أحمد (بسند صحيح) عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، قال: وقال [يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم]: سدّوا أبواب المسجد غير باب عليّ [2]. ورواه النسائي [3]، والحاكم (وصحّحه، وأقرّه الذهبيّ).[4]

٢. روى الحاكم بسنده عن زيد بن أرقم قال: كانت لنفر من أصحاب رسول الله أبواب شارعة في المسجد فقال يوماً سدّوا هذه الأبواب إلّا باب عليّ قال: فتكلّم في ذلك ناس، فقام رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد فإنّي أُمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليٍّ فقال فيه قائلكم، والله ما سددتُ شيئاً ولا فتحته ولكن أُمرت بشيءٍ فاتّبعته.[5]

٣. قال ابن حجر: تنبيه: جاء في سدّ الأبواب التي حول المسجد أحاديث يخالف ظاهرها حديث الباب(لا يبقيّن في المسجد باب إلّا سُدّ إلّا باب أبي بكر) منها: حديث سعد بن أبي وقاص قال: أمرنا رسول الله بسدّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب عليّ.

---

١ . الغدير:٣/٢٨٥ـ ٣٠٤.

٢ . مسند أحمد: ١ / ٣٣١ .

٣ . خصائص أمير المؤمنين: ٥٩، الحديث ٤٢، وص ٥٨، الحديث ٤١ (وحسّنه محقّق الكتاب أبو إسحاق الأثري).

٤ . المستدرك على الصحيحين: ٣ / ١٣٢ .

٥ . المستدرك:٣/١٢٥، (وصحّحه الحاكم، وسكت عليه الذهبي)، وانظر: مسند أحمد: ٤ / ٣٧٢ .

أخرجه أحمد والنسائي وإسناده قويّ، وفي رواية للطبراني في الأوسط رجالها ثقات (من الزيادة)، فقالوا: يا رسول الله سددت أبوابنا! فقالﷺ: «ما أنا سددتها ولكن الله سدّها».

وعن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد، فقال رسول اللهﷺ: سدّوا هذه الأبواب إلّا باب علي»، فتكلّم ناس في ذلك، فقال رسول اللهﷺ: «إنّي والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أمرت بشيء فاتبعته». أخرجه أحمد والنسائي والحاكم ورجاله ثقات.

وعن ابن عباس قال: أمر رسول اللهﷺ بأبواب المسجد فسدّت إلّا باب علي، وفي رواية وأمر بسد الأبواب غير باب عليٍّ، فكان يدخل المسجد وهو جنب ليس له طريق غيره. أخرجهما أحمد والنسائي ورجالهما ثقات.

وعن جابر بن سمرة قال: أمرنا رسول اللهﷺ بسد الأبواب كلّها غير باب عليٍّ فربما مر فيه وهو جنب. أخرجه الطبراني.

وعن ابن عمر قال: كنّا نقول في زمن رسول اللهﷺ رسول اللهﷺ خير الناس ثم أبو بكر ثم عمر ؛ و لقد أُعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم: زوّجه رسول اللهﷺ ابنته وولدت له، وسدّ الأبواب إلّا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر. أخرجه أحمد، وإسناده حسن.

وأخرج النسائي من طريق العلاء بن عرار (بمهملات) قال: فقلت لابن عمر:أخبرني عن علي وعثمان فذكر الحديث، وفيه: وأمّا علي فلا تسأل عنه أحد أو انظر إلى منزلته من رسول اللهﷺ قد سدّ أبوابنا في المسجد وأقرّ

بابه. ورجاله رجال الصحيح إلّا العلاء وقد وثّقه يحيى بن معين وغيره.

وهذه الأحاديث يقوّي بعضها بعضاً وكلّ طريق منها صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها.

وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات أخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وابن عمر مقتصراً على بعض طرقه عنهم، وأعلّه ببعض من تكلّم فيه من رواته، وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق، وأعلّه أيضاً بأنّه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر وزعم أنّه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر انتهى، وأخطأ في ذلك خطأ شنيعاً، فإنّه سلك في ذلك ردّ الأحاديث الصحيحة بتوهّمه المعارضة، مع أنّ الجمع بين القصتين ممكن.[1]

---

١ . فتح الباري: ٧ / ١٤ ـ ١٥ .

١٤

إنكار ابن تيمية حديث باب مدينة العلم

يقول ابن تيمية: وحديث: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها» أضعف وأوهن، ولهذا إنّما يُعدّ في الموضوعات وإن رواه الترمذي، وذكره ابن الجوزي وبيّن أنّ سائر طرقه موضوعة، والكذب يُعرف من نفس المتن.[1]

أقول: كيف يحكم بوضع حديث نقله جماعة من مشاهير الصحابة أوّلاً، وأعاظم التابعين ثانياً، وأبرز العلماء ثالثاً عبر القرون، وقد كفانا في ذلك ما حققه علّامة عصره العلم الحجّة السيد حامد حسين اللكهنوي، فأفرد لبيان أسانيد الحديث جزءاً خاصّاً من كتابه «عبقات الأنوار» ونقله إلى العربية المحقق العلّامة السيد علي الحسيني الميلاني في موسوعته «نفحات الأزهار» وطبع في ثلاثة أجزاء.[2]

أمّا من رواه من الصحابة:

١. الإمام علي عليه السلام، ٢. الإمام السبط الحسن عليه السلام، ٣. الإمام السبط الحسين عليه السلام، ٤. عبد الله بن عباس، ٥. جابر بن عبد الله الأنصاري، ٦. عبد الله بن مسعود، ٧. حذيفة بن اليمان، ٨. عبد الله بن عمر، ٩. أنس بن مالك، ١٠. عمرو بن العاص.

وأمّا من رواه من التابعين، فمنهم:

---

١. منهاج السنّة: ٥١٥/٧، وفي طبعة بولاق: ١٣٨/٤.

٢. لاحظ نفحات الأزهار: ج ١٠ و ١١ و ١٢.

١. الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، ٢. الإمام الباقر محمد بن علي عليه السلام، ٣. الأصبغ بن نباتة الحنظلي الكوفي، ٤. جرير الظبّي، ٥. الحارث بن عبد الله الهمداني الكوفي، ٦. سعد بن طريف الحنظلي الكوفي، ٧. سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، ٨. سلمة بن كهيل الحضرمي الكوفي، ٩. سليمان بن مهران الكوفي المعروف بالأعمش، ١٠. عاصم بن غمرة السلولي الكوفي، ١١. عبد الله بن عثمان بن خثيم القارئ المكّي، ١٢. عبد الرحمن بن عثمان التميمي المدني، ١٣. عبد الرحمن بن عسيلة المرادي أبو عبد الله الصنابحي، ١٤. مجاهد بن جبر أبو الحجّاج المخزومي المكّي.

وأمّا رواة الحديث من الحفاظ والمحدّثين فقد نقله في القرن الثالث ثمانية من الحفاظ، ورواه في القرن الرابع أربعة عشر، ورواه في القرن الخامس اثنا عشر، ورواه في القرن السادس ثمانية، ورواه في القرن السابع اثنا عشر، ورواه في القرن الثامن عشرة، ورواه في القرن التاسع عشرة أيضاً، وفي القرن العاشر رواه اثنان وعشرون، ورواه في القرن الحادي عشر أربعة عشر، وفي القرن الثاني عشر رواه ثلاثة عشر، وفي القرن الثالث عشر رواه ثلاثة عشر عالماً ومحدّثاً.

هذا ما لدى صاحب العبقات، وفي القرن الرابع عشر نقله خمسة من أهل الاختصاص.[١]

وهذه الأسماء والأرقام التي استقيناها من اللكهنوي والأميني ـ رحمهما الله ـ هي نتيجة جهود فردية لهما، وإلّا فلو قامت لجان علمية متخصصة بدراسة الحديث والبحث عنه لناهز عدد رواته أكثر ممّا ذُكر هنا.

---

١. لاحظ: الغدير: ٦/١١٠ـ١١١.

ثم كيف يحكم عليه بالوضع مع أنّ الحاكم النيسابوري نقله بأسانيد ثلاثة، نذكر منها ما أورده بالسند الأوّل، قال: حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن عبد الرحيم الهروي بالرملة، ثنا أبو الصلت عبد السلام بن صالح، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»**. ثم قال الحاكم بعد ذلك: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه.

وأبو الصلت ثقة مأمون فإنّي سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب في التاريخ يقول: سمعت العباس بن محمد الدوري يقول: سألت يحيى بن معين عن أبي الصلت الهروي فقال: ثقة، فقلت: أليس قد حدّث عن أبي معاوية عن الأعمش: «أنا مدينة العلم»؟ فقال: قد حدّث به محمد بن جعفر الفيْدي، وهو ثقة مأمون سمعت أبا نصر أحمد بن سهل الفقيه القباني إمام عصره ببخارىٰ يقول: سمعت صالح بن محمد بن حبيب الحافظ يقول: وسئل عن أبي الصلت الهروي؟ فقال: دخل يحيى بن معين ونحن معه على أبي الصلت فسلّم عليه، فلمّا خرج تبعته فقلت له: ما تقول رحمك الله في أبي الصلت؟ فقال: هو صدوق، فقلت له: إنّه يروي حديث الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتها من بابها»؟ فقال: قد روى هذا ذاك الفيدي عن أبي معاوية عن الأعمش كما رواه أبو الصلت.[1]

---

١. المستدرك:٣/١٢٦ـ١٢٧، وأقرأ السندين الأخيرين في نفس المستدرك.

والمعروف عن الذهبي أنّ نفسه لا تنبسط للأحاديث الواردة في فضائل عليﷺ، ومن هنا تجده يبالغ في نقد أسانيدها، وقد ينكر بعض الأحاديث مع إقراره بصحة أسانيدها.(١)

وفي هذا المجال يأتي تعقيبه على رواية الحاكم المتقدّمة، حيث يقول: أبو الصلت: عبد السلام، ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب». صحيحٌ (قلت): بل موضوعٌ. قال: وأبو الصلت ثقة مأمون(قلت): لا والله لا ثقة ولا مأمون.(٢)

أقول: إنّ الذهبي حكم بوضع الحديث، لوقوع أبي الصلت في أحد طرقه، وأبو الصلت، كما يقول هنا، ليس بثقة ولا مأمون، مع أنّه ذكر في ترجمته ما ينافي ذلك، فقد قال فيه: الرجل الصالح، إلّا أنّه شيعي جلد. ثم نقل عن عباس الدوري أنّه قال: سمعت يحيى[بن معين] يوثّق أبا الصلت.(٣)

وحكم (الذهبي) أيضاً بوضع الحديث، الذي رواه الحاكم، بسندٍ ثانٍ من طريق عبد الرزاق الصنعاني بسنده إلى جابر بن عبد الله، وذلك لوقوع أحمد بن عبد الله بن يزيد الحرّاني في سنده، حيث قال فيه: دجّال كذّاب.(٤)

---

١. انظر ما عقّب به على حديث ابن عباس: نظر النبيﷺ في عليّ، فقال:أنت سيد في الدنيا والآخرة... المستدرك على الصحيحين:١٢٨/٣.

٢. المستدرك:١٢٦/٣، تلخيص الذهبي في نفس الصفحة.

٣. ميزان الاعتدال:٦١٦/٢برقم ٥٠٥١.

٤. المستدرك: (تلخيص الذهبي):١٢٦/٣.

والظاهر أنّه لا منشأ لنسبة الدجل والكذب إلى الحرّاني إلّا لروايته هذا الحديث في فضل أمير المؤمنينعليه السلام.

ويدلّ على ذلك (أنّ نقل الفضيلة سبب للاتهام بالكذب والدجل)، ما عرفت من أنّه لمّا وصف يحيى بن مَعين أبا الصلت بأنّه صدوق، اعترض عليه صالح بن محمد، وقال: إنّه روى حديث: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتها من بابها»؟(يعني: كيف يكون صدوقاً، وهو يروي الحديث المذكور؟) فقال ابن معين: قد روى هذا ذاك الفيدي عن أبي معاوية عن الأعمش كما رواه أبو الصلت.[1]، وهذا يرشدنا إلى أنّ للعقائد تأثيراً كبيراً على آراء أصحاب الجرح والتعديل، وأنّ الاتجاه السائد عند الكثير منهم، هو تجريح من ينقل فضائل الإمام وأهل بيته .

وحسْب الباحث الموضوعي والقارئ المنصف، لكي يقف على تلك الحقيقة المرّة، أن يتتبّع كلماتهم في حقّ محمد بن جعفر الفَيدي(راوي الحديث الذي نحن بصدده)، حيث اتّسمت، وبشكل واضح، بالاضطراب والتناقض، الدّالّين على التخبّط والحَيْرة في كيفية التعامل مع الحديث المذكور، الذي يَرون أنّه يخالف اعتقادهم في الخلفاء، ولذا أصرّ المتعصّبون منهم كابن تيمية، والذهبيّ على القول بكونه موضوعاً، مع أنّه ورد في كتبهم من طريقين (دعْ عنك سائر الطرق)، أحدهما صحيح الإسناد على شرط البخاري، والآخر صحيح الإسناد أو حسن الإسناد(على أقلّ تقدير)، وسنثبت ذلك ببرهان قاطع، ولكن بعد أن ننقل بعض تلك الكلمات التي قلنا أنّها تدلّ على التخبّط والحيرة:

---

١. نفس المصدر.

١. قال أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (المتوفّى ٤٧٤هـ):

محمد بن جعفر، أبو جعفر الكوفي، نزل «فيد»، أخرج البخاري في الهبة عنه، عن محمد بن فضيل، ولم أجد له ذكراً في غير هذا الكتاب، ويشبه أن يكون مجهولاً.[١]

أقول: ذكر الفيدي هذا ـ في أيام الباجي وقبلها ـ العديدُ من المؤلفين، منهم: البخاري في «التاريخ الكبير»[٢]، وابن حبّان (المتوفّى ٣٥٤هـ) في «الثقات»[٣]، وابن عديّ (المتوفّى ٣٦٥هـ)، وأبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (المتوفّى ٤١٨هـ)[٤]، والحاكم النيسابوري (المتوفّى ٤٠٥هـ) في «المستدرك على الصحيحين»[٥]، والخطيب البغدادي (المتوفّى ٤٦٣هـ) في «تاريخ بغداد».[٦]

فإذا كان أبو الوليد الباجي معذوراً في قوله: «لم أجد له ذكراً في غير هذا الكتاب»، لاحتمال أن تكون الكتب التي ذكرناها غير متوفرة بين يديه، أو أنّ بصره لم يقع على اسمه فيها، فإنّه ليس بمعذور في قوله: «يشبه أن يكون مجهولاً»، فعدم الاطلاع على أحواله لا يبرّر مثل هذا القول... والرجل كان معروفاً، روى عنه كبار المحدثين مثل البخاري، ويعقوب بن شيبة

---

١. تهذيب الكمال: ٢٤/٥٨٧، هامش الترجمة ٥١١٩، نقلاً عن: رجال البخاري للباجي: ٢/٦٢٤.

٢. التاريخ الكبير: ١/٥٧، برقم ١١٨.

٣. الثقات: ٩/١١٠.

٤. قال العيني: ذكره اللالكائي، وابن عديّ، وابن عساكر في شيوخ البخاري. عمدة القاري: ١٣/١٦٦.

٥. المستدرك على الصحيحين: ٣/١٢٧.

٦. تاريخ بغداد: ٢/١١٨، برقم ٥١١.

السدوسي، ومحمد بن عبد الله الحضرمي الشهير بمطيَّن.

٢. قال ابن حجر العسقلاني:

وقع في الهبة: حدثنا محمد بن جعفر أبو جعفر ولم يذكر نسبه، والذي أظنّ أنّه القومسي، فإنّه لم يختلف في أنّ كنيته أبو جعفر، بخلاف هذا، والقومسي ثقة حافظ بخلاف هذا فإنّ له أحاديث خولف فيها.[1]

وهذا ظنّ فاسد، قاده إليه الرأي المسبق في حديث(باب مدينة العلم)، فإنّ الفيدي لمّا روى هذا الحديث (الذي طعنوا فيه بسبب متنه الذي يرون أنّه يخالف اعتقادهم)، حاول بعضهم أن يخرجه من رجال الصحيح، أو يتكلّم فيه بلا مسوّغ.

فالفيدي من شيوخ البخاري، ومن رجال صحيحه، صرّح بذلك جماعة، منهم: ابن عديّ، وأبو القاسم اللالكائي، والخطيب البغدادي، وأبو الوليد الباجي، والسمعاني[2] (المتوفّى ٥٦٢هـ)، وابن عساكر (المتوفّى ٥٧١هـ)، وعبد الغني المقدسي (المتوفّى ٦٠٠هـ)، وأبو الحجاج المزّي[3] (المتوفّى ٧٤٢هـ)، والذهبي[4](المتوفّى ٧٤٨هـ)، فمحاولة شطب اسمه من الصحيح، دونها خرط القَتاد.

ثمّ إنّ أبا جعفر محمد بن جعفر روى في كتاب الهبة من «صحيح

---

١ . تهذيب التهذيب:٩٦/٩، الترجمة ١٢٨.

٢ . الأنساب:٤١٦/٤.

٣ . تهذيب الكمال:٥٨٧/٢٤، الترجمة٥١١٩.

٤ . الكاشف:٢٨/٣ـ٢٩، الترجمة٤٨٣٨.

البخاري»[1] عن محمد بن فضيل بن غزوان، وابن فضيل[2] هذا، عُدّ من شيوخ الفيدي، ولم يعدّ من شيوخ القومسي، فكيف يظنّ ابن حجر أنّ المراد بمحمد بن جعفر، هنا هو القومسي؟!

وأمّا قوله: إنّه لم يختلف في أنّ كنية القومسي أبو جعفر بخلاف الفيدي، فلا يتمّ أيضاً، لأنّ البخاري نفسه كنّى الفيدي في تاريخه بأبي جعفر، واقتصر على هذه الكنية، وكذلك فعل الخطيب البغدادي، وأبو الوليد الباجي، والسمعاني.[3]

وهكذا يتبيّن، بشكل قاطع، أنّ الفيدي من شيوخ البخاري، ومن رجال صحيحه، ولا مجال للتشكيك في ذلك، فالحديث، إذاً صحيح على شرط البخاري.

٣. قال الذهبيّ في مواضع من كتبه، بأنّ حديث(باب مدينة العلم) موضوع، مع أنّه أغفل مناقشة بعض أسانيده، فقد لاذ بالصمت ولم يعلّق بشيء على رواية الحاكم النيسابوري من طريق (محمد بن جعفر الفَيْدي)، كما أنّه لم يترجم للفيدي هذا في «ميزان الاعتدال» المخصّص ـ في أصله ـ للضعفاء، حتى يقال إنّ في سند الحديث من تُكلّم فيه، فكيف حكم، إذاً، بوضع الحديث؟!

ثمّ إنّ الذهبي نفسه روى الحديث بإسناده عن سويد بن سعيد، عن

---

١. صحيح البخاري:١٥٩/٢، كتاب الهبة، باب هدية ما يكره لبسها(٢٧)، برقم ٢٦١٣.

٢. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال:٢٩٣/٢٦، برقم ٥٥٤٨. وراجع ترجمة محمد بن جعفر القومسي في الكتاب نفسه: ج١٣/٢٥، برقم ٥١٢٢.

٣. راجع المصادر التي ذكرناها في الصفحة المتقدّمة.

شريك، عن سلمة بن كهيل، عن الصُّنابحي(عبد الرحمن بن عسيلة)، عن عليّ، عن رسول اللهﷺ، قال: «أنا مدينة العلم، وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت باب المدينة».(١)

وإليك أبرز كلمات نقّاد الحديث في رجال هذا الإسناد.

ـ سويد بن سعيد.

احتجّ به مسلم في صحيحه، وقال أحمد بن حنبل: أرجو أن يكون صدوقاً، أو قال: لا بأس به. وأمّا ابن مَعين فأفحش فيه القول.

وقال أبو حاتم: صدوق كثير التدليس.

وقال العجلي: ثقة.

وقال الذهبي: كان صاحب حديث وحفظ، لكنّه عُمِّر وعمي، فربّما لُقِّن ممّا ليس من حديثه، وهو صادق في نفسه، صحيح الكتاب.(٢)

ـ شريك بن عبد الله.

وثّقه كثيرون مثل: يحيى بن مَعين، والعجلي، وابن حبّان، وابن شاهين، وقال غير واحد: صدوق.

وقال الذهبي: الحافظ، الصادق، أحد الأئمة. وكان من أوعية العلم.

احتجّ به أصحاب السنن، وأخرج له مسلم متابعة، واستشهد به البخاري في «الجامع»، وروى له في «رفع اليدين في الصلاة» وغيره.(٣)

---

١ . ميزان الاعتدال:٢/٢٥١، الترجمة ٣٦٢١.

٢ . انظر: ميزان الاعتدال:٢/٢٤٨، الترجمة ٣٦٢١، و تهذيب الكمال:١٢/٢٤٧، الترجمة ٢٦٤٣.

٣ . انظر: تهذيب الكمال:١٢/٤٦٢، الترجمة٢٧٣٦؛ و ميزان الاعتدال:٢/٢٧٠، الترجمة ٣٦٩٧.

- سلمة بن كُهيل

ثقة عند الجميع، وقد روى له أصحاب الكتب الستة.[١]

- عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنابِحيّ.

ثقة عند الجميع، وقد روىٰ له أصحاب الكتب الستة.[٢]

فالحديث بهذا الإسناد، إمّا صحيح[٣]، أو حسن (لأنّ رجاله بين الثقة والصدوق)، فكيف يُدّعىٰ، إذاً، أنّه موضوع، وهل هذا إلّا انصياع للهوىٰ، وقول بغير علم؟!

وهاك مثالاً آخر يعزّز ما سبق من أنّ الذهبي قد تعامل مذهبياً مع الحديث، وليس علىٰ أساس المنهج العلمي:

قال: أخرج الترمذي عن إسماعيل بن موسى، عن محمد بن عمر الرومي، عن شريك حديث: «أنا دار الحكمة، وعليٌّ بابها».

ثمّ عقّب الذهبيّ على ذلك بقوله: فما أدري من وضعه؟[٤]

فهو يحكم، إذاً، على أحد الرجلين: إسماعيل بن موسى الفزاري، أو محمد بن عمر الرومي، بوضع الحديث.

والآن، لننظر إلى أقوال أصحاب الجرح والتعديل في حقّ هذين الرجلين، حتى نقف على مدى التزامه بالمنهج العلميّ:

---

١. انظر: تهذيب الكمال:٣١٣/١١، الترجمة ٢٤٦٧.

٢. انظر: تهذيب الكمال:٢٨٢/١٧، الترجمة ٣٩٠٥.

٣. إذا أخذنا بتوثيق مسلم، والعجلي، لسويد بن سعيد.

٤. ميزان الاعتدال:٦٦٨/٣، الترجمة ٨٠٠٢.

ـ محمد بن عمر بن عبد الله الروميّ.

روى عنه من كبار المحدثين: البخاري في غير صحيحه، وأبوحاتم الرازي، ويعقوب بن سفيان الفارسي، وأبو مسلم إبراهيم بن عبد الله البصري الكجّي.

قال تلميذه أبو حاتم: هو قديم، روى عن شريك حديثاً منكراً.[1] وعنه أيضاً: فيه ضعف.

وقال أبو زرعة: شيخ فيه لين.

وذكره ابن حبّان في كتاب «الثقات».

فأقصىٰ ما قيل في الرجل أنّ فيه ليناً أو ضعفاً، وأين هذا من الحكم عليه أوعلى تلميذه بوضع الحديث؟

ـ إسماعيل بن موسى الفزاري(المتوفّى ٢٤٥هـ).

روى عنه من كبار المحدّثين: أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، والبخاري في كتاب «أفعال العباد»، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي (مُطيَّن).

قال تلميذه مطيّن: كان صدوقاً.

وقال أبو حاتم: صدوق.

وقال النسائيّ: ليس به بأس.

وقال ابن عديّ: أنكروا عليه الغلوّ في التشيّع[2]، وأمّا في الرواية

---

١ . يظهر من هذا القول أنّ المشكلة في متن الحديث، وليست في الراوي!!

٢ . كيف يكون غالياً في التشيع،ويروي عنه هؤلاء المحدّثين الكبار، ومنهم البخاري، وابن خزيمة، المعروف موقفهما من الشيعة؟!

فقد احتمله الناس، ورووا عنه.[١]

فهل يصحّ، بعد هذه الأقوال فيه، أن يكون أحد اثنين يُقطع عليهما بوضع الحديث؟

وممّا يثير العجب، أن يطعن الذهبي على الفزاريّ بمثل هذا الطعن، مع أنّ الذهبيّ نفسه قال في حقّه: صدوق شيعيّ!![٢]

ثمّ إنّ الفزاريّ لم يتفرّد برواية الحديث عن محمد بن عمر الرومي، وإنّما رواه عنه أيضاً أبو مسلم البصري الكجّي، والكجّي هذا وثّقه الدارقطني وغيره، ووصفه الذهبيّ بقوله: الإمام، الحافظ، شيخ العصر.[٣]

وإذا كان الذهبي قد تعامل مع الحديث من وجهة نظر مذهبية، فاضطرب وتخبّط في مناقشة أسانيده ـ كما رأيت ـ فهل يُنتظر من ابن تيمية (وهو أشدّ تعصّباً منه) أن يبحث فيها، ليتوصّل إلىٰ رأي علميّ محدّد من الحديث؟ كلّا، وألف كلّا، إنّه لا يرىٰ ثمّة حاجة إلى البحث في أسانيده، فنظرة عجلىٰ منه إلى متن الحديث (وهو يخصّ علياً بهذه الفضيلة الرابية)، كافية للحكم عليه بالوضع!! ومن هنا عوّل على ابن الجوزي في مناقشته لسبعة عشر طريقاً من طرقه الكثيرة، وقال: «ذكره ابن الجوزي، وبيّن أن سائر طرقه موضوعة، والكذب يُعرف من نفس المتن».[٤]

---

١. انظر: تهذيب الكمال:٣/٢١٠، الترجمة ٤٩١؛ وميزان الاعتدال:١/٢٥١، الترجمة ٩٥٨.

٢. الكاشف للذهبي:١/١٢٩، برقم ٤١٤.

٣. سير أعلام النبلاء:١٣/٤٢٣، الترجمة ٢٠٩.

٤. منهاج السنة: ٧ / ٥١٥، وفي طبعة بولاق : ٤ / ١٣٨.

وممّا يلاحظ على كتاب ابن الجوزي، أنّه لم يستوفِ كلّ طرق الحديث.[١] هذا أوّلاً.

وثانياً: أنّه تعسّف في الحكم على بعض طرقه، ونقل عن الرجاليين اتّهام بعض الرواة بسرقة الحديث، ولم يكشف لنا عن أسماء هؤلاء الرجاليين!![٢]

وقد ردّ عدد من حفّاظ أهل السنّة على ابن الجوزي والذهبيّ وغيرهما ممّن قالوا بأنّ الحديث موضوع، ولم يرتضوا منهم هذا القول الذي يجافي الحقيقة، وإليك بعض ردودهم:

قال الحافظ صلاح الدين خليل العلائي الدمشقي (المتوفّى ٧٦١هـ):

هذا الحديث حكم ابن الجوزي وغيره بوضعه، وعندي في ذلك نظر... إلى أن قال: والحاصل أنّه ينتهي بطرقه إلى درجة الحسن المحتجّ به، ولا يكون ضعيفاً فضلاً عن أن يكون موضوعاً.[٣]

وقال الحافظ ابن حجر في لسانه: هذا الحديث له طرق كثيرة في

---

١. مثل ما روي من طريق محمد بن جعفر الفيدي(من رجال البخاري)، وطريق سُويد بن سعيد(من رجال مسلم)، وغيرهما.

٢. قال: وفي الطريق الثاني: رجاء بن سلمة، وقد اتّهموه بسرقته أيضاً(الموضوعات:٣٥٤/١، وفيه: جابر بن سلمة، خطأ). يشار إلى أنّني لم أجد لرجاء بن سلمة ذكراً فيما بين يديّ من كتب الجرح والتعديل. نعم ذكره ابن حجر، ولكنه لم ينقل في ترجمته سوى قول ابن الجوزي:(اتّهم بسرقة الأحاديث)، ولم يبيّن لنا مَن هو المتّهِم!!

انظر: لسان الميزان:٤٥٦/٢، برقم ١٨٤٣ .

وقال أيضاً: في الطريق الأوّل جعفر بن محمد الفقيه، وهو متّهم بسرقة هذا الحديث (الموضوعات:٣٥٤/١)، ولم ينقل لنا، أيضاً، أسماء من اتّهموه.

٣. لاحظ: النكت البديعات للسيوطي:٢٨٨ـ٢٨٩.

مستدرك الحاكم، أقلّ أحوالها أن يكون للحديث أصل، فلا ينبغي أن يُطلق القول عليه بالوضع.(١)

وقال أيضاً في فتوى هذا الحديث: أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: إنّه صحيح، وخالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات وقال: إنّه كذب، والصواب خلاف قولهما معاً، وإنّ الحديث من قسم الحسن لا يرتقي إلى الصحة ولا ينحط إلى الكذب، وبيان ذلك يستدعي طولاً، ولكن هذا هو المعتمد في ذلك.(٢)

وقال العلاّمة المتّقي الهندي(المتوفّى ٩٧٥هـ): قد كنت أُجيب بهذا الجواب (يعني جواب ابن حجر) دهراً إلى أن وقفت على تصحيح ابن جرير لحديث عليّ في «تهذيب الآثار»(٣)، مع تصحيح الحاكم لحديث ابن عباس، فاستخرتُ الله وجزمتُ بارتقاء الحديث من مرتبة الحسن إلى مرتبة الصحّة. والله أعلم.(٤)

أقول: يتّضح ممّا تقدّم أنّ حديث (باب مدينة العلم)، قد صحّحه يحيى بن مَعين(٥) (المتوفّى ٢٣٣هـ)، وابن جرير الطبري (المتوفّى ٣١٠ هـ)،

---

١. لسان الميزان:١٢٣/٢، الترجمة٥١٣.

٢. النكت البديعات:٢٨٩، وكنز العمّال:١٤٨/١٣.

٣. تهذيب الآثار:١٨٩/١، الحديث ١٨٠، مطابع الصفا بمكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

٤. كنز العمال:١٤٩/١٣.

٥. قد مرّ عليك جوابه لصالح بن محمد بن عمرو بن حبيب المعروف بـ (جزرة)، وقد سأله عن رواية أبي الصلت لحديث (باب مدينة العلم): قد روى هذا، ذاك الفيدي عن أبي معاوية كما رواه أبو الصلت.

والحاكم النيسابوري (المتوفّى ٤٠٥ هـ)، والمتّقي الهندي (المتوفّى ٩٧٥هـ).

وحسّنه صلاح الدين العلائي (المتوفّى ٧٦١هـ)، وابن حجر العسقلاني (المتوفّى ٨٥٢ هـ).

ويتّضح أيضاً، أنّ القائلين ببطلانه (لم يأتوا في ذلك بعلّة قادحة، سوى دعوى الوضع دفعاً بالصدر)، كما أكّد ذلك الحافظ صلاح الدين العلائي الدمشقي.[1]

وأظن أنّ دراسة الحديث أزيد من هذا المقدار خارج عن إطار بحثنا، ومن أراد التفصيل والوقوف على كلمات العلماء حول الحديث فليرجع إلى «عبقات الأنوار» أو «نفحات الأزهار»، وكتاب «الغدير».[2]

☜ وقال المتقي الهندي: وروى الخطيب البغدادي في تاريخه عن يحيى بن معين أنّه سئل عن حديث ابن عباس، فقال: هو صحيح. كنز العمال:١٣/١٤٨.

١. انظر: كنز العمّال:١٣/١٤٨.

٢. الغدير:٦/٨٧ ـ ١١٧؛ نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار: ج١٠ وج١١ و ج١٢.

١٥

ابن تيمية وقول رسول الله ﷺ: «أقضاكم عليّ»

يقول ابن تيمية: وأمّا قول الحلّي: [قال رسول الله:«أقضاكم علي» والقضاء يستلزم العلم والدين]، فهذا الحديث لم يثبت وليس له إسناد تقوم به الحجّة.(١)

كيف يقول: (فهذا الحديث لم يثبت، وليس له إسناد تقوم به الحجّة)؛ وقد روى أحمد في مسنده عن أبي عبد الرحمن: وجدت في كتاب أبي بخط يده في هذا الحديث قال لبنته فاطمة: «أو ما ترضين أنّي قد زوّجتك أقدم أُمّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً».(٢)

وأخرج البغوي عن أنس، عن النبي ﷺ أنّه قال: «أقضىٰ أُمّتي علي». فقال محبّ الدين الطبري (المتوفّى ٦٩٤هـ): أخرجه البغوي في المصابيح، في الحسان وقال: وعن عمر، قال: أقضانا علي. أخرجه الحافظ السلفي.(٣)

وروى أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن ابن عباس: قال: قال عمر: علي أقضانا وأُبي أقرؤنا.(٤)

---

١ . منهاج السنّة: ٥١٢/٧ـ٥١٣، وفي طبعة بولاق : ١٣٨/٤.

٢ . مسند أحمد:٢٦/٥.

٣ . ذخائر العقبىٰ:٨٣.

٤ . مسند أحمد :١١٣/٥؛ مستدرك الحاكم:٣٠٥/٣.

وروى ابن عبد البر في «الاستيعاب» بسنده إلى أبي فروة [عروة بن الحارث الهمْدانيّ] قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: قال عمر: عليٌّ أقضانا.(١)

وروى ابن عبد البر أيضاً بسنده عن علقمة، عن عبد الله [بن مسعود] قال: كنّا نتحدّث أنّ أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب.(٢)

وأورد ابن حجر في «فتح الباري» قولهﷺ:«أقضى أُمّتي عليٌّ»، وقال، وهو يشرح قول عمر بن الخطاب المرويّ في البخاري:

«أقرأنا أُبيّ، وأقضانا عليّ»(٣) قال: كذا أخرجه موقوفاً، وقد أخرجه الترمذي وغيره من طريق أبي قلابة، عن أنس مرفوعاً في ذكر أُبيّ.

ثم قال ما نصّه: وأمّا قوله: «وأقضانا عليّ»؛ فورد في حديث مرفوع أيضاً عن أنس رفعه: «أقضىٰ أُمّتي علي بن أبي طالب»، أخرجه البغوي.

وعن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن النبيﷺ مرسلاً: «أرحم أُمّتي بأُمّتي أبو بكر وأقضاهم علي» الحديث.

ورويناه موصولاً في فوائد أبي بكر محمد بن العباس بن نجيح من حديث أبي سعيد الخدري مثله.

وروى البزار من حديث ابن مسعود قال: كنّا نتحدّث أنّ أقضىٰ أهل المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.أ.هـ(٤)

---

١. الاستيعاب :١١٠٢/٣، الترجمة ١٨٥٥.

٢. الاستيعاب:١١٠٣/٣.

٣. صحيح البخاري:١٤٩/٥، كتاب تفسير القرآن.

٤. فتح الباري:١٦٧/٨، برقم ٤٤٨١.

١٦

ابن تيمية وحديث قتال الناكثين والقاسطين والمارقين

وممّا ينبئ عن نزعة ابن تيميّة الأموية، هو إنكاره حديث قتال الناكثين الذي رواه غير واحد من الصحابة والتابعين والحفّاظ والعلماء والمؤلّفين، وحاصل الحديث: أنّ علياً عليه السلام قال: «أمرني رسول الله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين».

وفي لفظ آخر عن أحد الصحابة: إنّ رسول الله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي، بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. إلى غير ذلك من ألفاظ الحديث.

يقول ابن تيمية ما هذا نصّه: وأمّا الحديث الذي يُروى أنّه أُمر بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين، فهو حديث موضوع على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.[1]

أقول: إنّ إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ عليّاً يقاتل هذه الطوائف الثلاث، قد ورد بصور مختلفة لا يمكن لمتحدّث ـ فضلاً عن المحدّث ـ رمي هذه الأحاديث الهائلة بالوضع والكذب، إلّا إذا كان من رماة القول على عواهنه الذين يردّون كلّ ما لا يوافق هواهم.

الصورة الأُولى:

قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنسائه: كيف بإحداكنّ إذا نبح عليها كلاب الحوأب.

أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم لهن: أيتكنّ تنبح عليها (تنبحها) كلاب الحوأب.

---

١ . منهاج السنّة: ٦/١١٢، وفي طبعة بولاق: ٣/١٥٦.

وقوله ﷺ لهن: ليت شعري أيتكنّ تنبحها كلاب الحوأب، سائرة إلى الشرق في كتيبة.

وقوله ﷺ لهن: ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأزبّ، تنبحها كلاب الحوأب.

وقوله ﷺ لعائشة: وكأنّي بإحداكنّ قد نبحها كلاب الحوأب، وإيّاك أن تكوني أنت يا حميراء.

وقوله ﷺ: يا حميراء، كأنّي بك تنبحك كلاب الحوأب، تقاتلين علياً وأنت له ظالمة.

وقوله ﷺ لها: انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت.

وقوله ﷺ لعلي عليه السلام: إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها.

وقد ذكر هذه النصوص حفاظ المحدثين وخبراء التاريخ، اقرأ مصادرها ومداركها في كتاب الغدير.[1] وليس في وسعنا ذكر مصادر هذه الصور مع كثرتها الهائلة.

وإليك شيئاً ممّا روي في هذا المجال:

روى الإمام أحمد بإسناده عن قيس بن أبي حازم، قال:

لمّا أقبلت عائشة، فلمّا بلغت مياه بني عامر ليلاً، نبحت الكلاب، فقالت: أيّ ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب. قالت: ما أظنّي إلّا أنّني راجعة. قال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراكِ المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم، قالت: إنّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم: «كيف بإحداكنّ تنبحُ عليها كلاب الحوأب».[2]

وقال الحاكم في المستدرك: حدّثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب

١. الغدير:٣/٢٦٧ـ٢٦٩.
٢. مسند أحمد:٦/٥٢ و ٩٧.

الحافظ، ثنا محمد بن عبد الوهاب العبدي، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، قال: لمّا بلغت عائشة بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: الحوأب. قالت: ما أظنّني إلّا راجعة، فقال الزبير: لا بعد، تقدّمي ويراك الناس ويصلح الله ذات بينهم. قالت:ما أظنّني إلّا راجعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كيف بإحداكنّ إذا نبحتها كلاب الحوأب».(١)

وقد مرّ بنا تحت عنوان (نتائج خلافة علي) تصحيح ابن حبّان، والحاكم، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر، لحديث الحوأب، فراجع.

الصورة الثانية:

وممّا يدلّ على أنّ النبي ﷺ أمر علياً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، هو ما رواه ابن عساكر عن أبي صادق، قال: قدم أبو أيّوب العراق، فأهدت له الأزد جُزراً، فبعثوا بها معي، فدخلت إليه فسلّمت عليه، وقلت له: قد أكرمك الله بصحبة نبيّه ونزوله عليك، فمالي أراك تستقبل الناس تقاتلهم؟! تستقبل هؤلاء مرّة، وهؤلاء مرّة؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ الناكثين، فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين، فهذا وجهنا إليهم ـ يعني معاوية وأصحابه ـ وعهد إلينا أن نقاتل مع عليٍّ المارقين، فلم أرهم بعد.(٢)

أخرج الحاكم في مستدركه عن أبي أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن

---

١. مستدرك الحاكم:١٢٠/٣.

٢. تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥٤/١٦، كنز العمال:٣٥٢/١١، برقم ٣١٧٢٠.

الخطاب قال: أمر رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.(١)

وروى ابن عساكر بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ فأتىٰ منزل أمّ سلمة، فجاء عليّ، فقال رسول الله ﷺ: «يا أُمّ سلمة هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين بعدي».(٢)

ولهذا الحديث طرق كثيرة، وقد تقدّم تحت عنوان (نتائج خلافة علي) قول بعض المحقّقين بأنّ مجموع هذه الطرق يقتضي صحّة الحديث، أو حسنه على أقلّ تقدير.(٣)

الصورة الثالثة:

أخرج أحمد في مسنده عن أبي رافع إنّ رسول الله قال لعلي: سيكون بينك وبين عائشة أمر، قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: أنا؟ قال: نعم، قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكن إذا كان ذلك، فارددها إلى مأمنها».(٤)

إلى غير ذلك من الصور المختلفة للحديث التي يحكي جميعها عن أنّ عليّاً يواجه بعد النبي ﷺ ثلاث فرقٍ ثلاث كلهم ظالمون خارجون عليه خروج البغاة على إمامهم، ولذلك روي عن الإمام الشافعيّ أنّه قال: لولا عليٌّ لما عُرف شيء من أحكام أهل البغي.(٥)

---

١. مستدرك الحاكم:٣/١٣٩.

٢. تاريخ مدينة دمشق:٤٢/٤٧٠؛ تاريخ ابن كثير:٧/٣١٧؛ كنز العمال:١٣/١١٠، برقم ٣٦٣٦١.

٣. راجع ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ من هذا الكتاب.

٤. مسند أحمد:٦/٣٩٣؛ مجمع الزوائد:٧/٢٣٤.

٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:٩/٣٣١.

١٧

ابن تيمية وقول النبي ﷺ :«من أحبّ علياً فقد أحبني»

روى العلّامة الحلّي أحاديث في فضل علي عليه السلام ومنها: أنّه قال رجل لسلمان: ما أشدّ حُبّك لعلي؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ عليّاً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني».

ثمّ إنّ ابن تيمية قال: فالعشرة الأُولى [من هذه الأحاديث] كلّها كذب.[1]

قال ذلك من دون أن يأتي بشيء يدلّ على كذب هذه الأحاديث التي منها حديث حبّ عليّ عليه السلام.

وهانحن نذكر ما وقفنا عليه من المصادر التي ذكرت هذا الحديث.

أقول: أخرج الحاكم عن أبي عثمان النهدي، قال: قال رجل لسلمان: ما أشدّ حبّك لعليّ، قال: سمعت رسول الله يقول: «من أحبّ علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني». ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقد أقرّه الذهبي في تلخيصه، فقال في آخر الحديث: (خ م)[2]، وهي إشارة إلى أنّ الحديث صحيح على شرط البخاري ومسلم.

وأخرج الطبراني في الكبير عن أُمّ سلمة قالت: أشهد أنّي سمعت رسول

---

١ . منهاج السنّة: ٣٦/٥ـ٤٢، وفي طبعة بولاق : ١٠/٣.

٢ . المستدرك:١٣٠/٣.

الله ﷺ يقول: «من أحب عليّاً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحبَّ الله، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله».[١]

قال الحافظ الهيثمي بعد إيراده الحديث: إسناده حسن.[٢]

ويؤيد ذلك ما رواه مسلم عن علي عليه السلام قال: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأُمّي إليّ: أنّه لا يحبني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق».[٣]

فليحذر ابن تيمية من أن يكون ممّن لا يحبّه فإنّ كثيراً من عباراته في منهاجه يدل بوضوح على أنّ الرجل لا يحب علياً، بل في قلبه منه شيء، بل يتمادىٰ في بغضه، حتى أنّه لم يحب صحابة علي عليه السلام كذلك، فقال في حقّ أبي ذرّ: وأمّا كون أبي ذر من أصدق الناس[٤] فذاك لا يوجب أنّه أفضل من غيره. إلى أن قال: والحديث المذكور بهذا اللفظ الذي ذكره الرافضي ضعيف، بل موضوع، وليس له إسناد يقوم به.[٥]

أقول: روى الترمذي بإسناده عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أقلّتِ الغبراءُ ولا أظلّتِ الخضراءُ من رجل أصدقَ لهجةً من أبي ذرّ».

قال الترمذي: هذا حديث حسن، وفي الباب عن أبي الدرداء، وأبي ذرّ.[٦]

---

١. المعجم الكبير:٣٨٠/٢٣.
٢. مجمع الزوائد:١٣٢/٩.
٣. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أنّ حب الأنصار وعلي من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق.
٤. يشير إلى حديث النبي ﷺ: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر».
٥. منهاج السنّة: ٢٧٥/٦ـ ٢٧٦، وفي طبعة بولاق : ١٩٩/٣.
٦. سنن الترمذي:١٠٨٢، باب مناقب أبي ذرّ الغفاري، ح٣٨٢٧، تحقيق صدقي جميل العطار.

ثمّ روى الحديث(وهي رواية مطوّلة) عن أبي ذرّ، ثم قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.[١]

وقد صحّح الألباني الحديث، وحسّن الرواية المطوّلة[٢] وفيها لفظ: (ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الخضراء من ذي لهجة...).

وأخرج الحاكم في مستدركه عن عبد الرحمن بن غنم قال: كنت مع أبي الدرداء فجاء رجل من قبل المدينة فسأله فأخبره أنّ أبا ذر مسيّر إلى الربذة، فقال أبو الدرداء: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لو أنّ أبا ذر قطع لي عضواً أو يداً ما هجنته بعدما سمعت النبي ﷺ يقول: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر». قال الذهبي: سنده جيّد.[٣]

كما أنّ الحديث قد رواه غير واحد من الحفّاظ والمحدّثين، ومنهم ابن سعد.[٤] وابن ماجة[٥] وأحمد بن حنبل[٦]، وغيرهم ممّن رووا هذا الحديث من طرق مختلفة وبألفاظ متفاوتة.

وقد جمع العلّامة الأميني طرق وألفاظ هذا الحديث.[٧] فمن نظر إلى طرق الحديث وكثرة ناقليه يقف على أنّه في غاية الصحّة والمتانة غير أنّ النزعة الأموية عند ابن تيمية حالت بين بصيرته وواقع الحديث فجعلته يقول: وليس له إسناد يقوم به.

---

١ . سنن الترمذي: ١٠٨٢، ح٣٨٢٨.
٢ . صحيح الجامع الصغير: ١٢٤/٥.
٣ . المستدرك: ٣٤٤/٣.
٤ . الطبقات الكبرى: ٢٢٨/٤.
٥ . سنن ابن ماجة: ٥٦، ح١٥٦، تحقيق صدقي جميل العطّار.
٦ . مسند أحمد: ١٦٣/٢، و١٧٥.
٧ . الغدير: ٤٣٩/٨ـ ٤٤٢.

١٨

ابن تيمية ونزول ﴿هَلْ أَتَى﴾ في حقّ العترة

قال ابن تيمية: ومنها:(١) قوله [يعني العلّامة الحلي]: نـزل فـي حـقّهم: ﴿هَلْ أَتَى ﴾، فـإنّ سـورة ﴿هَـلْ أَتَـى ﴾ مكـيّة بـاتفاق العـلماء وعـليّ إنّـما تزوّج فاطمة بالمدينة بعد الهجـرة ولم يدخل بها إلّا بعد غزوة بدر وولد له الحسن في السنة الثانية من الهجرة والحسين في السنة الرابعة من الهـجرة بعد نزول ﴿هَلْ أَتَى﴾ بسنين كثيرة، فقول القائل: إنّها نزلت فيهم، من الكذب الذي لا يخفى على من له علم بنزول القرآن وعلم بأحـوال هـؤلاء السـادة الأخيار (٢).

ونحن نناقشه في كلامه هذا من خلال النقاط التالية:

الأُولى: إنّ دعوى ابن تيمية أنّ السورة مكيّة باتّفاق العلماء، تدلّ على فرط جهله بالنقل، أو على تعمّده الكذب، فأقوال العلماء لم تتّفق عـلى أنّ السورة مكية، وإنّما ذهب الكثير منهم، بل أكـثرهم، إلى أنّـها مـدنيّة، وقـد استفاضت بذكر ذلك روايات أهل السنة، فروىٰ مجاهد عن ابن عباس: أنّها

١ . يعني الأحاديث الموضوعة حسب ما قاله ابن تيمية.

٢ . منهاج السنّة: ٢٠/٤، وفي طبعة بولاق : ١١٧/٢.

مدنيّة. وهو قول مجاهد، وقتادة، (وعكرمة، والحسن البصري، والكلبيّ)[١]، وجابر بن زيد.[٢]

أمّا روايات أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فقد أطبقت على كونها مدنيّة.

فأين اتّفاق العلماء على كونها مكيّة، يا شيخ الإسلام (الأموي)؟!!

الثانية: إنّ لفظ (الأسير) الوارد في السورة، يؤيد (بل يؤكد) أنّ السورة (أو الآيات التي تضمّنت قصة الإطعام) مدنية، فثمّة ثلاثة أقوال للمفسّرين في المراد بالأسير:

أحدها: أنّه الأسير من المشركين، وبتعبير الطبري: هو الحربيّ من أهل دار الحرب، يؤخذ قهراً بالغلبة. وهو قول ابن عباس، والحسن البصريّ، وقتادة، وعكرمة.

وهذا القول يناسب الظاهر من لفظ (الأسير).

ثانيها: المسجون من أهل القبلة. وهو قول مجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير.[٣]

ثالثها: المملوك (العبد). وبه قال السُّدّيّ.[٤]

---

١ . قال هؤلاء الثلاثة: إنّ السورة مدنية إلّا قوله:﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْكَفُوراً﴾، أو قوله: ﴿فاصْبِرْ لحكم رَبِّكَ﴾.

٢ . تفسير البغوي:٥/١٨٨؛ والتحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور): ٢٩/٣٤٣ـ٣٤٤ (وفيه: أنّ جابر بن زيد عدّها الثامنة والتسعين في ترتيب السور، وقال: نزلت بعد سورة الرحمن، وقبل سورة الطلاق).

٣ . جامع البيان (تفسير الطبري): ١٤/٢٥٤ ـ ٢٥٥ (الأثر: ٣٥٧٨٢ ـ ٣٥٧٩٠)؛ والتفسير الكبير للفخر الرازيّ: ٣٠/٢٤٥.

٤ . التفسير الكبير للفخر الرازي: ٣٠/٢٤٥.

قال العلامة الآلوسيّ: وتسمية المسجون أسيراً مجاز، لمنعه من الخروج، وأمّا تسمية المملوك، فمجاز أيضاً لكن قيل باعتبار ما كان، وقيل باعتبار شبهه به في تقييده بأسار الأمر وعدم تمكّنه من فعل ما يهوىٰ.[1]

يُشار إلى أنّ الطبري اقتصر على ذكر القولين الأوّلَين (وروى بإسناده عن الحسن البصري أنّه قال: ما كان أسراهم إلّا المشركين)[2]، وكذلك فعل الشيخ الطوسيّ من مفسّري الإمامية.[3]

وقال الطبراني:و(الأسير): الكافر المأسور في أيدي المؤمنين، ويقال: الأسير: العبد.[4]

وأنت ترى ـ عزيزي القارئ ـ أنّ القول بأنّ المراد بالأسير، هو المشرك المأخوذ من أهل دار الحرب، هو القول الأقوى والأنسب لظاهر اللفظ. وهنا نسأل ابن تيمية ومقلّديه:

متىٰ تمكّن المسلمون من أخذ المشركين أسرىٰ؟ أفي مكة أم في المدينة؟ أفي مكة التي كانوا فيها مضطهدين معذّبين مُطارَدين، أم في المدينة التي قويت فيها شوكتهم، واستحصدت فيها قوّتهم؟

وأمّا إذا أخذنا بقول من قال إنّ المراد بالأسير، هو الأسير من أهل القبلة، فإنّ هذا إنّما يستقيم ـ كما يقول الطيبي ـ إذا اتّفق الإطعام في دار الحرب من المسلم لأسير في أيديهم[5] (أي في أيدي الكفّار).

---

١. روح المعاني:١٥٦/٢٩. ٢. جامع البيان:٢٥٥/١٤. ٣. التبيان في تفسير القرآن:٢١٠/١٠.
٤. التفسير الكبير للطبراني:٤٠٢/٦، دار الكتاب الثقافي بالأردن، ٢٠٠٨م.
٥. روح المعاني:١٥٥/٢٩.

ومن المعلوم أنّه ليس ثمّة ما يدلّ على أنّ المشركين في مكّة قد أسروا أحداً من المسلمين، حتى يؤثره مسلم آخر بطعامه.

فكيف يقال، بعد هذا كلّه، أنّ السورة بتمامها مكية؟!

وإلى هذا المعنى أشار العلّامة الطباطبائي، بقوله:

ثمّ إنّ عدّ الأسير فيمن أطعمه هؤلاء الأبرار نعم الشاهد على كون الآيات مدنية، فإنّ الأسر إنّما كان بعد هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله، وظهور الإسلام على الكفر والشرك لا قبلها.[1]

الثالثة: أنّ نزول هذه الآيات في عليّ وأهل بيته عليهم السلام لإيثارهم المسكين واليتيم والأسير، قد ذكره جمع من العلماء والمفسّرين من أهل السنّة، ومن المعتزلة (فضلاً عن الشيعة)، ومنهم: أبو جعفر الإسكافي المعتزليّ(المتوفّى ٢٤٠هـ)، وابن عبد ربّه الأندلسي المالكي[2](المتوفّى ٣٢٨هـ)، والحافظ أبو بكر بن مردويه[3](المتوفّى ٤١٦هـ)، وأبو إسحاق الثعلبي[4](المتوفّى ٤٢٧هـ)، وأبو الحسن الواحدي[5](المتوفّى ٤٦٨هـ)، والحسين بن مسعود البغوي الشافعي(المتوفّى ٥١٦هـ)، وأبو القاسم الزمخشري المعتزلي[6] (المتوفّى ٥٣٨هـ)، وفخر الدين الرازي الشافعي(المتوفّى ٦٠٦هـ)، والقاضي

---

١ . الميزان في تفسير القرآن:١٢٧/٢٠.

٢ . العقد الفريد:٣٥٤/٥(فقرة: احتجاج المأمون على الفقهاء في فضل عليّ).

٣ . انظر: الدر المنثور للسيوطي:٣٧١/٨.

٤ . تفسير الثعلبي:٩٨/١٠ـ ١٠٢.

٥ . أسباب النزول:٢٩٦.

٦ . تفسير الكشاف:٦٧٠/٤.

ناصر الدين البيضاوي الشافعي[1] (المتوفّى ٦٨٥هـ)، وحافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي الحنفي[2] (المتوفّى ٧٠١هـ)، وطائفة.

وإليك أقوال ثلاثة من هؤلاء الأعلام:

قال أبو جعفر الإسكافي، وهو يذكر فضائل علي عليه السلام:

وهو الذي أطعم الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وأُنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورة كاملة من القرآن.[3]

وقال البغوي: روي عن مجاهد وعطاء، عن ابن عباس: نزلت [يعني آية الإطعام] في علي بن أبي طالب، وذلك أنّه عمل ليهودي بشيء من الشعير، فقبض الشعير، فطحن ثلثه، فجعلوه منه شيئاً ليأكلون، فلمّا تمّ إنضاجه أتى مسكين فسأل، فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني، فلمّا تمّ إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي، فلما تمّ إنضاجه أتى أسير من المشركين، فسأل فأطعموه، وطوَوْا يومهم ذلك.[4]

وقال الفخر الرازي:

والواحدي من أصحابنا ـ يعني من أهل السنّة ـ ذكر في كتاب البسيط أنّها نزلت في حقّ علي عليه السلام، وصاحب «الكشاف» من المعتزلة ذكر هذه القصة، فروىٰ عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا،

---

١. تفسير البيضاوي: ٢/٥٥٢ـ٥٥٣.

٢. تفسير النسفي: ٤/٣١٨.

٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣/٢٧٦، الخطبة ٢٣٨.

٤. تفسير البغوي (معالم التنزيل): ٥/١٩١ـ١٩٢.

فعادهما رسول الله ﷺ في أُناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نـذرت عـلى ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما... (إلى أن قال): فنزل جبريل، وقال: خذها يا محمد هنّأك الله في أهل بيتك، فاقرأ هذه السورة».[١]

هذا، وقد صرّح كلّ من محيي الدين ابن عـربي[٢] (المـتوفّى ٦٣٨هـ)، والسيد محمود الآلوسي البغدادي(المتوفّى ١٢٧٠هـ) بأنّ خبر نزولها في عليّ وأهل بيته عليهم السلام، مشهور بين الناس، ثم نقل الآلوسي هذين البيتين في مدح عليّ عليه السلام.

إلامَ أُلام وحـــتى مـــتىٰ
أُعـاتَبُ فـي حبّ هـذا الفـتىٰ

وهــل زُوِّجتْ غـيره فـاطم
وفي غيره هل أتى ﴿هَلْ أَتَى﴾[٣]

فهل تجد ـ عزيزي القارئ ـ إذا ما وقفتَ على ما تقدّم وعلى غيره[٤]، باعثاً لتكذيب ابن تيمية القول بنزول ﴿هَلْ أَتَى﴾ في حقّ عليّ وأهل بيته، إلّا الحنق الذي يحول بين القلب وبين الاستجابة للبرهان الناصع المنير ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَىٰ الأَبْصَارُ وَ لَكِنْ تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ التي فِي الصُّدُورِ﴾.[٥]

---

١ . تفسير الرازي، (التفسير الكبير):٣٠/٢٤٣ـ٢٤٤.
٢ . تفسير ابن عربي:٢/٣٧٠، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ.
٣ . روح المعاني:٢٩/١٥٧.
٤ . أنهى شيخنا الأميني رحمه الله عدد من نقل خبر نزول السورة (أو آيات قصة الإطعام) إلى (٣٤) مفسّراً ومحدّثاً، وهو ـ بالطبع ـ لم يستوفِ أسماء جميع الناقلين له. انظر: الغدير:٣/٥٥ـ١٦٠.
٥ . الحج: ٤٦.

١٩

مناقشته في خصائص عليّ عليه السلام

إنّ ابن تيمية عندما يرى أنّه لا يستطيع إنكار صحّة حديث من أحاديث فضائل علي عليه السلام، لاستقامة سنده وتضافره، يلجأ إلى القول بأنّ ما ورد في ذلك الحديث، هو من فضائل علي وليس من خصائصه.

ومن هذه الموارد ما رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبّه، لأَن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حُمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له ـ وقد خلفه في بعض مغازيه ـ فقال له علي: يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبوّة بعدي؟

وسمعته يقول يوم خيبر: «لأُعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً؛ فأُتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه.

ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام، فقال: اللهم هؤلاء أهلي.[١]

قال ابن تيمية: أمّا حديث مسلم فهذا حديث صحيح وفيه ثلاث فضائل لعلي لكن ليست من خصائص الأئمة ولا من خصائص علي، فإنّ قوله وقد خلّفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله تخلّفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» ليس من خصائصه، فإنّه استخلف على المدينة غير واحد، ولم يكن هذا الاستخلاف أكمل من غيره.[٢]

أقول:إنّ متن الحديث، هو أفضل دليل علىٰ أنّ ما ورد فيه يُعدّ من فضائله، ومن خصائصه أيضاً، وذلك لأنّ تلك المناقب لو لم تكن من خصائصه، فلماذا تمنىٰ سعد أن يكون له مثل ذلك؟ أليس معنى ذلك أنّه لم يتفق لأحد من الصحابة تلك الفضائل الثلاث؟ وأوضح دليل على أنّ ما جاء في حديث المنزلة يعتبر من خصائص عليّ أنّه أثبت له جميع مناصبه إلّامنصباً واحداً وهو النبوّة، وليس في الصحابة أحد من له عامّة مناصب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلّا النبوة ونزول الوحي، غير عليّ عليه السلام.

نعم، لقد استخلف صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة غير واحد، كما يقول ابن تيمية، ولكنْ لم يحظ أحد منهم بما حظي به الإمام علي، في هذا الموقف، من ثناء عاطر، ومنزلة فريدة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولهذا عدّت هذه الفضيلة من خصائص عليّ وحده، لا يشاركه فيها

---

١. صحيح مسلم: ١٨٧١/٤، الحديث ٢٤٠٤، كتاب فضائل الصحابة؛ سنن الترمذي: ٦٣٨/٥، الحديث ٣٧٢٤، كتاب الفضائل؛ المستدرك:١١٦/٣.

٢. منهاج السنّة: ٢٤/٥، وفي طبعة بولاق : ١٠/٣.

أحد،ولكنّ ابن تيمية لا يفقه هذا المعنى، أو لا يريد أن يفقهه، بعد أن شاء له سوء حظّه اتّباع من أعمى الله بصائرهم.(١)

ومن هنا، حاول بكلّ جهده، التلبيس، عن عمدٍ، على نفسه، وعلى مقلّديه، وهو يتناول فضائل علي بالتكذيب، أو التشكيك، أو التهوين من قدْرها وخطرها.

الإطاحة بالوحي

لمّا ذهبت الشيعة في أمر الإمامة إلى أنّ النبي ﷺ نصّ على خلافة علي وأولاده ﵈، زعم ابن تيمية أنّ من يقول بكون الولاية منحصرة في بيت رسول الله فيه أثر جاهلية عربية أو فارسية، وإليك نص كلامه: ولم يقل أحد قط: إنّي أحقّ بهذا من أبي بكر، ولا قاله أحد بعينه:إنّ فلاناً أحق بهذا الأمر من أبي بكر، وإنّما قال من فيه أثر جاهلية عربية أو فارسية: إنّ بيت الرسول أحقّ بالولاية لكون العرب كانت في جاهليتها تقدّم أهل بيت الرؤساء، وكذلك الفرس يقدّمون أهل بيت الملك.(٢)

يلاحظ عليه: أنّ الخلافة ـ وإن شئت قلت: إمامة الناس ـ منصب إلهيّ يضعه سبحانه في مَن شاء، وليست مشيئته سبحانه، مشيئة اعتباطية، بل يضعها حسب قابليات ومؤهّلات الشخص، ولهذا نرى أنّ إبراهيم﵇ لمّا

---

١ ـ قال معاوية بن أبي سفيان لعقيل بن أبي طالب وقد كُفّ بصره: أنتم معشر بني هاشم تُصابون في أبصاركم! فقال عقيل: وأنتم معشر بني أُميّة تُصابون في بصائركم!

العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي:٩١.

٢. منهاج السنة: ٦/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦، وفي طبعة بولاق : ٢٦٩/٣ .

طلب من ربّه أن يجعل الإمامة في ذريته، كما يحكي سبحانه عنه: ﴿قالَ إنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيتي قالَ لا ينالُ عَهدي الظّالمينَ﴾.[1] فإنّ الله سبحانه ما ردّ طلبه إلّا في الظالمين من ذريته، دون العدول عنهم، وعندئذٍ يُطرح هذا السؤال: هل يصحّ لأحد أن يقول إنّ إبراهيم عليه السلام حينما طلب من الله سبحانه جعل الإمامة في ذريته، أنّه انطلق من عادة جاهلية، بابلية مثلاً، أو مصرية؟

كما نرى أنّه سبحانه يحكي عن جعل النبوة في ذرية بعض الأنبياء ويقول: ﴿وَوَهَبْنا لَهُ إسحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ﴾.[2]

ويقول في آية أُخرى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَإبْراهيمَ وَجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ وَالْكِتابَ﴾.[3]

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسىٰ وَهارُونَ﴾.[4]

فالجميع يشهد بأنّ النبوة والإمامة كانت تنتقل من نبي إلى ذريته الصالحة، فهل بعد هذا يصحّ لمسلم أن يقول: إنّ الله جعل ذلك تبعاً لسنّة جاهلية؟!

وممّا يجب إلفات نظر ابن تيمية إليه: أنّ جعل النبوة والخلافة في ذرية

---

١. البقرة:١٢٤.

٢. العنكبوت:٢٧.

٣. الحديد:٢٦.

٤. الأنعام:٨٤.

الأنبياء والنبي الخاتم ﷺ يفارق السنة الجاهلية في العرب والعجم؛ وذلك لأنّه سبحانه يجعل المنصب الإلهي في مَن توفرت فيه القابليات والصلاحيات اللازمة للخلافة والولاية، ولذلك نفى نيل الظالمين ذلك المنصب.

وبعبارة أُخرى: أنّ جعل النبوة والخلافة في ذرية الأنبياء ليس بمعنى أنّ ذلك المنصب منصب وراثي يرثه ماجد من بعد ماجد، بل بمعنى أنّ الله سبحانه يختار مَن تحلّى بالمؤهّلات لذلك المنصب، وهذا بخلاف وراثة الملك والرئاسة بين العرب والعجم، فإنّ ابن الملك ملك أو أمير، سواء أكان صالحاً أم طالحاً.

أُقسم بالله ـ وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم ـ إنّ الرجل لو التفت إلى لازم كلماته لأذعن أنّه قد خالف نصّ الكتاب والسنّة، وقدّم رأيه عليهما فصار من مصاديق قوله سبحانه: ﴿**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ سَميعٌ عَليمٌ**﴾.(١)

---

١. الحجرات:١.

الفصل الرابع:

آراء ابن تيمية في أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

١. ابن تيمية والصلاة على آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

٢. موقف ابن تيمية من دماء أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

٣. ابن تيمية وحرمة الخروج على السلطان الظالم

٤. موقف ابن تيمية من يزيد بن معاوية

٥. آراء ابن تيمية في سيد الساجدين عليه السلام

٦. آراء ابن تيمية في الإمام الباقر عليه السلام

٧. آراء ابن تيمية في الإمام الصادق عليه السلام

٨. آراء ابن تيمية في الإمام الكاظم عليه السلام

٩. آراء ابن تيمية في الإمام الرضا عليه السلام

١٠. آراء ابن تيمية في الإمام الجواد عليه السلام

١١. آراء ابن تيمية في الإمام الهادي عليه السلام

١٢. آراء ابن تيمية في الإمام العسكري عليه السلام

١٣. آراء ابن تيمية في الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف

١

ابن تيمية والصلاة على آل النبيﷺ

يقول ابن تيمية:والفقهاء متنازعون في وجوب الصلاة على النـبيﷺ في الصلاة، وجمهورهم لا يوجبها،ومن أوجبها يوجب الصلاة عليه دون آله، ولو أوجب الصلاة.[١]

ثم قال: بل منهم من لا يوجب إلّا الصلاة عليه دون آله كما هو معروف في مذهب الشافعي وأحمد، فعلى هذا لا تجب الصلاة على آله .[٢]

أقول: إنّ قوله: بأنّ جمهور الفقهاء لا يوجبون الصلاة على النبيﷺ غير صحيح إذا أراد بالجمهور الأئمة الأربعة، بشهادة أنّه ذكر في ذيل كلامه أنّ الوجوب معروف في مذهب الشافعي وأحمد. فمعنى هذا أنّ الاثـنين مـن الأربعة قالا بالوجوب دون مالك وأبي حنيفة.

ثمّ إنّ الظاهر ممّا نقله ابن رشد في كتابه أنّ مالكاً وأبا حنيفة غير قائلين بوجوب التشهّد أصلاً، بل يوجبان الجلوس بمقدار التشهّد، قال ابن رشد: اختلفوا في وجوب التشهّد، وفي المختار منه، فـذهب مـالك وأبـو حـنيفة وجماعة إلى أنّ التشهد ليس بواجب.[٣] وعلى هذا فعدم إيجاب الصلاة على

---

١. منهاج السنّة: ٥٩٥/٤، وفي طبعة بولاق: ٢ / ٢٥٨.

٢. منهاج السنّة: ٥٩٨/٤، وفي طبعة بولاق: ٢ / ٢٥٩.

٣. بداية المجتهد:٢٢٧/٢.

النبي لأجل عدم وجوب التشهّد من رأس.

وإن كنت في شكّ، فعليك بتدبّر كلمات الفقهاء في المقام:

١. قال الشيخ الطوسي في «الخلاف»: الصلاة على النبي ﷺ فرض في التشهّدين وركن من أركان الصلاة [عند الإمامية]، وبه قال الشافعي في التشهّد الأخير، وبه قال ابن مسعود، وأبو مسعود البدري الأنصاري واسمه عقبة بن عمر، وابن عمر، وجابر، وأحمد، وإسحاق.

وقال مالك والأوزاعي وأبو حنيفة وأصحابه أنّه غير واجب.

ثمّ استدلّ الشيخ بما روى كعب بن عُجْرة، قال: كان رسول الله ﷺ يقول في صلاته: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد.

وقد قال النبي ﷺ: صلّوا كما رأيتموني أُصلّي.

وروت عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يقبل الله صلاة إلّا بطهور، وبالصلاة عليّ.(١)

٢. قال ابن قدامة المقدسي الحنبلي (المتوفّى ٦٢٠هـ): مسألة: ويتشهّد بالتشهّد و يصلّي على النبي ﷺ فيقول: اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد.

وجملته: أنّه إذا جلس في آخر صلاته فإنّه يتشهّد بالتشهد الذي ذكرناه

---

١. الخلاف: ١/ ٣٧٠، المسألة ١٢٨.

ثم يصلّي على النبي ﷺ كما ذكر الخرقي. وهي واجبة في صحيح المذهب، وهو قول الشافعي وإسحاق، وعن أحمد أنّها غير واجبة ـ إلى أن قال: ـ وظاهر مذهب أحمد وجوبه، فإنّ أبا زرعة الدمشقي نقل عن أحمد أنّه قال: كنت أتهيب ذلك ثم تبيّنت فإذا الصلاة واجبة، فظاهر هذا أنّه رجع عن قوله الأوّل إلى هذا.(١)

وقال ابن كثير في تفسيره (وهو شافعي المذهب): فإنّا قد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة كما هو ظاهر الآية، ومفسَّر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم: ابن مسعود وأبو مسعود البدري وجابر بن عبد الله، ومن التابعين: الشعبي وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان، وإليه ذهب الشافعي لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً، وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي به، وبه قال إسحاق بن راهويه والفقيه الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن المواز المالكي رحمهم الله تعالىٰ، حتى إنّ بعض الأئمة الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلم كما علمهم أن يقولوا لمّا سألوا وحتى إنّ بعض أصحابنا أوجب الصلاة على آله، وممّن حكاه البندنيجي وسليم الرازي وصاحبه نصر بن إبراهيم المقدسي.(٢)

في الصلاة على الآل

هذا كلّه حول الصلاة على النبي ﷺ بقي الكلام في الصلاة على آله.

---

١. المغني: ٥٧٩/١ـ٥٨٠.

٢. تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٣، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ.

الظاهر أنّه لم يقل بوجوبه إلا الشافعي، وأحمد، في إحدى الروايتين عنه.

قال العلّامة: وتجب الصلاة على آله‌عليهم‌السلام عند علمائنا أجمع، وأحمد في إحدى الروايتين، وبعض الشافعية ـ و للشافعية وجهان، وقيل: قولان ـ لأنّ كعب بن عُجْرة قال: كان رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول في صلاته:«اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد» فتجب متابعته لقوله‌عليه‌السلام: «صلّوا كما رأيتموني أُصلّي».

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله: «من صلّى صلاة ولم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تُقبل منه»، وقال الشافعي بالاستحباب للأصل، وهو ممنوع لثبوت المخرج منه.[1]

أقول: الصلاة على النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم دون عطف «الآل» عليه صلاة مبتورة وقد نهى عنها النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، فعلى ما سيوافيك من الروايات من كيفية الصلاة على النبي يلزم لزوم عطف الآل عليه في عامة الأوقات من غير فرق بين حال التشهد وغيره أخذاً بإطلاق الروايات، وقد كتبنا في سالف الزمان شيئاً في هذا الموضوع نأت به هنا:

إنّ من حقوق أهل البيت‌عليهم‌السلام هي الصلوات عليهم عند الصلاة على النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.[2]

ظاهر الآية هو تخصيص الصلاة على النبي‌صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، لكنّ الصحابة فهموا

---

١ ـ تذكرة الفقهاء:٣/٢٣٣، برقم ٢٩٤.

٢ ـ الأحزاب:٥٦.

أنّ المراد هو الصلاة عليه وعلى أهل بيته، وقد تضافرت الروايات على ضمّ الآل إلى النبي ﷺ عند التسليم والصلاة عليه، وقد جاء ذلك في الصحاح والمسانيد، نقتصر منها على ما يلي:

١. أخرج البخاري عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، قال: لقيني كعب بن عُجْرة، قال: ألا أُهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ، فقلت: بلى، فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإنّ الله قد علّمنا كيف نسلم؟ قال:

«قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلىٰ آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد؛ اللّهمّ بارك على محمّد وعلى آل محمّد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيد».[1]

وأخرجه أيضاً في كتاب التفسير عند تفسير سورة الأحزاب.[2]

كما أخرجه مسلم في باب الصلاة على النبي من كتاب الصلاة.[3]

٢. أخرج البخاري أيضاً، عن أبي سعيد الخدري، قال: قلنا يا رسول الله، هذا التسليم، فكيف نصلّي عليك؟ قال: «قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد عبدك ورسولك، كما صلّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد، كما باركت على إبراهيم».[4]

٣. أخرج البخاري، عن ابن أبي حازم، عن يزيد، قال: «كما صليت على

---

١. صحيح البخاري:١٤٦/٤ ضمن باب «يزفُّون النَسَلان في المشي» من كتاب بدء الخلق.

٢. صحيح البخاري:١٥١/٦، تفسير سورة الأحزاب.

٣. صحيح مسلم:١٦/٢.

٤. صحيح البخاري:١٥١/٦، تفسير سورة الأحزاب.

إبراهيم، وبارك على محمّد وآل محمّد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم».[١]

٤. أخرج مسلم، عن أبي مسعود الأنصاري، قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعيد: أمرنا الله تعالى أن نصلّي عليك، يا رسول الله، فكيف نصلّي عليك؟

قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنّينا أنّه لم يسأله.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صلّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم».[٢]

وقد ذكر ابن حجر الهيتميّ الآية الشريفة، وروى جملة من الأخبار الصحيحة الواردة فيها، وأنّ النبي ﷺ قرن الصلاة على آله بالصلاة عليه، لمّا سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه، ثم قال: وهذا دليل ظاهر على أنّ الأمر بالصلاة على أهل بيته، وبقية آله مراد من هذه الآية،وإلّا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عُقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر، فلمّا أُجيبوا به، دلّ على أنّ الصلاة عليهم من جملة المأمور به، وأنّه ﷺ أقامهم في ذلك مقام نفسه، لأنّ القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه، ومنه تعظيمهم، ومن ثمّ لمّا أدخل من مرّ في الكساء، قال: «اللّهم إنّهم منّي وأنا منهم، فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم»، وقضية استجابة هذا الدعاء: إنّ الله صلّى

١. المصدر السابق.

٢. صحيح مسلم:٤٦/٢، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهّد من كتاب الصلاة.

عليهم معه فحينئذٍ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه.

ويروى: لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللّهمّ صلّ على محمّد وتمسكون، بل قولوا: اللّهم صلّ على محمد وعلى آل محمد. ثمّ نقل عن الإمام الشافعي قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبُّكمُ فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ

كفاكمُ من عظيم القدر أنّكمُ من لم يصلِّ عليكم لا صلاة لهُ

فقال: فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة على الآل، ويحتمل لا صلاة كاملة، فيوافق أظهر قوليه.[1]

هذا كلّه حول الصلاة على الآل عند الصلاة على الحبيب.

وأمّا حكم الصلاة على آل البيت في التشهد، فقال أكثر أصحاب الشافعي: إنّه سنّة.

وقال التربجي من أصحابه: هي واجبة، ولكن الشعر المنقول عنه يدلّ على وجوبه عنده، وتؤيده رواية جابر الجعفي [الذي كان من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وفي طبقة الفقهاء]، عن أبي جعفر، عن أبي مسعود الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى صلاة لم يصل فيها عليّ ولا أهل بيتي لم تقبل منه».[2]

وجابر الجعفي ممّن ترجمه ابن حجر في تهذيبه، ونقل عن سفيان في حقّه:

---

١. الصواعق المحرقة:١٤٦، ط ٢، عام ١٣٨٥هـ.

٢. سنن الدارقطني:٣٥٥/١.

ما رأيت أورع في الحديث منه، وقال وكيع: مهما شككتم في شيء فلا تشكّوا في أنّ جابراً ثقة.

وقال سفيان أيضاً لشعبة: لأن تكلّمت في جابر الجعفي لأتكلمنَّ فيك. إلى غير ذلك.[١]

قال ابن حجر: أخرج الدارقطني والبيهقي حديث من صلّى صلاة ولم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه، وكأنّ هذا الحديث هو مستند قول الشافعي: إنّ الصلاة على الآل من واجبات الصلاة، كالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم، لكنّه ضعيف، فمستنده الأمر في الحديث المتفق عليه، قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، والأمر للوجوب حقيقة على الأصحّ.[٢]

وقال الفخر الرازي: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهّد في الصلاة، وقوله: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، وارحم محمّداً وآل محمّد.

وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمّد واجب، وقال الشافعي:

يا راكباً قف بالمحصَّب من منىٰ	واهتف بساكن خيفها والناهضِ
سَحَراً إذا فاض الحجيج إلى منىٰ	فيضاً كما نظم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبُّ آل محمّد	فليشهد الثقلان أنّي رافضي[٣]

١. تهذيب التهذيب:٤٦/٢.

٢. الصواعق المحرقة:٢٣٤، ط ٢، عام ١٣٨٥ هـ.

٣. تفسير الفخر الرازي:١٦٦/٢٧، تفسير سورة الشورى.

وقال النيسابوري في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُربىٰ﴾ كفى شرفاً لآل رسول الله ﷺ وفخراً ختم التشهّد بذكرهم والصلاة عليهم في كلّ صلاة.[1]

وروى محب الدين الطبري في الذخائر عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنّه كان يقول: لو صلّيت صلاة لم أُصلِّ فيها على محمّد وعلى آل محمّد ما رأيت أنّها تقبل.[2]

وقال المحقّق الشيخ حسن بن عليّ السقاف: تجب الصلاة على آل النبي ﷺ في التشهد الأخير على الصحيح المختار، لأنّ أقصر صيغة وردت عن سيدنا رسول الله ﷺ ثبت فيها ذكر الصلاة على الآل، ولم ترد صيغة خالية منه في صيغ تعليم الصلاة، فقد تقدّم حديث سيدنا زيد بن خارجة، أنّ رسول الله ﷺ قال:

«صلّوا عليّ واجتهدوا في الدعاء، وقولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمد».[3]

بلاغ وإنذار

لقد تبيّن ممّا سبق كيفية الصلاة على النبي ﷺ وأنّه لا يصلّى عليه إلّا بضم الآل إليه، ومع ذلك نرى أنّه قد راجت الصلاة البتراء بين أهل السنّة في كتبهم ورسائلهم، مع أنّ هذه البلاغات من النبي ﷺ نصب أعينهم ولكنّهم

١ . الغدير: ٢ / ٣٠٣ نقلاً عن تفسير النيسابوري: تفسير سورة الشورى.

٢ . ذخائر العقبى:١٩، ذكر الحثّ على الصلاة عليهم.

٣ . صحيح صفة صلاة النبي:٢١٤.

رفضوها عملاً واكتفوا بالصلاة عليه خاصة، حتى أنّ ابن حجر الهيتمي(٨٩٩ـ٩٧٤هـ) نقل كيفية الصلاة على النبيﷺ ولكن كتابه المطبوع مليء بالصلاة البتراء. وإليك نصّ ما قال: ويروى لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة البتراء؟، قال: تقولون: اللّهمّ صلّ على محمّد وتمسكون، بل قولوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، ولا ينافي ما تقرر حذف الآل في الصحيحين، قالوا: يا رسول الله: كيف نصلّي عليك؟ قال: قولوا اللهمّ صلّ على محمّد وعلى أزواجه وذرّيته، كما صليت على إبراهيم إلى آخره.

لأنّ ذكر الآل ثبت في روايات أُخر، وبه يعلم أنّهﷺ قال ذلك كلّه فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظه الآخر.[1]

وفي الختام ننقل هنا ما ذكره الرازي، قال: أهل بيته ساووه في خمسة أشياء: في الصلاة عليه وعليهم في التشهّد، وفي السلام، والطهارة، وفي تحريم الصدقة، وفي المحبّة.[2]

---

١. الصواعق المحرقة:١٤٦، ط ٢، عام ١٣٨٥ هـ.

٢. الغدير:٣٠٣/٢، ط. طهران، نقله عن تفسير الرازي:٣٩١/٧ ولم نعثر عليه في الطبعتين.

٢

موقف ابن تيمية من دماء أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله

قال العلّامة الحلّي نقلاً عن النبي صلى الله عليه وآله: اشتد غضب الله وغضبي على من أهرق دمي وآذاني في عترتي.(١)

ورد عليه ابن تيمية بقوله: كلام لا ينقله عن النبي صلى الله عليه وآله ولا ينسبه إليه إلّا جاهل. فإنّ العاصم لدم الحسن والحسين وغيرهما من الإيمان والتقوى أعظم من مجرد القرابة، ولو كان الرجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وأتى بما يبيح قتله أو قطعه، كان ذلك جائزاً بإجماع المسلمين.(٢)

ولنا مع كلامه وقفات

١. لو كان القائل بذلك جاهلاً لزم أن نحكم بجهالة الصحابة العدول الذين نقلوا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وهم: عليّ، وأبوسعيد الخدري؛ ومن المحدّثين والمؤلّفين: الديلمي، وابن المغازلي، ومحب الدين الطبري، والسيوطي، والمناوي، وابن حجر الهيتمي المكّي، وغيرهم.(٣)

---

١. منهاج الكرامة:١٠٢.

٢. منهاج السنّة: ٥٨٦/٤، وفي طبعة بولاق: ٢٥٦/٢.

٣. المناقب لابن المغازلي:٢٩٢؛ الصواعق المحرقة:١٨٤، إحياء الميت بفضائل أهل

٢. إذا كان العاصم لدماء سيدي شباب أهل الجنة الإيمان والتقوى، فلماذا لم يأت جبريل بالتربة التي قتل فيها المئات من أصحاب رسول الله ﷺ الذين قتلهم الحجاج وجنود يزيد بن معاوية، كما جاء بالتربة الحمراء من كربلاء حيث استشهد الإمام الحسين عليه السلام ؟[1]

فيدلّ على أنّ العاصم وراء الإيمان والتقوى قرابة الحسين عليه السلام ومكانته من رسول الله ﷺ، وهذا هو الحافظ نور الدين الهيثمي قد عقد في كتابه «مجمع الزوائد»، باباً باسم مناقب الحسين عليه السلام ونحن نقتبس منه ما روىٰ فيه:

أ. قال: وعن أنس بن مالك، إنّ ملك القطر استأذن أن يأتي النبي فأذن له فقال لأُم سلمة: أملكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد. قال: وجاء الحسين بن علي ليدخل فمنعته فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبي ﷺ وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبي ﷺ: أتحبه؟ قال: نعم، قال: إنّ أُمّتك ستقلته وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل به، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أُم سلمة، فصرّتها في خمارها، قال ثابت: بلغنا أنّها كربلاء.

ثم قال: رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني بأسانيد وفيها عمارة

☜ البيت عليهم السلام؛ هامش إتحاف الأشراف: ١١٥؛ كنوز الحقائق من حديث خير الخلائق: ١٧؛ ذخائر العقبى: ٣٩ وغيرها. ولاحظ : كنز العمال: ٢٦٧/١، برقم ١٣٤٣؛ الدر المنثور: ٢٣٠/٣.

١ . انظر: أخطاء ابن تيمية في حقّ رسول الله وأهل بيته: ١٦٠. قال السيوطي: في سنة (٦٣ هـ) كانت وقعة الحرّة على باب طَيبة، وما أدراك ما وقعة الحرّة؟ ذكرها الحسن [البصري] مرّة، فقال: والله ما كاد ينجو منهم أحد، قُتل فيها خلق من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم. ثم قال: وعدة المقتولين بالحرّة من قريش والأنصار ثلاثمائة وستة رجال. تاريخ الخلفاء: ٢٤٩ـ٢٥٠، دار الجيل، ١٤٠٨هـ.

بـــن زاذان، وثّــقه جـماعة وفـيه ضـعف، وبـقية رجـال أبـي يـعلى رجـال الصحيح.(١)

ب . وعن نُجَيّ الحضرمي أنّه سار مع عليّ عليه السلام وكان صاحب مطهرته، فلمّا حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين، فنادى عليّ: اصبر أبا عبد الله عليه السلام اصبر أبا عبد الله عليه السلام بشط الفرات، قلت: وما ذاك؟ قال: دخلت على النبي ﷺ ذات يوم وإذا عيناه تذرفان، قلت: يا نبيّ الله أغضبك أحد، ما شأن عـينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل عليه السلام، فحدّثني أنّ الحسين يقتل بشط الفرات. قال: فقال: هل لك أن أشمّك من تربته؟ قلت: نعم، قال: فمدّ يـده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا.

قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني ورجاله ثقات، ولم ينفرد نُجيّ بهذا.(٢)

ج . وعن عائشة أو أُم سلمة أنّ النبي ﷺ قال لإحداهما: لقد دخل عليّ البيت ملَك فلم يدخل عليّ قبلها، قال: إن ابنك هذا حسيناً مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء.

قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.(٣)

ثم نقل أحاديث أُخرى كلّها ترمي إلى مضمون ما ذكرناه.

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الأشج عن سلمىٰ، قالت: دخلت على أُمّ

---

١ . مجمع الزوائد:١٨٧/٩.

٢ . المصدر نفسه.

٣ . المصدر نفسه. وصحّحه الذهبي في «تاريخ الإسلام»:١١/٣، وقال في «سير أعلام النبلاء»: ٢٩٠/٣: ورواه عبد الرزاق، وقال: أُمّ سلمة، ولم يشكّ. ويُروىٰ عن أبي وائل، وعن شهر بن حوشب، عن أُمّ سلمة.

سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقالت: رأيت رسول اللهﷺ وعلى رأسه ولحيته تراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً.(١)

وروى الإمام أحمد بإسناده عن عمّار بن أبي عمّار، عن ابن عباس قال: رأيت النبيﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار، وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم. فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قُتل في ذلك اليوم.(٢)

قال الهيثمي: رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح.(٣)

وقال ابن كثير الدمشقي: إسناده قوي.(٤)

كلّ ذلك يدل على أنّ لدم الحسين مكانة وأهميّة خاصّة من أجل قربه من النبيﷺ.

إهانة أُخرى لشهيد الطفّ

قال ابن تيمية: إنّ بعضهم (يعني بعض الشيعة) لا يوقد خشب الطرفاء، لأنّه بلغه أنّ دم الحسين وقع على شجرة من الطرفاء، ومعلوم أنّ تلك الشجرة بعينها لا يُكره وقودها، ولو كان عليها من أي دم (يعني دم

١ـ الجامع الصحيح (سنن الترمذي): ٦٥٧/٥، برقم ٣٧٧١.

٢ـ مسند أحمد: ٢٨٣/١؛ و تاريخ مدينة دمشق: ٢٣٧/١٤.

٣ـ مجمع الزوائد: ١٩٤/٩.

٤ـ البداية والنهاية: ٢٠٠/٨.

الحسين) كان، فكيف بسائر الشجر الذي لم يصبه الدم.[١]

أقول: يُنظر، أوّلاً، في صحّة نسبة هذا الفعل إلى بعض الشيعة، فإنّنا لم نجد في الشيعة من يقوم بهذا الفعل، ولم ينقل إلينا أحدٌ ذلك.

ثانياً: أنّ ابن تيمية ـ وكما هو واضح من كتاباته ـ مولع بذكر أشياء على خصومه، لا وجود لها إلّا في مخيّلة ناسجها، وهذا الولع بالنسب المفتعلة على الخصوم، هو نتيجة طبيعية للعجز عن الإقناع بالدليل والبرهان، ومقارعة الحجّة بالحجّة.

ثالثاً: لا شكّ أنّ شجرة الطرفاء بما هي شجرة لا يكره وقودها، وإنّما يستكره بعض الناس وقودها(إذا صحّ ذلك) احتراماً لدم الحسين عليه السلام الذي وقع على شجرة من الطرفاء، وهذا نوع تكريم لذرية النبي ﷺ وسبطه، وليس الامتناع عن إشعال مثل هذا الشجر لكراهة شرعية وردت فيه، وإنّما هو تعبير شخصي عن نوع تكريم للحسين عليه السلام وللنبي ﷺ الذي كان يحترم دم الحسين، كما هو واضح من الروايات التي ذكرناها آنفاً.

ثمّ ما هي علاقة تصرّفات بعض الناس المنتمين إلى دين معيّن، أو مذهب معيّن، بقواعد وأُسس ومباني ذلك الدين أو المذهب، يا سماحة شيخ الإسلام!

وما عليك، عزيزي القارئ، إلّا أن تقارن بين موقف ابن تيمية من دم الحسين، وبين موقف النبي ﷺ منه، بين موقف ابن تيمية الدالّ على قسوة قلبه، حيث لا يبالي بأن تُحرق الشجرة (على فرض وجودها) التي سال عليها

---

١. منهاج السنّة: ١/٥٥ـ ٥٦، وفي طبعة بولاق: ١ / ١٢.

دم سبط النبي، وسيد شباب أهل الجنة، وبين موقف النبي الدالّ على غاية حزنه وأساه، وهو يلتقط تلك الدماء الطاهرة التي أُريقت على رمضاء كربلاء، كما مرّ عليك في رواية ابن عباس الصحيحة (أو القوية الإسناد) وغيرها.

والذي يدلّ على عظم المصيبة وجسامتها، تلك الروايات التي رواها الحافظ أبو القاسم الطبراني (المتوفّى ٣٦٠هـ)، وأودعها الحافظ نور الدين الهيثمي (المتوفّى سنّة ٨٠٧هـ) في كتابه، ومنها:

١. عن ذُويد الجعفي، عن أبيه، قال: لمّا قتل الحسين عليه السلام، أُنتهب جزور من عسكره، فلمّا طبخت، إذا هي دم، فأكفؤوها.[١]

قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات.[٢]

٢. عن الزهري، قال: قال لي عبد الملك: أيّ واحد أنت إن أخبرتني، أي علامة كانت يوم قتل الحسين بن علي؟ قال: قلت: لم ترفع حصاة ببيت المقدس إلاّ وجد تحتها دم عبيط، فقال عبد الملك: إنّي وإيّاك في هذا الحديث لقرينان.[٣]

قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات.[٤]

٣. وعن الزهري: قال ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن علي إلّا عن دم.[٥]

---

١. المعجم الكبير:١٢١/٣، برقم ٢٨٦٤.
٢. مجمع الزوائد:١٩٦/٩.
٣. المعجم الكبير:١١٩/٣، برقم ٢٨٥٦.
٤. مجمع الزوائد:١٩٦/٩.
٥. المعجم الكبير:١١٣/٣، برقم ٢٨٣٥.

قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.[١]

٤. وعن أُم حكيم قالت: قتل الحسين بن علي وأنا يومئذ جويرية، فمكثت السماء أياماً مثل العَلَقة.[٢]

قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله إلى أُم حكيم رجال الصحيح .[٣]

لقد كانت هذه الأحاديث الواردة في حقّ الحسين والآثار التي ترتّبت على قتله، على مرأى ومسمع من ابن تيمية، ولكن بغضه لأئمّة أهل البيت عليهم السلام الذي تكشف عنه كلماته الجارحة فيهم، كان هو السبب الحقيقي وراء استهانته بدم الحسين السبط عليه السلام.

---

١. مجمع الزوائد:٩/١٩٦.

٢. المعجم الكبير:٣/١١٣، برقم ٢٨٣٦.

٣. مجمع الزوائد:٩/١٩٧.

٣

ابن تيمية وحرمة الخروج على السلطان الظالم

يرى ابن تيمية أنّ الواجب في ولاية السلطان الجائر الهاتك لحرمات الله تعالى، هو الصبر والنصيحة، لا الخروج والعزل، قال: فإذا تولّى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم، فإمّا أن يقال: يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يُولّى غيرُه كما يفعله من يرى السيف، فهذا رأي فاسد، فإنّ مفسدة هذا أعظم من مصلحته، وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلّا كان ما تولّد على فعله من الشر، أعظم مما تولّد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة...

ثمّ قال: ولهذا لمّا أراد الحسين عليه السلام أن يخرج إلى أهل العراق، لمّا كاتبوه كتباً كثيرة أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين كابن عمر وابن عباس وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هاشم أن لا يخرج وغلب على ظنهم أنّه يقتل، حتى أنّ بعضهم قال: أستودعك الله من قتيل. وقال بعضهم: لولا الشفاعة لأمسكتك ومنعتك من الخروج. وهم في ذلك قاصدون نصيحته طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين. والله ورسوله إنّما يأمر بالصلاح لا بالفساد، لكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أُخرى.

فتبيّن أنّ الأمر على ما قاله أُولئك، ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا.

ثم قال: وهذا كلّه ممّا يبيّن أنّ ما أمر به النبيﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأُمور للعباد في المعاش والمعاد، وأنّ من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد.

ثم استدل لذلك بحديث أنس بن مالك وأسيد بن حضير: أنّ رجلاً من الأنصار قال: يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلاناً، قال: «ستلقون بعدي أثرةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»... فقد أمر النبي المسلمين بأن يصبروا على الاستئثار عليهم وأن يطيعوا ولاة أُمورهم وإن استأثروا عليهم وأن لا ينازعوهم الأمر.[1]

ما ذكره من الصبر على ظلم الظالم وعدم الخروج عليه هو المنسوب إلى إمامه أحمد بن حنبل، فقد نقل عنه أنّه قال: السمع والطاعة للأئمّة وأميرالمؤمنين البرّ والفاجر، ومن ولي الخلافة فأجمع الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف وسمّي أمير المؤمنين، والغزو ماضٍ مع الأُمراء إلى يوم القيامة، البَرّ والفاجر، وإقامة الحدود إلى الأئمة، وليس لأحد أن يطعن عليهم وينازعهم،ودفع الصدقات إليهم جائز، من دفعها إليهم أجزأت عنهم، برّاً كان أو فاجراً، وصلاة الجمعة خلفه وخلف كلّ من ولي، جائزة إقامتها، ومن أعادها فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنّة.

---

١ . منهاج السنّة: ٥٢٧/٤ ـ ٥٤٠، وفي طبعة بولاق: ٢٤٠/٢ـ٢٤٤.

ومن خرج على إمام من أئمّة المسلمين وكان الناس قد اجتمعوا عليه وأقرّوا له بالخلافة بأي وجه من الوجوه، أكان بالرضا أو بالغلبة فقد شقّ الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله، فإن مات الخارج عليه، مات ميتة جاهلية.(١)

أقول: إنّ دراسة هذه النظرية وبيان عوارضها رهن عرضها على القرآن المجيد أوّلاً، والسنّة الصحيحة ثانياً، وسيرة المسلمين الأوائل ثالثاً حتى يتبيّن الحقّ، وأنّه هل يجب أو يجوز الصبر على ظلم الظالمين وانحراف الحكام عن الصراط المستقيم؟

أمّا الأوّل: فإنّ السكوت أمام تجاوز الظالمين بنفسه معصية حتى وإن لم يضرب على وترهم، وهذا هو كتاب الله العزيز يقصّ حال بني إسرائيل الذين كانوا يعيشون قرب سواحل أحد البحار، فقد قسّمهم إلى أصناف ثلاثة:

١. الجماعة المعتدية (العادية) الذين يصطادون يوم السبت.

٢. الجماعة الساكتة الذين أهمّتهم أنفسهم لا يرتكبون ما حرّم الله وفي الوقت نفسه تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى كانوا يعترضون على الآمرين بالمعروف بقولهم: ﴿**لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً**﴾(٢).

٣. الجماعة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، مستدلّين بقولهم ﴿**مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾.

---

١. تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة:٣٢٢/٢؛ كتاب السنّة لابن حنبل:٤٦.

٢. الأعراف: ١٦٤.

ثم إنّه سبحانه أباد الجماعتين الأُولى والثانية وأنجى الثالثة، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.[1]

ومجموع الآيات يحكي عن أنّ العادي والساكت عنه بمنزلة واحدة، ولذلك عمّ العذاب الجميع.

ويؤيد ذلك قوله سبحانه: ﴿وَ لاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ﴾.[2]

(فالمنهيّ عنه في الآية إنّما هو الركون إلى أهل الظلم في أمر الدين أو الحياة الدينية، كالسكوت في بيان حقائق الدين عن أُمور تضرّهم، أو ترك فعلِ ما لا يرتضونه، أو توليتهم المجتمع وتقليدهم الأُمور العامّة، أو إجراء الأُمور الدينية بأيديهم وقوّتهم، وأشباه ذلك).[3]

ويؤيده أيضاً، قوله سبحانه: ﴿فَلَوْلا كانَ مِنَ الْقُرونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَونَ عَنِ الْفَسادِ في الأَرضِ إلّا قَليلاً مِمّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الّذين ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فيهِ وَكانُوا مُجْرِمينَ * وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ﴾.[4]

(وهذه الإشارة تكشف عن سنّة من سنن الله في الأُمم، فالأُمّة التي يقع فيها الظلم والفساد، فيجدان من ينهض لدفعهما، هي أُمم ناجية، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير. فأمّا الأُمم التي يظلم فيها الظالمون، ويفسد فيها

---

١. الأعراف:١٦٣ـ١٦٥.
٢. هود:١١٣.
٣. الميزان في تفسير القرآن:١١/٥٥.
٤. هود: ١١٦ـ١١٧.

المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون فيها من يستنكرهما، ولكنّه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإنّ سنّة الله تحقّ عليها، إمّا بهلاك الاستئصال، وإمّا بهلاك الانحلال... والاختلال!

فدعاة الصلاح، المناهضون للطغيان والظلم والفساد، هم صمّام الأمان للأُمم والشعوب... وهذا يبرز قيمة كفاح المكافحين للخير والصلاح، الواقفين للظلم والفساد... إنّهم لا يؤدّون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب، إنّما هم يحولون بهذا دون أُممهم وغضب الله، واستحقاق النّكال والضياع).[1]

إنّ السكوت ـ خصوصاً سكوت النخبة من العلماء والحكماء ـ أمام ظلم الظالم وانحرافه عن الحق إلى الباطل واستئثاره بالأموال والخيرات، نوع ركون إلى الظالم خصوصاً أئمة الجمعة والجماعة المرتزقين برواتب الدول الظالمة حيث يدْعون للظالم وأعوانه بطول العمر ودوام السلامة، ويديرون الشؤون الدينية حسب الخطط التي يرسمها ويصوّرها الظالمون وأعوانهم.

إنّ السكوت أمام تحريمهم الحلال وتحليلهم الحرام ينتهي إلى تحريف الدين وضلال العامّة الذين لا يعرفون الحلال والحرام إلّا عمّا يحدث في المجتمع مع سكوت العلماء.

وأمّا الثاني: ـ أعني: عرض هذه النظرية على السنّة الشريفة ـ فيأتي في مقدّمة ذلك ما رواه الإمام سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث خطب أصحابه وأصحاب الحر ـ قائد جيش عبيد الله بن زياد ـ بقوله ـ بعد ما حمد الله وأثنى عليه ـ: «أيّها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من

---

١ . في ظلال القرآن: ٧٩/١٢.

رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيّر».(١)

فإذا رأى الظالم أنّه لا ينكر على فعله ـ من مآتم يفعلها أو سيئات يجترحها ـ أحدٌ من الأُمّة، من الطبقة العليا ولا من غيرها، فإنّه بالطبع سيتمادىٰ في غلوائه، ويزداد في انهماكه، ويشتد في التفرعن والاستعباد، وينتهي الأمر إلى تحريف دين الله، وإلى ما لا تحمد عقباه.

ثمّ إنّ قول ابن تيمية بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر المسلمين بأن يطيعوا ولاة أُمورهم وإن استأثروا، يخالف ما روي بسند صحيح عن عبادة بن الصامت، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «سيلي أُموركم بعدي رجال يُعرّفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله».(٢)

هذا وقد حذّر أئمّة المسلمين من العترة الطاهرة من محبّة بقاء الظالمين، قال الإمام الصادق عليه السلام: «من أحبّ بقاء الظالمين فقد أحبّ أن يُعصى الله».

وقال أيضاً: «من سوّد اسمه في ديوان الجبارين حشره الله يوم القيامة حيراناً».

---

١ . تاريخ الطبري: ٣٠٤/٤، حوادث سنة ٦١هـ.

٢ . أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في زوائد المسند:٣٢٩/٥؛ والحاكم في المستدرك على الصحيحين:٣٥٧/٣. وانظر: سير أعلام النبلاء:٩/٢، ترجمة عبادة بن الصامت.

إلى غير ذلك من الأحاديث المروية عن العترة الطاهرة عليهم السلام حول الانسلاك في صفوف الظالمين وإن لم يظلم أحداً.[١]

وهذا هو الإمام علي عليه السلام يعلّل سبب قيامه بالأمر وأخذه بزمام الخلافة بقوله: «**وما أخذ الله على العلماء ألّا يُقارُّوا على كِظّة ظالم ولا سَغَب مظلوم**».[٢]

وأمّا الثالث: أعني عرضها على سيرة المسلمين الأفاضل منهم لا المنهمكين في دنيا إمارتهم وخلافتهم، فإليك نتفاً من أخبار أُباة الضيم وأحوالهم:

الثورات في «خير القرون»!

اتّفق القوم على أنّ القرون الأُولى خير القرون وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خير القرون قرني ثم الذين يلونني ثم الذين يلونهم»، فإذا كانت القرون الأُولى خير القرون فيكون عمل السلف الصالح خلالها مقياساً لعمل الخلف من الأُمّة.

ونحن نرى أنّ أُمّة كبيرة من المسلمين قاموا بثورات أراقوا فيها دماءهم وضحّوا بأنفسهم لكي يجهزوا على دولة الأُمويين، واحدة بعد الأُخرى حتى أسقطوها أيام حمارهم، وبذلك أعطوا للآخرين دروساً ضافية حتى يقتفوا أثرهم في القرون اللاحقة، وهذه الثورات ابتداءً من ثورة الإمام الحسين عليه السلام وانتهاء بثورة زيد بن علي رضي الله عنه، كانت ثورات إلهية بنيّات خالصة لمناهضة

---

١. لاحظ : وسائل الشيعة، ج١٢، الباب٤٢ من أبواب ما يكتسب به، أحاديث الباب.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣.

الظالمين وإسقاطهم عن عروشهم، ودفع الأُمور إلى الصالحين من الأُمّة.

فلنستعرض هنا هذه الثورات بصورة موجزة:

١. ثورة الإمام الحسين عليه السلام

إنّ ثورة الحسين عليه السلام منذ تفجّرها صارت أُسوة وقدوة لسائر الثوّار، ويكفي في بيان واقع هذه الثورة ما يقوله خبير التاريخ وحجته ابن أبي الحديد، قال: سيد أهل الإباء الذي علّم الناس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً له على الدنيّة، أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام عُرض عليه الأمان وأصحابه، فأنف من الذلّ، وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان، إن لم يقتله، فاختار الموت على ذلك.[1]

ونحن وإن كنّا نعتقد بأنّ الإمام الحسين عليه السلام أسمىٰ من أن يحتاج إلى من يصوّبه في نهضته المباركة ضد الظلم والطغيان، ولكن لا بأس بذكر شيء ممّا ورد في ذلك، لدحض ما يذهب إليه ابن تيمية من «أنّ الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم هو أصلح الأُمور للعباد، وأنّ أفاضل المسلمين كانوا ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة»، ثم استشهد لذلك بأقوال بعض من أشار على الحسين عليه السلام بعدم الخروج، وبإيراد أسماء ثلاثة رجال قال إنّهم كانوا ينَهون عن الخروج[2]، متغاضياً عن ذكر ثلّة من الرجال، الذين ثاروا ضد أئمة الجور، أو دعَوا إلىٰ جهادهم، أو صوّبوا رأي الثائرين عليهم، ومن هؤلاء:

---

١ . شرح نهج البلاغة:٣/٢٤٩.

٢ . منهاج السنة: ٤/٥٢٩ و ٥٣١، وفي طبعة بولاق : ٢/٢٤١.

١. أنس بن الحارث بن نُبيه. له صحبة.

استشهد مع الحسين عليه السلام.

ذكره في الصحابة: البغوي، وابن السكن، وابن شاهين، والباوردي، وابن منده، وأبو عمر، وأبو أحمد العسكري، وغيرهم.(١)

٢. حبيب بن مُظَهَّر (مظاهر) الأسدي.

ذكر ابن الكلبي أنّه أدرك النبي صلى الله عليه وآله.(٢) وقال غيره: إنّه من كبار التابعين.

استشهد مع الحسين عليه السلام.(٣)

٣. كبار التابعين الذين استشهدوا مع الحسين عليه السلام أو على طريق ثورته **كهانئ بن عروة المرادي**(٤)، **وزهير بن القين البجليّ**.(٥)

٤. سليمان بن صُرد الخزاعي، الصحابيّ، أمير التوّابين.

قال ابن عبد البرّ: كان خيّراً فاضلاً، له دين وعبادة، كان اسمه في الجاهلية يساراً، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله سليمان.

وكان فيمن كتب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يسأله القدوم إلى الكوفة، فلمّا قدمها ترك القتال معه. فلما قُتل الحسين ندم. ثمّ سار على رأس جيش إلى الشام، فقتل بموضع يقال له عين الوردة، وكان يوم قُتل ابن ثلاث وتسعين سنة.(٦)

---

١ . انظر: الاستيعاب:١/١١٢، برقم ٨٨؛ وأُسد الغابة:١/١٢٣؛ والإصابة :١/٦٨، برقم ٢٦٦.

٢. الإصابة:١/٣٧٣، برقم ١٩٤٩.

٣. انظر: تاريخ الطبري :٤/٢٦١،٢٦٤،٣١١،٣٢٣،٣٣٤،٣٣٦.

٤ . انظر: مقاتل الطالبيين:٩٧ـ١٠٠؛ والكامل لابن الأثير:٤/١ـ١٥.

٥ . تاريخ الطبري:٤/٢٩٨ـ ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٦.

٦ . الاستيعاب:٢/٦٤٩، برقم ١٠٥٦؛ و تاريخ الطبري:٤/٤٢٦.

٥. كبار التابعين، الذين انضمّوا إلىٰ حركة التوّابين، ومنهم: **المُسيَّب بن نَجَبَة الفزاري، ورفاعة بن شدّاد البجليّ**.[١]

قُتل رفاعة سنة (٦٦هـ).[٢]

وثّقه النّسائي، وروى له هو وابن ماجة، وذكره ابن حبان في «الثقات».[٣]

٦. عبد الله بن عمرو بن العاص.

عن الفرزدق، قال: لمّا خرج الحسين، لقيتُ عبد الله بن عمرو، فقلت: إنّ هذا خرج، فماترى؟ قال: أرىٰ أن تخرج معه... .

قال الذهبي، بعد أن نقل هذا الخبر:

هذا يدلّ على تصويب عبد الله بن عمرو للحسين في مسيره، وهو رأي ابن الزبير وجماعة من الصحابة شهدوا الحرّة.[٤]

هؤلاء جملة من الصحابة والتابعين، الذين نصروا الحسين عليه السلام في ثورته، أو استشهدوا من أجل قضيته، أو أعربوا عن تأييدهم له، ورأوا أنّ مصلحة الدين والدنيا في نهضته، فلماذا لم يستند إليهم ابن تيمية في صياغة رأيه، وهم أكثر بكثير ممّن كان يرىٰ وجوب إطاعة حكام الجور، وينهىٰ عن عصيانهم وقتالهم؟

ثمّ إنّ نصائح أكثر (أفاضل أهل العلم والدين) الذين أشاروا على الحسين بأن لا يخرج، لا تعبّر، أبداً، عن اعتقادهم بوجوب الصبر على جور الأئمة وتركِ قتالهم ـ كما يحلو لابن تيمية أن يصوّرها ـ وإنّما تكمن وراءها

---

١ . تاريخ الطبري:٤/٤٢٦.
٢ . تاريخ الطبري:٤/٥٢٣.
٣ . تهذيب الكمال:٩/٢٠٤، برقم ١٩١٦.
٤ . سير أعلام النبلاء:٣/٢٩٣، الترجمة ٤٨.

دوافع أُخرىٰ، ليس من بينها ذلك الاعتقاد، ويدلّ على ذلك:

١. كلام ابن عباس، حيث قال للحسين عليه السلام: إنّي أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك... أقمْ بهذا البلد فإنّك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك ـ كما زعموا ـ فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم، ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلّا أن تخرج فسرْ إلى اليمن فإنّ بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل وتبثّ دعاتك، فإنّي أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ في عافية.[1]

٢. كلا الحوارين اللّذين جريا بين الحسين، وبين عبد الله بن مطيع العدوي، وهما:

أ. لما مضى الحسين نحو مكة، لقيه عبد الله بن مطيع، فقال له:

أين تريد؟

قال الحسين: أمّا الآن فمكة.

قال: خار الله لك، غير أنّي أحبّ أن أُشير عليك برأي.

قال الحسين: وما هو؟

قال: إذا أتيت مكة، فأردت الخروج منها إلىٰ بلد من البلدان، فإياك والكوفة، فإنّها بلدة مشؤومة، بها قتل أبوك، وبها خُذل أخوك... بل الزم الحرم... ثمّ ادع إليك شيعتك من كل أرض، فسيأتونك جميعاً.

قال له الحسين: يقضي الله ما أحب.

١. تاريخ الطبري:٢٨٨/٤؛ والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري:٢٤٤.

ب. لمّا سار الحسين من مكة نحو العراق، لقيه عبد الله بن مطيع، فسلّم على الحسين، وقال له:

بأبي أنت وأُمي يابن رسول الله، ما أخرجك من حرم الله وحرم جدّك؟

فقال: إنّ أهل الكوفة كتبوا إليّ يسألونني أن أقدم عليهم لما رجوا من إحياء معالم الحقّ، وإماتة البدع.

قال له ابن مطيع: أنشدك الله أن لا تأتي الكوفة، فوالله لئن أتيتها لتقتلنّ.

فقال الحسين عليه السلام: **﴿لَنْ يُصيبَنا إلّا ما كَتَبَ الله لَنا﴾**[1]. [2]

وأنت تلاحظ، عزيزي القارئ، أنّ الدافع وراء إشارة ابن عباس، وابن مطيع، على الحسين عليه السلام بعدم المسير، إنّما هو حبّ الحسين، والتعلّق بشخصه والحرص على حياته، لسموّ منزلته وقربه من الرسول صلى الله عليه وآله والرغبة في أن يتّخذ بلداً آخر غير الكوفة، منطلقاً لدعوته وثورته ضد الظلم والفساد، ولم يكن الدافع، أبداً، هو ضرورة الخضوع والاستكانة لجور الحاكم وطغيانه.

وممّا يؤكّد ذلك أنّ ابن مطيع نفسه، كان من رجال أهل المدينة الذين خرجوا على يزيد وخلعوه، وقد ولّته قريش عليها يوم الحَرّة عام (٦٣هـ)، فلمّا انهزم أصحابه توارىٰ في المدينة، ثم سار إلى ابن الزبير بمكة، فاستعمله على الكوفة، فأخرجه المختار منها، فعاد إلى مكة، فلم يزل فيها إلى أن قُتل مع ابن الزبير.[3]

١ . التوبة:٥٠.

٢ . الأخبار الطوال:٢٤٦.

٣ . الأخبار الطوال:٢٦٥؛ وتهذيب الكمال:١٥٢/١٦، برقم ٣٥٧٨؛ والأعلام:١٣٩/٤.

ومهما يكن، فإنّ الإمام عليه السلام بتضحيته وفدائه قد علّم الأُمّة دروساً راقية في التضحية والمفاداة دون المبدأ الصحيح، فعليها أن تقتصّ أثره، وتستلهم تلك الدروس في كلّ آن يكون للظالم جولة فيه.

وقد أثرّت هذه النهضة في الأُمّة الإسلامية، فتوالت الثورات تلو الثورات بعد ثورة الحسين عليه السلام.

وإذا كان ابن تيمية لم يدرك المصلحة في ثورة الحسين، ويرىٰ أنّ الشرّ قد زاد بخروجه وقتله[١]، فإنّ الكثير من المتطلّعين إلىٰ حياة عزيزة كريمة، ولم تطمس العصبية بصيرتهم، قد أدركوا جوانب عديدة من أهداف هذه الثورة المقدّسة، وما نتج عنها من ثمار زكية على الصعيد الديني والإنساني، فهاك شيئاً ممّا كتبه أحد الباحثين من أهل السنّة، عن بعض مبرّرات الحسين عليه السلام في الخروج، ونتائج مقتله:

قال الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه «نظرية الإمامة»:

إنّه في ظلّ دولة يقوم نظامها السياسي علىٰ أُسس دينية، لا تُعدّ البيعة أو انتخاب الحاكم مجرد عمل سياسي، ففي إقدام الحسين علىٰ بيعة يزيد انحراف عن أصل من أُصول الدين، من حيث إنّ السياسة الدينية للمسلمين لا ترىٰ في ولاية العهد وراثة الملك إلّا بدعة هرقلية دخيلة على الإسلام، ومن حيث إنّ اختيار شخص يزيد مع ما عُرف عنه من سوء السيرة وميله إلى اللهو وشرب الخمر ومنادمة القرود، ليتولىٰ منصب الخلافة عن رسول الله أكبر رُزء يحلّ بالنظام السياسي للإسلام، يتحمّل وزره كلّ من شارك فيه

١ . منهاج السنة: ٥٣٠/٤، وفي طبعة بولاق : ٢٤٢/٢.

ورضي عنه، فما بالك إذا كان المقدم على ذلك ابن بنت رسول الله.

كان خروج الحسين، إذاً، أمراً يتصل بالدعوة والعقيدة، أكثر ممّا يتصل بالسياسة والحرب، ولقد أراد الحسين أن يصلح كثيراً من مسائل العقيدة بعد أنّ اختلّت الموازين أثناء خلافة معاوية، ذلك أنّ معاوية لم يكن يدعم ملكه بالقوة فحسب، ولكن بآيديولوجية تمسّ العقيدة في الصميم... فكان في خروج الحسين بما يحمله من صفة دينية بوصفه سبط الرسول، إفساد لكلّ الخطط الآيديولوجية التي أرسىٰ معاوية قواعدها طوال أربعين سنة أقامها والياً ثم خليفة.

ثمّ قال: وليس بين من نظر إلى خروج الحسين من زاوية العقيدة أو الحكم الشرعي من يخطّئه غير الظاهريين وأهل السلف [يعني أصحاب الاتجاه الأموي]، وبالرغم من أنّ رأيهم صادر عن عقيدة إلّا أنّ دوافع وجهة نظرهم ليست دينية بحتة، فمعظمهم من أهل الشام كابن تيمية أو من الأندلس الأموية كابن حزم وابن العربي، ولا يخلو رأيهم من باعث العصبية الإقليمية أو مشايعة الحكام الأمويين.

ثم قال: وإذا كان الحسين قد هُزم في معركة حربية أو خسر قضية سياسية، فلم يعرف التاريخ هزيمة كان لها من الأثر لصالح المهزومين كما كان لدم الحسين، فلقد أثار مقتله ثورة ابن الزبير، وخروج المختار، ولم ينقض ذلك حتى أفضى الأمر إلى ثورات أُخرى إلىٰ أن زالت الدولة الأموية بعد أن أصبحت ثارات الحسين هي الصرخة المدويّة لتدكّ العروش، وتزيل الدول، فقام بها ملك العباسيين ثم الفاطميين،

واستظلّ بها الملوك والأُمراء بين العرب والفرس والروم.[١]

وهكذا يتبيّن أنّ ما ذكره ابن تيمية من أنّه لم يكن في ثورة الإمام الحسين لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، نابع عن جهله بالغايات التي نهض الإمام لأجلها، وكأنّه يتصوّر أن نجاح الثورة هو انتصارها في يومها أو في الأيام القليلة التي تعقبها.

ولكن المنطق يفرض أنّ الثورة وتقييمها يتم من خلال دراسة النتائج التي تترتّب عليها وعلى الثورات التي تلتها.

ومن أهمّ الغايات التي قام الإمام الحسين عليه السلام لأجلها هاتان الغايتان، وقد حصلتا بعد استشهاده:

١. أنّ الإمام بتضحيته بنفسه ونفيسه، أعلم الأُمّة بفظاظة الأُمويين وقسوة سياستهم، وابتعادهم عن الناموس البشري فضلاً عن الناموس الديني وتوغلهم في الغلظة الجاهلية، وعادات الكفر الدفين.

وقد ثار في وجه الحكم السائد ليعلم الملأ بأنّ هؤلاء الحكام لا يبالون ـ من أجل حفظ حكمهم ـ بانتهاك المحارم وارتكاب المعاصي والجرائم، وهم لا يوقرون كبيراً ولا يرحمون صغيراً ولا يعطفون على رضيع ولا امرأة.

٢. لم يكن الحسين عليه السلام يطلب ملكاً عضوضاً ولا سلطة بشرية وإنّما يطلب إيقاظ الأُمّة وتعريفها بواجبها الحتمي، وما هو إلّا إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكأنّ الأُمّة نسيت ذينك

---

١ . نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية: ٣٢٣ـ ٣٤٠.

العمادين، وذلك لعوامل خلفت رفض ذينك الأمرين المهمين.

كانت الأُمّة تعيش بين الترغيب والترهيب فصارت محايدة عن كلّ عمل إيجابي يغيّر الوضع الحاضر، وهم بين راضٍ بما يجري، وبين مبغض صامت، يترك الأمر إلى الله تبارك وتعالى، فكانت القلوب مشفقة والأيدي مغلولة.

فلمّا قام الحسين في وجه الظلم بأولاده وأصحابه القليلين، نفث في جسم الأُمّة روح الكفاح والنضال وحطّم كلّ حاجز نفسي واجتماعي كان يصدّهم عن القيام، وأثبت أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الظروف الحرجة ليس رهن العِدّة والعُدّة، بل إذا حاق الخطر بالأُمّة من ملوكها وأمرائها وزعمائها وأصبحوا يسوقون الناس بأفعالهم وأعمالهم، والمجتمع إلى العيث الجاهلي، وجب على المؤمن الاستنكار بقلبه ولسانه ويده، فكان في قيامه تحطيم السدود المزعومة الممانعة عن القيام بالفريضة، ولأجل ذلك استتبعت ثورته، ثورات عديدة تترى من غير فرق بين من ثار وهو على خط الإمام وبين من ثار في وجه الطغمة الأموية ولم يكن على خطه وفكره ولكن الكل كانوا مستلهمين من تلك الثورة العارمة، ولولا حركة الحسين عليه السلام لما كان لهذه الحركات أيّ أثر في المجتمع الإسلامي، وإن كنت في ريب من ذلك فعليك بدارسة الثورات المتتابعة بعد قيامه ونهضته.

٢. ثورة أهل المدينة

بعد ما استشهد الإمام الحسين عليه السلام عزل يزيد عامله على المدينة الوليد، وولّىٰ عثمان بن محمد بن أبي سفيان.

ولمّا أحسّ الوالي الجديد بحدوث ردّة فعل عند الناس على إثر استشهاد الحسينعليه السلام، وحصول نفرة وتباعدٍ عن حكومة يزيد، قرر إرسال وفد إلى دمشق للاطلاع على أوضاع يزيد، وكان من ضمن الوفد: عبد الله بن حنظلة (غسيل الملائكة)، وعبدالله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، والمنذر بن الزبير، وآخرون من أشراف المدينة، فلمّا رجعوا إلى المدينة قاموا فأظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الخُرّاب وهم اللصوص وإنّا نشهدكم إنّا قد خلعناه.

وقام عبد الله بن حنظلة فقال: جئتكم من عند رجل، لو لم أجد إلّا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطاني وأكرمني وما قبلت منه عطاءه إلّا لأتقوّىٰ به، فخلعه الناس، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولّوه عليهم.[1]

هذه هي الانطلاقة الأُولى لثورة أهل المدينة، التي شارك فيها الكثير من الصحابة والتابعين.

فإذا كان أهل مدينة الرسولصلى الله عليه وآله وسلم يشاركون في الثورة على الحاكم الجائر، وكان منهم ـ حسب اعتراف ابن تيمية ـ خلْق من أهل العلم والدين[2]، فهل يمكن أن يقال: إنّهم، جميعاً، كانوا جاهلين بالحكم الشرعي؟ وإنّهم كانوا مكلَّفين بالصبر على ظلم الحاكم

---

١ . الكامل لابن الأثير: ١٠٣/٤.

٢ . منهاج السنة: ٥٢٨/٤، وفي طبعة بولاق: ٢٤١/٢.

وتلاعبه بالسنن والقيم، فلم يلتزموا بتكليفهم؟

وهل يظنّ ابن تيمية أنّه أعلم بالحكم، وأقدر على تشخيص المصلحة من أُولئك الثائرين (من أهل العلم والدين)، الذين تشرّفوا بصحبة الرسول ﷺ أو رؤيته، أو عاشوا في كنف الصحابة؟

٣. ثورة التوابين في الكوفة

إنّ ثورة أهل المدينة على عامل يزيد وإخراجه من المدينة صارت سبباً لثورة ثالثة، عُرفت باسم حركة التوابين حيث أحسّوا أنّهم قصّروا في حق إمامهم فثاروا على قتلة الإمام وعلى رأسهم النظام الحاكم. وكان قادة الثورة من الصحابة والتابعين الذين كانت لهم مكانة بين الناس وهم: سليمان بن صرد الخزاعي (وكانت له صحبة مع النبي ﷺ)، والمسيَّب بن نَجَبة الفزاري، وكان من أصحاب علي عليه السلام وخيارهم؛ وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي؛ وعبد الله بن وال التيّميّ؛ ورفاعة بن شدّاد البجلي.

ومن أراد أن يقف على واقع الثورة ونتائجها فليرجع إلى موسوعتنا بحوث في الملل والنحل.[1]

ثم تلتها ثورات أُخرى كثورة المختار الثقفي، وثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وثورة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام وكلّ هذه الثورات بين أن تكون استمراراً لثورة الإمام الحسين عليه السلام، أو متأثّرة بها، وقد أدّت هذه الثورات المتتالية إلى تقويض النظام الأُموي، الذي لم يستمر ـ بعد ثورة الحسين ـ إلّا نحواً من سبعين سنة.

---

١ . بحوث في الملل والنحل: ٦/٢٤٦ـ٢٥٧.

٤. ثورة ابن الأشعث، والتحاق القرّاء بها

في سنة (٨١ هـ) خلع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي ومَن معه من الجُند، الطاعة، وساروا من سجستان إلى العراق لحرب الحجّاج الثقفي[١]، وكان أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني ـ وله صحبة ـ أوّل من تكلّم من جند ابن الأشعث، فنال من الحجّاج، وقال: إنّي أُشهدكم أنّي أوّل خالع.[٢]

ثم جرت وقعات كثيرة بين الطرفين، منها: وقعة الزاوية، ووقعة دُجيل، ووقعة دير الجماجم التي اجتمع فيها جلّ الناس (أهل الكوفة، وأهل البصرة، وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم، والقرّاء من أهل المصرَين)[٣] على قتال الحجّاج لظلمه وسفكه الدماء، وأعادوا خلع عبد الملك بن مروان ثانية، وتعبّؤا للقتال.[٤]

وقد انضمّ إلى ابن الأشعث خمسمائة من القرّاء[٥]، وانتظموا في كتيبة سُمّيت بكتيبة القرّاء، وفيهم:

١. مسلم بن يسار البصريّ، الفقيه الزاهد.

وثّقه: أحمد بن حنبل، والعجلي، وغيرهما.

---

١. تاريخ خليفة: ٢١٥، ط . دار الفكر، ١٤١٤هـ؛ والكامل في التاريخ:٤/٤٦١.

٢. تاريخ الطبري:٥/١٤٦؛ والكامل في التاريخ:٤/٤٦٢.

٣. تاريخ الطبري:٥/١٥٥ـ ١٥٦؛ والكامل في التاريخ:٤/٤٦٩.

٤. تاريخ الإسلام للذهبي (٨١ـ ١٠٠هـ):٩ ـ ١٠.

٥. تاريخ خليفة:٢٢٢.

وكان يُعدّ خامس خمسة من فقهاء أهل البصرة.[١]

٢. النَّضْر بن أنس بن مالك البصريّ.

وثّقه: ابن سعد، والعجلي، والنسائي، وغيرهم.

روىٰ له أصحاب الكتب الستة.[٢]

٣. عقبة بن عبد الغافر العَوْذِيّ البصريّ (قُتل).

وثّقه: يحيى بن معين، والعجلي، والنسائي، وغيرهم.

روىٰ له البخاري ومسلم والنسائي.[٣]

٤. أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الرَّبَعي البصري(قُتل).

وثّقه: أبو زرعة، وأبو حاتم، وابن حبّان، وغيرهم.

وله مناقب وزهد وعبادة.

روىٰ له أصحاب الكتب الستة.[٤]

٥. عبد الله بن غالب الحُدّاني البصري العابد(قُتل).

وثّقه: العجلي، والنسائي، وابن عبد البرّ.

وقال أبو بكر البزّار: كان من خيار الناس.[٥]

٦. عقبة بن وسّاج الأزدي البرساني البصري (قُتل).

وثّقه: ابن معين، وأبو داود، وغيرهما.

---

١. انظر: تهذيب الكمال:٥٥١/٢٧، برقم ٥٩٤٩؛ وتاريخ الإسلام(٨١ـ ١٠٠هـ): ٤٧٥، برقم ٤٠٦.

٢. انظر: تهذيب الكمال:٣٧٥/٢٩، برقم ٦٤١٧.

٣. انظر: تهذيب الكمال:٢٠٩/٢٠، برقم ٣٩٨١.

٤. انظر: تهذيب الكمال:٣٩٢/٣، برقم ٥٨٠.

٥. انظر: تهذيب الكمال: ٤١٩/١٥، برقم ٣٤٧٦؛ وتاريخ الإسلام(٨١ ـ ١٠٠ هـ): ١١٧، برقم ٨١

روى له البخاري حديثاً واحداً.[١]

٧. محمد بن سعد بن أبي وقاص الزُّهري (قتله الحجّاج صبراً).

وثّقه: ابن سعد، والعجلي، وابن حبّان.

رویٰ له أصحاب الكتب الستة، وأبو داود في «المراسيل».[٢]

٨. عبد الله بن شدّاد بن الهادّ الليثي المدني ثم الكوفيّ، الفقيه.

هو من كبار التابعين وثقاتهم.

رویٰ له أصحاب الكتب الستة.

فُقد ليلة دُجيل، وقيل: إنّه غرق بدُجيل.[٣]

٩. عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاريّ المدنيّ ثم الكوفيّ، الفقيه.

وثّقه: ابن معين، والعجلي.

وقال أبو حاتم الرازي: لا بأس به.

رویٰ له أصحاب الكتب الستة.

غرق بدُجيل. وقال أبو نعيم: قُتل بوقعة الجماجم.[٤]

١٠. أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود الهُذليّ، وكان من علماء الكوفة.

---

١. انظر: تهذيب الكمال:٢٢٨/٢٠، برقم ٣٩٩١.

٢. انظر: تهذيب الكمال:٢٥٨/٢٥، برقم ٥٢٣٨؛ وتاريخ الإسلام(٨١ـ ١٠٠هـ): ١٨٠، برقم ١٣٧.

٣. انظر: تهذيب الكمال:٨١/١٥، برقم ٣٣٣٠؛ وسير أعلام النبلاء:٤٨٨/٣، برقم ١١٠.

٤. انظر: تهذيب الكمال:٣٧٢/١٧، برقم ٣٩٤٣؛ وتاريخ الإسلام(٨١ ـ ١٠٠هـ):١٢٧، برقم ٩٣.

وثّقه: ابن معين، وابن سعد.

روىٰ له أصحاب الكتب الستة.

فُقد ليلة دُجيل.[١]

هذا، وقد سمّىٰ خليفة بن خيّاط (المتوفّى ٢٤٠هـ) في تاريخه، أربعة وعشرين رجلاً من القرّاء الذين خرجوا مع ابن الأشعث، فراجع أسماءهم هناك إذا شئت.[٢]

ومع أنّ ابن تيمية يعترف بأنّ ثمّة خلقاً من أهل العلم والدين كانوا في أصحاب ابن الأشعث[٣] (كما اعترف من قبل بوجود خلق منهم في أهل الحَرّة)، إلّا أنّه لم يكترث لمواقف تلك الجموع الثائرة من أهل العلم والدين، الذين استقرّ رأيهم على النهوض بوجه الحاكم الجائر، وقتاله، واعتمد ـ بدلاً عن ذلك ـ على أقوال قلّة قليلة تدعوا إلى الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم!!

ومن العجيب أنّ ابن تيمية يأخذ بأقوالٍ رويت عن ثلاثة من أهل العلم، في شأن ثورة ابن الأشعث، وهم: الشَّعبيّ، والحسن البصري، وطلق بن حبيب، ويدعُ مواقف وأفعال خمسمائة من القرّاء والفقهاء، الذين التحقوا بتلك الثورة، وفيهم العشرة (المذكورين آنفاً) المتّفق على وثاقتهم وجلالتهم في العلم والدين عند أهل السنّة!!

١ . انظر: تهذيب الكمال: ٦١/١٤، برقم ٣٠٥١؛ وتاريخ الإسلام(٨١ ـ ١٠٠هـ): ٢٤١، برقم ١٨٩.

٢ . تاريخ خليفة: ٢٢١.

٣ . منهاج السنة: ٥٢٩/٤، وفي طبعة بولاق : ٢٤١/٢.

إنّه يأخذ بذلك، مع أنّ اثنين من هؤلاء الثلاثة، كانا قد اشتركا في الثورة (وهما: الشَّعبي، والحسن البصري)[١]، والثالث(وهو: طلق بن حبيب) كان مرجئاً.[٢]

ثمّ إنّ ابن تيمية ذكر قول الشَّعبي: (أصابتنا فتنة، لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء)[٣]، ولم يذكر مناسبته!! والحقيقة أنّه قاله بين يدي الطاغية الحجّاج لما أُحضر إليه موثَقاً[٤] (بعد فشل الثورة التي كان الشعبيّ من المنضوين تحت لوائها)، ولكن ابن تيمية أبىٰ أن يشير إلى تلك الأجواء الإرهابية التي صدر فيها ذلك القول، لأنّه يعلم أنّ مثل هذه الإشارة، تسلب من القول اعتباره، وتجعله غير ذي قيمة!!

ونسأل ابن تيمية: لماذا عوّلت على قول الشعبي هذا الذي قاله خوفاً من سيف الطاغية الذي كان يقطر من دماء الثائرين على السلطة(سواء من أُسر منهم في الحرب، أو من أُلقي القبض عليه بعدها)، ولم تعوِّل على قول الشعبي نفسه، الذي كان يحرّض فيه القرّاء على القتال:

(يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم، فوالله ما أعلم قوماً علىٰ بسيط الأرض أعمل بظلم، ولا أجوَر منهم في الحكم، فليكن بهم البدار)؟؟!!

---

١. تاريخ خليفة: ٢٢١(وفيه: أنّ الحسن أُخرج كرهاً).

٢. انظر: طبقات ابن سعد: ٢٢٧/٧؛ وسير أعلام النبلاء: ٤ / ٦٠١، برقم ٢٣٩.

٣. منهاج السنة: ٥٢٩/٤، وفي طبعة بولاق: ٢٤١/٢.

٤. المعرفة والتاريخ: ٥٩٨/٢. وانظر: تاريخ الطبري: ١٧٧/٥ـ١٧٨.

وختاماً نقول: إنّ ابن تيمية لم يكن متورّعاً عن الكذب والافتراء على أهل البيتعليهم السلام فهو من رماة القول على عواهنه في عشرات الموارد، وربما يدّعي شيئاً واضح البطلان، ومن أقواله هذه، هذا النموذج:

قال: وكذلك الحسن كان دائماً يشير على أبيه وأخيه بترك القتال.[١]

كيف كان يشير الحسن على أبيه بترك القتال مع أنّه يعلم بأنّ جدّهصلى الله عليه وآله وسلم أمر عليّاً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فهل أنّ الحسن كان أعلم من أبيهعليه السلام الذي كان يقول: أمرني رسول الله بقتال هؤلاء؟

كيف يشير على أبيه بترك القتال مع أنّه هو الذي استنهض أهل الكوفة لقتال الناكثين في حرب الجمل بعد ما كان الوالي(أبو موسى الأشعري) يثبّط الناس ويقعدهم عن القتال؟!

وهذه مواقف وخطب الإمام الحسنعليه السلام وعمّار بن ياسر في الكوفة قد ذكرها المؤرّخون مثل خليفة، واليعقوبي، والطبري، في كتبهم.[٢] فمن شاء فليراجعها.

ثم كيف يشير على أبيه عليّ بترك القتال، وهو الذي كان يندفع فيه اندفاع الأبطال، حتى خشي عليه أبوه، وقد رآه في بعض أيام صفين يتسرّع إلى الحرب، فقال:

«املكوا عنّي هذا الغلام لا يهدُّني، فإنّي أنفس بهذين ـ يعني الحسن

---

١ . منهاج السنّة: ٥٣٥/٤، وفي طبعة بولاق : ٢٤٣/٢.

٢ . تاريخ خليفة:١٣٥؛ وتاريخ اليعقوبي :١٨١/٢ـ١٨٢؛ وتاريخ الطبري:٤٩٩/٣.

والحسين عليهما السلام ـ على الموت، لئلّا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»؟![1]

ولست أدري متىٰ أشار الحسن على أخيه الحسين بترك القتال؟ وكيف أشار عليه بذلك؟ وهل كان الحسن يعلم بأنّ أخيه سينهض للقتال بعد وفاته بأكثر من عشر سنوات؟!

١ . نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٧.

٤

موقف ابن تيمية من يزيد بن معاوية

يقول ابن تيمية: الناس في يزيد طرفان ووسط، قوم يعتقدون أنّه كان من الصحابة، أو من الخلفاء الراشدين المهديين أو من الأنبياء، وهذا كلّه باطل، وقوم يعتقدون أنّه كان كافراً منافقاً في الباطن، وأنّه كان له قصد في أخذ ثأر كفّار أقاربه من أهل المدينة وبني هاشم، وأنّه أنشد:

لما دنت تلك الحمول وأشرفت ... تلك الرؤوس على رُبىٰ جيرون

نعق الغراب فقلت نُحْ أو لا تنح ... فلقد قضيت من النبي ديوني

وأنّه تمثّل بشعر ابن الزبعْرىٰ:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسَلْ

قد قتلنا القرن من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدَل

وكلا القولين باطل، يعلم بطلانه كلّ عاقل، **فإنّ الرجل ملك من ملوك المسلمين وخليفة من الخلفاء**الملوك، لا هذا ولا هذا.

ثم ذكر هذه الأقوال الثلاثة في حقّ الحسين عليه السلام وقال: وصار الناس في قتل الحسين رضي الله عنه ثلاثة أصناف، طرفين ووسطاً، أحد الطرفين يقول:

إنّه قتل بحقٍّ، فإنّه أراد أن يشق عصا المسلمين ويفرّق الجماعة، وقد ثبت في الصحيح عن النبيﷺ أنّه قال: من جاءكم وأمركم على رجل واحد، يريد أن يفرّق جماعتكم فاقتلوه.

والطرف الآخر قالوا: بل كان هو الإمام الواجب طاعته الذي لا ينفذ أمر من أُمور الإيمان إلّا به، ولا تُصلّىٰ جماعة أو جمعة إلّا خلف من يولّيه، ولا يجاهد عدو إلّا بإذنه.

وأمّا الوسط فهم أهل السنّة الذين يقولون لا هذا، ولا هذا، بل يقولون قتل مظلوماً شهيداً فلم يكن متولياً لأمر الأُمّة، والحديث المذكور لا يتناوله.[1]

ما ذكره ابن تيمية، هو الذي كان يجترّه ابن الباز المفتي الأسبق في السعودية، لكن بصورة أغلظ حيث قال في جواب امرأة سألته عن ثورة الإمام الحسينؑ فأجاب: يا أُختي هذه أُمور مضت وتاريخ مضى... إلى أن قال: لكن اعتقد أنّ يزيد بن معاوية بيعته بيعة شرعية وأنّ الحسين ؓ وأرضاه نُصح ألّا يخرج إلى العراق ولا يقبل من دعاه إلى البيعة، حذّره ابن عباس وابن عمر والفرزدق، وكثير من الصحابة حذروه من الخروج إلى العراق وأنّ الخروج لا يؤدّي إلى مصلحة، لكنّهؓ وأرضاه ما قبل، والله قدّر ما قدّر وقضى ما قضىٰ، فإذا نفذ القضاء لـ.. لكنّا نترضى الحسين ونسأل العفو عن الجميع، ولله فيما قضى وقدّر حكمة لا نعلمها.

وقد أدلىٰ المفتي بكلامه هذا من على قناة المجد الفضائية في برنامج حيّ.

١ . منهاج السنّة: ٤/٥٤٩ـ٥٥٤، (ضمن فصلين)، وفي طبعة بولاق : ٢/٢٤٧ـ ٢٤٨ .

يلاحظ على كلام الرجلين بأُمور:

١. أنّ ما ذكره ابن تيمية من القول الأوّل أنّ بعضهم يقول إنّ يزيد من الصحابة أو من الأنبياء، فهل يمكن أن يعرّف لنا مصدراً يتضمّن هذا الكلام، فإنّ الصحبة بأي معنى فسّرت فهي بمعنى رؤية النبيّ ﷺ، ويزيد لم ير النبي ﷺ قطعاً، لأنّه ولد عام ٢٥ أو ٢٦ للهجرة، فكيف يكون صحابيّاً؟!

وأسْفَه من هذا عدّه من الأنبياء، فمن قال بذلك؟ وأين هو المصدر؟!

والذي أظنه أنّه بذكر هذه الأباطيل يمهّد الأذهان لتقبّل الرأي الوسط الذي يتبنّاه، ويوجد أرضية يظنّ أنّها صالحة لإقناع سامعيه.

٢. كيف يقول إنّه ملك من ملوك المسلمين، وخليفة من الخلفاء الملوك، وقد استفاض بين الصحابة والتابعين في عصره، أنّه كان فاسقاً، متهتّكاً، منافقاً، وكان أبوه معاوية(الذي انتزىٰ على الأُمّة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها، حسب تعبير الحسن البصري)[1] قد سلّطه علىٰ رقاب الناس، وأخذَ على الناس بيعته بالمكر والتمويه والإكراه (استجابة لإشارة شيطانية من المغيرة بن شعبة)، وامتنع الحسين عليه السلام، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير من مبايعته.[2]

وكان المغيرة قد أشار على معاوية ببيعة ابنه يزيد ففعل. فقيل له: ماوراءك؟ قال: وضعتُ رِجل معاوية في غَرْزِ غيٍّ لا يزال فيه إلى يوم القيامة!![3]

---

١. تاريخ الطبري:٢٠٨/٤(سنة ٥١هـ).   ٢. البداية والنهاية:١٥٣/٨.

٣. سير أعلام النبلاء:٣٩/٤، الترجمة٨؛ وتاريخ الخلفاء للسيوطي:٢٤٥.

ولمّا هلك معاوية، لم يكن ليزيد همّة إلّا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته، فكتب إلى الوليد بن عتبة(والي المدينة) يأمره أن يأخذ الحسين، وابن عمر، وابن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً لا رُخصة فيه.(١)

وكان الحسين عليه السلام أوّل من أقدم على فضح الأمويين وزبانيتهم، في بياناته وخطاباته، التي أفصح فيها عن أسباب ثورته وامتناعه عن بيعة يزيد، وممّا قاله في هذا المجال.

(نحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان).(٢)

وقال عليه السلام أيضاً:«ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله».(٣)

ذمّ يزيد على لسان الصحابة والتابعين

ثم توالت تصريحات الصحابة والتابعين في حقّ يزيد، ومنهم:

١. وفد أهل المدينة إلى يزيد، وفيهم: عبد الله بن حنظلة(الغسيل) الأنصاري، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، ورجال كثير من أشراف أهل المدينة، وكان يزيد قد أكرمهم وأعظم جوائزهم، فلمّا انصرفوا من عنده، وقدموا المدينة، قالوا:«قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب،

---

١. الأخبار الطوال:٢٢٧؛ والكامل في التاريخ:١٤/٤.

٢. الكامل في التاريخ:٤٧/٤.

٣. الكامل في التاريخ:٤٨/٤.

ويسامر الخُرّاب والفتيان، وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه».[١]

٢. عبد الله بن حنظلة الغسيل، قال: «جئتكم من عند رجل، لو لم أجد إلّا بَنيّ هؤلاء لجاهدتُه بهم، وقد أعطاني وأكرمني، وما قبلتُ عطاءه إلّا لأتقوّىٰ به».[٢]

٣. المنذر بن الزبير بن العوّام، قال:«والله إنّه ليشرب الخمر، وإنّه ليسكر حتّى يدع الصلاة».[٣]

٤. معقل بن سنان الأشجعي (صحابي، قتله مسلم بن عُقبة بعد وقعة الحرّة صبراً)، قال بعد ما خرج من عند يزيد:«نرجع إلى المدينة فنخلع هذا الفاسق بن الفاسق».[٤]

٥. عبد الله بن الزبير، قال ـ و هو يذكر الحسين الشهيد، ويُعرِّض بيزيد ـ: «أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامُه... أما والله ما كان يبدّل بالقرآن الغِناءَ، ولا بالبكاء من خشية الله الحُداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حَلق الذكر الركضَ في تطلاب الصيد».[٥]

ذمّ يزيد على لسان العلماء

هذه كلمات بعض الصحابة والتابعين في الطعن علىٰ يزيد، وأمّا من طعن عليه من علماء المسلمين في العصور التي تلت عصر التابعين، فخلق كثير، نختار منهم ما يلي:

---

١. تاريخ الطبري: ٤ / ٣٦٨ (سنة ٦٢ هـ).

٢. الكامل في التاريخ:١٠٣/٤.

٣. تاريخ الطبري:٣٦٩/٤.

٤. الكامل في التاريخ:١١٩/٤.

٥. تاريخ الطبري:٣٦٤/٤(سنة ٦١هـ)؛ والكامل في التاريخ:٩٩/٤.

١. الإمام أحمد بن حنبل (المتوفّى ٢٤١هـ).

روى القاضي أبو يعلىٰ ابن الفرّاء بإسناده إلىٰ صالح بن أحمد بن حنبل، قال: قلت لأبي:إنّ قوماً ينسبوننا إلى تولّي يزيد.

فقال: يا بُنيّ وهل يتولّىٰ يزيد أحد يؤمن بالله؟

فقلت: فلمَ لا تلعنه؟

فقال: ومتى رأيتني ألعن شيئاً؟ لِمَ لا يُلعن من لعنه الله تعالىٰ في كتابه؟

فقلت: وأين لعن الله يزيد في كتابه؟

فقرأ: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ* أُولئكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمىٰ أَبْصارَهُمْ**﴾[1]، فهل يكون فساد أعظم من القتل؟[2]

٢. القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين ابن الفرّاء الحنبليّ(المتوفّى ٤٥٨هـ).

صنّف كتاباً فيه بيان مَن يستحقّ اللعن، وذكر فيهم يزيد، وقال: الممتنع من ذلك[يعني من لعن يزيد] إمّا أن يكون غير عالم بجواز ذلك، أو منافقاً يريد أن يوهم بذلك، وربّما استفزّ الجهّال بقوله: «المؤمن لا يكون لعّاناً».[3]

٣. الفقيه عماد الدين علي بن محمد الطبري الشافعي المعروف بالكيا الهرّاسي(المتوفّى ٥٠٤هـ).

---

١. محمد:٢١ـ٢٢.

٢. الردّ على المتعصّب العنيد لابن الجوزي:١٦ـ١٧؛ وانظر: الصواعق المحرقة:٢٢٢.

٣. الردّ على المتعصّب العنيد:١٨ـ١٩. وانظر: الصواعق المحرقة:٢٢٢.

سُئل عن لعن يزيد، فقال:... وأمّا قول السلف، ففيه لأحمد قولان تلويح وتصريح، ولمالك قولان تلويح وتصريح، ولأبي حنيفة قولان تلويح وتصريح، ولنا قول واحد التصريح دون التلويح، وكيف لا يكون كذلك، وهو اللّاعب بالنَّرد، والمتصيّد بالفهود، ومُدمن الخمر... وكتب فصلاً طويلاً، ثم قلب الورقة، وكتب. لو مُددتُ ببياض لَمددتُ العنان في مخازي هذا الرجل.(١)

٤. الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الحنبلي(المتوفّى ٥٩٧هـ).

صنّف كتاب الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد، وقال فيه: إنّه سأله سائل: هل يجوز لعنة يزيد؟ فقال: قد أجازها العلماء الورعون منهم الإمام أحمد بن حنبل.

وقال أيضاً: واعلم أنّه ما رضي ببيعة يزيد أحد ممّن يعوَّل عليه، حتى العوام أنكروا ذلك، غير أنّهم سكتوا خوفاً علىٰ أنفسهم.

ثم قال: فبان بما ذكرنا أنّ ولاية يزيد كانت قهراً وإنّما سكت الناس خوفاً. ومن جملة من خرج [يعني إلى مكة] ولم يبايع، ابن عمر، فلمّا خاف على نفسه بايع.(٢)

٥. الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الحنبلي (المتوفّى ٧٤٨هـ).

قال في وصف يزيد:... وكان ناصبيّاً، فظّاً، غليظاً، جِلفاً، يتناول المُسكر،

---

١. وفيات الأعيان:٣/٢٨٧، الترجمة ٤٣٠.

٢. الردّ على المتعصّب العنيد:٦، ٦٨، ٧١.

ويفعل المنكر. افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرّة، فمقته الناس، ولم يُبارَك في عمره.(١)

٦. الحافظ ابن كثير الدمشقي الشافعي (المتوفّى ٧٧٤هـ)، تلميذ ابن تيمية.

قال: وقد أراد [يعني يزيد بن معاوية] بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه، ودوام أيامه من غير منازع، فعاقبه الله بنقيض قصده، وحال بينه وبين ما يشتهيه، فقصمه الله قاصم الجبابرة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر ﴿وَكَذٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ القُرىٰ وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.(٢)

ثم قال ـ بعد أن ذكر أحاديث حول إخافة أهل المدينة ـ: وقد استدلّ بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخيص في لعنة يزيد بن معاوية، وهو رواية عن أحمد بن حنبل، اختارها الخلّال، وأبو بكر عبد العزيز، والقاضي أبو يعلىٰ وابنه القاضي أبو الحسين، وانتصر لذلك أبو الفرج ابن الجوزي في مصنّف مفرد، وجوّز لعنته.(٣)

٧. المتكلّم سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (المتوفّى ٧٩٣هـ).

قال: اتّفقوا على جواز اللعن علىٰ من قتل الحسين، أو أمر به، أو أجازه، أو رضي به. والحق أنّ رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك، وإهانته أهل بيت رسول الله ﷺ ممّا تواتر معناه وإنْ كان تفصيله آحاداً. قال: فنحن لا نتوقف في شأنه، بل في كفره وإيمانه، لعنة الله عليه وعلىٰ أنصاره وأعوانه.(٤)

---

١. سير أعلام النبلاء: ٤/٣٧ـ٣٨، الترجمة ٨. ٢. هود: ١٠٢. ٣. البداية والنهاية: ٨/٢٢٥ـ٢٢٦.
٤. شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ١/٦٨ـ٦٩، نقله عن «شرح العقائد النسفية» للتفتازاني.

وعلى ضوء ما تقدّم، نسأل ابن تيمية: بأيّ ميزان جعلتَ يزيد من الخلفاء الملوك، وقد تسلّط على المسلمين بالخديعة والقهر، وسفك دماء سبط رسول الله ﷺ والأخيار من الصحابة والتابعين، ولم يرض ببيعته حتى العوام، غير أنّهم سكتوا خوفاً على أنفسهم (حسب تعبير ابن الجوزي الحنبلي)؟!

وأي شرط من شروط القيادة وإدارة شؤون الأُمّة وجدتَ فيه، حتى يصحّ زعمك بأنّه من الخلفاء الملوك، وقد مرّ بنا تصريح الصحابة والتابعين بفسقه وفجوره، وظلمه وجوره؟ وتصريح وتلويح أئمة المسلمين وعلمائهم وفقهائهم(كأبي حنيفة، ومالك، وأحمد بن حنبل، وأبي يعلى الفرّاء، والخلّال، والكيا الهرّاسي، وابن الجوزي) بجواز لعنه؟

وأيّ ملك من ملوك المسلمين، هذا الذى مقته الناس(حسب تعبير الذهبي)، وقصمه الله قاصم الجبابرة(حسب تعبير ابن كثير الدمشقي)؟!

وبعبارة أُخرى: كيف يكون من الخلفاء الملوك مَن كان فاسقاً، فاجراً، متهتّكاً، مدمناً للخمر، ظالماً، جبّاراً، سفّاكاً للدماء، منافقاً، ممقوتاً، ملعوناً؟

كيف يكون كذلك، مع كلّ هذه الشرور والرذائل والمخازي، يا سماحة شيخ الإسلام؟!

وأي وزن يبقى لحُكمك ببطلان القول بكفر يزيد ونفاقه، وقد حكمتْ عليه بذلك، حُكماً واضحاً جازماً، سيرته وأقواله وأفعاله، التي ذكرها الرواة والمحدّثون، والمؤرّخون (الذين يثق بنقلهم ابن تيمية كابن سعد، وابن أبي الدنيا، والطبري) واستند إليها أئمة المذاهب والفقهاء (وفيهم الإمام أحمد

الذين يدّعي ابن تيمية الانتساب إليه) في الطعن على يـزيد وذمّـه وإبـاحة لعنه؟

روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، قال:

قُدم برأس الحسين، فلما وُضع بين يدي يزيد ضربه بقضيب كان فـي يده، ثم قال:

يُـفلِّقن هـاماً مـن رجـالٍ أعـزّةٍ عليـنا، وهـم كانوا أعقّ وأظلما[1]

وروى بإسناده عن أبي جعفر[الباقر]، قال:

وضع رأس الحسين بين يدي يزيد وعـنده أبـو بـرزة، فـجعل يـنكت بالقضيب على فيه، ويقول:

يُفلِّقن هاماً من رجـالٍ أعـزّةٍ علينا، وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال أبو برزة: ارفع قضيبك، فوالله لربما رأيت فا[2]النبيﷺ على فيه يلثمه.[3]

قال ابن الأثير: ولمّا وفد أهل الكوفة بالرأس إلى الشام ودخلوا مسجد دمشق، أتاهم مروان بن الحكم فسألهم: كيف صنعوا؟ فأخبروه، فقام عنهم ثم أتاهم أخوه يحيى بن الحكم فسألهم فأعادوا عليه الكلام، فقال: حُجبتم عن محمدﷺ يوم القيامة، لن أجامعكم على أمر أبداً، ثم انصرف عنهم، فلمّا دخلوا على يزيد، قال يحيى بن الحكم:

لَـهامٌ بـجنب الطـفّ أدنـىٰ قـرابـةً

من ابن زياد العبد ذي الحسب الوَغْلِ

---

١. انظر: المنتظم:٣٤٢/٥ـ٣٤٣؛ والردّ على المتعصّب العنيد:٤٦؛ وتاريخ الإسلام:١٨/٥ـ١٩.

٢. أي فم النبيﷺ.

٣. الردّ على المتعصّب العنيد:٤٧. وانظر: تاريخ الطبري:٣٥٦/٤.

سُـميّةُ أمسـى نسلُها عـددَ الحـصىٰ

وليس لآل المصطفى اليوم مـن نسْـلِ

فضرب يزيد في صدره، وقال: اسكت.[١]

كتاب المعتضد العباسي في مثالب معاوية وابنه يزيد

وممّا يدل على اشتهار وصم يزيد بالنفاق والمـروق عـن الديـن، ذلك الكتابالذي أنشأه المعتضد العباسي في سنة (٢٨٤هـ)، وأمر بأن يُقرأ عـلى رؤوس الأشهاد، وممّا جاء فيه:

ومنه (أي من بدع معاوية) إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمّير صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدّد والرهبة، وهـو يـعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره، فلمّا تمكّن منه ما مكّنه منه ووطأه له وعصى الله ورسوله فيه، طلب بثارات المشـركين وطوائلهم عند المسلمين فأوقع بأهل الحرّة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش ممّا ارتكب من الصالحين فيها، وشفىٰ بذلك عبد نفسه وغليله، وظن أن قد انتقم من أولياء الله وبلغ النوى لأعداء الله فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

ليت أشـياخي بـبدر شـهدوا	جَزَع الخزرج من وقع الأسَلْ
قد قتلنا القَـرْم مـن سـاداتكـم	وعـدلنا مـيل بـدر فـاعتدل
فأهــلّوا واسـتهلوا فـرحـاً	ثـم قـالوا يـا يـزيد لا تشـل

---

١ . الكامل في التاريخ:٤/٨٩ـ٩٠؛ وتاريخ الطبري:٤/٣٥٢.

لست من خندف إن لم انتقم ... من بني أحمد ما كان فعل
لعبثْ هاشمُ بالمُلك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

هذا هو المروق من الدين، وقول من لا يرجع إلى الله، ولا إلى دينه، ولا إلى كتابه، ولا إلى رسوله، ولا يؤمن بالله، ولا بما جاء من عند الله.

ثمّ من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ مع موقعه من رسول الله ﷺ ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل وشهادة رسول الله ﷺ له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة، اجتراء على الله وكفراً بدينه وعداوة لرسوله ومجاهدة لعترته واستهانة بحرمته، فكأنّما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفّار أهل الترك والديلم لا يخاف من الله نقمة ولا يرقب منه سطوة، فبتر الله عمره واجتث أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعدّ له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته.[1]

ومن الجدير بالذكر أنّ الكتاب الذي نقلنا هذه الفقرات منه هو ما أمر المعتضد بقراءته على المنبر، فلمّا صلّى الناس الجمعة بادروا ليسمعوا قراءة الكتاب، وقيل إنّ هذا الكتاب هو الذي أمر المأمون بإنشائه، فمن أراد أن يقف على النص الكامل له فليرجع إلى تاريخ الطبري.[2]

---

١. تاريخ الطبري :٨/١٨٧ـ١٨٨.

٢. تاريخ الطبري: ٨/١٨٣ـ ١٨٩، حوادث سنة ٢٨٤هـ(وفيه: أنّ يوسف بن يعقوب القاضي خوّف المعتضد من ميل الناس إلى الطالبيين فيما إذا قرئ الكتاب عليهم، فلم يأمر المعتضد في الكتاب بعده بشيء).

٥

آراء ابن تيمية في سيّد الساجدين عليه السلام

قال ابن تيمية: وظهور آثار غيرهم ـ يعني غير الأئمة ـ في الأُمّة أعظم من ظهور آثارهم في الأُمّة.[١]

وقال: وفي الاثني عشر من هو مشهور بالعلم والدين كعلي بن الحسين، وابنه أبي جعفر، وابنه جعفر بن محمد، وهؤلاء لهم حكم أمثالهم، ففي الأُمّة خلق كثير مثل هؤلاء وأفضل منهم...، وقد انتفع المسلمون في دينهم ودنياهم بخلق كثير أضعاف ما انتفعوا بهؤلاء.[٢]

هذا ما يقوله ابن تيمية فلننظر إلى ما يقوله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الطاهرون وعلماء الأُمّة...

قال أبو الزبير: كنّا عند جابر فدخل عليه علي بن الحسين، فقال: كنت عند رسول الله، فدخل عليه الحسين بن علي فضّمه إليه وقبّله واقعده إلى جنبه ثم قال: «يولد لابني هذا ابن يقال له عليٌّ إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: ليقم سيد العابدين، فيقوم هو».[٣]

---

١. منهاج السنّة: ٤/١٠٧ـ١٠٨، وفي طبعة بولاق: ٢/١٣٥.

٢. منهاج السنّة: ٤/١٦٩ـ١٧٠، وفي طبعة بولاق: ٢/١٥٠.

٣. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٤١/٣٧٠، و ج ٥٤/٢٧٦.

وقال الحافظ أبو نعيم: فمن هذه الطبقة [أي طبقة تابعي المدينة]: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنهم ـ، زين العابدين، ومنار القانتين، كان عابداً وفيّاً، وجواداً حفيّاً.[1]

وقال الذهبي في وصف زين العابدين عليه السلام: كان له جلالة عظيمة، وحقّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه، وسؤدده وعلمه، وتألّهه، وكمال عقله.[2]

قال الزُّهري: ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحداً أفقه منه... .[3]

وقال أيضاً: ما رأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين.[4]

وعنه أيضاً: ما لقيت أحداً أفضل منه.[5]

وعن صالح بن حسّان: قال رجل لسعيد بن المسيّب: ما رأيت أحداً أورع من فلان. قال: هل رأيت علي بن الحسين؟ قال: لا، قال: ما رأيت أورع منه.[6]

وقال ابن سعد: قالوا: وكان علي بن حسين ثقة مأموناً، كثير الحديث، عالياً، رفيعاً، ورعاً.[7]

هذا قليل من كثير، من كلمات محدّثي الإسلام ومؤرّخيهم، في حق

١. حلية الأولياء:١٣٣/٣.

٢. سير أعلام النبلاء:٣٩٨/٤.

٣. تهذيب الكمال:٣٨٦/٢٠، الترجمة ٤٠٥٠، وانظر: المعرفة والتاريخ:٥٤٤/١.

٤. المعرفة والتاريخ:٥٤٤/١.

٥. أعيان الشيعة:٦٣١/١، نقله عن العلل للصدوق.

٦. حلية الأولياء:١٤١/٣؛ وتهذيب الكمال:٣٨٩/٢٠؛ و سير أعلام النبلاء:٣٩١/٤.

٧. طبقات ابن سعد:٢٢٢/٥.

الإمام زين العابدين عليه السلام، بعد ذلك لنرجع إلى آثاره العلمية وما قام به من تأسيس مدرسة فقهية وحديثية، وقد أُحصي أكثر من مائة وستين من التابعين والموالي ممّن كانوا ينهلون من معينه ويروون عنه.

حدّث عنه: سعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبو الزّناد، ويحيى بن أُم الطويل، وعمرو بن دينار، والزهري، وزيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وطائفة. وقد وقفت على كلام الزهري.

وأمّا زهده وعبادته فيكفي في بيانهما أنّه إذا قام إلى الصلاة، أخذته رعدة، فقيل له، في ذلك، فقال: «تدرون بين يدي مَن أقوم، ومن أُناجي».[١]

إن من واجبات الإمام إصلاح المجتمع بكلّ ما أُوتي من قوة وقدرة، ولكن الظروف لم تسمح لأن يقوم عليه السلام بذلك على النحو الذي قام به الحسين بن علي عليه السلام أو عمه الحسن عليه السلام أو جدّه علي عليه السلام، وقد كان الضغط كبيراً جدّاً ولأجل ذلك لجأ إلى أسلوب آخر، لإصلاح المجتمع، وهو أسلوب الدعاء، فترك ثروة زاخرة من الأدعية المعروفة بـ«الصحيفة السجادية» التي عالجت مختلف علل النفس البشرية، وتضمنت حلاً لكثير من المشاكل الاجتماعية، وزخرت بالعديد من الأساليب التربوية، كل ذلك في أسلوب رائع يشدّ الإنسان إلى خالقه، ويعمّق ارتباطه الروحي به.

وللإمام أيضاً «رسالة الحقوق»، التي تشتمل على أزيد من خمسين مادّة بيّن فيها حقوق الله سبحانه، وحقوق الوالد والولد، والمعلم، واللسان، والسمع، وسائر الأعضاء، وكثيراً من الحقوق.

---

١. حلية الأولياء:٣/١٣٣؛ المناقب لابن شهر آشوب:٤/١٤٨.

وقد بلغ الإمام عليه السلام من العظمة والمهابة مقاماً شامخاً أشار إلى جانب من جوانبه شاعر عصره الفرزدق، في ميميته المعروفة، وها نحن نذكر أبياتاً منها ليتّضح مقامه في أعين الناس يومذاك:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحِلُّ والحرمُ

هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقي النقيّ الطاهر العلم

إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يُنمى إلى ذروة العزّ التي قصرت ... عن نيلها عَربُ الإسلام والعجم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ

يغضي حياء ويُغضى من مهابته ... فما يكلّم إلّا حين يبتسم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدِّه أنبياء الله قد خُتموا

من معشر حبُّهم دينٌ وبغضُهُمُ ... كفر وقربُهمُ منجىً ومعتصم

إنْ عُدّ أهل التُقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل همُ

والقول الفصل بين الإمام السجاد عليه السلام وعلماء عصره الذين جعلهم ابن تيمية مع الإمام في كفّة واحدة هو أنّهم أخذوا العلم من خلف إلى سلف، وأمّا الإمام فلم يتأدّب عند أحد ولم يتعلّم منه، وعلومه وعلوم آبائه وأبنائه كلّها بفضل من الله سبحانه، فكانوا كصاحب موسى حيث وصفه سبحانه بقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [1] فلذلك صار الإمام مع أجداده وأولاده من العترة

---

١. الكهف:٦٥،

الطاهرة الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعدالاً للقرآن الكريم في الكرامة والعصمة، وقال: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي».

فهل يصح بعد ذلك قول ابن تيمية: وكان علي بن الحسين وابنه أبو جعفر وابنه جعفر بن محمد يعلّمون الناس ما علمهم الله، كما علمه علماء زمانهم، وكان في زمنهم من هو أعلم منهم وأنفع للأُمّة، وهذا معروف عند أهل العلم.(١)

أقول: المعروف عند أهل العلم كالزهري وسعيد بن المسيب وغيرهما خلاف ذلك، وقد قرأتَ آنفاً أقوالهم التي صرّحوا فيها بأنّ علي بن الحسين كان أفقه أهل زمانه وأورعهم وأفضلهم.

***

ثمّ إنّ العلّامة الحلّي ذكر في حق الإمام زين العابدين عليه السلام أمرين:

١. أنّه كان يصلّي كل يوم وليلة ألف ركعة.

٢. أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمّاه سيّد العابدين.(٢)

فردّ ابن تيمية على الأوّل بقوله: وأمّا ما ذكره (يعني العلّامة) من قيام ألف ركعة فقد تقدم بأنّ هذا لا يمكن إلّا على وجه يكره في الشريعة، أو لا يمكن بحال. فلا يصح ذكر مثل هذا في المناقب.(٣)

أقول: قد أشار بقوله: فقد تقدم، إلى ما ذكره بحق علي عليه السلام أيضاً، حيث

---

١. منهاج السنّة: ٣٨٧/٦، وفي طبعة بولاق:٢٤٨/٣.

٢. منهاج الكرامة:٦٢. تحقيق عبد الرحيم مبارك.

٣. منهاج السنّة: ٥٠/٤، وفي طبعة بولاق : ١٢٣/٢.

قال: وأمّا ما نقله عن علي أنّه كان يصلّي كلّ يوم وليلة ألف ركعة، فهذا يدلّ على جهله بالفضيلة وجهله بالواقع:

أمّا أوّلاً: فلأنّ هذا ليس بفضيلة فإنّه قد ثبت بالصحيح عن النبي ﷺ أنّه كان لا يزيد في الليل على ثلاث عشرة ركعة.

و[ثانياً] إنّ عليّاً عليه السلام أعلم بسنّة النبي ﷺ وأتبع لهديه من أن يخالفه هذه المخالفة لو كان ممكناً، فكيف وصلاة ألف ركعة في اليوم والليلة، مع القيام بسائر الواجبات، غير ممكن.[1]

أقول: أمّا ما ذكره من أنّه أمر غير مشروع ففيه:

أوّلاً: أنّ مَن ترجم للإمام علي بن الحسين قد ذكر ذلك، فقد نقله ابن الجوزي في صفوة الصفوة(١٠٠/٢)، والحافظ المزّي في تهذيب الكمال(٣٩٠/٢٠)، والذهبي في السير (٣٩٢/٤)، والحافظ في التهذيب:(٢٦٩/٧)، والحافظ السيوطي في تذكرة الحفّاظ(٧٥/١)، وغيرهم عن الإمام مالك بن أنس أحد الأئمة الأربعة قال عن علي بن الحسين عليه السلام: بلغني أنّه كان يصلّي في كلّ يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات، وكان يسمّى زين العابدين لعبادته.

وقد قال الحافظ المزّي في تهذيب الكمال (٤١/٣٥) مترجماً له: ذو الثفنات علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين، سمّي بذلك لأنّه كان يصلّي كل يوم ألف ركعة، فصار في ركبتيه مثل نفثات البعير.

وثانياً: أنّ ابن تيمية خلط بين النوافل المرتّبة المعيّنة في الليل فهي لا

---

١. منهاج السنّة: ٢٨/٤ـ٣١، وفي طبعة بولاق: ١١٩/٢.

تزيد على ما ذكره من أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يزيد في الليل على ثلاث عشرة ركعة، وأين هذا من استحباب مطلق الصلاة ومطلوبية نفسها، وقد ورد في غير واحد من الروايات ما يدفع بالإنسان إلى الاستزادة من النوافل سواء استكثر أو استقل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلاة خير موضوع استكثر أو استقل»[1]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر»[2]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلاة خير موضوع، من شاء أقلّ، ومن شاء أكثر»[3]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أنس أكثر الصلاة بالليل والنهار تحفظك[حفظتك]».[4]

وبذلك ظهر أنّ ما قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام من قيام ألف ركعة في اليوم والليلة ليس مخالفاً للسنّة النبوية.

والذي يدلّ على ذلك أنّ قسماً من أئمة أهل السنّة كانوا يصلّون مئات الركعات في كلّ يوم وليلة، منهم: إمام الحنابلة أحمد بن حنبل.[5]

وقد ذكروا مثله في حق أبي القاسم الجنيد القواريري(المتوفّى ٢٩٨هـ).[6]

كما ذكروا مثله في حق الحافظ عبد الغني المقدسي (المتوفّى ٦٠٠هـ).[7]

ثمّ إنّ شيخنا العلامة الأميني ذكر أسماء جمع ممّن كان يصلّي أكثر من ذلك(وذكر مصادر هذه الأقوال)، وقال:

---

١. حلية الأولياء:١/١٦٦، أخرجه بستة طرق.

٢. أخرجه الطبراني في الأوسط:١/١٨٣، ح ٢٤٥، كما في الترغيب والترهيب.

٣. مستدرك الحاكم:٢/٦٥٣، برقم ٤١٦٦، مجمع الزوائد:١/١٦٠.

٤. تاريخ ابن عساكر:٩/٣٤٤، برقم ٨٢٩.

٥. البداية والنهاية:١٣/٤٧، حوادث سنة ٦٠٠هـ؛ حلية الأولياء:٩/١٨؛ تهذيب الكمال:١/٤٥٨.

٦. المنتظم:١٣/١١٨، برقم ٢٥٣.

٧. تذكرة الحفاظ:١/٣١٠، برقم ٢٨٦.

ومنهم من يصلي أربعمائة ركعة، ثم ذكر أسماءهم.

ومنهم من كان يصلي خمسمائة ركعة، ثم ذكر أسماءهم.

ومنهم من كان يصلي ستمائة ركعة، ثم ذكر أسماءهم.

ومنهم من كان يصلي سبعمائة ركعة، ثم ذكر أسماءهم.(١)

كلّ ذلك يدلّ على أنّ الصلاة وراء النوافل اليومية أمر موافق للشرع.

وأمّا ما ذكره من أنّه أمر غير ممكن، فمنشؤه تثاقل الطبع والكسل عن الإكثار من العبادة، فإنّ من لم يتنشط في كلّ عمره لأمثال ذلك، البعيد عن عمل العاملين وعادات العُبّاد، يحسب خروج ذلك عن حيّز الإمكان، لكن من تذوق حلاوة الطاعة ولذّة العبادة يرى أمثال هذه من العادات المطرّدة، قال الأميني: ونحن نعرف من أصحابنا اليوم، من يأتي بها في الليل تارة، وفي الليل والنهار أُخرى، في أقل من سبع ساعات يصلّيها صلاة تامة مع سورة التوحيد بالرغم من حسبان ابن تيمية استحالتها في اليوم والليلة، فإتيان ألف ركعة في الليل والنهار لا يستوعب كلّ الليل، ولا يحتاج إلى قيام تمامه، ولا يخالف السنّة، بل هي السنّة النبويّة المعتضدة بعمل العلماء والأولياء، فمن شاء استكثر، ومن شاء استقل.(٢)

أضف إلى ذلك: أنّ أئمة أهل البيت إنّما يقومون بهذا العمل إذا لم يكن عندهم ما هو أهم منه، فمن المعلوم أنّ علياً لا يقوم بذلك في أيام جهاده مع الناكثين والقاسطين والمارقين.

هذا كلّه حول الأمر الأوّل أي أنّه كان يصلّي كل يوم وليلة ألف ركعة.

---

١. لاحظ: الغدير:٥/٤٣ـ٥٠.

٢. الغدير:٥/٤٨.

وأمّا الأمر الثاني: فقد رد عليه ابن تيمية بقوله: وكذلك ما ذكره من تسمية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد العابدين هو شيء لا أصل له ولم يروه أحد من أهل العلم والدين.[1]

فيلاحظ عليه: أنّ كثيراً ممّن روىٰ عن الإمام عليه السلام أو ترجم له، ذكره بوصفين: أحدهما سيد العابدين، والآخر زين العابدين، منهم: الزّهري(الذي قال: سمعتُ علي بن الحسين سيّد العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربّه...)[2]، وابن سعد[3]، والمسعودي[4]، وابن خلّكان[5]، وأبي الحجّاج المِزّي[6]، والذهبيّ[7]، وغيرهم، وهذا يعني أنّ هذا الوصف قد اشتهر بين أبناء الأُمّة الإسلامية، ورسخ في أذهانهم منذ أن رأوه مجسَّداً في سلوك الإمام، ثم لم يزل ملازماً له عليه السلام على مرّ العصور، ولكنّ ابن تيمية (يريد أن يسلب هذا الوصف عنه)[8]، كعادته في تنقيص أهل البيت، والتقليل من شأن مَن رَفعهم الله تعالىٰ، وأمر بالصلاة عليهم.

أهل العلم يروون حديث جابر حول سيد العابدين

ثمّ كيف يدّعي ابن تيمية أنّ أحداً من أهل العلم لم يروِ تسمية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له سيد العابدين، وهذا ابن عساكر قد روى بإسناده عن محمد بن

١ . منهاج السنّة: ٥٠/٤، وفي طبعة بولاق : ١٢٣/٣.
٢ . البداية والنهاية: ١١٥/٩.
٣ . الطبقات الكبرى: ١٥٦/٥.
٤ . مروج الذهب: ٣٦٩/٣، برقم ٢١٢٠.
٥ . وفيات الأعيان: ٢٦٦/٣.
٦ . تهذيب الكمال: ٣٨٣/٢٠.
٧ . سير أعلام النبلاء: ٣٨٦/٤.
٨ . أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته: ١٣٢.

زكريا الغلابي، عن إبراهيم بن بشار، عن سفيان بن عيينة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال: دخل الحسين فضمّه النبيﷺ إليه، وقال يولد لابني هذا ابن يقال له عليّ، إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: ليقم سيد العابدين، فيقوم هو، ويولد له ولد... .(١)

ورواه أيضاً بإسناده عن الغلابي، عن شعيب بن واقد، عن سعيد بن محمد الجهني، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله.(٢)

يُذكر أنّ ابن الجوزي أورد هذا الحديث في «الموضوعات»، وقال: المتّهم به الغلابي. قال الدارقطني: كان يضع الحديث.(٣)

أقول: إنّ كبار الحفّاظ والمحدّثين من أهل السنّة (كابن الصلاح، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر) قد انتقدوا صنيع ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» وقالوا بأنّ فيه تساهلاً كثيراً، إذ حكم بوضع أحاديث ليست بموضوعة، بل هي ضعيفة فقط، وربّما تكون حسنة أو صحيحة.(٤)

قال ابن كثير: صنّف الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي كتاباً حافلاً في الموضوعات، غير أنّه أدخل فيه ما ليس منه، وأخرج عنه ما كان يلزمه ذكره....(٥)

وممّا عيب به ابن الجوزي أيضاً أنّه (يسرد الجرح، ويسكت عن التوثيق)، وهذا ما نبّه عليه الذهبيّ(٦) ، ونلاحظه، بجلاء، في كلامه حول

١. انظر: تاريخ مدينة دمشق:٣٧٠/٤١، الترجمة ٤٨٧٥، وج ٢٧٦/٥٤، الترجمة ٦٧٨١.

٢. تاريخ مدينة دمشق:٢٧٦/٥٤.

٣. الموضوعات:٤٤/٢ـ٤٥.

٤. راجع كلماتهم في كتاب نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار:١٢١/١١ـ١٢٧.

٥. الباعث الحثيث:٧٥.

٦. ميزان الاعتدال:١٦/١، برقم ٢٠.

الغلابي (راوي حديث جابر المذكور)، حيث أورد قول الدارقطني في جرحه، وتجاهل قول ابن حبّان، الذي ذكره في «الثقات»، وقال: يُعتَبر بحديثه إذا روىٰ عن الثقات، لأنّه في روايته عن المجاهيل بعض المناكير.(١)

نعود، الآن، إلىٰ حديث جابر حول سيّد العابدين، لنتعرّف على الشيخ الذي روىٰ عنه الغلابي ذلك الحديث، من خلال كلمات الرجاليين التي قيلت في حقّه، ومن ثمّ نقف ـ في ضوء كلام ابن حبّان ـ على مدى اعتبار الحديث.

أمّا شيخ الغلابي، فهو: إبراهيم بن بشّار الرمادي، أبو إسحاق البصري.

وأمّا كلمات الرجاليّين في حقّه، فننقلها من «تهذيب الكمال» للحافظ المزّي، وهي كالتالي:

قال عباس الدوري عن يحيى بن معين: رأيت الرمادي ينظر في كتابٍ وابن عُيينة يقرأ، ولا يغيّر شيئاً، ليس معه ألواح ولا دواة.

وعن أحمد بن حنبل: كان [الرمادي] يحضر معنا عند سفيان بن عيينة، فكان يملي على الناس ما يسمعون من سفيان، وكان ربّما أملىٰ عليهم ما لم يسمعوا.

وقال البخاري: يهم في الشيء بعد الشيء، وهو صدوق.

وقال أبو حاتم الرازي: صدوق.

وقال النسائي: ليس بالقويّ.

وقال أبو عوانة يعقوب بن إسحاق: ثقة، من كبار أصحاب ابن عُيينة،

---

١ . ثقات ابن حبّان: ٩/١٥٤.

وممّن سمع منه قديماً. وقد أخرج حديثه في «صحيحه».

وقال ابن حبّان: كان متقناً ضابطاً، صحب ابن عُيينة سنين كثيرة، وسمع أحاديثه مراراً، ومن زعم أنّه كان ينام في مجلس ابن عيينة فقد صدق، وليس هذا ممّا يجرح مثله في الحديث، وذاك أنّه سمع حديث ابن عُيينة مراراً، والقائل بهذا رآه ينام في المجلس حيث كان يجيء إلىٰ سفيان ويحضر مجلسه للاستئناس، لا للسّماع، فنوم الإنسان عند سماع شيء قد سمعه مراراً ليس ممّا يقدح فيه.

وقد أخرج ابن حبّان حديث الرمادي في «صحيحه».

وقال أبو أحمد بن عديّ: لا أعلم أُنكر عليه إلّا هذا الحديث الذي ذكره البخاري[يعني حديث كلّكم راع][1]، وباقي حديثه عن ابن عيينة وأبي معاوية وغيرهما من الثقات، مستقيم، وهو عندنا من أهل الصدق.

وقال أبو عبد الله الحاكم: ثقة مأمون، من الطبقة الأُولى من أصحاب ابن عُيينة.[2]

وبما تقدّم يظهر لنا أنّ إبراهيم بن بشار الرمادي(شيخ الغلابي) كان ـ وفق آراء أغلب الرجاليين ـ ثقة، أو صدوقاً، وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار رأي ابن حبّان، الذي ذكر الغلابي في «الثقات»، وقال: يعتبر بحديثه إذا روىٰ عن

---

١ ـ قال البخاري: قال لي إبراهيم الرمادي: حدثنا سفيان بن عيينة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسىٰ: كلّكم راع. قال ابن عديّ: وهو وهم، كان ابن عيينة يرويه مرسلاً.

٢ ـ تهذيب الكمال:٢/٥٦، الترجمة:١٥٥.

الثقات، نصل إلى النتيجة التالية :

إنّ حديث الغلابي الذي ورد فيه أنّ رسول الله ﷺ سمّىٰ علياً بسيد العابدين، هو حديث معتبر.

ثمّ إنّ الغلابي لم ينفرد برواية الحديث، فقد رواه المدائني عن جابر، كما ذكر ذلك سبط ابن الجوزي الحنفي[1]، ورواه ابن المديني البصري (أحد الأئمة في الحديث) عن جابر، كما ذكر ابن حجر الهيتمي، الذي قال، وهو يثني علىٰ محمد بن علي بن الحسين، الباقر:

«كفاه شرفاً أنّ ابن المديني روىٰ عن جابر أنّه قال له، وهو صغير: رسول الله ﷺ يسلّم عليك، فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنت جالساً عنده والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال: يا جابر: «يولد له مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركتَه فاقرأه منّي السلام».[2]

وهكذا يتّضح للقارئ اللبيب، مدى مجازفة ابن تيمية، وهو يدّعي أنّ أحداً من أهل العلم لم يرو ذلك.

---

١ . تذكرة الخواص:٢/٤٢٥، قال الذهبي، وهو يترجم لسبط ابن الجوزي: الشيخ العالم المتقن، الواعظ، البليغ، المؤرخ، الأخباري شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبد الله التركي ثم البغدادي، الحنفي... له قبول زائد وسوق نافق في دمشق. توفّي سنة (٦٥٤هـ). سير أعلام النبلاء:٢٣/٢٩٦، الترجمة ٢٠٣.

٢ . الصواعق المحرقة:٢٠١. ويا ليته ذكر الوسائط بين ابن المديني وبين جابر حتّى نتعرّف علىٰ سند الحديث. يُذكر أنّ ابن المديني كان من تلامذة سفيان بن عيينة، فلعلّه رواه عنه، عن ابن الزبير، عن جابر.

٦

آراء ابن تيمية في الإمام الباقر عليه السلام

قال العلّامة الحلّي رحمه الله في وصف الإمام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: كان أعظم الناس زهداً وعبادة، بَقَر السجودُ جبهته، وكان أعلم (أهل) وقته، سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الباقر،... ثم ذكر رواية جابر، وفيها: «إنّه (أي محمد بن عليّ) يبقر العلم بقراً» ثم قال: وروى عنه أبو حنيفة وغيره.[١]

وقال ابن تيمية في الرد عليه: وكذلك أبو جعفر محمد بن علي من خيار أهل العلم والدين، وقيل: إنّما سمّي الباقر لأنّه بقر العلم، لا لأجل بقر السجود جبهته، وأمّا كونه أعلم أهل زمانه فهذا يحتاج إلى دليل، والزهري من أقرانه، وهو عند الناس أعلم منه. ونقل تسميته بالباقر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا أصل له عند أهل العلم، بل هو من الأحاديث الموضوعة، وكذلك حديث تبليغ جابر له السلام هو من الموضوعات عند أهل العلم بالحديث.[٢]

حاصل كلامه يرجع إلى ثلاثة أُمور:

١. منهاج الكرامة:٦٥، تحقيق عبد الرحيم مبارك.

٢. منهاج السنّة: ٤/٥٠ـ٥١، وفي طبعة بولاق: ٢/١٢٣.

١. إنّ وجه تسمية أبي جعفر محمد بن علي بالباقر لأنّه بقر العلم لا لأجل أنّ السجود بقر جبهته.

٢. إنّ كونه أعلم أهل زمانه رهن الدليل، والزهري عند الناس أعلم منه.

٣. إنّ حديث تسميته بالباقر، وحديث تبليغ جابر له السلام، هما من الأحاديث الموضوعة.

وهاك الجواب عن هذه الأُمور الثلاثة:

الأوّل: إنّ العلّامة الحلّي، قد أورد كلا الوصفين في حقّ أبي جعفر عليه السلام: بقر السجود جبهته، وبقر العِلم، وقد سبقه إلىٰ ذلك سبط ابن الجوزي الحنفي، حيث قال: «إنّما سمّي الباقر من كثرة سجوده، بقر السجود جبهته أي فتحها ووسّعها، وقيل: لغزارة علمه»[١]، فلا وجه لاعتراض ابن تيمية عليه، ولكنّه امرؤ لجوج، مولع بالجدل والمراء في كلّ أمر، صغيراً كان أم كبيراً.

الثاني: إنّ كون أبي جعفر أعلم أهل زمانه، يؤكّده إطلاق لقب الباقر عليه، وتفرّده بهذا اللقب، واشتهاره به علىٰ مرّ العصور.

قال الزبير بن بكّار: كان يُقال لمحمد بن علي: باقر العلم. وفيه يقول القرظي:

يا باقرَ العِلم لأهل التُّقىٰ وخيرَ من لبّىٰ على الأَجبُلِ[٢]

وقال اليعقوبي: وكان يسمّىٰ أبا جعفر الباقر، لأنّه بقر العلم.[٣]

وقد اعتنىٰ علماء اللغة بهذا اللقب، فقال الجوهري في الصحاح: التبقّر:

---

١. تذكرة الخواص:٢/٤٢٣.

٢. سير أعلام النبلاء:٤/٤٠٣، الترجمة ١٥٨.

٣. تاريخ اليعقوبي:٢/٣٢٠.

التوسّع في العلم، قال: وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: الباقر، لتبقّره في العلم.(١)

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: لُقِّب به لأنّه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه، وتوسّع فيه، والتبقّر: التوسّع.(٢)

وقال الفيروزآبادي في «القاموس المحيط»: الباقر: محمد بن علي بن الحسين، لتبحّره في العلم.(٣)

وشاركهم في هذا الاعتناء الحفّاظ والمحدّثون من أهل السنّة، ومنهم، على سبيل المثال: الذهبي، وابن حجر الهيتمي.

فأمّا الذهبي، فقال: وقيل له الباقر، لأنّه بقر العلم، أي شقّه، وعرف أصله وخفيّه.(٤)

وأمّا ابن حجر الهيتمي، فقال: سُمّي بذلك[أي بالباقر]: من بَقَر الأرضَ، أي شقّها وأثار مخبآتها ومكامنها، فكذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام، والحكم واللطائف، ما لا يخفىٰ إلّا علىٰ منطمس البصيرة أو فاسد الطَّويّة والسريرة، ومن ثمّ قيل فيه: «هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه. صفا قلبه، وزكا علمه وعمله...».(٥) ...(٦)

فأي دليل، على كونه أعلم أهل زمانه، أسطع من هذا الدليل، أعني تلقيبه

---

١. الصحاح: ٢ / ٥٩٥، مادة «بقر».

٢. لسان العرب:٧٤/٤.

٣. القاموس المحيط: ٣٧٦/١.

٤. العبر:١٠٩/١.

٥. القائل، هو كمال الدين محمد بن طلحة القرشي الشافعي(المتوفّى ٦٥٢هـ) في كتابه«مطالب السؤول:٢٧٧»، طبعة مؤسسة البلاغ، ١٤١٩هـ.

٦. الصواعق المحرقة:٢٠١.

بهذا اللقب الذي اشتهر به بين المسلمين جميعاً وعلى كرّ العصور؟ ولكن أنّىٰ لمنطمس البصيرة أن يدرك ذلك.

وهل ثمّة أحد في عصره (غير أبي جعفر) قد عرف أصل العلم وخفيّه، واستنبط فرعه، وأظهر مخبآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام؟

وأمّا قول ابن تيمية: والزهري من أقران (الباقر)، وهو عند الناس أعلم منه، فهو ينسجم، تماماً، مع هواه في بني أُميّة، ومشاعر التبجيل التي يحملها تجاه سلاطينهم، والسائرين في ركابهم.

فمن الطبيعي، إذاً، أن يقع اختياره على الزهري، المقرّب من الحكم الأموي، والعامل في خدمته، حيث إنّه (لم يزل مع عبد الملك ثم مع هشام بن عبد الملك، وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه)[1]، و(كان في زيّ الأجناد، وله صورة كبيرة في دولة بني أُميّة).[2]

ومن الطبيعي، أيضاً، أن يأخذ، في نظرته للزهري، برأي الناس المفتونين بشهرة علماء البلاط، ولا يميّزون بين العلم الذي يتدفّق من عين صافية، وبين العلم الذي يجري من عين خالطها الكدر، وأن يدعَ (ابن تيمية) أقوال الذين عابوا على الزهري مؤازرته لحكّام الجور، ومجاراته لهم في كثير من الأُمور.

فعن مكحول أنّه ذكر الزهري، فقال: أيّ رجل هو لولا أنّه أفسد نفسه بصحبة الملوك.[3]

وعن عمر بن رويح، قال: كنت مع ابن شهاب الزهري نمشي، فرآني

---

١ . وفيات الأعيان:٤/١٧٨.

٢ . سير أعلام النبلاء:٥/٣٣٩، الترجمة ١٦٠.

٣ . سير أعلام النبلاء:٥/٣٣٩.

عمرو بن عبيد بعد، فقال: ما لك ولمنديل الأمراء، يعني ابن شهاب.[١]

وسئل يحيى بن معين، عن منصور بن المعتمر، والزهري (في روايتيهما عن عائشة)، فقال: هما سواء، ومنصور أحبّ إلي، لأنّ الزهري كان سلطانياً.[٢]

ثمّ إنّ الإمام الباقر، الذي وصفه ابن سعد بأنّه كثير العلم والحديث[٣]، قد نهل من علمه وروى عنه الجمّاء الغفير (على الرغم من صعوبة الظروف التي كان يعيشها، في كثير من الأوقات، في ظل السياسة الأموية المعادية لأهل البيت)، وترك تراثاً علمياً ضخماً، نُقل قسم منه في كتب أهل السنّة (منها الكتب الحديثية الستة المعتمدة عندهم)، ونُقل الكثير منه في كتب الشيعة، بَيْد أنّ ابن تيميّة لا يلتفت إلىٰ كلّ ذلك حتى يدرك الفارق الجمّ بين علمي الرجلين، أو يدرك الفارق بينهما من حيث الصفاء والنقاء والسلامة من شَوْب الباطل، كما هو لم يدرك الفارق بين الرجلين من حيث الشرف والورع والاستقامة والبُعد عن الأهواء، وعن دنيا الطغاة!!!

وأخيراً: ما قيمة حُكم ابن تيمية بأعلمية الزهري، وقد حكم علماء ذلك العصر بخلاف حُكمه؟

فعن أبي إسحاق السبيعي، قال: «...لقيت محمد بن علي بن الحسين وما رأيت مثله».[٤]

---

١. تاريخ مدينة دمشق: ٣٧٠/٥٥، الترجمة ٧٠٠١.

٢. تهذيب الكمال: ٤٤٢/٢٦ـ٤٤٣، الترجمة ٦٠٦، تحقيق الدكتور بشّار عواد.

٣. طبقات ابن سعد: ٣٢٤/٥.

٤. شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ٢٨١/٣، برقم ١١٩٠؛ والإرشاد للمفيد: ٢٦٣.

وعن عبد الله بن عطاء المكّي، قال: ما رأيتُ العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيتُ الحَكَم [يعني ابن عُتيبة][1] عنده كأنّه متعلّم.[2]

وقال فيه مالك بن أعْيَن الجُهَنيّ (تلميذ الباقر والصادق عليهما السلام):

إذا طلَبَ الناسُ علمَ القرا ... نِ كانت قريش عليه عيالا

وإنْ قيل: أين ابن بنت الرسو ... لِ؟ نلتَ بذاك فروعاً طوالا

نجومٌ تَهلَّلُ للمُدْلِجينَ ... جبالٌ تورّثُ علماً جبالاً[3]

الثالث: إنّ حديث تسمية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن علي عليهما السلام بالباقر، الذي زعم ابن تيمية أنّه لا أصل له عند أهل العلم، قد رواه عدد من المحدّثين وأصحاب الآثار، وذكره المؤرّخون، ومنهم، على سبيل المثال: ابن قتيبة الدينوري(المتوفّى ٢٧٦هـ)، واليعقوبي (المتوفّى بعد ٢٩٢ هـ، وقيل: سنة ٢٨٤هـ)، والشيخ الكليني[4](المتوفّى ٣٢٩هـ)، والشيخ الصدوق (الذي روى الحديث عن أبان بن عثمان البجلي عن الصادق عليه السلام، بإسنادٍ رجاله

---

١ . قال ابن سعد في «الطبقات الكبرى»:٦/٢٣٢: كان الحكم بن عتيبة ثقة فقيهاً عالماً عالياً رفيعاً كثير الحديث. وعن سفيان بن عيينة، قال: ما كان بالكوفة بعد إبراهيم والشعبي مثل الحكم وحماد. تهذيب الكمال:٧/١١٨.

٢ . شرح الأخبار:٣/٢٧٧، برقم ١١٨٧؛ والإرشاد:٢٦٣؛ وحلية الأولياء:٣/١٨٥ـ١٨٦، الترجمة: ٢٤١؛ وتاريخ مدينة دمشق:٥٤/٢٧٨، الترجمة ٦٧٨١.

٣ . معجم الشعراء للمرزباني:٣٦٦؛ وتاريخ مدينة دمشق:٥٤/٢٧١؛ وسير أعلام النبلاء:٤/٤٠٤.

٤ . الكافي:١/٤٦٩، كتاب الحجة، باب مولد أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، ح٢.

ثقات)[١]، وابن أبي الحديد.

ذكر ابن قتيبة أنّه روى سيّار بن (كذا) الحكم[٢]، عن أبيه، أنّ هشام بن عبد الملك نال من أبي جعفر عليه السلام، فقال له زيد بن علي رضوان الله تعالىٰ عليه(أخو أبي جعفر): «سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باقراً...».

ثمّ ذكر رواية سيّار، عن أبيه، قال: أخبرنا جابر بن عبد الله أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «يا جابر، إنّك ستعمَّر بعدي حتىٰ يولد لي مولود اسمه كاسمي، يبقر العلم بقراً، فإذا لقيته فأقرِئْه منّي السلام».[٣]

وقال اليعقوبي: قال جابر بن عبد الله الأنصاري: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّك تُستبقىٰ حتى ترىٰ رجلاً من ولدي أشبه الناس بي، اسمه على اسمي، إذا رأيتَه لم يُخِلْ عليك، فاقرأْه منّي السلام! فلمّا كبرت سنّ جابر، وخاف الموت، جعل يقول: يا باقر! يا باقر! أين أنت؟...[٤]

ونقل ابن أبي الحديد، كلام هشام بن عبد الملك لزيد بن عليّ، وقول زيد له: سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الباقر... .[٥]

وأمّا حديث تبليغ جابر الأنصاري له السلام، والذي زعم ابن تيمية، أنّه

---

١ . أمالي الصدوق: ٢٨٩، المجلس (٥٦)، ح٩. رواه عن: محمد بن الحسن (بن أحمد بن الوليد)، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام .

٢ . هكذا ورد هذا الاسم في نسخة من «عيون الأخبار» و في أُخرى: سنان بن حكيم. أقول: الراوي المعروف، هو: سيّار أبو الحكم العَنزي الواسطي (المتّفق على وثاقته عند أهل السنّة)، فلعلّه هو. انظر: تهذيب الكمال:٣١٣/١٢، الترجمة ٢٦٧٠؛ وسير أعلام النبلاء:٣٩١/٥، الترجمة ١٧٩.

٣ . عيون الأخبار: ١ /٢١٢. ٤ . تاريخ اليعقوبي:٣٢٠/٢. ٥ . شرح نهج البلاغة:٢٨٦/٣.

من الموضوعات، فهو حديث مشهور معروف، رواه ابن عساكر باسناده عن الغلابي، عن إبراهيم بن بشّار، عن سفيان بن عُيَينة، عن أبي الزُّبير المكّي، عن جابر، وفيه: أنّ جابراً ضمّ محمداً (الباقر) إليه وبكىٰ، وقال: يا محمد، إنّ رسول الله يقرأ عليك السلام.[1]

وقد مضىٰ في (فقرة: آراء ابن تيمية في سيد العابدين) أنّ حديث الغلابي حديث مُعتَبر، لقول ابن حبّان في الغلابي: يعتبر بحديثه إذا روىٰ عن الثقات، وهو قد روىٰ حديث جابر عن (إبراهيم بن بشار الرمادي) الذي وثّقه جلّ نقّاد الحديث من أهل السنّة.

وذكر حديث جابر المذكور: ابن قتيبة الدينوري، واليعقوبي، كما مرّ آنفاً، والقاضي أبو حنيفة النعمان المغربي (المتوفّى ٣٦٣هـ) برواية عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر الصادق، عن أبيه الباقر.[2]

كما تقدّمت رواية الشيخ الصدوق له، ضمن حديث تسمية محمد بن علي عليهما السلام بالباقر.

ورواه، أيضاً، أبو جعفر الطبري في «ذيل المذيل»[3] عن محمد بن عبد الله الحضرمي، وأبو أحمد بن عديّ[4]، عن الحسن بن الطيب، والقاسم بن زكريا، وأبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر[5] بإسناده عن

---

١. تاريخ مدينة دمشق:٢٧٦/٥٤.
٢. شرح الأخبار:٢٧٦/٣، برقم ١١٨٦.
٣. المنتخب من ذيل المذيل:١٢٩(المطبوع في ذيل الجزء الثامن من تاريخ الطبري، طبعة مؤسسة الأعلمي).
٤. الكامل:٤١١/٦، ترجمة المفضل بن صالح.
٥. تاريخ مدينة دمشق:٢٧٥/٥٤.

يحيى بن أحمد المزوق حيون، جميعاً (الحضرمي، وابن الطيب، وابن زكريا، والمزوق)، عن سويد بن سعيد، عن المفضّل بن عبد الله، عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر(الباقر)، وإليك نصّ الرواية (كما رواها الطبري):

قال أبو جعفر (الباقر): جاءني جابر بن عبد الله، وأنا في الكتّاب، فقال لي: اكشف لي عن بطنك، فكشفت له عن بطني، فقبّله، ثم قال:

إنّ رسول اللهﷺ أمرني أن أُقرئك السلام.

وإليك كلمة موجزة حول رجال الإسناد:

١ . محمد بن عبد الله الحضرمي

قال الذهبي: وثّقه الناس.[١]

٢ . سويد بن سعيد

احتجّ به مسلم في صحيحه. وقال أبو حاتم: كان صدوقاً، وكان يدلّس ويكثر ذلك.[٢]

٣ . المفضّل بن عبد الله.[٣]

---

١ . ميزان الاعتدال:٦٠٧/٣، برقم ٧٨٠١.   ٢ . تهذيب الكمال:٢٤٧/١٢، الترجمة ٢٦٤٣.

٣ . قال أبو أحمد بن عديّ(بعد أن روى حديث جابر عن سويد عن المفضل بن عبد الله) :إنّ سويداً كان يخطئ في اسم أبي مفضّل، فيقول: مفضل بن عبد الله، وإنّما هو مفضل بن صالح.

وهذا قول غريب، فمن أين علم ابن عدي بأنّ سويداً كان يخطئ في اسم والد شيخه؟

ثمّ إنّ عدداً من الرجاليين (كأبي حاتم الرازي في «الجرح والتعديل»: ج ٨، الترجمة١٤٦٨)، قد صرّحوا برواية سويد عن المفضّل بن عبد الله.

ويؤكد ذلك أنّ كتب التراجم (مثل تهذيب الكمال: ج ٢٨، الترجمة٦١٤٨) ذكرت رواية سويد، وكذا محمد بن أبي السري المتوكل العسقلاني، عن المفضل بن عبد الله، فهل يقال: إنّ

أقول: فرّق بعضهم كأبي حاتم الرازي[١]، وأبي الحجّاج المزّي[٢]، بين المفضّل بن عبد الله (الذي يروي عن أبان بن تغلب، وجابر الجعفي)، وقالا: إنّه (كوفي)، وبين المفضّل بن عبد الله الحبطي البصري نزيل بغداد، في حين جعله آخرون كابن حبّان[٣] وعبد الغني المقدسي[٤]، واحداً.

ومع أنّ المزّي ذكر في ترجمة المفضّل (الكوفي) روايته عن أبان بن تغلب، إلّا أنّه ذكر في ترجمة أبان بن تغلب[٥]، رواية المفضّل الحبطي عنه!!

يُذكر أنّ البخاري لم يذكر في تاريخه[٦] سوى المفضل بن عبد الله الحبطي.

ولمّا كان المزّي قد جعلهما رجلين، فهاك ما أورده في «تهذيب الكمال» من كلماتٍ في حقّهما:

المفضّل بن عبد الله (الكوفي): قال أبو حاتم: ضعيف الحديث. وذكره ابن حبّان في «الثقات».

المفضّل بن عبد الله (ويقال: ابن عبيد الله) الحبطي: قال أبو حاتم: محلّه

☜ العسقلاني كان يخطئ، أيضاً، في اسم أبي المفضّل؟!

ويظهر أنّ المزّي، والذهبي لم يرتضيا قول ابن عدي، ولذا قالا: زعم ابن عدي أنّ المفضل بن عبد الله، هو ابن صالح. تهذيب الكمال: ج ٢٨، الترجمة ٦١٤٨، وميزان الاعتدال: ج ٤، الترجمة ٨٧٣٠

١. الجرح والتعديل: ٣١٨/٨ـ ٣١٩، الترجمتان: ١٤٦٧ و ١٤٦٨.

٢. تهذيب الكمال: ٤١٠/٢٨، الترجمة ٦١٤٨، وص ٤١٢، الترجمة ٦١٤٩.

٣. الثقات: ١٨٤/٩.

٤. في «الكمال». انظر: تهذيب الكمال: ٤١٣/٢٨ (الهامش ١).

٥. تهذيب الكمال: ٦/٢، الترجمة ١٣٥.

٦. التاريخ الكبير: ٤٠٦/٧، برقم ١٧٨١.

الصدق. وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان شيخاً صدوقاً.

٤ . أبان بن تغلب.

احتجّ به مسلم في صحيحه. ووثّقه يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وأبو حاتم.(١)

أقول: فالحديث، إذاً، بهذا الإسناد، رجاله ثقات باستثناء المفضّل، وهو إمّا (الكوفي)، وفيه تجريح وتعديل، وإمّا الحبطي، وهو شيخ صدوق .

وسواء كان المفضّل، هو (الكوفي) أم الحبطي، فإنّه لا يمكن رمي الحديث، بهذا الإسناد فقط، بالوضع، فكيف إذا أخذنا بسائر أسانيده،وبما ورد حوله من أخبار وأقوال؟

وهكذا يتّضح، بعد أن وقفنا على مصادر عديدة لحديث تبليغ جابر للباقر سلام النبي ﷺ، أنّ قول ابن تيمية بأنّ هذا الحديث موضوع، إنّما هو قول بالباطل، ولا يستند فيه إلى دليل، وأنّ الدافع وراء تسرّعه إلى هذا التكذيب، هو موقفه السلبيّ، المعروف، من أهل بيت النبي، وحُكمه المسبق في إنكار فضائلهم، أو التقليل من شأنها(إذا انغلقت أمامه طرق إنكارها)، وبرهان ذلك، في هذا المقام، أنّه أنكر الحديث دون أن يذكر شيئاً عن مصادره، أو ينظر في أسانيده ويناقشها، ولماذا يُتعب نفسه، وهو لا يراها بحاجة إلى ذلك، مادام الختم الذي نقش عليه عبارة «حديث موضوع» حاضر بين يديه، ليختم به على كلّ حديث وارد في فضائلهم ومناقبهم سلام الله عليهم؟!!

---

١ . انظر: تهذيب الكمال:٢/٦، الترجمة١٣٥.

٧

آراء ابن تيمية حول الإمام الصادقعليه السلام

قال ابن تيمية: فهؤلاء الأئمة الأربعة ليس فيهم من أخذ عن جعفر شيئاً من قواعد الفقه، لكن رووا عنه أحاديث كما رووا عن غيره، وأحاديث غيره أضعاف أحاديثه، وليس بين حديث الزهري وحديثه نسبة، لا في القوة ولا في الكثرة. وقد استراب البخاري في بعض حديثه لما بلغه عن يحيى بن سعيد القطان فيه كلام فلم يخرّج له، ولم يُكذَب على أحد ما كذب على جعفر الصادق مع براءته.[1]

إنّ تقييم كلام ابن تيمية هذا ومعرفة مدى مطابقته للواقع، رهن دراسة أُمور:

١. مكانة الإمام الصادقعليه السلام عند أعلام العلماء والمحدّثين من أهل السنّة.

٢. تلامذته ورواة الحديث عنهعليه السلام.

٣. الأئمة الأربعة ومكانة الإمام الصادقعليه السلام.

٤. المقارنة بين الإمام الصادقعليه السلام والزهري.

٥. موقف البخاري من أحاديث الإمام الصادقعليه السلام.

---

١. منهاج السنّة: ٥٣٣/٧ـ ٥٣٤، وفي طبعة بولاق: ١٤٣/٤.

٦. دور الإمام الصادقعليه السلام في نشر فقه الإمامية والمعارف الحقيقية.

٧. ابن تيمية والكذب على الإمام الصادقعليه السلام.

وإليك دراسة هذه الأُمور واحداً بعد الآخر.

الأوّل: مكانة الإمام الصادقعليه السلام عند علماء السنّة

إنّ الكلام عن الإمام الصادقعليه السلام الذي هو أحد الأئمة الاثني عشر ومن أهل بيت النبوة والطهارة، ممّن طهّرهم الله من الرجس، أمر مشكل لا يقوم بتعريف جانب من جوانبه إلّا الأمثل من المحقّقين فالأمثل، وكفانا في ذلك أفاضل أهل السنّة، وإليك نماذج ممّا قالوه فيهعليه السلام:

١. قال كمال الدين ابن طلحة القرشي الشافعي: هو(يعني الإمام الصادقعليه السلام) من عظماء أهل البيت وساداتهم، ذو علوم جمّة وعبادة موفورة وأوراد متواصلة، وزهادة بيّنة وتلاوة كثيرة، يتتبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسّم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليه نفسه. رؤيته تذكّر الآخرة، واستماع كلامه يزهّد في الدنيا، والاقتداء بهديه يورث الجنة، نور قسماته شاهد أنّه من سلالة النبوة، وطهارة أفعاله تصدع بأنّه من ذرية الرسالة. نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة وأعلامهم مثل: يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عيينة، وشعبة، و أيوب السختياني وغيرهم، وعدّوا أخذهم منه منقبة شرّفوا بها وفضيلة اكتسبوها.[1]

---

١ . مطالب السؤول في مناقب آل الرسول:٢٨٣. وانظر: كشف الغمّة للإربلي:٢/٣٦٧ـ٣٦٨.

٢. قال الجاحظ (رغم عدائه السافر لأهل البيت عليهم السلام): جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه، ويقال: إنّ أبا حنيفة من تلامذته، وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب.(١)

٣. قال الذهبي في ميزانه: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الهاشمي أبو عبد الله، أحد الأئمة، بَرٌّ صادق كبير الشأن، لم يحتج به البخاري.(٢)

٤. قال النووي: وروى عنه محمد بن إسحاق، ويحيى الأنصاري، ومالك، والسفيانان، وابن جريج، وشعبة، ويحيى القطان وآخرون... واتفقوا على إمامته وجلالته.(٣)

٥. قال ابن حبان في الثقات: كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً، يحتج بحديثه من غير رواية أولاده عنه.(٤)

٦. قال الشهرستاني: ويفيض على الموالين له، أسرار العلوم.(٥)

٧. قال ابن حجر الهيتمي: نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد، وابن جريج، والسفيانين، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب السختياني.(٦)

الثاني: تلامذة الإمام الصادق عليه السلام ورواة الحديث عنه

حفلت كتب التراجم والرجال بأسماء من تلمذ على يدي الإمام

---

١. رسائل الجاحظ:١٠٦.

٢. ميزان الاعتدال:٤١٤/١. وسيوافيك أنّ عدم احتجاج البخاري لا ينقص من شأنه لولا أنّه نقطة سوداء في حياة صاحب الصحيح.

٣. تهذيب الأسماء واللغات:١٥٥/١.

٤. الثقات:١٣١/٦، باب الجيم.

٥. الملل والنحل:٢٧٢/١.

٦. الصواعق المحرقة:٢٠١.

الصادقﷺ، ومن أخذ وروى الحديث عنه من أعلام السنّة.

وقد ذكر أحمد بن عبد الله البرقي أسماء من أخذ العلم والحديث والفتوى عن الإمام الصادقﷺ فأنهىٰ عددهم إلى ٨١٢ راوياً ومحدّثاً وحافظاً.[١]

وأمّا الشيخ الطوسي في رجاله، فقد أنهىٰ عدد الرواة والمستفيدين منه إلى أكثرمن (٣٢٠٠) شخصاً.[٢]

وقال الشيخ المفيد: نقل الناس عن الصادقﷺ من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء، ما نقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار، ونقلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل.[٣]

ونقل النجاشي عن الحسن بن علي الوشّاء(من أصحاب الإمام الرضا، حفيد الإمام الصادقﷺ) أنّه قال: أدركت في هذا المسجد (يعني مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ، كلّ يقول حدّثني جعفر بن محمدﷺ!![٤]

و هانحن نذكر هنا، أسماء جملة من الأعلام الذين رووا عنه ونهلوا من علومه:

١. أبو حنيفة النعمان بن ثابت (المتوفّى ١٥٠هـ).

٢. مالك بن أنس (المتوفّى ١٧٩هـ).

٣. سفيان الثوري(المتوفّى ١٦١هـ).

---

١. رجال البرقي:١٢٢ـ ٢٨٤.

٢. رجال الشيخ الطوسي:١٥٥ـ٣٢٨.

٣. الإرشاد:٢٨٩.

٤. رجال النجاشي:١/١٣٨ـ١٣٩.

٤. سفيان بن عيينة(المتوفّى ١٩٨هـ).

٥. شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي(المتوفّى ١٦٠هـ).

٦. فضيل بن عياض بن سعد بن بشر التميمي اليربوعي(المتوفى١٨٧هـ).

٧. حاتم بن إسماعيل المدني (المتوفّى ١٨٧هـ).

٨. حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك، أبو عمرو الكوفي(المتوفّى ١٩٤هـ).

٩. زهير بن محمد التميمي، أبو المنذر الخراساني(المتوفّى ١٦٢هـ).

١٠. يحيى بن سعيد بن فروخ القطان الحافظ البصري(المتوفّى ١٩٨هـ).

١١. إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري (المتوفّى ١٨٠هـ).

١٢. إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، أبو إسحاق المدني(المتوفّى ١٨٤هـ).

١٣. الضحاك بن مخلد، أبو عاصم النبيل المصري (المتوفّى٢١٢هـ).

١٤. محمد بن فليح بن سليمان المدني(المتوفّى١٩٧هـ).

١٥. عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت (المتوفّى ١٩٤هـ).

١٦. عثمان بن فرقد العطار، أبو معاذ البصري.

١٧. عبد العزيز بن عمران(أبي ثابت) بن عبد العزيز الزهري المدني (المتوفّى ١٩٧هـ).

١٨. أبان بن تغلب (المتوفّى ١٤١هـ).

١٩. معاوية بن عمّار الدُّهني(المتوفّى ١٧٥هـ).

٢٠. مصعب بن سلام التميمي الكوفي.
٢١. وُهيب بن خالد، أبو بكر البصري(المتوفّى ١٦٩ هـ، وقيل: ١٦٥هـ).
٢٢. إبراهيم بن سعد الزهري(المتوفّى ١٨٣هـ).
٢٣. مسلم بن خالد المكّي الزنجي (المتوفّى ١٨٠هـ).
٢٤. الحارث بن عمير البصري.
٢٥. عاصم بن حُميد الحنفي الحنّاط.
٢٦. أيوب بن أبي تميمة السختياني، أبو بكر البصري (المتوفّى ١٢١هـ).
٢٧. عبد الملك بن جريج القرشي (المتوفّى ١٤٩هـ).
٢٨. جابر بن يزيد الجعفي (المتوفّى ١٢٨هـ).
٢٩. عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدي(المتوفّى ١٨٦هـ).
٣٠. يحيى بن سعيد الأنصاري(المتوفّى ١٤٤هـ).[1]

الثالث: الأئمة الأربعة والإمام الصادق عليه السلام

ذكر ابن تيمية أنّ الأئمّة الأربعة لم يأخذوا عن جعفر الصادق عليه السلام شيئاً من قواعد الفقه، ولكن رووا عنه أحاديث كما رووا عن غيره.

أقول: ربما يظنّ القارئ أنّ لما ذكره ابن تيمية مسحة من الحق أو لمسة من الصدق، ولكن سوف يتبدّد هذا الظن بمطالعة كلمات الحفّاظ والمؤرّخين الذين تكلّموا عن أخذ الأئمة الأربعة عن الإمام الصادق عليه السلام بالمباشرة أو غيرها.

ذكر أبو القاسم البغّار في مسند أبي حنيفة: قال الحسن بن زياد: سمعت

---

١. لاحظ: رجال الطوسي؛ وتهذيب الكمال؛ وسير أعلام النبلاء، وتهذيب التهذيب.

أبا حنيفة وقد سُئل: مَن أفقه مَن رأيت؟ قال: جعفر بن محمد، لمّا أقدمه المنصور بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيّئ لي من مسائلك الشداد، فهيّأت له أربعين مسألة، ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته، فدخلت عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلمّا بصرت به، دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلّمت عليه، فأومأ إليّ فجلست، ثمّ التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة، قال: نعم أعرفه، ثمّ التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله من مسائلك، فجعلت أُلقي عليه فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربّما تابعنا وربّما تابعهم، وربّما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة، فما أخلّ منها بشيء. ثمّ قال أبو حنيفة: أليس أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس.(١)

وقال مالك بن أنس: جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال: إمّا مصلّ، وإمّا صائم، وإمّا يقرأ القرآن، وما رأت عين، ولا سمعت أُذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً.(٢)

إنّ ابن تيمية يتصوّر أنّ عصر الإمام الصادقعليه السلام كعصره، فهناك قواعد فقهية يبحث عنها الفقهاء في كتب خاصّة وهناك أحاديث فقهية يجمعها

---

١. جامع مسانيد أبي حنيفة:٢٥٢/١؛ تذكرة الحفاظ:١٥٧/١؛ بحار الأنوار:٢١٧/٤٧ـ ٢١٨؛ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة:٣٣٥/٤ نقلاً عن مناقب أبي حنيفة للمكّي:١٧٣/١.

٢. أمالي الصدوق: ٦٣٥ ح ٢، المجلس ٨١؛ التهذيب:١٠٤/٢؛ مناقب ابن شهرآشوب: ٣ / ٣٧٢ و ٣٩٦؛ أعيان الشيعة: ١ / ٦٦٠.

المحدّثون في كتبهم، فقد رتّب عليه أنّ الأئمة الأربعة رووا عن الإمام الصادق لكن لم يأخذوا عنه قواعد الفقه، والمسكين يموّه بذلك على أذهان عامّة الناس، ويقول: إنّ الصادقعليه السلام كأحد الرواة.

والحال هو أنّ الأحاديث والروايات كانت تحتوي على القواعد الفقهية، وكان الفقهاء يستخرجونها من الأحاديث. فإذا كان أبو حنيفة يعترف بقوله: أليس أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس، فقد اعترف بأعلمية الإمام الصادق، فهل يعقل أنّه يتركه ولا يأخذ منه علماً يستفيد منه؟!

وإذا كان الإمام مالك بن أنس وصف الإمام الصادق بقوله: ما رأت عين ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً، فإذا كانت هذه مكانة الإمام الصادقعليه السلام فهل يمكن ألا يستفيد من نمير علمه؟! كيف وقد روي أنّ أبا حنيفة كان يفتي في المسجد الحرام إذ وقف عليه الإمام الصادقعليه السلام ففطن أبو حنيفة فقام فقال: يا ابن رسول الله لو علمت أوّل ما وقفت لما قعدت وأنت قائم، فقال: اجلس وافت الناس على هذا أدركت آبائي.(١)

يقول ابن أبي الحديد: أمّا أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة، وأمّا الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأمّا أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمدعليهما السلام.(٢)

هذا وإنّ ابن تيمية قد ناقض كلامه هذا ـ في مقام آخر من كتابه ـ حيث

---

١. طبقات الحنفية:٤٦٣/١.

٢. شرح نهج البلاغة:١٨/١٠.

قال: وقد استفاض عن جعفر الصادق أنّه سئل عن القرآن: أخالق هو أم مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق وهذا ممّا اقتدى به الإمام أحمد في المحنة، فإنّ جعفر بن محمد من أئمّة الدين باتفاق أهل السنّة.[1]

فعلى هذا فجعفر بن محمد أحد الأئمة، وهو متبوع إمامه، أعني: أحمد بن حنبل.

الرابع: المقارنة بين الإمام الصادق عليه السلام والزهري

إنّ من عجائب الدهر ـ وما عشت أراك الدهر عجباً ـ أن يقارن ابن تيمية بين الزهري والإمام الصادق عليه السلام، ثمّ يفضّل الزهري، بقوله: وليس بين حديث الزهري وحديثه نسبة، لا في القوة ولا في الكثرة!!!

إنّ ابن تيمية يدّعي في كلامه هذا أمرين:

١. كثرة حديث الزهري وقلّة حديث الإمام الصادق عليه السلام.

٢. قوّة حديث الزهري دون حديث الإمام عليه السلام.

أمّا ادّعاء قلّة حديث الإمام الصادق عليه السلام وكثرة حديث الزهري فوجهه أنّه قصر نظره على الصحاح والمسانيد، ولذلك زعم أنّه ليس بين حديثه وحديث الزهري نسبة من حيث الكمية، ولكنّه غفل عن الأحاديث التي وعاها شيعة الإمام الصادق عليه السلام عنه في عامّة أبواب الفقه والمعارف والعلوم الكونية والطبيعية.

وممّا يدلّ على سعة روايات الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وكثرة مَن رَوَوا عنه، أنّ أصحاب الحديث قد ألّفوا كتباً جمعوا فيها أسماء الرواة عنه على اختلافهم في الآراء والمقالات[2] ومنهم:

---

١. منهاج السنّة: ٢ / ٢٤٥، وفي طبعة بولاق: ١ / ٢٠٨.

٢. الإرشاد: ٣٨٩.

١. الحافظ الكبير ابن عُقدة (المتوفّى ٣٣٣هـ)، الذي ذكر في كتابه الرجال ـ وهو كتاب: من روى عن جعفر بن محمد ـ أسماء أربعة آلاف رجل، وأخرج لكل رجل الحديث الذي رواه.(١)

٢. المحدّث حمزة بن القاسم بن علي العلوي العباسي (المتوفّى بعد ٣٣٠هـ). له كتاب: مَن روىٰ عن جعفر بن محمد من الرجال.(٢)

٣. أحمد بن نوح السيرافي البصري. له كتاب: الرجال الذين رووا عن جعفر بن محمد وزاد علىٰ ما ذكره ابن عُقدة كثيراً.(٣)

وقد مضىٰ تحت عنوان (آراء ابن تيمية في الإمام الباقر) أنّ ابن تيمية، قال: «الزهري من أقران (الباقر)، وهو عند الناس أعلم منه»، فما الذي دعاه، هنا، إلى المقارنة بين الزهري والصادق (ابن الباقر)، ولم يكن من أقرانه؟

ولماذا هذا الإصرار على اختيار الزهريّ(المتوفّى ١٢٤هـ) دون غيره من المحدّثين؟!

وهل خلا عصر الإمام الصادق(المتوفّى ١٤٨هـ) من كبار العلماء والمحدّثين، حتى يضطرّ ابن تيمية إلى ذكر اسم الزهري ثانية، ويزعم أنّه يفوق الصادق في الحديث كثرةً وقوةً؟!

فلولا ذُكَر، وقد اعتزم أن يقايس بين الصادق وبين أحد الأعلام ـ و إن كان أهل البيت لا يُقاس بهم أحد ـ فلولا ذكر، مثلاً، سليمان الأعمش

---

١. رجال النجاشي:٩٤، برقم ٢٣٣؛ وخلاصة الأقوال:٣٢١، برقم ١٢٦٣.

٢. رجال النجاشي:١٤٠، برقم ٣٦٤.

٣. فهرست الطوسي: ٨٦، برقم ١١٧؛ ورجال النجاشي: ٨٦، برقم ٢٠٩.

(المتوفّى ١٤٨هـ)، فهو أقرب طبقة إلى الصادق عليه السلام من الزهري، وهو أيضاً، أكثر علماً، وأشدّ ورعاً وديانة منه، كما يبدو من أقوال أعلام مدرسة الصحابة، التي ننقل إليك جانباً منها:

ـ قال سفيان بن عيينة: سبق الأعمش أصحابه بأربع خصال: كان أقرأهم للقرآن، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض، وذكر خصلة أُخرى.

ـ قال شعبة بن الحجّاج: ما شفاني أحد في الحديث ما شفاني الأعمش.

ـ قال عبد الله بن داود الخُريبي: سمعتُ شعبة إذا ذكر الأعمش، قال: المُصحَف المُصحَف. يعني من صِدْقه.

ـ قال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي: ليس في المحدّثين أثبت من الأعمش، ومنصور بن المعتمر وهو ثبت أيضاً، وهو أفضل من الأعمش، إلّا أنّ الأعمش أعرف بالمُسند وأكثر مسنداً منه.

ـ قال عيسى بن يونس: لم نَر نحن ولا القرن الذين كانوا قبلنا مثل الأعمش، وما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته.

ـ قال أحمد العجلي: يقال إنّه ظهر له أربعة آلاف حديث، ولم يكن له كتاب.

ـ قال أبو داود السجستاني: عند شعبة عن الأعمش نحو من خمسمائة [حديث]، وكان عند وكيع عنه ثمانمائة، وسفيان أعلمهم بالأعمش.(١)

---

١ . أُنظر هذه الأقوال وغيرها في ترجمة سليمان (الأعمش) بن مهران من: تهذيب الكمال:٧٦/١٢، الترجمة ٢٥٧٠؛ وسير أعلام النبلاء:٢٢٦/٦، الترجمة ١١٠.

حديث الزهري نصفه مُرسَل، ومُرسَله بمنزلة الريح

وأمّا حديث الزهري، فهو كما يقول أبو داود: ألفان ومئتا حديث، النصف منها مُسند.[1]

وهذا يعني أنّ نصف حديثه مُرسَل، فما هي كلمة نقّاد الحديث في مرسل الزهري؟

ـ قال يحيى بن سعيد القطّان: مُرسل الزهري شرٌّ من مرسل غيره، لأنّه حافظ، وكلّ ما قدر أن يسمّي سمّىٰ، وإنّما يترك من لا يحبّ أن يسمّيه.[2]

ـ قال أحمد بن سنان: كان يحيى بن سعيد لا يرىٰ إرسال الزهري وقتادة شيئاً، ويقول: هو بمنزلة الريح.[3]

ـ قال الشافعي: إرسال الزهري ليس بشيء، لأنّا نجده يروي عن سليمان بن أرقم.[4]

ـ قال الذهبي: مراسيل الزهري كالمُعضل، لأنّه يكون قد سقط منه اثنان... ومن عَدّ مُرسَل الزهري كمرسل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ونحوهما، فإنّه لم يدرِ ما يقول، نعم مرسله كمرسل قتادة ونحوه.[5]

---

١ . سير أعلام النبلاء:٣٢٨/٥، الترجمة ١٦٠.

٢ . المصدر نفسه.

٣ . تهذيب الكمال:٤٤٣/٢٦ـ ٤٤٤(الهامش٧).

٤ . سير أعلام النبلاء:٣٣٩/٥. وسليمان بن أرقم، هو أبو معاذ البصري. قال ابن معين: ليس بشيء. وقال أبو زرعة: ذاهب الحديث. وقال أبو داود والدارقطني: متروك. ميزان الاعتدال:١٩٦/٢، برقم ٣٤٢٧.

٥ . سير أعلام النبلاء:٣٣٩/٥.

ونسأل: ما الذي منع ابن تيمية من ذكر الأعمش في مجال المقارنة، وهو ـكما يتضح من الأقوال المتقدّمة ـ أكثر حديثاً من الزهري، وأكثر مسنداً منه؟!

وما الذي منعه منه، وقد عُرف الأعمش بسمات لم يُعرف بها الزهري، مثل الزهد، والورع، ومجانبة السلاطين، والبُعد عن ملاذّ الدنيا وزبرجها؟![1]

إنّ السبب في ذلك واضح جداً، فقد ذكرنا سابقاً، أنّ الزهري كان مقرّباً لدى حكام بني أُمية، وأنّه كانت له صورة كبيرة في دولتهم (حسب تعبير الذهبي)، وأنّه أفسد نفسه بصحبة الملوك(كما قال مكحول)، وكان هشام بن عبد الملك قد صيّره مع أولاده يعلّمهم ويحجّ معهم[2]، ولمّا كان ابن تيمية معجباً بسيرة حكّام بني أُميّة وسياستهم الجائرة، فلا غرابة، إذاً، أن ينظر بعين التقدير والتعظيم لمفتي بلاطهم ومحدِّثه، وأن يتجاهل مثل الأعمش، بل يرى الإمامَين الباقر والصادق (المناهضَين للحُكم الأموي) دون الزهري في العلم والحديث!!

الخامس: موقف البخاري من أحاديث الإمام الصادقعليه السلام

ذكر ابن تيمية في كلامه أنّ البخاري استراب في النقل عن الإمام الصادقعليه السلام لما بلغه عن يحيى بن سعيد القطّان: فيه كلام، فلم يخرج له.

أمّا يحيى بن سعيد القطّان فهو أبو سعيد يحيى بن سعيد من تابعي

---

١. كان الزهري يعلم من نفسه التعلّق بالدنيا، فقد روى الحميدي، عن سفيان بن عيينة، أنّه قيل للزهري: لو أنّك سكنت المدينة، ورحت إلى مسجد رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم وقبره، تعلَّم الناس منك؟ قال: إنّه ليس ينبغي أن أفعل حتى أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة. سير أعلام النبلاء:٥/٢٣٧.

٢. سير أعلام النبلاء:٥/٣٣١.

التابعين، روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري وحنظلة بن أبي سفيان وابن جريج ومالك، وروى عنه الثوري وابن عُيينة وجماعة، مات يوم الأحد سنة ١٩٨هـ وقد كالوا له فضائل غريبة، قالوا: إنّ يحيى بن سعيد القطّان كان يختم القرآن في كل ليلة، ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة.(١)

مُجالد وكلمات القطّان فيه

ثم إنّ صالح بن أحمد بن حنبل، نقل عن علي ابن المديني، أنّه سُئل يحيى بن سعيد عن جعفر بن محمد، فقال: في نفسي منه شيء، قلت: فمجالد؟ قال: مجالد أحبّ إليّ منه.(٢)

فما هي حقيقة رأي يحيى بن سعيد القطّان في مجالد بن سعيد؟ وهل ينسجم هذا القول المروي عنه في حقّ المحبوب، المفضَّل على الإمام الصادق، مع سائر أقواله الكثيرة فيه؟

هذا ما نتعرّف عليه من خلال استعراض تلك الأقوال التي ذكرها له نقّاد الحديث.

قال أبو بكر بن أبي خيثمة: قلت ليحيى بن معين: كان يحيى بن سعيد القطّان يقول: لو أردتُ أن يرفع لي مجالد حديثه كلّه رفعه. قال: نعم. قلت: ولمَ يرفع حديثه؟ قال: لضعفه.

وقال عمرو بن علي الفلّاس: سمعت يحيى بن سعيد يقول لعبيد الله:

---

١ . الأنساب للسمعاني:٥١٩/٤.

٢ . تهذيب الكمال:٧٦/٥، الترجمة ٩٥٠.

أين تذهب؟ قال: أذهب إلىٰ وهب بن جرير اكتب السِّيرة ـ يعني عن مجالد ـ قال: تكتب كَذِباً كثيراً، لو شئت أن يجعلها لي مجالد كلّها عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله، فعَلَ.

وقال البخاري: كان يحيى بن سعيد يضعّفه.

وقال يعقوب بن سفيان: قد تكلّم الناس فيه وبخاصة يحيى بن سعيد.

وقال علي ابن المديني: قلت ليحيى بن سعيد: مجالد؟ قال: في نفسي منه شيء.[١]

أقول: إنّ مجالداً الذي يضعّفه يحيى بن سعيد كلّ هذا التضعيف، دعْ عنك تكذيبه له، كيف يصحّ أن يقول فيه: إنّه أحبّ إليه من جعفر بن محمد عليه السلام، الذي روىٰ عنه يحيى بن سعيد، وقال: أملىٰ عليّ جعفر بن محمد الحديث الطويل؟[٢]

كما ذكر أبو العباس النجاشي (من أكابر رجاليي الشيعة الإمامية) أنّ يحيى بن سعيد روىٰ عن الصادق عليه السلام نسخة، ثم ذكر سنده إلى النسخة، ووثّقه.[٣]

ثمّ إنّ عبارة «في نفسي منه شيء» قالها يحيى بن سعيد القطّان في مجالد[٤]، وهذا ممّا يزيد في نسبة الشكّ في صحة القول إنّه قالها في الإمام الصادق، وذلك لوضوح رأي القطّان (الذي تعكسه أقواله المتقدّمة) في

---

١. الجرح والتعديل: ٣٦١/٨، برقم ١٦٥٣؛ وتهذيب الكمال: ٢١٩/٢٧، الترجمة ٥٧٨٠.

٢. أخرجه مسلم (١٢١٨) في الحجّ، باب حجّة النبي صلى الله عليه وآله، وهو طويل جداً.

٣. رجال النجاشي: ٤٤٣، برقم ١١٩٦.

٤. الجرح والتعديل: ٣٦١/٨، برقم ١٦٥٣؛ وتهذيب الكمال: ٢٢١/٢٧، الترجمة ٥٧٨٠.

مجالد، الذي جرحه أيضاً كثيرون،[1] في حين اتّفق كبار العلماء والنقّاد على جلالة الصادق عليه السلام وعظمة شأنه.[2]

ثمّ إنّه على فرض أنّ القطّان قال ذلك في الصادق عليه السلام، فلِمَ أخذ البخاري بقوله؛ فلمْ يروِ له في صحيحه (بهذه الحجّة)، وترك أقوال سائر أئمّة هذا الشأن من أهل السنة، الذين أثنوا على الصادق، وأشادوا بمكانته الدينية والعلمية؟

ولماذا استراب فيه البخاري بسبب قول القطّان (إذا صحّ عنه)، فلم يحتجّ به، واحتجّ به سائر أصحاب الصحاح والمسانيد كمسلم والترمذي وابن داود وابن ماجه، وغيرهم؟!

وهل حقّاً إنّ البخاري لا يخرّج لأحد يبلغه عنه كلام فيه؟ إذا كان الأمر كذلك، فكيف ضمّ «صحيحه» جملة من الضعفاء، الذين لا يشكّ في ضعفهم أيّ خبير رجاليّ؟!

فهذا هو ابن حجر العسقلاني، يقول: إنّ الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربعمائة وثلاثون رجلاً، المتكلم فيه بالضعف منهم ثمانون رجلاً، والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ستمائة وعشرون رجلاً، المتكلم فيه بالضعف منهم مائة وستون رجلاً، ولا شكّ أنّ التخريج

---

١ . قال ابن معين وغيره: لا يحتجّ به. وقال أحمد بن حنبل: يرفع كثيراً ممّا لا يرفعه الناس، ليس بشيء. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال البخاري: كان عبد الرحمن بن مهدي لا يروي عنه شيئاً، انظر: ميزان الاعتدال:٤٣٨/٣، برقم ٧٠٧٠.

٢ . قال أبو حاتم: جعفر بن محمد، ثقة لا يُسأل عن مثله. ووثّقه الشافعي، ويحيى بن معين، والعجلي، والنسائي، وابن عدي، وابن حبّان، وغيرهم. تهذيب الكمال:٧٤/٥، الترجمة ٩٥٠.

عمّن لم يُتكلّم فيه أصلاً أولى من التخريج عمّن تُكلِّم فيه وإن لم يكن ذلك الكلام قدحاً.[١]

وقال الحافظ زين الدين العراقي في شرح ألفيته في علوم الحديث: إنّ النسائي ضعّف جماعة أخرج لهم الشيخان، أو أحدهما.

وقال بدر الدين العيني: في الصحيح جماعة جرحهم بعض المتقدّمين.

وقال ابن الصلاح: احتجّ البخاري بجماعة سبق من غيره الجرح لهم، كعكرمة مولىٰ ابن عباس، وكإسماعيل بن أبي أويس، وعاصم بن علي، وعمرو بن مرزوق، وغيرهم... .[٢]

وقد أحصىٰ بعض المعاصرين الرواة الضعفاء في أسانيد البخاري وأثبت ضعفهم، فكان عددهم يناهز الـ(٣٠٤) رجالٍ، مبتدأ بـ(إبراهيم بن سويد بن حيان المدني الذي وصفه ابن حبّان بقوله: ربما أتى بمناكير).[٣] ومنتهياً باسم (أبو بكر بن أبي موسى الأشعري الذي قال فيه محمد بن سعد: يستضعف)، فمن أراد أن يقف على أسماء هؤلاء وما ذكره رجال الجرح والتعديل حولهم فليرجع إلى كتاب «الإمام البخاري وصحيحه الجامع المختصر»، تأليف الشيخ حسين الهرساوي.

وحول فعل البخاري هذا، حيث ترك الحديث عن الصادقعليه السلام واشتغل بأحاديث النواصب والخوارج مثل عمران بن حطّان أو مروان بن الحكم،

---

١. فتح الباري:١١/١، المقدمة.

٢. انظر: أضواء على السنة المحمدية:٢٥٧.

٣. المغني في رجال الصحيحين:١٥/٤.

قال العلامة أبو بكر بن شهاب المدني في قصيدة نقلها محمد العلوي، منها:

قـضية أشـبه بـالمرزئةْ هـذا البخاري إمـام الفـئةْ
بالصادق الصّدّيق ما احتجّ في صحيحه واحتجّ بالمرجئة
ومثل عمران بن حطّان أو مروان وابن المرأة المخطئة
مشكـلة ذات عـوار إلى حيرة أرباب النُّهى ملجئة
وحق بيت يمّمته الورىٰ مُغِذّة في السير أو مُبطئة
إنّ الإمام الصادق المجتبى بفضله الآي أتت مُنبئة
أجلّ مَن في عصره رتبة لم يقترف في عمره سيئة
قُلامة من ظفر إبهامه تعدل من مثل البخاري مئة[1]

السادس: دور الإمام الصادق عليه السلام في نشر فقه الإمامية والمعارف الحقيقية

ذكر العلّامة الحلي رحمه الله في حق الإمام الصادق عليه السلام ما هذا لفظه: وهو الذي نُشر منه فقه الإمامية والمعارف الحقيقية،والعقائد اليقينية وكان لا يخبر بأمر إلّا وقع، وبه سمّوه الصادق الأمين.[2]

وهذا الكلام صريح في أنّ الإمامية أخذوا فقههم عن الإمام الصادق عليه السلام كما أخذوا المعارف الحقيقية والعقائد منه عليه السلام.

هذا هو مفهوم العبارة،وأمّا ابن تيمية، فقد قال في نقد هذا الكلام:

وأمّا قوله: هو الذي نشر فقه الإمامية والمعارف الحقيقية والعقائد اليقينية فهذا الكلام يستلزم أحد أمرين:

---

١ . العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل:٥٥.

٢ . منهاج الكرامة:٦٦.

إمّا أنّه ابتدع في العلم ما لم يكن يعلمه مَن قبله.

وإمّا أن يكون الذين قبله قصّروا فيما يجب [عليهم] من نشر العلم...

ثم رتب على ذلك وقال: وهل يشك عاقل أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيّن لأُمّته المعارف الحقيقية والعقائد اليقينية أكمل بيان وأنّ أصحابه تلقّوا ذلك عنه، وبلغوه إلى المسلمين.(١)

أقول: **أوّلاً**: الظاهر أنّ النسخة التي كانت عند ابن تيمية ـ من منهاج الكرامة ـ مصحّفة فالصحيح هو ما أوردناه طبقاً للنسخة المحقّقة أخيراً، وهو هكذا«هو الذي نُشر منه»، لا «هو الذي نشر فقه الإمامية و...» وبين العبارتين بون شاسع في المعنىٰ.

وثانياً: سلمنا أنّ العبارة كما ذكرها ابن تيمية، فالمراد أنّ الإمام الصادق عليه السلام نشر ما أخذ عن أبيه عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الفقه والمعارف والعقائد، ومعنى ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيّنه لأصحابه ومنهم علي بن أبي طالب، فمنه أخذ أولاده الطاهرون حتى وصلت النوبة إلى الإمام الصادق عليه السلام، وهذا لا يستلزم كلا الأمرين، فلا الإمام الصادق ابتدع في العلم ما لم يكن يعلمه مَن قبله، ولا أنّ السابقين قصّروا في ما يجب عليهم من نشر العلم.

ولكن الحق هو أنّ ابن تيمية نظر إلى كتاب العلّامة برؤية عدائية وبقلب ملئ بالحقد والضغينة، ففي هذا الموقف تتجلّى الحقائق الراهنة المسلمة عند الناظر، كلاماً باطلاً، عصمنا الله وإياكم من التعصب وأخْذ الموقف العدائي من الحق وأهله.

---

١. منهاج السنّة: ٤/ ٥٣ ـ ٥٤، وفي طبعة بولاق: ٢ / ١٢٤ .

السابع: ابن تيمية والكذب على الإمام الصادق

قال ابن تيمية: ولم يُكذَب على أحد ما كذب على جعفر الصادق مع براءته.

وقد جعل هذا أحد موارد ضعف الروايات المروية عنه، وبالتالي تنقيص الإمام، وكان عليه أن يشبّه الإمام الصادق في هذا الوجه ـ لو صدق ـ بالنبي الأكرم، فإنّه لم يكذب على أحد ما كذب على رسول الله، ولكن ما زعمه ابن تيمية كذباً على لسان الإمام الصادق فهو يزنه ويكيله بميزانه ومكياله، فإذا كان ما روي عنه على خلاف التجسيم والتشبيه وعلى حدّ السكوت أمام الجبابرة والظلمة، فيزعمه كذباً على لسان الإمام الصادق.

هذا وقد ألّف غير واحد من علماء الجرح والتعديل كتباً في أخطاء البخاري منهم:

١. ابن أبي حاتم الرازي (المتوفّى ٣٢٧هـ)، وقد ألّف كتاباً باسم: **بيان خطأ البخاري**.

٢. علي بن عمر بن أحمد أبو الحسن الدارقطني (المتوفّى ٣٨٥هـ)، حيث صنّف كتابين: أحدهما: **الإلزامات**، والثاني: **التتبع**.

٣. أبو عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (المتوفّى ٤٣٠هـ)، وقد ألزم في (مستدركه) البخاري ومسلم في تقصيرهما بالنسبة إلى عدم تخريجهما الأحاديث الصحيحة في كتابيهما.

٤. أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفّى ٤٦٣هـ) صنّف كتاب **الموضح لأوهام البخاري**.

٥. أبو الوليد سليمان بن خلف المعروف بالباجي (المتوفّى ٤٧٤هـ)

صنف كتاب: **التعديل والترجيح لمن خرّج عنه البخاري في الصحيح.**

إلى غير ذلك ممّن ذكروا أوهام البخاري وأخطاءه،وقد أحصاها المحقّق الثبت الشيخ حسين الهرساوي فبلغت ١٨ عنواناً.(١)

وفي الختام نقول: إن نقل البخاري وعدم نقله عن أحد ليس ميزاناً للحق والباطل، فقد كان المسلمون يعيشون وبينهم علماء ومحدّثون ولم يكن للبخاري ولا لكتابه أي أثر، فلا يضرّ عدم نقل البخاري عن العترة الطاهرة عليهم السلام.

إنّ الإمام الصادق عليه السلام غصن من أغصان الشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، كيف وهو من أهل بيت النبوة والطهارة الذين طهرهم الله عن الرجس وجعل مودتهم أجراً للنبوة.

إنّ حديث الإمام الصادق عليه السلام هو حديث أبيه، وهو حديث جدّه، وأجداده، وهم عليهم السلام كما قال الشاعر:

مِن معشرٍ حبُّهم دينٌ وبغضُهُمُ ... كفرٌ وقربهُمُ منجىً ومعتصَمُ

فعلى هذا فلا يضرّ عدم نقل البخاري وأضرابه عن الإمام الصادق عليه السلام وآبائه الطيبين الطاهرين، فهم في غنى عمّن أعمت العصبية عيون بصائرهم، ومثله مفاد قول القائل:

وما ضرَّ الورودَ وما عليها ... إذا المزكوم لم يَطعَم شذاها

وقول الآخر:

لا يضرّ البحرَ أمسىٰ زاخراً ... أن رَمىٰ فيهِ غلامٌ بالحجر

---

١. لاحظ الإمام البخاري وصحيحه الجامع المختصر:٥١٣ ـ ٥٣٠.

٨

آراء ابن تيمية حول الإمام الكاظمعليه السلام

أقرّ ابن تيمية بما ذكره العلّامة الحلّي من فضل الإمام الكاظم الذي نقله المخالف والمؤالف[1]، ولكنّه أنكر قصة لقاء شقيق البلخي مع الإمام الكاظم في سفر الحجّ في القادسية، التي أشار إليها العلّامة الحلّي.

وقال (ابن تيمية): وأمّا من بعد جعفر، فموسى بن جعفر قال فيه أبو حاتم الرازي: ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين.

ثم قال: موسى ولد بالمدينة سنة بضع وعشرين ومائة، وأقدمه المهدي إلى بغداد ثمّ ردّه إلى المدينة وأقام بها إلى أيام الرشيد، فقدم هارون منصرفاً من عُمرة، فحمل موسى معه إلى بغداد وحبسه بها إلى أن توفي في محبسه، قال ابن سعد: فتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة، وليس له كثير رواية، روى عن أبيه جعفر، وروى عنه أخوه عليّ، وروى له الترمذي وابن ماجة... إلى أن قال: وأمّا الحكاية المذكورة عن شقيق البلخي فكذب فإنّ هذه الحكاية تخالف المعروف من حال موسى بن جعفر، وموسى كان مقيماً بالمدينة بعد موت أبيه جعفر، وجعفر مات سنة ثمان وأربعين [يعني ومئة] ولم يكن قد جاء إذ ذاك إلى العراق حتى يكون بالقادسية، ولم يكن أيضاً ممن يترك منفرداً على

---

١. منهاج الكرامة:٦٧.

هذه الحال لشهرته وكثرة غاشيته، وإجلال الناس له، وهو معروف ومتهم أيضاً بالملك، ولذلك أخذه المهدي ثم الرشيد إلى بغداد.[١]

وها نحن نناقشه في الأمرين اللّذين اشتمل عليهما كلامه، وهما:

١. إنّ موسى بن جعفر ليس له كثير رواية، ولم يرو له غير الترمذي وابن ماجة.

٢. لقاء شقيق البلخي مع الإمام في طريق الحج، أمر مكذوب.

أمّا الأمر الأوّل: أعني ما ذكره عنه عليه السلام بأنّه ليس له كثير رواية، فإنّه قد قصر نظره على كتب قومه، ولذلك قال بأنّه لم يرو له غير الترمذي وابن ماجة، وأمّا إذا وسّع نظره إلى مَن رووا عنه من الشيعة الإمامية فسيظهر له أنّه قد تربّىٰ على يديه كثير من الحفاظ والمحدّثين، فقد عدّ الرجالي البرقي أصحابه ـ أعني: من أخذ عنه العلم والحديث ـ فناهز عددهم المائتين[٢]، كما أنّ الشيخ الطوسي ذكر من أخذ عنه العلم فبلغ عددهم ٢٧٢ راوياً ومحدّثاً.[٣]

ثمّ إنّ عدم رواية بعض أصحاب الصحاح عنه إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على تعصّب القوم في أخذ العلم، فإنّ رجلاً مثل موسى بن جعفر الذي وصفه أبو حاتم الرازي بأنّه إمام من أئمّة المسلمين، ووصفه ابن تيمية نفسه بأنّه لم يكن ممّن يترك منفرداً لشهرته وكثرة غاشيته وإجلال الناس له، يدلّ على أنّ له شخصية روحانية مرموقة حيث كان الناس يجلّونه لأجل ورعه وعلمه وانتمائه إلى البيت النبوي، فعدم نقل أصحاب الصحاح (غير الترمذي

---

١. منهاج السنة: ١٢٤/٢، وفي طبعة بولاق: ٥٥/٤ـ٥٦.

٢. رجال البرقي: ١٨٥ـ ٣٢٥.

٣. رجال الطوسي: ٣٢٩ـ٣٤٩.

وابن ماجة) لو دلّ على شيء، لدلّ على تقصيرهم في أخذ العلم.

وقد تقدّم أنّ البخاري لم يروِ للإمام الصادق عليه السلام في «صحيحه» مع اتّفاق الكلمة على أنّه عليه السلام قد ملأ الدنيا بعلمه وفقهه!! فخلوّ الصحاح من أحاديث أحد الأئمة عليهم السلام، أو قلّة أحاديثه فيها، لا يعنيان، أبداً، أنّ ذلك الإمام ليس له كثير رواية.

وأمّا الأمر الثاني: أعني حكاية لقاء شقيق البلخي معه عليه السلام فقد ردّها لمخالفتها ـ كما يرى ـ المعروف من حال موسى بن جعفر حيث كان مقيماً بالمدينة بعد موت أبيه جعفر أوّلاً، ولم يكن أيضاً ممَن يترك منفرداً على هذه الحال لكمال شهرته وكثرة غاشيته.

فيلاحظ على الأوّل بأنّ الرجل يتكلم وكأنّه قد أحاط تماماً بحياة الإمام عليه السلام وعرف أنّه لم يسافر بعد موت أبيه جعفر بن محمد مع أنّ سبط ابن الجوزي روى بسنده عن شقيق البلخي، قال: خرجتُ حاجّاً في سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية، فإذا شاب حسن الوجه شديد السمرة، عليه ثوب صوف مشتمل بشملة، في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً عن الناس....[1]

وهذا يدلّ على أنّ الإمام موسى بن جعفر سافر إلى العراق بعد وفاة أبيه بسنة واحدة، فأي مانع أن يسافر آنذاك إلى العراق (لغاية من الغايات)، ومنه إلى الحج؟

وبذلك يظهر وهن ما ذكره ابن تيمية من أنّ الإمام لا يترك منفرداً، لشهرته وكثرة غاشيته، فإنّ ذلك إنّما يتمّ فيما إذا ذاع أمره بين الناس وكان للخلافة

١. تذكرة الخواص:٤٦١/٢، ولاحظ بقية القصة فيه، فالمقام لا يتّسع لإيرادها.

العباسية موقفاً سيئاً منه، فعند ذلك لا يترك منفرداً، وأمّا إذا كان في أوائل سنيّ إمامته وذلك بعد وفاة أبيه فيكون بعيداً عن تلك التوهُّمات.

هذا، وقد روىٰ حكاية شقيق البلخي مع الإمام الكاظم عليه السلام ونقلَها عدّة من الأعلام، منهم:

١. القاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهُرمزي[١](المتوفّى نحو ٣٦٠هـ). نقل ذلك عنه ابن حجر الهيتمي.[٢]

٢. أبو الفرج ابن الجوزي، الحنبلي(المتوفّى ٥٩٧هـ). رواها بسنده إلى شقيق، في كتابه «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن»[٣]، ونقلها في كتابه «صفة الصفوة».[٤]

٣. كمال الدين محمد بن طلحة القرشي الشافعي(المتوفّى ٦٥٢هـ). ذكرها في كتابه «مطالب السَّؤول في مناقب آل الرسول».[٥]

٤. أبو المظفر يوسف بن قَزغلي (سبط ابن الجوزي) الحنفي (المتوفّى ٦٥٤هـ). رواها بإسناده إلى شقيق، كما مرّ عليك.

٥. ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي (المتوفّى ٩٧٣هـ)، نقلها عن الرامهرمزي، وابن الجوزي.[٦]

---

١. ترجم له الذهبيّ، وقال في حقّه: الإمام الحافظ البارع، محدِّث العجم، وكان أحد الأثبات. سير أعلام النبلاء:٧٣/١٦، الترجمة٥٥.

٢. الصواعق المحرقة:٢٠٣ـ ٢٠٤.

٣. مثير الغرام:٤٠٢ـ ٤٠٣، باب ذكر طرف مستحسن من أخبار الصالحين والأولياء في الحجّ.

٤. صفة الصفوة:١٨٥/٢ـ١٨٧، الترجمة١٩١.

٥. مطالب السؤول:٢٩٠ـ ٢٩١.

٦. أنظر: الصواعق المحرقة: ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

٩

آراء ابن تيمية حول الإمام الرضاعليه السلام

وصف العلّامة الحلّي الإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام بالعناوين التالية:

١. كان أزهد أهل زمانه وأعلمهم.

٢. أخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً.

٣. قيل لأبي نؤاس لم لا تمدح الرضاعليه السلام؟ فقال:

قلت لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه

وقد أخذ ابن تيمية بردّ هذه العناوين، فقال:

١. أمّا قوله: «إنّه كان أزهد الناس وأعلمهم» فدعوى مجرّدة بلا دليل، كيف والناس يعلمون أنّه كان في زمانه من هو أعلم منه، ومن هو أزهد منه، كالشافعي وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وأشهب بن عبد العزيز وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي.

٢. وأمّا قوله:«إنّه أخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً»، فهذا من أظهر الكذب.

٣. وأمّا شعر أبي نؤاس، فقال: ومن المعلوم أنّ هذا وصف مشترك بين

جميع من كان من ذرية الرسل، وجميع ذرية عليّ يشاركونه في هذا.[١]

هذه هي النقاط الثلاث التي أظهر فيها ابن تيمية حقده وضغينته لعلي بن موسى الرضاعليه السلام، فلنا معه كلام في الأُمور الثلاثة هذه:

الأمر الأوّل: كونه أعلم أهل زمانه وأزهدهم

يعلم صدق هذا الأمر من استعراض كلمات العلماء في حق الإمام الرضاعليه السلام:

١. قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي(الأديب الفقيه العالم)[٢]: ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا، ولا رآه عالِم إلّا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد، علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلّمين، فغلبهم عن آخرهم، حتى ما بقي منهم أحد إلّا أقرّ له بالفضل، وأقرّ على نفسه بالقصور.[٣]

٢. قال الفخر الرازي في تفسير سورة الكوثر: الكوثر: أولاده، قالوا: لأنّ هذه السورة إنما نزلت ردّاً على من عابه صلى الله عليه وآله وسلم بعدم الأولاد، فالمعنى أنّه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت عليهم السلام، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أُميّة في الدنيا أحد يُعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضاعليهم السلام والنفس الزكيّة وأمثالهم.[٤]

---

١ . منهاج السنة: ٤ / ٦٠ ـ ٦٥، وفي طبعة بولاق: ٢ / ١٢٥ ـ ١٢٦.

٢ . كذا وُصف في «تهذيب الكمال:٧٣/١٨، برقم ٣٤٢١٢(وفيه: أنّه مات سنة ٢٣٦هـ).

٣ . رواه الحاكم النيسابوري بإسناده عن أبي الصلت: انظر: إعلام الورىٰ: ٦٤/٢، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٧هـ.

٤ . التفسير الكبير:مج١٦، ج٣٢، ص ١٢٤.

٣. قال الواقدي: علي بن موسى، سمع الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم، وكان ثقة يفتي بمسجد رسول الله، وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة.[١]

٤. قال الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي: ومن أمعن النظر والفكرة، وجده في الحقيقة وارثهما(المراد علي بن أبي طالب وعليّ بن الحسين عليهما السلام) فيحكم كونه ثالث العَليين، نما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفع مكانه، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتّى أحلّه الخليفة المأمون محلّ مهجته، وأشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته، وعقد له على رؤوس الأشهاد عقدة نكاح ابنته، وكانت مناقبه عليّة، وصفاته سنيّة،ومكارمه حاتمية، وشنشنته أخزمية، وأخلاقه عربية، ونفسه الشريفة هاشميّة، وأرومته الكريمة نبوية.[٢]

٥. وكفاك في فضله وخضوع العلماء والمحدّثين لعلمه وحديثه ما نقله الفريقان عن غير واحد ممن حضر الواقعة: لمّا مرّ علي بن موسى الرضا بنيسابور وهو راكب بغلة شهباء فإذا محمد بن رافع وأحمد بن حرب ويحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه وعدّة من أهل العلم قد تعلّقوا بلجام بغلته في المربعة فقالوا: بحق آبائك الطاهرين حدّثنا بحديث سمعته من أبيك فأخرج رأسه من العمارية وعليه مظرف خزّ ذو وجهين، وقال: حدثني أبي، العبد الصالح موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي الصادق جعفر بن محمد قال: حدثني أبي أبو جعفر محمد بن علي باقر علوم الأنبياء قال: حدثني أبي علي

١ . تذكرة الخواص:٣١٥؛ والمنتظم لابن الجوزي :١١٩/١٠ـ١٢٠.
٢ . مطالب السؤول:٢٩٥؛ الفصول المهمة:٢٤٣.

بن الحسين سيد العابدين، قال حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «سمعت جبرئيل يقول: قال الله جلّ جلاله: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدوني، من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلّا الله بالإخلاص دخل في حصني ومن دخل في حصني أمن من عذابي».[١]

وقال ابن عساكر: قال لنا أبو سعد إسماعيل (بن أحمد بن عبد الملك) في كلام له: لما دخل علي بن موسى نيسابور، تعلّق أحمد بن حرب الزاهد بلجام دابّته، وياسين بن النضر[٢]، ومحمد بن يحيى، فحدّثهم.[٣]

وقال إسماعيل العَجْلوني: لما دخل علي بن موسى الرضا نيشابور على بغلة شهباء، خرج علماء البلد في طلبه، منهم: يحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حرب ومحمد بن رافع، فتعلّقوا بلجام دابته، فقال له إسحاق: بحق آبائك، حدّثنا، فقال: حدّثنا العبد الصالح أبي موسى بن جعفر... إلى آخر سنده ومضمونه.[٤]

فهذا إسحاق بن راهويه الذي وصفه ابن تيمية بأنّه أعلم من علي بن موسى الرضا يأخذ بلجام دابة علي الرضا، ومعه من كبار الفقهاء وشيوخ المحدّثين مثل يحيى بن يحيى، وأحمد بن حرب، ومحمد بن رافع يطلبون

---

١ . عيون أخبار الرضا:١٣٤/٢.أخرجه الصدوق بأسانيد ثلاثة مع اختلاف يسير في المتن. وانظر:ذكر أخبار أصبهان:١٣٨/١؛ والمنتظم:١٢٠/١٠؛ وفيض القدير للمناوي:٤٨٩/٤.

٢ . في المطبوع: النضر بن ياسين، والتصويب من: ذكر أخبار أصبهان: ١ / ١٣٨ .

٣ . تاريخ مدينة دمشق:٤٦٣/٥.

٤ . كشف الخفاء:١٢٢/١.

منه حديثاً مروياً عن آبائه بسند يتصل إلى النبي الأكرم ﷺ.

ويستفاد من المصادر المتقدّمة[1] أنّ أبرز أعلام ذلك العصر، الذين استقبلوا الإمام الرضا في نيسابور، وطلبوا منه أن يروي لهم حديثاً، عن آبائه عليهم السلام، عن جدّه صلوات الله عليه، هم:

١. إسحاق بن إبراهيم(راهويه) بن مَخْلد التميمي، المروزي(المتوفّى ٢٣٨هـ).

٢. أحمد بن حرب بن فيروز النيسابوري(المتوفّى ٢٢٤هـ).

٣. محمد بن رافع القشيري، النيسابوري(المتوفّى ٢٤٥هـ).

٤. يحيى بن يحيى بن بكير التميمي، النيسابوري(المتوفّى ٢٢٦هـ).

٥. محمد بن أسلم الطوسي(المتوفّى ٢٤٢هـ).

٦. محمد بن يحيى الذُّهلي، النيسابوري(المتوفّى ٢٥٨هـ).

٧. ياسين بن النضر، القاضي أبو سعيد النيسابوري(المتوفّى ٢٥٢هـ).

وهذه الحادثة تدلّ دلالة واضحة على سعة رقعة علم الإمام وعلو مكانته، فإنّ خضوع هؤلاء الأعلام ـ الذين زعم ابن تيمية أنّ بعضهم أعلم منه وأزهد ـ دليل على اعترافهم بأنّه أعلم منهم، وأسمىٰ منزلة .

وأعجب من ذلك أنّهم تلقوا هذا السند، سنداً مباركاً يليق أن يكتب بالذهب، فقد نقل المناوي في شرحه على الجامع الصغير عن الأُستاذ أبي القاسم القشيري: وصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أُمراء السامانية فكتبه

---

١ . عيون أخبار الرضا، وذكر أخبار أصبهان، وتاريخ مدينة دمشق، والمنتظم، وفيض القدير، وكشف الخفاء.

بالذهب وأوصى أن يدفن معه في قبره، فرؤي في النوم بعد موته فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بتلفظي بلا إله إلّا الله، وتصديقي بأنّ محمداً رسول الله.[١]

وقال الإمام أحمد بن حنبل : لو قرأت هذا الإسناد على مجنون بَرئ من جنونه.[٢]

وقال أبو نعيم: هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين. وكان بعض سلفنا من المحدثين إذا روى هذا الإسناد قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق.[٣]

وقال ابن ماجة: قال أبو الصلت: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لبرأ.[٤]

ونقل الخطيب البغدادي قول من قال: هذا سعوط المجانين، وإذا سعط به المجنون برأ.[٥]

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، وهو أحد أئمة الجرح والتعديل: كنت مع أبي بالشام فرأيت رجلاً مصروعاً فذكرت هذا الإسناد، فقلت: أُجرّب بهذا. فقرأت عليه هذا الإسناد فقام الرجل فنفض ثيابه ومرّ.[٦]

---

١. فيض القدير:٤/٤٨٩.

٢. رواه أبو نعيم الأصبهاني في: ذكر أخبار أصبهان: ١/١٣٨ عن إبراهيم بن عبدالله بن إسحاق المعدّل الأصبهاني، عن أبي علي أحمد بن علي الأنصاري الأصبهاني ساكن نيسابور، عن أحمد بن حنبل، وانظر: الصواعق المحرقة:٢٠٥.

٣. حلية الأولياء:٣/١٩١ـ ١٩٢.

٤. سنن ابن ماجة:١/٢٥، كتاب السنة، باب في الإيمان.

٥. تاريخ بغداد:٥/٤١٨ـ٤١٩.

٦. التدوين في أخبار قزوين للرافعي:٣/٤٨٣.

هذا كلّه حول علمه.

وأمّا زهده فكفى في ذكر زهدهعليه السلام أنّ المأمون قد عرض الخلافة عليه، ولكنّه رفضها، قال الشيخ المفيد: بعث المأمون إلى الإمام الرضاعليه السلام قبل اجتماعه به: إنّي أُريد أن أخلع نفسي من الخلافة وأُقلدك إيّاها فما رأيك؟ فأنكر الرضاعليه السلام هذا الأمر وقال له: «أُعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد» فردّ عليه الرسالة: فإذا أبيت ما عرضته عليك فلابد من ولاية العهد بعدي، فأبىٰ عليه الرضا إباءً شديداً.

فاستدعاه وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرياستين ـ ليس في المجلس غيرهم ـ و قال له: إنّي قد رأيت أن أقلّدك أمر المسلمين وأفسخ ما في رقبتي وأضعه في رقبتك.

فقال له الرضاعليه السلام:«الله الله يا أمير المؤمنين إنّه لا طاقة لي بذلك ولا قوّة لي عليه».

قال له: فإنّي موليك العهد من بعدي.

فقال له: اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين.[1]

دليل كونه أزهد أهل زمانه

إنّ كثيراً من الناس يستميتون في كسب المناصب والرئاسات والمسؤوليات العليا، فتراهم يحاولون بشتى السبل الحصول على ذلك، فهذان طلحة والزبير جيشّا الجيوش وخاضا المعارك الدامية لنيل الخلافة، أو

١. الإرشاد:٣١٠.

لنيل ما هو أدنى من ذلك كإمارة الكوفة أو البصرة.

ومعاويه أيضاً الذي لعبت يده تحت الستار في حرب الجمل، وخاض الحرب ضد خليفة زمانه في صفين، بحجة أخذ ثأر ابن عمه عثمان، فلمّا تولّى الخلافة، وصفا له الجوّ، نسي الثأر ومؤاخذة الثائرين على عثمان، فبان أنّ كلّ ما قام به من قتل النفوس وسفك الدماء لم يكن إلّا لأجل نيل الخلافة.

هذا هو حال السلف الصالح عند القوم، وأمّا الإمام الرضاعليه السلام فإنّه أعرض عن الخلافة ودفعها عن نفسه كما رفض ولاية العهد أيضاً، فهل هناك أزهد ممّن يزهد بملك البلاد الإسلامية المترامية الأطراف؟!

وقد اقتدىعليه السلام في ذلك بجده علي بن أبي طالب، حيث قال:

أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلَا حُضُورُ ٱلْحَاضِرِ، وَقِيَامُ ٱلْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ ٱللهُ عَلَى ٱلْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَىٰ كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ![1]

وممّا يشهد لسموّ منزلة الإمام الرضا في الزهد والورع ـ إضافة إلى العلم ـ وأنّه لا يرقىٰ إليه في ذلك أحد، هاتان الكلمتان اللتان صدرتا في حقّه من رجلين مشهورين، عاصرا الإمام، وشاهداه عن كثب، وهما: المأمون العباسي، وكاتب العراق في عصره إبراهيم بن العباس الصولي.

قال المأمون في العهد الذي كتبه للرضاعليه السلام:

ولم أزل منذ أفضت إليّ الخلافة أنظر فيمن أُقلّده أمرها، واجتهد فيمن

١ . نهج البلاغة، الخطبة رقم ٣. (الخطبة الشقشقية).

أُولِّيه عهدَها، فلم أجد من يصلح لها إلّا أبا الحسن علي بن موسى الرضا، لِما رأيتُ من فضله البارع، وعلمه النافع، وورعه في الباطن والظاهر، وتخلّيه عن الدنيا وأهلها، وميله إلى الآخرة وإيثاره لها، وتيقّنتُ فيه ما الأخبار عليه متواطئة، والألسن عليه متّفقة، فعقدتُ له العهد... .[1]

وقال إبراهيم بن العباس الصولي[2](١٧٦، ١٦٧ـ ٢٤٣هـ):

ما رأيت أبا الحسن الرضاعليه السلام جفا أحداً بكلمة قطّ، ولا رأيته قطع على أحد كلامه قطّ حتى يفرغ منه... وكان قليل النوم بالليل، كثير السهر، يحيي أكثر لياليه من أوّلها إلى الصبح، وكان كثير الصيام، فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول: «ذلك صوم الدهر». وكان كثير المعروف والصدقة في السرّ، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنّه رأىٰ مثله في فضله، فلا تصدّق.[3]

استجابة الدعاء عند تربته

ما يدلّ على قداسة روح الإمامعليه السلام وعلوّ مقامه عند الله سبحانه أنّ أئمة أهل السنّة يتبرّكون بقبره ويرون استجابة الدعاء لدى ضريحه المطهّر.

---

١ . تذكرة الخواص:٤٧٦ـ ٤٧٧(وفيه: وهو عهد طويل، ذكره عامّة المؤرّخين في تواريخهم، اختصرته).

٢ . نشأ إبراهيم في بغداد فتأدّب وقرّبه الخلفاء، فكان كاتباً للمعتصم والواثق والمتوكّل، وتنقّل في الأعمال والدواوين إلى أن مات متقلّداً ديوان الضياع والنفقات بسامراء. قال المسعودي: لا يُعلم فيمن تقدّم وتأخّر من الكتّاب أشعر منه. وقال ياقوت الحموي: كان كاتباً حاذقاً بليغاً فصيحاً منشئاً. معجم الأُدباء: ٢٦١/١؛ والأعلام:٤٥/١.

٣ . عيون أخبار الرضا:١٩٧/٢ـ١٩٨، الباب٤٤، رقم ٧.

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الإمام علي الرضاعليه السلام: وقال الحاكم في تاريخ نيسابور: قال: وسمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس، قال: فرأيت من تعظيمه ـ يعني ابن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ماتحيّرنا.[١]

وقال ابن حبّان: وقبره (يعني الإمام الرضاعليه السلام) بسناباذ خارج النوقان مشهور يُزار ـ بجنب قبر الرشيد ـ قد زرته مراراً كثيرة، وما حلّت بي شدّة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جدّه وعليه، ودعوت الله إزالتها عني إلّا استجيب لي وزالت عني تلك الشدّة، وهذا شيء جرّبته مراراً فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبة المصطفىٰ وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين.[٢]

***

وممّا ذكرنا تبيّنت مكانة الإمام الرضاعليه السلام في العلم والزهد والقداسة وقربه من الله سبحانه لحدّ يستجاب الدعاء عند تربته الشريفة.

كما ظهر أنّ العلّامة الحلي لم يكن كاذباً فيما وصف به علي بن موسى الرضاعليه السلام وإنّما يكذب مَن يتسرّع في النقد والردّ ويصدر عن ضغائن أموية فيردّ كل فضيلة رابية لآل البيتعليهم السلام.

---

١ . تهذيب التهذيب:٣٣٩/٧.

٢ . كتاب الثقات لابن حبّان التميمي البستي: ٤٥٦/٨ـ ٤٥٧، ترجمة علي الرضاعليه السلام.

فلنرجع إلى الفقرة الثانية من كلام ابن تيمية.

الأمر الثاني: الإمام الرضاعليه السلام وأخذ فقهاء الجمهور العلم منه

قال العلّامة الحلي: وأخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً، وردّه ابن تيمية بقوله: أمّا قوله: أنّه أخذ عنه فقهاء الجمهور كثيراً، فهو من أظهر الكذب.

أقول: إذا وقفنا على عدد من استقىٰ من نمير علم الرضاعليه السلام ورووا عنه، تتبيّن صحّة قول العلّامة الحلي؟ وأنّ تكذيبه صدر عن حقد وضغينة.

أمّا علماء السنّة فقد ذكر الحافظ جمال الدين أبو الحجّاج يوسف المزّي في «تهذيب الكمال» أسماء من رووا عن الإمام الرضاعليه السلام، فقال: روى عنه:

١. أبو بكر أحمد بن الحباب بن حمزة الحميري النسّابة.

٢. أيوب بن منصور النيسابوري.

٣. دارم بن قبيصة بن نهشل الصنعاني.

٤. أبو أحمد داود بن سليمان بن يوسف الغازي القزويني، له عنه نسخة.

٥. سليمان بن جعفر.

٦. عامر بن سليمان الطائي والد أحمد بن عامر أحد الضعفاء، له عنه نسخة كبيرة.

٧. عبد الله بن علي العلويّ.

٨. أبو العباس عبد الله المأمون بن هارون (العباسي).

٩. أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي.

١٠. علي بن صدقة الشطّي الرقّي.

١١. علي بن علي الخزاعي الدعبلي.

١٢. علي بن مهدي بن صدقة بن هشام القاضي، له عنه نسخة.

١٣. محمد بن سهل بن عامر البجلي.

١٤. ابنه أبو جعفر محمد بن علي بن موسى (عليهما السلام).

١٥. أبو جعفر محمد بن محمد بن حيّان التمّار البصري.

١٦. موسى بن علي القرشي.

١٧. أبو عثمان المازني النحوي.[1]

ثمّ إنّ قسماً من هؤلاء الرواة الذين ذكرهم جمال الدين قد ذكرهم الشيخ الطوسي والنجاشي في رجاليهما، ومن المعلوم أنّهما أقدم من جمال الدين.

وأمّا علماء الشيعة، فقد ذكر البرقي[2] في رجاله(٥٩) خريجاً من مدرسته، وفيهم كبار الفقهاء نظراء: أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع، وعبد الرحمن بن أبي نجران التميمي، وصفوان بن يحيى، إلى غير ذلك.

ولكن الشيخ الطوسي[3] ونتيجة لسعة تتبعه ذكر ما يربو على ٣٠٠ رجلاً، ومن أبرزهم:

١. أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله، إمام الحنابلة.

٢. إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه (المتوفّى ٢٣٨هـ).

---

١ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ١٤٨/٢١ـ١٤٩.

٢ . رجال البرقي: ٣٢٦ـ٣٤٠.

٣ . رجال الطوسي: ٣٥١ـ٣٧٠.

٣. الفضل بن سهل ذو الرياستين.

وقد لاحظ الدكتور كامل مصطفى الشيبي هذا الإقبال المنقطع النظير على الإمام الرضا، للانتهال من علمه، فقال: كان الرضا من قوة الشخصية وسموّ المكانة أن التفّ حوله المرجئة، وأهل الحديث، والزيدية.[١]

ومن أراد أن يقف على سمو مقامه عليه السلام بين العلماء النبلاء، المسلمين أو غيرهم، فليرجع إلى مناظراته مع اليهود والنصارى والماديّين والصابئين، وقد جمع قسماً منها الشيخ الصدوق في «عيون أخبار الرضا»، والشيخ الطبرسي في كتاب «الاحتجاج»، ولنذكر أُنموذجاً واحداً، وهي مناظرته مع أبي قرّة، وهو أحد أعلام المحدثين في عصره.

قال: روينا أنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين، فقسم لموسى عليه السلام الكلام ولمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم الرؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: **«فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين الجنّ والإنس: أنّه ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[٢]، و ﴿ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[٣]، و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٤]، أليس محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟» قال: بلى.**

قال: «فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله، وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، فيقول: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، و ﴿لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني

---

١. الصلة بين التصوّف والتشيّع: ٢١٤، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

٢. الأنعام: ١٠٣.

٣. طه: ١١٠.

٤. الشورى: ١١.

وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر. أما تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يأتي من عند الله بشيء ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر».

قال أبو قرّة: فإنّه يقوله: ﴿وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى﴾.(١)

قال أبو الحسن عليه السلام: «إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾(٢) يقول: ما كذب فؤاد محمّد صلى الله عليه وآله ما رأت عيناه ثمّ أخبر بما رأى فقال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرى﴾(٣)، فآيات الله غير الله، وقال: ﴿لا يُحيطون بهِ عِلْماً﴾ فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة».

فقال أبو قرة: فتكذّب بالرواية؟

فقال أبو الحسن: «إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذّبتها، وما أجمع المسلمون عليه: أنّه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيء».(٤)

الأمر الثالث: قوله بأنّ شعر أبي نواس غير مختص بالرضا عليه السلام

ذكر العلّامة أنّه قيل لأبي نؤاس: لِمَ لا تمدح الرضا عليه السلام؟ فاعتذر بقوله:

قلت لا استطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه

١ . النجم:١٣.

٢ . النجم:١١.

٣ . النجم:١٨،

٤ . الاحتجاج للطبرسي:١٨٤/٢.

فرد عليه ابن تيمية بقوله: ومن المعلوم أنّ هذا وصف مشترك بين جميع من كان من ذرية الرسل، وجميع ذرية عليّ يشاركونه في هذا، فأي مزية له في هذا حتى يكون بها إماماً دون أمثاله المشاركين له في هذا الوصف؟[1]

يلاحظ عليه أوّلاً: أنّ العلّامة لم يستدل على إمامة الرضا عليه السلام بشعر أبي نؤاس وإنّما ذكره للإشارة إلى مقامه السامي، وكرامته في نفوس الناس، فسقط قول ابن تيمية: فأي مزية له في هذا حتى يكون بها إماماً.. إلى آخر ما قال.

وثانياً: إنّ أبا نؤاس(الحسن بن هانئ)[2] كان من الشعراء الأفذاذ، ومن كبار علماء اللغة، دقيق الملاحظة، بارعاً في الوصف، (قد جُمع له الكلام، فاختار أحسنه)[3]، فكيف عجز، في مقام مدح الرضا، عن اختيار أحسن الكلام، وخانته براعته في الوصف، فيصف ممدوحه بما هو مشترك بين جميع من كان من ذرية الرسل؟!!

---

١. منهاج السنة:٤ / ٦٥، وفي طبعة بولاق:١٢٦/٢.

٢. قال الجاحظ: ما رأيت أحداً كان أعلم باللغة من أبي نؤاس، ولا أفصح لهجة، مع حلاوة، ومجانبة للاستكراه. وقال أبو عبيدة: كان أبو نؤاس للمحدثين، كامرئ القيس للمتقدمين. وكان أبو نؤاس قد نشأ بالبصرة، وروى الحديث عن: حمّاد بن سلمة، والمعتمر بن سليمان، وعبد الواحد بن زياد، ويحيى بن سعيد القطّان، وأزهر بن سعد السمّان، وقرأ القرآن على يعقوب الحضرمي. قال الإمام الشافعي: لولا مجون أبي نؤاس لأخذت عنه العلم. قال ابن الجوزي: لا أؤثر أن أذكر أفعاله المذمومة، لأنّي قد ذكرت عنه التوبة في آخر عمره، وإنّما كان لعبه في أوّل الأمر. انظر: تاريخ بغداد:٤٣٦/٧، برقم ٤٠١٧؛ والمنتظم لابن الجوزي:١٦/١٠، برقم ١٠٦٨؛ والأعلام:٢٢٥/٢.

٣. قاله النظّام. لاحظ : تاريخ بغداد:٤٣٧/٧.

وإذا كان أبو نؤاس، في منطق ابن تيمية، لم يأتِ إلّا بكلام فاسد، فعلام أنشد هذه الأبيات بعد ساعة من قوله ـ وقد عوتب على ترك مدح الرضا ـ: والله ما تركتُ ذلك إلّا إعظاماً له، وليس يقدر مثلي أن يقول في مثله؟[١]

ومن الغريب أنّ هذا الفارس المُجلّي في الشعر، المُجيد في عشرة أنواع منه[٢]، قد كبا به فرسه ـ في رأي ابن تيمية ـ عند وصف الرضاعليه السلام، فلم يُجِدْ فيما قال!!

وهكذا يظهر لنا ابن تيمية، فجأة، ناقداً أدبياً كبيراً، يزدري رأيَ كبار الأدباء والشعراء والعلماء الذين أشادوا بشعر أبي نؤاس، وإبداعه في الوصف، واهتدائه إلى المعاني المبتكرة!!

وأظنّ أنّ مثل هذا الناقد الكبير (ابن تيمية!!!) لو عاش في أيام أبي نؤاس وبعدها، لَما قال المأمون: لو وصفتْ الدنيا نفسَها، لما وصفتْ نفسَها بمثل قول أبي نؤاس:

ألا كلّ حيٍّ هالكٌ وابن هالكٍ   وذو نسبٍ في الهالكينَ عريقِ

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشّفت   له عن عدوٍّ في ثياب صديقِ[٣]

ولَما قال أبو العتاهية، حينما سُئل عن أشعر الناس: الذي يقول في المديح [يعني أبا نؤاس]:

---

١. وفيات الأعيان:٣/٢٧٠ـ٢٧١، الترجمة ٤٢٣.

٢. قال ابن خلّكان: وهو في الطبقة الأُولى من المولّدين، وشعره عشرة أنواع، وهو مجيد في العشرة.

٣. وفيات الأعيان :٢/٩٧.

إذا نــحن أثــنينا عــليك بـصالحٍ فأنت كما نثني وفوق الذي نـثني

والذي يقول في الزهد:

ألا كــلُّ حــيّ هــالكٌ... (البيتان المتقدّمان).[1]

ثمّ إنّه كان ينبغي على ابن تيمية أن يسخر من رأي الأديب الكبير المشهور أبي بكر محمد بن يحيى الصولي[2] (المتوفّى ٣٣٥هـ)، الذي فضّل بيت أبي نؤاس المذكور، على بيت آخر في الفخر.

قال أبو بكر الصولي: حدّثنا أحمد بن يحيى أنّ الشعبي، قال: أفخر بيت قيل، قول الأنصار في بدر:

وببئر بدرٍ إذ يـردّ وجـوهَهم جبريلُ تحت لوائنا ومـحمدُ

ثم قال الصولي: أفخر منه، قول الحسن بن هانئ في عليّ بن موسى الرضا:

قلتُ: لا استطيع مدح إمام كان جبريلُ خادماً لأبيه[3]

وثالثاً: إنّ الشاعر، وقد اعتذر عن مدح الإمام لاتّصافه بهذه الفضيلة السامية، أشار، أيضاً، إلى تحلّي الإمام بغرّ الخصال، وذلك بقوله:

فلماذا تركت مدحَ ابن موسى والخـصال التـي تـجمّعن فـيه

قـلت: لا استطيع مـدح إمامٍ كـان جـبريلُ خـادماً لأبــيه

---

١. تاريخ بغداد:٤٤٣/٧.

٢. كان من أكابر علماء الأدب، نادمَ الراضي والمكتفي والمقتدر. وكان حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، مقبول القول. له تصانيف، منها: الأوراق، وأدب الكتاب (ط)، وشعر أبي نؤاس والمنحول إليه، وأخبار أبي تمام (ط)، وغيرها. انظر: تاريخ بغداد:٤٢٧/٣، ووفيات الأعيان: ٣٥٦/٤، برقم ٦٤٨؛ والأعلام: ١٣٦/٧.

٣. انظر: سير أعلام النبلاء:٣٨٨/٩؛ والوافي بالوفيات للصفدي:٢٤٩/٢٢.

ثمّ إنّ أبا نؤاس استدرك تقصيره في مدح الإمام في قصيدة أُخرى، فقال:

مُطهَّرون نقيّات جيوبهمُ   تجري الصلاة عليهم أينما ذُكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه   فما له في قديم الدهر مفتخر
الله لمّا برا خلقاً فأتقنه   صفّاكمُ وأصطفاكم أيّها البشر
فأنتمُ الملأ الأعلىٰ وعندكمُ   علم الكتاب وما جاءت به السور[1]

الإمام الرضاعليه السلام ومعروف الكرخي

ثمّ أنكر ابن تيمية كون معروف الكرخي خادماً للإمام الرضاعليه السلام، وقال: وما يذكره بعض الناس من أنّ معروفاً الكرخي كان خادماً له وأنّه أسلم على يديه أو أن الخرقة متصلة منه إليه، فكله كذب باتفاق مَن يعرف هذا الشأن.[2]

أقول: ليس في علبة الرجل إلّا التكذيب، دون أن يدلّل على كلامه بشيء، وأمّا من قال بأنّ معروف الكرخي كانت له صلة خاصّة بالإمام عليّ بن موسى فلم يذكره بلا دليل.

فقد نقله أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (المتوفّى ٤٦٥هـ) في رسالته القشيرية، وقال: وهو من موالي علي بن موسى الرضاعليه السلام مات سنة مئتين وقيل سنة إحدى ومئتين.

سمعت الأُستاذ أبا علي الدقاق يقول: كان معروف الكرخيّ أبواه نصرانيان، فسلّموا معروفاً إلى مؤدّبهم ـ وهو صبيّ ـ فكان المؤدّب يقول له:

---

١. وفيات الأعيان:٢٧١/٣، والوافي بالوفيات:٢٥٠/٢٢.
٢. منهاج السنّة:٦١/٤ـ ٦٢، وفي طبعة بولاق:١٢٥/٢ـ١٢٦.

قل ثالث ثلاثة فيقول: بل هو واحد. فضربه المعلم يوماً ضرباً مبرحاً فهرب معروف، فكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أيّ دين يشاء، فنوافقه عليه.

ثم إنّه أسلم على يدي «علي بن موسى الرضا»... ورجع إلى منزله... ودقَّ الباب. فقيل له: من بالباب؟ فقال: معروف. فقالوا: على أيّ دين جئت؟ فقال: على الدين الحنفي. فأسلم أبواه.[١]

ويروي القشيري عن معروف قوله: كنت مارّاً بالكوفة، فوقفت على رجل يُقال له: ابن السمّاك وهو يعظ الناس. فقال في خلال كلامه: من أعرض عن الله بكلّيته أعرض الله عنه جملة، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه، ومن كان مرّة ومرّة فالله يرحمه وقتاً ما، فوقع كلامه في قلبي، فأقبلت على الله تعالى، وتركت جميع ما كنت عليه، إلّا خدمة مولاي «علي بن موسى الرضا».[٢]

---

١. الرسالة القشيرية:٢٧.

٢. الرسالة القشيرية:٢٧.

١٠

رأي ابن تيمية حول الإمام الجوادعليه السلام

قال العلّامة الحلّي: وكان ولده (يعني الرضاعليه السلام) محمد الجوادعليه السلام على منهاج أبيه في العلم والتقوى والجود، ولمّا مات أبوه الرضاعليه السلام شغف به المأمون لكثرة علمه ودينه ووفور عقله مع صغر سنّه، فأراد أن يزوّجه ابنته أُمّ الفضل، وكان قد زوّج أباه الرضاعليه السلام بابنته أُم حبيب، فغلظ ذلك على العباسيين واستكبروه، وخافوا أن يخرج الأمر منهم، وأن يُتابعه كما تابع أباه، فاجتمع الأدنون منه وسألوه ترك ذلك، وقالوا: إنّه صغير لا علم عنده، فقال: أنا أعرف به، فإن شئتم فامتحنوه، فرضوا بذلك، وجعلوا ليحيى بن أكثم مالاً كثيراً على امتحانه في مسألة يُعجزه فيها، فتواعدوا إلى يوم، فأحضره المأمون، وحضر القاضي وجماعة العباسيين، فقال القاضي: أسألك عن شيء؟ فقال لهعليه السلام: سل.

فقال: ما تقول في محرمٍ قَتَل صيداً؟

فقال له الإمامعليه السلام: أقتله في حلٍّ أم حَرَم؟ عالماً كان أو جاهلاً؟ مبتدئاً بقتله أو عائداً؟ من صغار الصيد كان أو من كبارها؟ عبداً كان المحرم أو حُرّاً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ من ذوات الطير كان الصيد أو من غيرها؟

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان العجز في وجهه، حتى عرف جماعة أهل

المجلس أمره، فقال المأمون لأهل بيته: عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ ثم أقبل على الإمام، فقال: أتخطب؟ فقال: نعم. فقال: إخطب لنفسك خطبة النكاح! فخطب وعقد على خمسمائة درهم جياداً مهر جدّته فاطمةعليها السلام، ثـم تـزوّج بها.[1]

ثمّ إنّ العلّامة الحلّي لم يذكر ذيل القصّة، قال الشيخ المفيد: فلمّا تفرّق الناس وبقي من الخاصّة مَنْ بَقي، قال المأمون لأبـي جـعفرعليه السلام: إن رأيت ـ جُعلت فداك ـ أن تذكر الفقه فيما فصّلته من وجوه قتل المحرم الصيد، لنعلمه ونستفيده.

قال أبو جعفرعليه السلام: نعم:

١. إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً.

٢. فإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل، قد فُطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ.

٣. وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كـان نـعامة فعليه بدنة.

٤. وإن كان ظبياً فعليه شاة.

٥. فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجـزاء مـضاعفاً هـدياً بـالغ الكعبة.

---

١ . منهاج الكرامة:٧١ـ٧٢، نقل الحكاية عن: إرشاد المفيد:٣١٩ـ٣٢٣؛ ولاحظ: تـذكرة الخـواص للسبط ابن الجوزي:٣٥٩.

٦. وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه بالحج، نحره بمنىٰ، وإن كان إحرامه بالعمرة، نحره بمكة.

٧. وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم، وهو موضوع عنه في الخطاء، والكفارة على الحرّ في نفسه وعلى السيّد في عبده، والصغير لا كفارة عليه وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة.

فقال له المأمون أحسنت يا أبا جعفر، أحسن الله إليك.[1]

إلى هنا تمّ ما دار بين الإمام الجواد عليه السلام والمأمون وفقيه بلاطه يحيى بن أكثم، فلنستمع إلى ما ذكره ابن تيمية في هذا الموقف، فقد اعترض على الأسئلة التي طرحها الإمام بالأُمور التالية:

١. إنّ يحيى بن أكثم كان أفقه وأعلم وأفضل من أن يطلب تعجيز شخص بأن يسأله عن محرم قتل صيداً، فإنّ صغار الفقهاء يعلمون حكم هذه المسألة.

٢. إنّ مجرد ما ذكره ليس فيه إلّا تقسيم أحوال القاتل ليس فيه بيان حكم هذه الأقسام، ومجرد التقسيم لا يقتضي العلم بأحكام الأقسام.

٣. ينبغي له أن يسأله أقتله وهو ذاكر لإحرامه أو ناس.

٤. ينبغي له أن يسأله أقتله لكونه صال عليه، أو لكونه إضطر إليه لمخمصة، أو قتله اعتباطاً بلا سبب.

---

١. الإرشاد للشيخ المفيد:٣٢٢، طبعة النجف الأشرف.

٥. إنّ الإمام (الجواد) قال:«أفي حلّ قتله أم في حرم»؟ فأورد عليه ابن تيمية بقوله: فإنّ المحرم إذا قتل الصيد وجب عليه الجزاء، سواء قتله في الحل أو في الحرم باتفاق المسلمين، والصيد الحرميّ يَحْرُم قتله على المحلّ والمحرم، فإذا كان محرماً وقتل صيداً حرمياً توكّدت الحرمة، لكن الجزاء واحد.

٦. وأمّا قوله: «مبتدأ أو عائداً» فإنّ هذا فرق ضعيف لم يذهب إليه إلّا شاذّ من أهل العلم.(١)

فلندرس هذه الإشكالات الواهية، كما سيعرف القارئ المنصف:

أمّا الأوّل: فقد زعم أنّ مقام يحيى بن أكثم أفضل من أن يسأل الإمام الجوادعليه السلام عن محرم قتل صيداً، فإنّ صغار الفقهاء يعلمون حكمه.

والجواب: أنّ يحيى بن أكثم كان أعرف بحال المسؤول من ابن تيمية، فلأجل إثبات عدم علم الإمامعليه السلام بالأحكام الشرعية طرح سؤالاً مشكلاً، له شقوق وصور، فلمّا أجاب الإمام ببيانِ صوره وأقسامه أُسقط ما في يد السائل وتبيّنت رفعة شأنه وسمو مقامه وإحاطته بالفقه والأحكام، فليس السؤال على حدّ ما وصفه ابن تيمية.

ثم إنّه وصف يحيى بن أكثم بالأفقهية والأعلمية والأفضلية، ولكن الإمام الحافظ شيخ الإسلام الرازي يعرّفه بقوله: حدّثنا عبد الرحمن قال: سألت أبي عنه: ما تقول فيه؟ قال: فيه نظر، قلت: فماترى فيه؟ قال: نسأل الله السلامة.

ثمّ نقل عن علي بن الحسين بن جنيد أنّه يقول: كانوا لا يشكّون في أنّ

---

١ . منهاج السنة: ٧١/٤ـ ٧٢، وفي طبعة بولاق: ١٢٨/٢ .

يحيى بن أكثم كان يسرق حديث الناس ويجعله لنفسه.[١]

وقال الذهبي: روى عن الثقات عجائب لا يتابع عليها، وقال آخر: كان يتبين بالميل إلى الأحداث وقد سقنا ترجمته في التاريخ الكبير.[٢]

ولكن الذهبي رفع الستر في «سير اعلام النبلاء» وبيّن مقصوده من قوله: «يتبين بالميل إلى الأحداث» في «ميزان الاعتدال» فمن شاء التوضيح فليرجع إليه، لأن قلمنا أكرم من نذكر فيه خصائص من يصفه ابن تيمية ـ كذباً ـ بأنّه أفقه وأفضل وأعلم.[٣]

وأمّا الثاني: وهو أنّ الإمام الجواد اقتصر على ذكر الأقسام ولم يبيّن أحكامها، فعذر ابن تيمية واضح، لأنّه لم يبحث عن مصدر ما ذكره العلّامة، وقد عرفت أنّ الإمام بيّن أحكام الأقسام بعد انفضاض المجلس كما عرفت عن «الإرشاد».

وأمّا الثالث: أي لماذا لم يسأل الإمام عن أنّ المحرم كان ذاكراً لإحرامه أم ناسٍ؟ وجوابه: أنّ فرض السائل هو كون القاتل ذاكراً لا ناسياً، فلا معنى لتشقيق الشقوق الخارجة عن موضوع السائل حيث قال: جعلني الله فداك ما تقول في محرم قتل صيداً؟ حيث إنّ ظاهره إلتفات المحرم إلى حاله ولا أقل إن كلامه منصرف إلى الملتفت، مضافاً إلى ندرة نسيان المحرم إحرامه.

---

١. الجرح والتعديل:١٢٩/٩، برقم ٥٤٧.

٢. ميزان الاعتدال:٣٦١/٤، برقم ٩٤٥٩.

٣. لاحظ: سير أعلام النبلاء:١٠٠/١٢ـ١٠٢، تحقيق شعيب الارنؤوط، وصالح السمر، طبعة بيروت، ١٤٠٦هـ.

وأمّا قول الإمام بعده: «**عالماً كان المحرم أم جاهلاً**» فالمراد به هو العلم بالحكم الشرعي وهو حرمة الصيد أو الجهل به، وليس هذا التقسيم نادراً؛ لأنّ الجهل بالأحكام شائع بين الناس؟

وأمّا الرابع: أي قوله: ينبغي أن يسأله: أقتله لكونه صال عليه، أو لكونه اضطر إليه لمخمصة، أو قتله اعتباطاً بلا سبب؟

فالجواب عنه واضح، فلأنّ الصائل من السباع لا يحرم قتله فيخرج عن موضوع السؤال، وقد روي عن رسول الله ﷺ: «قتل خمس فواسق في الحرم: الحدأة، والغراب، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور».[1]

والكلب العقور كناية عن السباع، ولا جزاء في قتله، سواء أصال أم لم يصل.[2]

وحصيلة الكلام بما أنّه ليس في قتل ما صال حرمة ولا جزاء فيكون خارجاً عن المقسم، ولذا ترك الإمام عليه السلام ذكره.

وأمّا عدم ذكر صورة الاضطرار فلأجل عدم الفرق بين الصيد لأجل الاضطرار، أو صيده اعتباطاً في وجوب الجزاء، يقول ابن قدامة المقدسي الحنبلي فيما إذا اضطرّ إلى أكل الصيد: أنّه يساوي الميتة في التحريم ويمتاز ـ عن أكل الميتة في حال الإحرام ـ بإيجاب الجزاء.[3]

والتقسيم وتكثير السؤال بين الصيد اضطراراً واعتباطاً إنّما يصحّ أو يلزم

---

١. سنن الدارمي: ٢/٣٦ـ٣٧؛ والمغني لابن قدامة: ٣/٣٤٣.

٢. الأُم: ٢/١٩٢؛ فتح العزيز: ٧/٤٨٩ وغيرهما.

٣. المغني لابن قدامة: ٣/٢٩٣؛ التذكرة للعلامة: ٧/٢٨٤ـ ٢٨٥.

إذا كان فيه اختلاف في الحكم. وهذا الاضطرار إنّما يرفع الحكم التكليفي(الحرمة)، وأمّا الحكم الوضعي ـ أعني: الجزاء ـ فيبقى على حاله إلّا إذا دلّ الدليل على رفعه أيضاً.

وأمّا الخامس: أعني قوله: إنّ المحرم إذا قتل الصيد وجب عليه الجزاء من غير فرق بين قتله في الحلّ أو في الحرم.

أقول: لا شكّ في أنّ صيد البرّ حرام على المحرم في الحلّ والحرم، لقوله سبحانه: ﴿ وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[1]، وقال الصادق عليه السلام: «واجتنب في إحرامك صيد البرّ كلّه».[2]

وأمّا وجه التفريق في كلام الإمام عليه السلام بين الصيد في الحلّ والصيد في الحرم فلأجل أنّه إذا صاد المحرم في الحرم فالفدية تكون مضاعفة، قال الصادق عليه السلام: «إن أصبت الصيد وأنت حرام في الحرم فالفداء مضاعف عليك، وإن أصبته وأنت حلال في الحرم فقيمة واحدة، وإن أصبته وأنت حرام في الحلّ فإنّما عليك فداء واحد».[3]

وقد تفطن لذلك في «بدائع الصنائع» وأنّ الصيد في الحرم تُضاعَف فيه الفدية بخلاف الصيد في الحلّ، فقال: والقياس أن تلزمه كفّارتان لوجود الجناية على شيئين هما: الإحرام والحرم فأشبه القارن، إلّا أنّهم استحسنوا وأوجبوا كفّارة الإحرام لا غير.[4]

---

١. المائدة:٩٦. ٢. التهذيب:٣٠٠/٥، برقم ١٠٢١.

٣. الوسائل:٩، الباب٤٤ من أبواب كفّارات الصيد، الحديث٥؛ ولاحظ الباب٣١، الحديث٥. ولاحظ في تفصيل المسألة الكتب الفقهية للإمامية ولا سيّما جواهر الكلام :٣١٦/٢٠ـ ٣٢١.

٤. بدائع الصنائع:٢٠٧/٢.

وغير خفيّ على العارف بقواعد أهل السنّة أنّ القياس مقدّم على الاستحسان المجرّد إلّا أن يكون في الثاني دليل أقوى، ولذلك قال الشافعي: من استحسن فقد شرّع، ومن قال بحجّية الاستحسان فإنّما خصّه بما إذا كان فيه دليل أقوى من القياس.

ثم هنا ثمرة أُخرى لكن لا في الجزاء بل في حلّية الصيد، فصيد الحرم لا يحلّ أكله للمحرم والمحلّ، وأمّا صيد الحلّ فلو صاده المحرم لكنْ ذبحه المحلّ، يكون حلالاً للمحل دون المحرم.

قال علي عليه السلام: «إذا ذَبح المحرم الصيد في غير الحرم فهو ميتة لا يأكله محلّ ولا محرم وإذا ذبح المحلّ الصيد في جوف الحرم فهو ميتة لا يأكله محلّ ولا محرم».[1]

ويدل بالمفهوم على الحلّية إذا ذبحه المحلّ في غير الحرم، فيحل له أكله ولكن يحرُم على المحرم.

وبذلك ظهر أنّ التفصيل بين صيد الحلّ والحرم ليس أمراً اعتباطياً.

وأمّا السادس: أعني التفريق بين المبتدئ والعائد، فقد تبع فيه الذكر الحكيم حيث قال: ﴿**وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَ اللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾[2]، وأمّا ما هو المراد من الانتقام فتفصيله موكول إلى محله.

ثمّ إنّ العلّامة الحلي قال: فخطب الإمام الجواد بنت المأمون وعقد على خمسمائة درهم جياداً، كمهر جدّته فاطمة عليها السلام ثم تزوّج بها.

---

١. التهذيب:٣٧٧/٥، برقم ١٣١٦.

٢. المائدة:٩٥.

وأورد عليه ابن تيمية بقوله: إنّ مهر فاطمة خمسمائة درهم، لا يثبت، وإنّما الثابت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يصدق امرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من خمسمائة درهم.(١)

ولا يخفىٰ أنّ ما ذكره يؤيد ما ذكره العلّامة، حيث إنّ فاطمة إحدى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد اعترف ابن تيمية بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم ما أصدقت امرأة من بناته أكثر من خمسمائة درهم، فما ذكره ابن تيمية أمر كلّي، وما ذكره العلّامة من مصاديق ذلك الأمر الكلّي، وقد تضافرت روايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنّ مهر فاطمة هو خمسمائة درهم، وبذلك صار هو مهر السنّة.

وبذلك يعلم عدم موضوعية الرجل، وأنّه ليس من المحقّقين، وإنّما يريد الإشكال مهما كان من الضعف بمكان.

ولعمر القارئ أنّ هذه الإشكالات تعرب عن أنّ الرجل آل على نفسه أن يرد كلّ ما سطّره قلم العلّامة، سواء أكان حقاً أم باطلاً، وبالتالي يستشكل على التقسيم في كلام الإمام الجواد عليه السلام المطابق لما في الذكر الحكيم.

---

١. منهاج السنّة:٧٤/٤، وفي طبعة بولاق١٢٨/٢.

١١

آراء ابن تيمية حول الإمام الهادي عليه السلام

قال العلّامة الحلي: وكان ولده (أي ولد الإمام الجواد) علي الهادي ويقال له العسكري، لأنّ المتوكل أشخصه من المدينة إلى بغداد ثم انتقل إلى سُرّ من رأىٰ فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر، وإنّما أشخصه المتوكل لأنّه كان يبغض عليّاً، فبلغه مقام عليّ بالمدينة وميل الناس إليه، فدعا يحيى بن هرثمة فأمره بإشخاصه، فضجّ أهل المدينة لذلك خوفاً عليه، لأنّه كان محسناً إليهم وملازماً للعبادة في المسجد، فحلف لهم يحيى أنّه لا مكروه عليه ثم فتّش منزله فلم يجد فيه سوى مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عينه وتولّىٰ خدمته بنفسه، فلمّا قدم بغداد بدأ بإسحاق بن إبراهيم الطاهري والي بغداد، فقال له: يا يحيىٰ هذا الرجل قد ولده رسول الله، والمتوكل مَن تعلم، فإن حرّضته عليه قتله، وكان رسول الله خصمك، فقال له يحيى: والله ما وقعت منه إلّا على خير.

قال: فلمّا دخلت على المتوكل أخبرته بحُسن سيرته وزهده وورعه، فأكرمه المتوكل.

***

وقال أيضاً: ثم مرض المتوكل فنذر إن عوفي تصدّق بدراهم كثيرة،

فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جواباً فبعث إلى عليّ الهادي عليه السلام يسأله فقال: تصدّق بثلاثة وثمانين درهماً، فسأله المتوكل عن السبب؟ فقال: لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[1] وكانت المواطن هذه الجملة، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله غزا سبعاً وعشرين غزاة، وبعث ستاً وخمسين سريّة.

قال المسعودي: نُمي إلى المتوكل بعلي بن محمد أنّ في منزله سلاحاً من شيعته من أهل قم وأنّه عازم على الملك، فبعث إليه جماعة من الأتراك فهجموا على داره ليلاً، فلم يجدوا شيئاً وهو في بيت يقرأ القرآن وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصباء متوجه إلى الله تعالى يتلو القرآن، فحُمل على حالته تلك إلى المتوكل فأُدخل عليه وهو في مجلس الشراب والكأس في يد المتوكل، فأعظمه وأجلسه إلى جانبه وناوله الكأس، فقال: والله ما خامر لحمي ودمي قط (فاعفني) فأعفاه وقال له: أسمعني صوتاً، فقال عليه السلام: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ﴾[2]... الآيات؛ فقال: أنشدني شعراً! فقال: إنّي قليل الرواية للشعر، فقال: لابدّ من ذلك، فأنشده:

باتوا على قُلَلِ الأجبال تحرسهم ... غُلْبُ الرجال فما أغنتهمُ القُلَلُ

واستُنزلوا بعد عزٍّ من معاقلهم ... وأُسكنوا حُفَراً يا بئس ما نزلوا

ناداهمُ صارخٌ من بعد دفنهم ... أين الأساور والتيجان والحُللُ

أين الوجوه التي كانت منعّمة ... من دونها تُضرب الأستار والكللُ

فأفصح القبر عنهم حين سائلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طالما أكلوا دهراً وقد شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

---

١. التوبة: ٢٥.

٢. الدخان: ٢٥.

فبكىٰ المتوكل حتّى بلت دموعه لحيته.[١]

إلى هنا تم كلام العلّامة، ثم إنّ ابن تيمية أورد على كل من الفقرات الثلاث إشكالاً:

أمّا الفقرة الأُولى فقال عنها: إنّ إسحاق بن إبراهيم خزاعي لا طائي، فذكر [العلّامة] ما يعلم العلماء أنّه من الباطل.[٢]

يلاحظ عليه: بأنّ النسخة المطبوعة الموجودة بأيدينا، فيها لقب: الطاهري، لا الطائي.

وكذا أورده سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص»[٣]، وعنه أخذه العلّامة الحلي[٤]، وقد سبقهما إلى تلقيب إسحاق بن إبراهيم بالطاهري، آخرون، ومنهم: أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي(المتوفّى ٣٨٨هـ)[٥]، فقد عرّفه في كتابه «الديارات» بالطاهري، نسبة إلى عمّه طاهر بن الحسين الخزاعيّ.[٦]

وعلى الرغم من أنّ ابن تيمية أخذ يستعرض، في ردّه على العلّامة الحلي، أسماء بعض مشاهير أُسرة إسحاق هذا ووظائفهم وبعض أخبارهم ـ وكأنّه يريد أن يثبت طول باعه في التاريخ ـ إلّا أنّه لم يُشر إلى تلقيب إسحاق

---

١. منهاج الكرامة:٧٣ـ٧٦.
٢. منهاج السنّة:٧٩/٤، وفي طبعة بولاق:١٣٣/٢.
٣. تذكرة الخواص:٤٩٤/٢.
٤. الأخبار الواردة في «منهاج الكرامة» للعلامة الحلّي حول الإمام الهادي، منقولة، باختصار يسير، عن «تذكرة الخواص» لسبط ابن الجوزي الحنفيّ، فلاحظ.
٥. وقيل: سنة (٣٩٠هـ)، وقيل: سنة (٣٩٩هـ).
٦. نقل ذلك عن «الديارات»٢/٢٢، الزركلي في كتابه «الأعلام»٢٩٢/١.

بالطاهري (نسبة إلى عمّه طاهر)، فهل يحقّ لأحد أن يرميه بقولته التي قالها في العلّامة الحلي: (وهذا من جهله)؟

ثم لنفترض أنّ نسخة ابن تيمية كان فيها لقب (الطائي)، فهل مثل هذا الخطأ يستحقّ هذا الإطناب في الردّ، وتلك القولة الفظّة؟! فلعلّ ذلك كان من سهو قلم العلّامة، أو من تصحيف الكاتب. هذا إذا لم نحتمل أنّ ابن تيمية نفسه قد قرأها خطأً، لاستعجاله في الردّ، وإفراطه في بغض خصومه والطعن عليهم، وحبّه للمراء واللّجاج.

وأمّا الفقرة الثانية فأورد ابن تيمية عليها بقوله: بأنّ الفتيا التي ذكرها باطلة لوجوه:

١. إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يغزُ سبعاً وعشرين غزاة باتفاق أهل العلم بالسّير بل أقلّ من ذلك.

٢. إنّ هذه الآية نزلت يوم حنين والله قد أخبر بما كان قبل ذلك، فيجب أن يكون ما تقدم قبل ذلك ﴿مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾، وكان بعد يوم حنين غزوة الطائف وغزوة تبوك وكثير من السرايا كانت بعد حنين، كالسرايا التي كانت بعد فتح مكة.

٣. إنّ الله لم ينصرهم في جميع المغازي بل يوم أُحد تولّوا وكان يوم بلاء وتمحيص، وكذلك يوم مؤتة وغيرها من السرايا، فلو كان مجموع المغازي والسرايا ثلاثاً وثمانين فإنّهم لم ينصروا فيها كلّها حتى يكون مجموع ما نصروا فيه ثلاثاً وثمانين.

٤. إنّ لفظ الكثير استعمل في غير هذا العدد(٨٣) نظير قوله: ﴿مَنْ ذَا الذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.

يلاحظ على الوجه الأوّل: أعني:

أنّ النبي لم يغزُ سبعاً وعشرين غزاة باتفاق أهل العلم بالسِّير.

أقول: هذا ما يقوله ويدّعي اتفاق أهل العلم بالسِّير عليه، مع أنّ هناك جماعة من أهل العلم بالسِّير يذكرون أنّ غزواته كانت بذلك العدد.

فهذا هو الواقدي، بعد ما ذكر شيئاً موجزاً عن غزواته وسراياه، خرج بالنتيجة التالية، فقال: وكانت مغازي النبيﷺ التي غزا بنفسه سبعاً وعشرين غزوة.[1]

وهذا هو محمد بن سعد صاحب «الطبقات» يقول: وكان عدد مغازي رسول اللهﷺ التي غزا بنفسه سبعاً وعشرين غزوة.[2]

وقال ابن عبد البر: ثم غزا رسول الله أهل الكفر من العرب وبعث إليهم السرايا وكانت غزواته بنفسه ستاً وعشرين غزوة. هذا أكثر ما قيل في ذلك.[3]

وقال ابن سيّد الناس تحت عنوان ذكر الخبر عن عدد مغازي رسول اللهﷺ وبعوثه:... قالوا: كان عدد مغازي رسول اللهﷺ التي غزا بنفسه سبعاً وعشرين.[4]

---

١. مغازي الواقدي:٧/١، طبعة اكسفورد.

٢. الطبقات الكبرىٰ:٥/٢. وفيه أسماء غزواته(ص) كالتالي:(غزوة الأبواء، وغزوة بُواط، وغزوة طلب كُرز بن جابر الفِهري، وذي العشيرة، وبدر، وبني قينقاع، والسَّويق، وقَرقرة الكُدْر، وغطفان، وبني سُليم، وأُحد، وحمراء الأسد، وبني النضير، وبدر الموعد، وذات الرقاع، ودومة الجندل، والمُريسيع، والخندق، وبني قريظة، وبني لحيان، والغابة، والحديبية، وخيبر، وعام الفتح، وحنين، والطائف، وتبوك).

٣. الاستيعاب:٤٣/١. والفارق بين العددين (٢٦، و ٢٧) طفيف. ولم يصحّ قوله: (هذا أكثر ما قيل في ذلك)، فأنت ترى قول الواقدي، وابن سعد، أنّ غزواتهﷺ كانت سبعاً وعشرين.

٤. عيون الأثر في المغازي والسير:٢٢٣/١.

وقال الحلبي في باب ذكر مغازيه: ذكر أنّ مغازيه ـ أي وهي التي غزا فيها بنفسه ـ كانت سبعاً وعشرين، ثم ذكر تفصيله.[١]

وقال القسطلاني: فجمع سراياه وبعوثه نحو ستين ومغازيه سبع وعشرون.[٢]

أفيصحّ بعد هذا قول ابن تيمية: لم يغزُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعاً وعشرين غزاة باتفاق أهل العلم بالسّير؟

أو ليس الواقدي، وكاتبه محمد بن سعد، وابن عبد البر، وابن سيد الناس، والقسطلاني، والحلبي، من أهل العلم بالسِّير؟!

وهذا يدلّ على أنّ الرجل من رماة القول على عواهنه، يدّعي بلا دليل، ويتّهم بلا بيّنة...

ويلاحظ على الوجه الثاني: أعني:

قال ابن تيمية: إنّ هذه الآية نزلت يوم حنين... الخ.

أقول: كيف يقول إنّ الآية نزلت يوم حنين، وغزوة حنين كانت في السنة الثامنة من الهجرة[٣]، والآية في سورة التوبة وقد نزلت في السنة التاسعة من الهجرة.[٤]

أضف إلى ذلك: أنّ سياق الكلام، أعني قوله: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ**﴾، يدلّ على أنّها نزلت بعد غزوة حنين، لا يوم حنين، حيث يُخبر عن نصرته في ذلك اليوم. وليس هناك دليل على وقت

---

١. السيرة الحلبية:٢/٣٤٢. ٢. المواهب اللدنية:٢/١١٢.

٣. السيرة النبوية لابن هشام:٤/٨٠؛ وطبقات ابن سعد:٢/١٤٩.

٤. جامع البيان(تفسير الطبري):٦/٧٦، برقم ١٦٣٧٢، والتفسير الكبير للفخر الرازي:١٥/٢١٨.

نزول الآية على وجه دقيق، حتى يستدلّ بها على أنّ بعض الغزوات كان بعد نزول الآية.

والذي يمكن أن يقال: إنّه لم تنزل يوم حنين أي في السنة الثامنة، وإنّما نزلت بعد هذه السنة عند نزول سورة التوبة.

ويلاحظ على الوجه الثالث: أعني:إنّ الله لم ينصرهم في جميع المغازي... الخ

أقول: إنّ في كلامه هذا اعترافاً بأنّ الصحابة الموجودين في غزوة أُحد قد تولّوا عن الجهاد وصاروا ممّن يقول في حقّه سبحانه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾**[1].

وهذا يحطّ من مقام الصحابة ويناقض مذهب ابن تيمية من كونهم عدولاً من أوّلهم إلىٰ آخرهم، منذ أن أسلموا إلى وفاتهم.

أضف إلى ذلك: أنّ المراد هو نصرة الله سبحانه في عامّة الأحوال لغُزاة الإسلام ومجاهديه، ولولا نصر الله فيها لما كان الفوز حليفاً لهم، حتى في غزوة أُحد، قال سبحانه: **﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَ اللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾**.[2]

فلئن كانت الهزيمة قد حدثت للمسلمين في جانب من المعركة، فإنّ نتائجها الإيجابية: الروحية والإيمانية، كانت لصالحهم، وهذا هو الانتصار الحقيقي، وقد تمّ بفضل الله سبحانه.

ويلاحظ على الوجه الرابع: أعني قوله: إنّ لفظ الكثير استعمل في القرآن في غير هذا العدد.

---

١. آل عمران:١٥٥.

٢. آل عمران:١٧٤.

أقول: إنّ أساس الإشكال أنّ الرجل لم يفرّق بين الاستئناس بالآية وبين الاستدلال بها.

فالإمام تارة يستدل بالآية على فتواه، وأُخرى يستأنس بها ويجعل الآية تمهيداً لإقناع المخاطب ولنذكر مثالاً لكلٍّ من القسمين:

أمّا الاستدلال فقد روي أنّه قُدّم إلى المتوكّل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحدّ، فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: الإيمان يمحو ما قبله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود. فكتب المتوكل إلى الإمام الهادي عليه السلام يسأله، فلمّا قرأ الكتاب، كتب: «يضرب حتى يموت». فأنكر الفقهاء ذلك، فكتب إليه يسأله عن العلّة، فكتب: بسم الله الرّحمن الرّحيم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[١]، فأمر به المتوكل، فضرب حتى مات.[٢]

تجد أنّ الإمام الهادي عليه السلام استنبط حكم الموضوع (الإيمان عند رؤية العذاب) من آية مباركة، لا يذكرها الفقهاء في عداد آيات الأحكام، غير أنّ الإمام لوقوفه على سعة دلالة القرآن، استنبط حكم الموضوع من تلك الآية، وكم له من نظير.

وأمّا الاستئناس فالمراد به أنّ الآية توجد أرضية خاصّة لقبول المخاطب مفاد الفتوى، وهي كما في المقام، إذ لا شكّ في أنّ استعمال مواطن كثيرة في الآية في العدد الخاص لا يكون دليلاً على تعيّن الصدقة بهذا العدد، وإنّما

---

١ . غافر: ٨٤ـ٨٥.

٢ . مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٤/٤٠٣ـ٤٠٥.

الواجب على الناذر أن يتصدّق بشيء يُعدّ عنده دنانير كثيرة، ومن المعلوم أنّه يختلف باختلاف حال الناذر، كثرة وقلّة في المال، فالإمام بتلاوة هذه الآية عطف نظر المتوكل إلى أنّه يجب أن يعطي شيئاً كثيراً ولا يكتفي بالقليل ومع ذلك لا يتعيّن عليه ذلك العدد، ويشهد على ذلك أنّ الإمام قال في آخر كلامه: «وكلّما زاد أمير المؤمنين من فضل الخير كان أنفع له وأُجر عليه في الدنيا والآخرة».(١)

وبما أنّ ابن تيمية قصر نظره على ما نقله العلّامة عن المسعودي، تصوَّر أنّ الإمام بصدد الاستدلال ولم يقف على أنّ الغرض شيء آخر، ولو كان يريد الاستدلال لما قال في آخر كلامه: «وكلّما زاد أمير المؤمنين من فضل الخير كان أنفع له...».

***

وأمّا الفقرة الثالثة ـ أي إشخاص الإمام الهادي إلى مجلس المتوكل ـ فقد قال فيها ابن تيمية: الحكاية التي ذكرها عن المسعودي، منقطعة الإسناد، وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصيه إلّا الله، فكيف يوثق بحكاية منقطعة الاسناد في كتاب قد عُرف بكثرة الكذب؟(٢)

يلاحظ عليه: أنّه وصف كتاب المسعودي بأنّ فيه من الأكاذيب ما لا يحصيه إلّا الله، فما هو الدليل على ذلك؟

فهل يمكن لنا أن نقول: إنّ في «منهاج السنّة» أكاذيب لا يحصيها إلّا الله، وهو يقبل منّا هذا القول بلا دليل؟

---

١. تاريخ بغداد:٥٦/١٢. ولاحظ أيضاً: المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم:٧٤/١٢.

٢. منهاج السنة:٨٤/٤، وفي طبعة بولاق:١٣١/٢.

ثم إنّ هذه القصة، قد ذكرها سبط ابن الجوزي [١] والصفدي [٢]، وابن خلكان [٣]، وابن كثير [٤]، وغيرهم، ولم يُنكرها أحد منهم، كما لم يطعن أحد في المسعودي [٥] ولا في تاريخه، بل نقل عنه جملة من أصحاب التواريخ والتراجم [٦] في مواضع كثيرة من كتبهم، ولم يشيروا إلى أنّه قد عُرف بكثرة الكذب، كما زعم ابن تيمية ذلك.

ولا أدري ما هو موقف أتباع ابن تيمية من شيخهم اللَّجوج، إذا ما علموا أنّه قد أوقع نفسه في ورطة أُخرى ـ كما أوقعها من قبل في ورطات كثيرة ـ بادّعائه أنّ الحكاية التي ذكرها العلّامة الحلّي عن المسعودي منقطعة الإسناد، وأنّ الأمر ليس كما يدّعي؟

وما هو رأيهم في شيخهم إذا ثبت عندهم أنّ هذا الادّعاء لا نصيب له من الصحّة، دفعه إليه، وإلى سائر ادّعاءاته التي مضىٰ ذكرها، حبُّه للجدال، وولَعُه بردّ كلّ ما أورده العلّامة الحلي حول فضائل ومناقب أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؟! وها نحن نكشف عن حقيقة هذه الحكاية، فنقول:

الحكاية المذكورة نقلها المسعودي (المتوفّى ٣٤٦هـ)، عن إبراهيم

---

١. تذكرة الخواص:٣٦١.

٢. الوافي بالوفيات:٧٢/٢٢.

٣. وفيات الأعيان:٢٧٢/٣، برقم ٤٢٤.

٤. البداية والنهاية:٥٠/١٦.

٥. ترجم له من الأعلام: ابن إسحاق النديم في «الفهرست:٢٢٥»، وأبو العباس النجاشي في «رجاله:٢٥٤، برقم ٦٦٥»، وياقوت في «معجم الأدباء:٩٠/١٣»، والذهبي في «سير أعلام النبلاء:٥٦٩/١٥»، والسُّبكي في «طبقات الشافعية الكبرىٰ:٤٥٦/٣»، وغيرهم، ولم يذكروا فيه شيئاً من الذمّ.

٦. منهم الذهبي، حيث نقل عن المسعودي في مواضع كثيرة من كتابه«سير أعلام النبلاء». انظر ـ على سبيل المثال ـ ج١٢، ص ٣٨، ٤٠، ٤٣ و ج١٣، ص ٤٦٤، ٤٦٧.

[نفطويه] بن محمد بن عرفة النحوي (المتوفّى ٣٢٣هـ)، عن محمد بن يزيد المبرّد (المتوفّى ٢٨٥، أو ٢٨٦هـ)، وهي جزء من خبر طويل رواه المبرّد، وقال في أوّله:

قال المتوكّل لأبي الحسن علي [الهادي] بن محمد بن علي...: ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب... .

ثم قال: وقد كان سُعي بأبي الحسن علي بن محمد إلى المتوكّل، وقيل له: إنّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، فوجّه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممّن في الدار... (الحكاية المذكورة التي ادّعى ابن تيمية أنّها منقطعة الإسناد).

ثمّ قال المسعودي:

قال[يعني المبرّد]: وأشفق كلّ من حضر على عليّ، وظنّوا أنّ بادرة ستبدر منه إليه، قال: والله لقد بكى المتوكل بكاءً طويلاً حتى بلّت دموعه لحيته، وبكى من كان حوله؛ ثم أمر برفع الشراب، ثم قال له:«يا أبا الحسن عليك دَين؟» ـ«قال: نعم، أربعة آلاف دينار»، فأمر بدفعها إليه، وردّه إلى منزله مُكرّماً.[1]

ومن المعلوم أنّ المبرّد كان معاصراً للإمام الهادي عليه السلام، فقد ولد بالبصرة سنة (٢١٠هـ)، وورد سامّراء سنة (٢٤٦هـ) بطلب من المتوكل، فحضر مجلسه ونال عطاياه، ولما قُتل المتوكل سنة (٢٤٧هـ) رحل إلى بغداد، وتوفّي بها.[2]

---

١ . مروج الذهب:١١/٥ـ١٣.

٢ . انظر ترجمته في: تاريخ بغداد:٣/٣٨٠ـ٣٨٧؛ وسير أعلام النبلاء:١٣/٥٧٦، الترجمة٢٩٩؛ والأعلام:٧/١٤٤، ومقدمة كتاب «الكامل» للمبرّد، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدّالي.

يُذكر أنّ خبر المبرّد الذي تضمّن الحكاية المذكورة، قد قُسِّم في تاريخ المسعودي إلى أربعة مقاطع، وُضعت لها الأرقام التالية: (٢٨٨٩، ٢٨٩٠، ٢٨٩١، ٢٨٩٢).[١]

وممّا يؤكد أنّ الخبر الذي تضمّن الحكاية المذكورة، منقول، بأكمله، عن المبرّد، هو أنّ الذهبي أورده باختصار شديد في كتابه «سير أعلام النبلاء»، وكما يلي:

(قال المبرّد: قال المتوكل لعليّ بن محمد بن الرضا: ما يقول ولد أبيك في العباس؟ قال: ما نقول يا أمير المؤمنين في رجل فرض الله طاعته على نبيّه[كذا][٢]، وذكر حكاية طويلة، وبكى المتوكل، وقال له: يا أبا الحسن ليّنت منّا قلوباً قاسية، أعليك دَين؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار، فأمر له بها).[٣]

وبهذا تكون الحكاية (الطويلة) قد خرجت من عهدة المسعودي، ومن وصمة أكاذيب كتابه، الذي ادّعىٰ ابن تيمية، باطلاً، أنّه لا يحصيها إلّا الله، وثبت أنّها من رواية المبرّد، الذي كان معاصراً للإمام الهادي، وكان ـ كما يصفه الذهبي ـ إماماً، علّامة، فصيحاً، مفوّهاً، موثّقاً.[٤]

---

١. مروج الذهب: ٥ / ١١ـ١٣، ونُقل فيه قبل ذلك خبر طويل عن المبرّد، تحدّث فيه المبرّد عن قصة لقائه مع المتوكل، وقد قُسم فيه هذا الخبر إلى سبعة مقاطع، ووضعت له الأرقام من (٢٨٨٢ إلى ٢٨٨٨).

٢. في مروج الذهب: وما يقول ولد أبي، يا أمير المؤمنين، في رجل افترض الله طاعة نبيه على خلقه، وافترض طاعته علىٰ بنيه؟ وإنّما أراد أبو الحسن [يعني الهادي عليه السلام] طاعة الله على بنيه، فعرّض.

٣. سير أعلام النبلاء: ٣٨/١٢، ترجمة المتوكل(٧).

٤. سير أعلام النبلاء: ٥٧٦/١٣، الترجمة ٢٩٩.

ما هو الداعي إلى إنكار الحكاية

ويظهر أنّ محاولة إنكار الحكاية المذكورة من قبل ابن تيمية، تعود إلى رغبته في الدفاع عن المتوكل الذي أمر، لمّا أفضت الخلافة إليه، باستقدام المحدّثين إلى سامراء وأجزل صلاتهم ورووا أحاديث الرؤية والصفات[١]، ونصر أحمد بن حنبل وقدّمه على المعتزلة. ثمّ هدم قبر الحسين عليه السلام وما حوله من الدور وأمر أن يزرع، ومنع الناس من إتيانه.[٢] ومثل هذه الأعمال تستهوي ابن تيمية وأمثاله من النواصب والمجسّمة والغلاة من الحنابلة وغيرهم، ولذا قالوا عنه: بأنّه أظهر السنّة،ولقّبوه بمحيي السنّة.

ولمّا كانت الحكاية المذكورة تفضح المتوكّل، إذ تتحدّث عن مجلس شربه، وهو يكرع الخمرة في جوف الليل، بينما كان الإمام الهادي في ذلك الوقت متوجّهاً إلى ربّه يترنّم بآيات من القرآن.. عزّ على ابن تيمية أن يقبلها، ولكنّه غفل عن أنّ (سنّة) المتوكّل في اللهو والطرب والفساد ومعاقرة الخمور، قد (ظهرت) وشاعت بين الناس، ودوّنها المؤرّخون وأرباب السِّير والتراجم، ولا يمكن إخفاؤها مهما بُذل في ذلك من محاولات.

وإليك شيئاً ممّا ورد حول ذلك:

قال الطبري:(وأخذ [المتوكل] مجلسه، ودعا بالندماء والمغنين، فحضروا... وأخذ في الشراب واللهو، ولهج يقول: أنا والله مفارقكم عن قليل، فلم يزل في لهوه وسروره إلى الليل.

---

١ . سير أعلام النبلاء:٣٤/١٢.

٢ . تاريخ الطبري:٣٦٥/٧ (سنة ٢٣٦هـ) ؛ وسير أعلام النبلاء:٣٥/١٢.

وقال: وذكر بعضهم... ثم أمر بالعشاء فأحضر، وذلك في جوف الليل، فخرج المنتصر من عنده، وأمر بُنانا غلام أحمد بن يحيى أن يلحقه، فلما خرج وُضعت المائدة بين يدي المتوكل، وجعل يأكلها، ويلقم وهو سكران).[1]

وقُتل في نفس هذه الليلة بتخطيط من ابنه المنتصر وبهذه الحالة، وهو سكران، لقي، محيي السنّة ربّه تعالىٰ!!

وقال المسعودي، وهو يتحدّث عن أيام المتوكل: ولم يكن أحد ممّن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه العبث والهزل والمضاحك وغير ذلك، ممّا قد استفاض في الناس تركه إلّا المتوكل، فإنّه السابق إلى ذلك والمُحدِث له.

وقال ابن الأثير: كان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولّىٰ علياً وأهله بأخذ المال والدم، وكان من جملة ندمائه عبادة المخنّث، وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّة ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنّون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين. يحكي بذلك علياً، والمتوكل يشرب ويضحك.[2]

وقال ابن كثير الدمشقي: شرب[إيتاخ] ليلة مع المتوكل، فعربد عليه المتوكل، فهمّ إيتاخ بقتله، فلمّا كان الصباح اعتذر المتوكل إليه، وقال له: أنت أبي، أنت ربّيتني...[3]

---

١. تاريخ الطبري :٣٩٢/٧ـ٣٩٣(سنة ٢٤٧هـ).

٢. الكامل في التاريخ:٥٥/٧.

٣. البداية والنهاية:٣٢٦/٥(سنة ٢٣٤هـ)، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ.

١٢

رأي ابن تيمية حول الإمام العسكري عليه السلام

إنّ العلّامة الحلي بعدما فرغ من ذِكر الإمام علي الهادي عليه السلام ذكر شيئاً يسيراً عن ولده أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، وقال: وكان ولده الحسن العسكري عليه السلام عالماً فاضلاً زاهداً أفضل أهل زمانه، روت عنه العامّة كثيراً.[١]

وقد ردّ عليه ابن تيمية، وقال: إنّ العلماء المعروفين بالرواية الذين كانوا في زمن هذا الحسن بن علي العسكري ليست لهم عنه رواية مشهورة في كتب أهل العلم، وشيوخ أهل الكتب الستة: البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة كانوا موجودين في ذلك الزمان، وقريباً منه: قبله وبعده... فكيف يقال: روت عنه العامة كثيراً؟ وأين هذه الروايات؟ وقوله: «إنّه كان أفضل أهل زمانه» هو من هذا النمط.[٢] يعني من الدعاوى المجرّدة.

أقول: يحاول ابن تيمية حينما يذكر شيوخ أهل الكتب الستة(من أهل السنّة)، ويقول إنّهم كانوا موجودين في زمان الإمام العسكري، ولم يرووا عنه، يحاول بذلك التمويه على القارئ، وذلك أنّ هؤلاء الشيوخ الستة، وإن كانوا موجودين في ذلك الزمان، إلّا أنّهم كانوا، جميعاً، أكبر سنّاً من الإمام عليه السلام، وقد سمعوا الحديث وارتحلوا في طلبه قبل أن يتصدّى الإمام لنشر العلم، بل

١. منهاج الكرامة:٧٦.

٢. منهاج السنّة:٤/٨٥ـ٨٦ وفي طبعة بولاق:٢/١٣١.

قد فرغ بعضهم من طلبه قبل أن يُخلق عليه السلام.

وها نحن نذكر، بإيجاز، شيئاً من حياة الإمام العسكري، وحياة هؤلاء الشيوخ، لكي يكتشف، القارئ العزيز، بنفسه حقيقة التدليس الذي مارسه ابن تيمية في ردّه المتقدّم، ويقف، أيضاً، على حقائق أُخرى، نعرض لها في أثناء البحث:

ولد الإمام الحسن العسكري بالمدينة المنوّرة سنة (٢٣٢هـ)، وانتقل به والده الإمام علي الهادي إلىٰ سامراء بعد أن أشخصه إليها المتوكل العباسي سنة (٢٣٣هـ) ليكون تحت الرقابة، فأقام بها إلى أن استشهد في سنة (٢٦٠هـ). وكان الحسن العسكري عليه السلام قد نهض بمسؤولية الإمامة ونشر العلم بعد استشهاد والده في سنة (٢٥٤هـ).[1]

أمّا الشيوخ الستة،وهم:

١. البخاري، فقد ولد في بخارىٰ سنة (١٩٤هـ)، ورحل في طلب الحديث سنة (٢١٠هـ)، فزار خراسان والعراق والحجاز وغيرها وأقام في بخارىٰ، وقدم نيسابور سنة (٢٥٠هـ) وحدّث بها، وتعصّب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأُخرج إلى خَرتَنْك(من قرىٰ سمرقند) فمات فيها سنة (٢٥٦هـ).[2]

فالبخاري، إذاً، كان أكبر من الإمام العسكري بنحو(٣٨سنة)، وكان يقيم ببخارىٰ، وتوفّي بإحدىٰ قرىٰ سمرقند بعد سنتين، فقط، من بدء الإمام

---

١. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد:٧/٣٦٦، برقم ٣٨٨٦؛ ووفيات الأعيان:٢/٩٤؛ وأعيان الشيعة:٢/٤٠، والأعلام:٢/٢٠٠.

٢. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان:٤/١٨٨، برقم ٥٦٩؛ وتهذيب الكمال:٢٤/٤٣٠، برقم ٥٠٥٩؛ وسيَر أعلام النبلاء:١٢/٣٩١، برقم ١٧١؛ والأعلام:٦/٣٤.

العسكري بالتحديث ونشر العلم في سامراء(بالعراق)، فكيف يريد ابن تيمية، بعد كل هذا، من البخاري أن يروي عن الإمام، حتىٰ وإن غضضنا الطرف عن عقيدة البخاري، وانحرافه عن أئمة أهل البيتعليهم السلام؟!

٢. مسلم بن الحجّاج، ولد بنيسابور سنة (٢٠٤هـ) أو نحو ذلك، ورحل في طلب الحديث إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، ثم عاد إلى نيسابور، إلى أن توفّي بها سنة (٢٦١هـ).[1]

وأنت ترى الفارق الكبير بين عُمر(الإمام) وعُمر (مسلم)، والذي يبلغ نحو (٣٠)عاماً، والمسافة الشاسعة التي تفصل بين بلديهما، فكيف يروي عن الإمامعليه السلام مع هذين الأمرين؟!

٣. الترمذي، ولد في حدود سنة (٢١٠هـ)، ورحل في طلب الحديث إلى خراسان والعراق والحجاز، وعاد إلى ترمذ، وتوفّي بها سنة (٢٧٩هـ).[2]

ونقول في عدم رواية الترمذي عن الإمام ما قلناه في مسلم بن الحجّاج، فلا حاجة للإعادة.

٤. أبو داود. ولد سنة (٢٠٢هـ). ورحل إلى الشام والعراق ومصر، وزار بغداد مراراً، وروىٰ بها كتابه المصنّف في السنن، ثم سكن البصرة، وتوفّي بها سنة (٢٧٥هـ).

ويقال: إنّه صنّف كتابه في السنن قديماً، وعرضه علىٰ أحمد بن حنبل

---

١. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال:٤٩٩/٢٧، برقم ٥٩٢٣؛ وسير أعلام النبلاء:٥٥٧/١٢، برقم ٢١٧، والأعلام:٢٢١/٧.

٢. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال:٢٥٠/٢٦، برقم ٥٥٣١؛ وسير أعلام النبلاء:٢٧٠/١٣، برقم ١٣٢؛ والأعلام:٣٢٢/٦.

(المتوفّى ٢٤١هـ)، فاستجاده واستحسنه.[١]

فكيف، إذاً، يروي أبو داود الذي يكبر الإمام العسكري بأكثر من (٣٠) عاماً، كيف يروي عنه في كتابه «السنن» في الحديث، وقد صنّفه قبل أن يتصدّى الإمام لنشر الحديث بنحو (١٤) عاماً أو أكثر؟!

أليس هذا بأمر غريب؟ بلىٰ، إلّا إذا صدر عن ابن تيمية، فإنّه، ومن أجل أن يردّ على خصمه بكل طريقة، لا يبالي أن يأتي بالغرائب والعجائب!!

٥. ابن ماجة، ولد سنة (٢٠٩هـ)، ورحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجار والريّ، في طلب الحديث. وعاد إلىٰ بلده (قزوين). توفّي سنة (٢٧٣هـ)، وقيل: سنة (٢٧٥هـ).[٢]

٦. النَّسائي، ولد في نَسا(بخراسان) سنة (٢١٥هـ)، وطلب العلم منذ صغره، فسمع بخراسان والعراق والحجاز وغيرها. وأقام بمصر مدة طويلة، ثم استقرّ في دمشق. سُئل عن فضائل معاوية، فقال: ما أعرف له فضيلة إلّا «لا أشبع الله بطنه»، فضربوه في الجامع وداسوه، وأُخرج عليلاً، ثم حُمل إلى الرملة (بفلسطين) فمات بها، وذلك في سنة (٣٠٣هـ)، وقيل: حُمل إلى مكة، فدفن بين الصفا والمروة.

وكان قد رحل إلى قتيبة بن سعيد في سنة (٢٣٠هـ) لسماع الحديث.[٣]

---

١ . انظر ترجمته في: تهذيب الكمال:٣٥٥/١١، برقم ٢٤٩٢؛ وسير أعلام النبلاء:٢٠٣/١٣، برقم ١١٧؛ والأعلام:١٢٢/٣.

٢ . انظر ترجمته في: تهذيب الكمال:٤٠/٢٧، برقم ٥٧١٠؛ وسير أعلام النبلاء:٢٧٧/١٣؛ والأعلام:١٤٤/٧.

٣ . انظر ترجمته في: تهذيب الكمال:٣٢٨/١، برقم ٤٨؛ وسير أعلام النبلاء:١٢٥/١٤، برقم ٦٧؛ والأعلام:١٧١/١.

فهل ينتظر ابن تيمية منه أن يسمع من الإمام العسكري الذي تصدّىٰ ـ كما قلنا ـ لنشر العلم والحديث في سنة (٢٥٤هـ)؟!

وممّا سبق يتضح أنّ خلوّ الكتب الستة من روايات الإمام العسكري عليه السلام، يعود، بالدرجة الأساس، إلى أنّ أصحابها، وإن كانوا موجودين في زمانه عليه السلام، قبله وبعده (كما يقول ابن تيمية)، إلّا أنّ أصغرهم سنّاً، وهو النسائي، كان أكبر من الإمام بنحو (١٧) عاماً، بل كانوا جميعاً، باستثناء النسائي، أكبر سنّاً من والده الإمام علي الهادي(المولود سنة ٢١٢هـ)!! ولكنّ ابن تيمية لم يُشر إلى كلّ ذلك، ولم يُشر، أيضاً، إيغالاً منه في التمويه على القارئ، إلىٰ تاريخ بدء الإمام عليه السلام بنشر العلم والحديث، ولا إلى تاريخ استشهاده في سنة (٢٦٠هـ)، وهو ابن ثمان وعشرين سنة!!

ثمّ إنّ التراث الحديثي السُّنّي ليس منحصراً في هذه الكتب الستة، بل هو أوسع من ذلك، وقد نقلته جُملة من كتبهم المصنّفة في هذا المجال، ومن هنا لا يمكن اعتبار الكتب الستة مقياساً لروايات الرواة، كثرة وقلّة، أو وجوداً وعدماً.

اختلاف علماء السنّة في تحديد عدد وأسماء ومراتب أُمّهات الكتب عندهم

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ القول بأنّ الكتب الحديثية المعتمدة عند أهل السنّة، هي الكتب الستة، قد جاء في وقت متأخّر، وأنّ الاختلاف بين علمائهم، في تحديد عدد وأسماء ومراتب هذه الكتب، ظلّ قائماً لقرون عديدة، قبل أن يشيع القول بذلك أخيراً.

فبعض العلماء مَن يجعل «موطّأ» مالك في مقدّمة الصحاح والسنن، كما صنع أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري الأندلسيّ (المتوفّى ٥٣٥هـ) في

كتابه «تجريد الصحاح»، وابن الأثير الجزري، أبو السعادات (المتوفّى ٦٠٦هـ) في كتابه «جامع الأُصول في أحاديث الرسول».[١]

ومنهم من يجعل الكتب المعتمدة عند السنّة، خمسة، وهي: صحيحا البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن النَّسائي، وجامع الترمذي.

وهذا هو الرأي المشهور بين الحفّاظ والعلماء، والمحدّثين، وإليه ذهب ابن الصلاح (المتوفّى ٦٤٣هـ)، ومحيي الدين النووي(المتوفّى ٦٧٦هـ)، وابن حجر العسقلاني(المتوفّى ٨٥٢هـ)، وولي الله الدهلوي (المتوفّى ١١٧٦هـ).[٢] يُذكر أنّ الفضل بن طاهر المقدسي (المتوفّى ٥٠٧هـ) عُدّ أوّل من أضاف «سنن» ابن ماجة إلى الكتب الخمسة، ثمّ عبد الغني المقدسي(المتوفّى ٦٠٠هـ)[٣]، ولم يحظ ذلك بقبول كثير من العلماء والحفّاظ، ومنهم ابن حجر العسقلاني الذي كان يقدّم «سنن» الدارمي(المتوفّى ٢٥٥هـ) علىٰ «سنن» ابن ماجة، ويقول: إنّها لو ضُمّت إلى الخمسة: البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي، لكانت أولىٰ.[٤]

وبعد أن عرفنا هذه الحقائق، نقول: إنّه وبالرغم من قصر المدة التي تصدىٰ فيها الإمام العسكريعليه السلام لنشر العلم والحديث، وقسوة الأوضاع التي أحاطت به في ظلّ الرقابة الشديدة التي فرضها عليه حكّام بني العباس في عاصمة مُلكهم (سامراء)، فإنّ الذين أخذوا عنه العلم والحديث، قد جاوز

---

١. انظر: مقدمة «سنن ابن ماجة»:٣، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ، وعناية صدقي جميل العطار.

٢. أضواء على السنّة المحمدية:٢٤٤، ٢٦٥، ٢٦٩.

٣. انظر: مقدمة «سنن ابن ماجة»:٥.

٤. انظر: أضواء على السنّة المحمدية:٢٦٦(الهامش).

عـددهم المـائة وأربـعين راويـاً، كـما أحـصاهم المـتتبّع الشيخ خـليل الله العطاردي.[١]

ونحن وإن لم نظفر للإمامعليه السلام بروايات كثيرة في كتب أهل السنة[٢]، إلّا أنّه روى لهعليه السلام منهم: الحافظ أبو نُعيم الأصبهاني (المتوفّى ٤٣٠هـ)، والحافظ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي (المتوفّى ٥٩٧هـ)، والحافظ عبد العزيز بـن محمود، ابن الأخضر الجنابذي الحنبلي(المتوفّى ٦١١هـ).

وروىٰ بعض الأخبار الواردة عنهعليه السلام: سبط ابن الجوزي الحنفي[٣]، وابن الصباغ المالكي[٤]، وابن حجر الهيتمي[٥]، وغيرهم.

وإليك نصّ الحديث الذي رواه أبو نُعيم الأصبهاني:

قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني القاضي أبـو الحسـن عـلي بـن محمّد بن علي بن محمد القزويني ببغداد، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقـد حدّثني القاسم بن العلاء الهمداني، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حـدّثني الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي علي بن محمد، قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي محمد بـن علي قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي علي بن موسى قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي موسى بن جعفر قال: أشهد بالله وأشهد لله،

---

١. مسند الإمام العسكري: ٢٩٢ـ٣٩٨.

٢. لا يُستبعد أن يكون العلّامة الحلي، بما عُرف عنه من غزارة العلم وكثرة الاطلاع، قد اطّلع على روايات كثيرة للإمامعليه السلام في كتب السنّة.

٣. مرآة الزمان: ٦/ الورقة ١٩٢، كما في: الأئمة الاثنا عشر للسيد علي الميلاني: ١٦٨.

٤. الفصول المهمة: ٢٨٥ـ ٢٨٨.

٥. الصواعق المحرقة: ٢٠٧ـ٢٠٨.

لقد حدّثني أبي جعفر بن محمد قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي محمد بن علي قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي علي بن الحسين قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي الحسين بن علي قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني أبي علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أشهد بالله وأشهد لله، لقد قال لي جبريل عليه السلام: يا محمد، **إنّ مدمن الخمر كعابد الأوثان.**

قال أبو نُعيم الأصبهاني: هذا حديث صحيح ثابت، روته العترة الطيّبة، ولم نكتبه على هذا الشرط بالشهادة بالله ولله إلّا عن هذا الشيخ.(١)

وقد روىٰ هذا الحديث من طريق آخر، أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب «تحريم الخمر».(٢)

ونقل العلّامة أبو الفتح الأربلي عن الحافظ عبد العزيز الجنابذي عن رجاله عن الحافظ البلاذري، قال: حدّثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى، إمام عصره عند الإمامية بمكّة، قال: حدّثني أبي علي بن محمد المفتي، قال: حدّثني أبي محمد بن علي السيد المحجوب، قال: حدّثني أبي علي بن موسى الرضا، قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر المرتضى قال: حدّثني أبي جعفر بن محمد الصادق، قال: حدّثني أبي محمد بن علي الباقر، قال: حدّثني أبي علي بن الحسين السجاد زين العابدين، قال: حدّثني أبي

---

١ . حلية الأولياء:٣/٢٠٣.

٢ . قال سبط ابن الجوزي في ترجمة الإمام العسكري من «تذكرة الخواص:٢/٥٠٣»:ومن جملة مسانيده، حديث في الخمر عزيز، ذكره جدّي أبو الفرج في كتابه المسمّى بتحريم الخمر، ونقلته من خطّه. ثمّ ذكر الحديث، وفيه: «شارب الخمر كعابد الوثن».

الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنّة، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب سيد الأوصياء، قال: حدثني محمد بن عبد الله سيد الأنبياء، قال: حدّثني جبرئيل سيد الملائكة، قال: قال الله عزو جل سيد السادات، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا، فمن أقرّ لي بالتوحيد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي، وقال الحاكم: ولم نكتبه إلّا عن هذا الشيخ.[1]

هذا ما يتعلّق بالشِّق الأوّل من كلام ابن تيمية، وأمّا الشِّق الثاني منه، أعني قوله: إنّ قول (العلّامة الحلي) بأنّ الحسن العسكريعليه السلام كان أفضل أهل زمانه، هو من الدعاوى المجرّدة، فيقال في جوابه:

إنّ العلّامة الحلي ليس في هذا المقام، بصدد الاستدلال علىٰ أفضلية الإمام العسكري، لأنّ ذلك يرتبط بموضوع الإمامة والغرض منها، والصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها الإمام، وهذه أبحاث مطوّلة قد تناولها العلّامة بتفصيل في كتبه الكلامية، فمن أحبّ أن يقف عليها فليراجعها في مظانّها.

ونرى من المناسب، هنا، أن نذكر بعض كلمات الأعلام من غير الشيعة، من الذين أشادوا بسموّ منزلة الإمام العسكري، وأقرّوا له بالفضل والتفوّق على غيره.

قال الوزير عبيد الله[2] بن يحيى بن خاقان (المتوفّى ٢٦٣هـ):

لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العباس ما استحقّها أحد من بني هاشم

---

١ . كشف الغمّة:٣/١٩٨ـ١٩٩، وقد نقله عن كتاب معالم العترة النبوية للجنابذي.

٢ . كان من المقدّمين في العصر العباسي، استوزره المتوكّل والمعتمد. وكان عاقلاً حازماً، استمرّ في الوزارة إلى أن توفّي. الأعلام:٤/١٩٨.

غير هذا، فإنّ هذا يستحقها في فضله وعفافه وهديه وصيانة نفسه وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه.[١]

وقال أحمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان(وكان على الضياع والخراج بقمّ):

«ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأىٰ رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن علي بن الرضا، ولا سمعت به في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته والسلطان وجميع بني هاشم، وتقديمهم إيّاه علىٰ ذوي السنّ منهم والخطر، وكذلك القوّاد والوزراء والكتّاب وعوام الناس».[٢]

وقال كمال الدين محمد بن طلحة القرشيّ الشافعيّ:

«إنّ المنقبة العليا والمزيّة الكبرىٰ التي خصّه الله عز وعلا بها، وقلّده فريدها، ومنحه تقليدها، وجعلها صفة دائمة، لا يُبلي الدهرُ جديدها، ولا تَنسى الألسنة تلاوتها وترديدها، أنّ المهدي محمّداً نسله المخلوق منه، وولده المنتسب إليه، وبضعته المنفصلة عنه».[٣]

وقال ابن الصبّاغ المالكي:

«واحد زمانه من غير مدافع، ونسيج وحده من غير منازع، وسيّد أهل عصره، وإمام أهل دهره، أقواله سديدة، وأفعاله حميدة».[٤]

---

١ و ٢. رواه الشيخ الصدوق، عن أبيه ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، كليهما عن سعد بن عبد الله الأشعري القمي، عن أحمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان سعد قد حضر مجلس أحمد هذا بقم في شعبان سنة (٢٧٨هـ)،ونقل عنه كلامه وكلام أبيه المذكورين. كمال الدين:١/٤٠ـ٤٢، مقدمة المصنف(فقرة: ما روي في صحة وفاة العسكري عليه السلام)، وبحار الأنوار:٥/٣٢٥.

٣. مطالب السؤول:٢٠٩.

٤. الفصول المهمة:٢٧٤.

١٣

آراءُ ابن تيمية حول الإمام المهدي المنتظر

عجّل الله تعالى فرجه الشريف

قال العلّامة الحلّي‏: وولده (يعني الحسن العسكري) مولانا الإمام المهدّي محمد ‏. روى ابن الجوزي بإسناده إلى ابن عمر، قال: قال رسول الله‏:«يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فذلك هو المهدي».[١]

أقول: المهدي المنتظر هو أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري الحجّة، الخلف الصالح، ولد‏ بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين، وله من العمر عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله الحكم صبيّاً كما حدث ليحيى، حيث قال سبحانه:﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾.[٢]

وجعله إماماً وهو طفل، كما جعل المسيح نبيّاً وهو رضيع، قال سبحانه على لسانه وهو يخاطب قومه: ﴿**إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾.[٣]

اتّفق المسلمون على ظهور المهدي في آخر الزمان لإزالة الجهل

---

١ . منهاج الكرامة:٧٧ـ ٧٨.

٢ . مريم:١٢.

٣ . مريم:٣٠.

والفساد، و سحق الظلم والجور، ونشر أعلام العدل، وإعلاء كلمة الحق، وإظهار الدين كلّه ولو كره المشركون، فهو بإذن الله ينجي العالم من ذلّ العبودية لغير الله، ويلغي الأخلاق والعادات الذميمة، ويبطل القوانين الكافرة التي سنّتها الأهواء، ويقطع أواصر العصبيات القومية والعنصرية، ويمحو أسباب العداء والبغضاء التي صارت سبباً لاختلاف الأُمّة وافتراق الكلمة، ويحقّق الله سبحانه بظهوره وعده الذي وعد به المؤمنين بقوله: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[1] ، ومن المعلوم أنّ الأرض بعامّتها لم يحكمها الصالحون لحدّ الآن وإنّما حكموا أطرافاً منها، وهذا الوعد الإلهي لم يتحقّق بعد، وإنّما يتحقّق فيما إذا دخلت كلمة الإسلام عامة المدن والقرى وينادى فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله بكرة وعشيّاً، وإنّما يتحقّق ذلك عند ظهور الإمام المنتظر الذي وعد الله به الأُمم.

وقد تضافرت الروايات على خروج إمام من أهل بيت النبيﷺ ينشر راية الإسلام والعدل في الأرض بعد ما تُملأ جوراً وظلماً.

قال الشيخ مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي(من علماء القرن الحادي عشر) في حقيقة ظهور المهدي:

والصحيح أنّه يخرج آخر الزمان... وقد كثرت بذلك الأخبار والروايات، وشاع ذلك في الأمصار بأحاديث الثقات.[2]

---

١ . الأنبياء: ١٠٥. روي عن أبي جعفر الباقرعليه السلام أنّه قال في تفسير قوله تعالى:﴿**أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾: إنّ ذلك وعد للمؤمنين بأنّهم يرثون جميع الأرض. التبيان في تفسير القرآن:٧/٢٨٤.

٢ . فرائد فوائد الفِكَر في الإمام المهدي المنتظر:٢١٩، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٧هـ.

وقال السيد محمد صديق حسن القنُّوجي البخاري(المتوفّى ١٣٠٧هـ) في المهدي الموعود المنتظَر الفاطمي (حسب تعبيره): الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرة جداً، تبلُغ حدّ التواتر، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد... وأحاديث المهدي عند الترمذي، وأبي داود، وابن ماجة، والحاكم، والطبراني، وأبي يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة.

ثم قال: وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممرّ الأعصار، وأنّه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت النبوي يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتّبعه المسلمون... (١)

هذا، وقد ناهزت الروايات مبلغاً يُعدّ من أعلى مراتب التواتر، حتى قال الدكتور عبد الباقي (المعاصر في السعودية): إنّ المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين أو راو أو راويين، إنّها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الرواة أو أكثر من صاحب كتاب صحيح. (٢)

وما ذكره من عدد الروايات إنّما يرجع إلى وجودها في الصحاح والسنن، وأمّا غيرها فالروايات أكثر وأكثر، بل لا تجد في مجموع ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رواية أشهر من رواية المهدي عليه السلام، ولأجل إيضاح الموضوع نأتي بالعناوين التي لها صلة بالإمام المهدي عليه السلام ونذكر عدد رواياتها ونقتصر في

---

١. الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: ١٢٥ ـ ١٢٦، دار بن كثير، الطبعة الثانية، ١٤٢١ هـ.

٢. بين يدي الساعة:١٢٣.

ذلك على ما جاء في كتاب «منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر»، لسماحة آية الله لطف الله الصافي.

١. أحاديث الخلفاء الاثني عشر

تضافرت الروايات على أنّ عدد الخلفاء والأئمة بعد الرسول ﷺ هو اثنا عشر وأنّ عدّتهم كنقباء بني إسرائيل وحواري عيسى عليه السلام.

روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: انطلقت إلى رسول الله ﷺ ومعي أبي فسمعته يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة»، قال: قال كلمة صمّنيها الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش»[1].

روى البخاري عن عبد الملك، قال: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: «كلّهم من قريش».[2]

وقد أخرج أحمد في مسنده النصوص على الاثني عشر عن جابر بن سمرة بطرق تناهز ٣٤ طريقاً.[3]

وربما ناهز عدد الأحاديث التي وردت في هذا المقام عن طرق أهل السنّة ٥٠ حديثاً.[4]

---

١. صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب الناس تبع قريش والخلافة في قريش.

٢. صحيح البخاري: ٤، كتاب الأحكام، الباب الذي جعله قبل باب إخراج الخصوم وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة.

٣. مسند أحمد: ٥/٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.

٤. لاحظ: منتخب الأثر: ١ / ١٩ـ ٤٠.

وأمّا إذا أُضيف إلى ذلك ما روي عن طرق الشيعة فيبلغ عدد الجميع (١٤٨) حديثاً. إنّما الكلام في ما هو المراد بهذه الأحاديث، وتعيين من ينطبق عليهم هذا العدد؟

يقول بعض الأعاظم (دام ظله) في هذا الصدد: اعلم أنّ هذه الأحاديث لا تنطبق إلّا على مذهب الشيعة الإمامية، فإنّ بعضها يدل على أنّ الإسلام لا ينقرض ولا ينقضي حتى يمضي في المسلمين اثنا عشر خليفة، وبعضها يدلّ على أنّ عزّة الإسلام إنّما تكون إلى اثني عشر خليفة، وبعضها يدلّ على بقاء الدين إلى أن تقوم الساعة، وأنّ وجود الأئمة مستمر إلى آخر الدهر، وبعضها يدل على أنّ الاثني عشر كلّهم من قريش، وفي بعضها «كلّهم من بني هاشم»، وفي بعضها «وكلّهم لا يرى مثله».

وظاهر جميعها حصر الخلفاء في الاثني عشر وأنّهم متوالون متتابعون، ومعلوم أنّ تلك الخصوصيات لم توجد إلّا في الأئمة الاثني عشر المعروفين عند الفريقين، ولا توافق مذهباً من مذاهب فرق المسلمين إلّا مذهب الإمامية، وينبغي أن يعدّ ذلك من معجزات النبي ﷺ، وإخباره عن المغيّبات، ولا ريب أنّ هذه الأحاديث لا تحتمل غير هذا المعنى ولا يحتمل الذهن السليم المستقيم الخالي عن بعض الشوائب والأغراض غيره.[1]

إلى أن قال: وتستفاد من هذه الأحاديث أُمور:

الأول: عدد الخلفاء الذين يكون الأمر لهم بعد النبي ﷺ، وحصرهم في الاثني عشر لا يزاد عليهم أحد ولا ينقّص منهم أحد، وهذا مفاد كلّ واحد من الأحاديث.

---

١. منتخب الأثر: ١/٢٧٤ـ٢٧٥.

الثاني: بقاء الأرض وسكونها عن الاضطراب ماداموا باقين عليها.

الثالث: عدم انقضاء هذا الأمر (دين الإسلام) قبل انقضائهم عليهم السلام، واستمرار بقائه ببقائهم، وأنّه ما بقي واحد منهم يكون الدين باقياً قائماً، وفي هذا دلالة على طول مدة بقائهم على وجه البسيطة ولو بطول بقاء الثاني عشر منهم.

الرابع: عزّ هذا الدين وعدم قدرة الطواغيت على محوه ودرس آثاره إلى مدّة هؤلاء الاثني عشر، فهو لا يزال عزيزاً منيعاً لا يقدر أحد على القضاء عليه كما قُضي على سائر الشرائع والأديان، فهذه شريعة موسى وعيسى مضافاً إلى أنّهما قد نُسختا بشريعة الإسلام فقد حرّفت أصولهما وأحكامهما بالحوادث والحروب وسياسات المتغلبين وتحريفات الكهنة وغيرهم، فما بيد اليهود والنصارىٰ الآن من شريعة موسى وعيسى ليس هو الأصل، لا سيّما في الأُصول الاعتقادية.

وأمّا الإسلام فقد بقي عزيزاً منيعاً محفوظاً من تحريف الغالين وإبطال الجاحدين وسيبقى إلى ظهور الإمام المهدي عليه السلام وحتى تقوم الساعة، لأنّ الله تعالى جعله في حصن حفظه الحصين، ونصب الأئمة الاثني حفَظَة له وقُوّاماً بأمره في جميع الأزمنة إلى قيام القيامة.

الخامس: إنّ إمامة هؤلاء الأئمة عليهم السلام إنّما تكون على التوالي دون التفريق، وهذا أمر يستفاد من صراحة هذه الأحاديث بذلك.[1]

---

١. منتخب الأثر: ١/٢٦٠ ـ ٢٦٣.

٢. خصوصيات الإمام المهدي عليه السلام

إذا راجعنا الأحاديث الواردة عن طريق الفريقين نقف على ملامح وخصوصيات الإمام المهدي عليه السلام، وها نحن نذكر عناوين خصوصياته وعدد الروايات الواردة فيها:

١. إنّ المهدي من عترة رسول وأهل بيته وذريته، وفيه ٤٠٧ أحاديث.

٢. إنّ اسمه اسم رسول الله وكنيته ككنية رسول الله وأنّه أشبه الناس به ويعمل بسنّته، وفيه ٥٤ حديثاً.

٣. إنّه من ولد أمير المؤمنين علي عليه السلام، وفيه ٢٢٥حديثاً.

٤. إنّه من ولد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وفيه ٢٠٢ حديث.

٥. إنّه من ولد السبطين الحسن والحسين عليهما السلام، وفيه ١٢٥حديثاً.

٦. إنّه التاسع من ولد الحسين عليه السلام، وفيه ١٦٠ حديثاً.

٧. إنّه من ولد الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وفيه ١٩٧ حديثاً.

٨ إنّه من ولد الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، وفيه ١٢٠حديثاً.

٩. إنّه السادس من ولد الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، وفيه ١١٢ حديثاً.

١٠. إنّه من صلب الإمام أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام، وفيه ١٢١ حديثاً.

١١. إنّه الرابع من ولد الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، وفيه ١١١ حديثاً.

١٢. إنّه من ولد الإمام محمد بن علي الرضا عليه السلام، وفيه ١٠٩ أحاديث.

١٣. إنّه خلف خلف أبي الحسن (الإمام الهادي) وابن أبي محمد الحسن (العسكري عليهما السلام)، وفيه ١٠٧ أحاديث.

١٤. إنّ اسم أبيه الحسن عليه السلام وفيه ١٠٨ أحاديث.[١]

وهذه الأحاديث ليست بمعنى أنّ كلّ خصوصية فيها أحاديث خاصّة لا صلة لها بسائر الأحاديث، بل يمكن أن يكون حديثاً واحداً أو أحاديث تشتمل على عدّة خصوصيات.

وبملاحظة هذه الأحاديث الواردة من الفريقين، وإن كان أكثرها من طرقنا، يحدد وجود الإمام الثاني عشر على وجه لا تنطبق إلّا على الخلف الصالح للإمام العسكري عليه السلام.

ولادته

هذا هو الإمام المنتظر بين السنّة والشيعة، وإنّما الاختلاف بين الفريقين في ولادته، فالشيعة ذهبت إلى أنّ المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر الذي ولد بسامراء عام ٢٥٥هـ واختفى بعد وفاة أبيه عام ٢٦٠هـ وقد تضافرت عليه النصوص من آبائه، على وجه ماترى شكّاً ولا شبهة ووافقتهم جماعة من علماء أهل السنّة، وقالوا بأنّه ولد وأنّه محمد بن الحسن العسكري.

---

١. صدرنا في هذه الأرقام والأعداد عن كتاب «منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر» وهو موسوعة بديعة في المهدي المنتظر عليه السلام، شكر الله مساعي مؤلفها.

نعم كثير منهم قالوا بأنّه سيولد في آخر الزمان، ولكنّ أهل البيت أدرىٰ بما في البيت، فمن رجع إلى روايات أهل البيت في كتبهم يظهر له الحق، وأنّ المولود للإمام العسكري هو المهدي الموعود.

وممن أيّد من علماء أهل السنة بأنّ وليد بيت الحسن العسكري هو المهدي الموعود:

١. أبو بكر أحمد بن الحسين المعروف بالبيهقي(المتوفّى ٤٥٨هـ)، قال في كتابه شعب الإيمان: اختلف الناس في أمر المهدي، فتوقّف جماعة وأحالوا العلم إلى عالمه، واعتقدوا أنّه واحد من أولاد فاطمة بنت رسول الله ﷺ، يخلقه الله متى شاء، يبعثه نصرةً لدينه، وطائفة يقولون: إنّ المهديّ الموعود ولد يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو الإمام الملقب بالحجّة القائم المنتظر محمد بن الحسن العسكري، وأنّه دخل السرداب بسرّ من رأى، وهو حيّ مختف عن أعين الناس، منتظر خروجه، وسيظهر ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، ولا امتناع في طول عمره وامتداد أيّامه كعيسى بن مريم والخضر عليهما السلام، وهؤلاء الشيعة، خصوصاً الإماميّة، ووافقهم عليه جماعة من أهل الكشف.[1]

٢. أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن الخشاب البغدادي (المتوفّىٰ ٥٦٧ هـ) قال في كتابه «تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم»، باسناده عن أبي بكر أحمد بن نصر بن عبد الله بن الفتح الدرائي النهرواني، حدّثنا صدقة

---

١. شعب الإيمان، كما ورد في منتخب الأثر:٣٧٤/٢، وبما أنّ البيهقي توفّى عام ٤٥٨ هـ، فمراده من قوله: جماعة من أهل الكشف، غير محيي الدين ابن العربي فإنّه توفّي عام ٦٣٨هـ، وغير الشعراني الذي توفّي عام ٩٥٥هـ.

بن موسى، حدثنا أبي، عن الرضاعليه السلام، قال: الخلف الصالح من ولد أبي محمد الحسن بن علي وهو صاحب الزمان وهو المهدي.(١)

٣. الشيخ محيي الدين المعروف بابن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي (المتوفّى ٦٣٨هـ) صاحب كتاب «الفتوحات المكيّة».

يُذكر أنّ الشيخ عبد الوهاب الشعراني عقد باباً في كتاب «اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر» لبيان أشراط الساعة التي أخبر بها الشارع وكلّها تقع قبل قيام الساعة، وعدّ من ذلك خروج المهدي، وقال: وهو من أولاد الإمام الحسن العسكري ومولدهعليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ، وهو باق إلى أن يجتمع به عيسى ابن مريمعليه السلام فيكون عمره إلى وقتنا هذا ـ وهو سنة ٩٥٨هـ ـ ٧٠٦ سنين، ثم قال:

عبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات هكذا: واعلموا أنّه لابدّ من خروج المهديعليه السلام، لكن لا يخرج حتى تمتلأ الأرض جوراً وظلماً فيملأها قسطاً وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا إلّا يوم واحد طوّل الله تعالى ذلك اليوم حتّى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، من ولد فاطمة رضي الله عنها، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده الحسن العسكري ابن الإمام علي النقي ـ بالنون ـ ابن محمد التقي ـ بالتاء ـ بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين علي بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالبعليهم السلام، يواطئ اسمه اسم رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، يبايعه

---

١. تاريخ مواليد الأئمة ووفيّاتهم: ٤٤ـ٤٥، ولاحظ: مجموعة نفيسة للسيد محمود المرعشي: ٢٠٠ـ٢٠٢.

المسلمون بين الركن والمقام، يشبه رسول الله ﷺ في أخلاقه والله يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.(١)

ثمّ ذكر أوصاف المهدي بقوله: هو، أجلىٰ الجبهة، أقنىٰ الأنف، أسعد الناس به أهل الكوفة، يقسّم المال بالسوية، ويعدل في الرعية.(٢)

هذا وإذا رجعنا إلى كتاب الفتوحات المكية طبعة مصر، والتي أعادت طبعها دار صادر في بيروت وجدنا العبارة محرّفة مبدّلة، وإليك نفس ما جاء هناك: اعلم أيّدنا الله إنّ لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد طوّل الله ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله ﷺ من ولدنا فيه يواطئ اسمه اسم رسول الله ﷺ جدّه الحسن بن علي بن أبي طالب يبايع بين الركن والمقام.(٣)

٤. الشيخ كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي القرشي(٥٨٢ـ ٦٥٢هـ)، قال في كتابه «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول»: الباب الحادي عشر: في أبي محمد الحسن بن علي، الخالص[يعني الحسن العسكري]إلى أن قال: فاعلم أنّ المنقبة العليا والمزيّة الكبرى التي خصّه الله عزّ وجلّ بها، وقلّده فريدها، ومنحه تقليدها، وجعلها صفة دائمةً لا يبلي الدهر جديدها، ولا تنسى الألسن تلاوتها وترديدها، أنّ المهدي محمّد نسله المخلوق منه، وولده المنتسب إليه، وبضعته المنفصلة عنه... ثم قال: الباب الثاني عشر: في أبي القاسم محمد بن الحسن الخالص بن علي... المهدي الحجّة الخلف

---

١ . القلم: ٤ .

٢ . اليواقيت والجواهر:١٤٣/٢، ط ١٣٧٨ هـ، ١٩٥٩م.

٣ . الفتوحات المكيّة:٣٢٧/٣. انظر كيف يحرفون الكلم عن مواضعها.

الصالح المنتظر عليهم السلام ورحمة الله وبركاته.(١)

٥. الشيخ شمس الدين أبو المظفر سبط الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي (المتوفّى ٦٥٤هـ) قال في كتابه «تذكرة الخواص»: فصل: هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكنيته أبو عبد الله وأبو القاسم، وهو الخلف الحجّة صاحب الزمان القائم والمنتظر والتالي وآخر الأئمة... إلى أن قال: ويقال له ذو الاسمين محمد وأبو القاسم، قالوا أمّهُ أُم ولد يقال لها: صيقل، وقال السدّي: يجتمع المهدي وعيسى بن مريم فيجيء وقت الصلاة فيقول المهدي لعيسىٰ تقدّم، فيقول عيسى: أنت بالصلاة فيصلي عيسى وراءه مأموماً.(٢)

٦. الشيخ الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي (المتوفّى ٦٥٨هـ) صاحب كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان» وكتاب «كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب»فهو بعدما ذكر الإمام الهادي عليه السلام وولده الإمام العسكري قال: وقبض يوم الجمعة لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ستين ومائتين وخلّف ابنه الإمام المنتظر صلوات الله عليه، ونختم الكتاب بذكره مفرداً.(٣)

---

١ . مطالب السؤول في مناقب آل الرسول:٣١١، طبعة مؤسسة البلاغ، بإشراف السيد عبدالعزيز الطباطبائي.

٢ . تذكرة الخواص:٢/٥٠٦ـ٥١٢.

٣ . ذيل كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب (المسمّى بالبيان في أخبار صاحب الزمان): ٤٧٣.

ويقول أيضاً في كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان»، الباب الخامس والعشرون: في الدلالة على جواز بقاء المهدي عليه السلام مذ غيبته إلى الآن، ولا امتناع في بقائه، بدليل بقاء عيسى وإلياس والخضر من أولياء الله تعالى، وبقاء الدجّال وإبليس الملعونين أعداء الله تعالى... إلى آخر كلامه الطويل الذّيل في هذا الباب.[1]

٧. الشيخ صلاح الدين الصفدي (المتوفّى ٧٦٤هـ) قال في شرح الدائرة: إنّ المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر من الأئمة أوّلهم سيدنا عليّ عليه السلام، وآخرهم المهدي(رضي الله عنهم).[2]

٨. علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله المالكي المكّي المعروف بابن الصباغ(٧٣٤ـ ٨٥٥هـ) صرّح في كتابه «الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة» بولادته عليه السلام وتاريخها، وأنّ أُمّه نرجس خير أمة، وصرّح أيضاً بنسبه، وذكر أسماء آبائه، وجملة من حالاتهم وكلماتهم ومعجزاتهم، وصرّح بأنّه الإمام الثاني عشر، وذكر جملة من الأحاديث الواردة في حقّه عليه السلام.[3]

٩. القاضي فضل الله بن روزبهان الخنجي الشافعي[4] الذي كتب ردّاً على كتاب «كشف الحق ونهج الصدق» للعلّامة الحلّي، وأسمى ردّه بإبطال نهج الباطل[5]، قال في ذيل قول العلّامة: المطلب الثاني في زوجته وأولاده،

---

١. البيان في أخبار صاحب الزمان:٥٢١، طبعة النجف الأشرف.

٢. شرح الدائرة كما في منتخب الأثر:٣٨٥/٢ نقلاً عن ينابيع المودة للقندوزي.

٣. الفصول المهمة:١٠٩٥/٢ وما بعدها، تحقيق سامي الغريري، طبعة دار الحديث، قم.

٤. ترجم له السَّخاوي في «الضوء اللامع»: ١٧١/٦، برقم ٥٨٠.

٥. فرغ من تصنيفه عام (٩٠٩ هـ).

ما هذا لفظه: أقول: ما ذكر من فضائل فاطمة ـ صلوات الله على أبيها وعليها وعلى سائر آل محمد والسلام ـ أمر لا ينكر، فإنّ الإنكار على البحر برحمته، وعلى البر بسعته، وعلى الشمس بنورها، وعلى الأنوار بظهورها، وعلى السحاب بجوده، وعلى الملك بسجوده، إنكار لا يزيد المنكر إلّا الاستهزاء... إلى أن قال: ونعم ما قلت فيهم منظوماً:

سلام على المصطفى المجتبىٰ — سلام على السيّد المرتضى

سلام على ستنا فاطمة — من اختارها الله خير النسا

وبعد أن ذكر الأئمة الاثني عشر، قال:

سلام على القائم المنتظر — أبي القاسم القرم نور الهدى

ترى يملأ الأرض من عدله — كما ملئت جور أهل الهوى

١٠. شمس الدين محمد بن طولون (المتوفّى ٩٥٣هـ) يقول: وثاني عشرهم ابنه محمد بن الحسن، وهو أبو القاسم محمد بن الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وقد ذكرت المعتمد في أمر هذا في تعليقي «المُهدي إلى ما ورد في المهدي» وقد رتبت تراجم هؤلاء الأئمة الاثني عشر رضي الله عنهم على ترتيب النظم المتقدّم، ثم ذكر شيئاً من أشعاره حولهم.[1]

١١. الشيخ ابن حجر الهيتمي المكّي (المتوفّى ٩٧٤هـ)، قال في

١ . الأئمة الاثنى عشر، لابن طولون: ١١٨، طبعة دار صادر، لاحظ كتاب الإمام المهدي عند أهل السنّة: ٢٣٩.

الصواعق، بعدما ذكر شيئاً من أحوال الإمام العسكري: ولم يخلف غير ولده: أبي القاسم محمد الحجّة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة.(١)

١٢. جمال الدين عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي المصري(المتوفّى ١١٧١هـ) قال في كتابه «الإتحاف بحب الأشراف»: الثاني عشر من الأئمة أبو القاسم محمد الحجّة الإمام. قيل هو المهدي المنتظر، ولد الإمام محمد الحجّة بن الإمام الحسن الخالص رضي الله عنه بسُر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين قبل موت أبيه بخمس سنين، وكان أبوه قد أخفاه حين ولد وستر أمره لصعوبة الوقت وخوفه من الخلفاء، فإنّهم كانوا في ذلك الوقت يتطلّبون الهاشميين ويقصدونهم بالحبس والقتل ويريدون إعدامهم.(٢)

ونقتصر ـ لضيق المقام ـ بهذا العدد، إلّا أنّه هناك ثلّة من العلماء من أهل السنّة قد صرّحوا بولادته، تعرّض لها القندوزي في كتابه «ينابيع المودّة»، والسيد الأمين العاملي في «أعيان الشيعة»، وأنهاهم آية الله الصافي إلى (٦٨)(٣) عالماً، وإذا أُضيف إلى ما رواه علماؤنا الأبرار بأسانيدهم فيصير ميلاد الإمام الثاني عشر أمراً قطعيّاً، يؤمن به من ليس في قلبه زيغ.

وإذا أضيف إلى هذا من رآه في الغيبة الصغرى تكون ولادته أظهر من الشمس، وبما أنّ كتابنا هذا لا يسع ذكر أسماء من رأى الحجّة في حياة الإمام

١. الصواعق المحرقة:٢٠٨.
٢. الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي:١٧٩، طبع المطبعة الأدبية بمصر.
٣. لاحظ: منتخب الأثر:٢/٣٦٩ـ ٣٩٤.

العسكري وبعد رحيله إلى نهاية الغيبة الصغرى التي انتهت عام ٣٢٩هـ، ومن رآه في الغيبة، فنحيل القارئ الكريم إلى الكتب المؤلفة حول الإمام الثاني عشر.

بقي الكلام في أمر آخر وهو طول عمره الشريف.

طول عمر الإمام المهدي (عج)

إنّ من الأسئلة المطروحة حول الإمام المهدي، طول عمره في فترة غيبته، فإنّه ولد عام ٢٥٥هـ فيكون عمره إلى العصر الحاضر أكثر من ألف ومائة وخمسين عاماً، فهل يمكن في منطق العلم أن يعيش إنسان هذا العمر الطويل؟

الجواب:

من وجهين، نقضاً وحلّاً.

أمّا النقض: فقد دلّ الذكر الحكيم على أنّ شيخ الأنبياء عاش قرابة ألف سنة، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلّا خَمْسِينَ عاماً﴾.[1]

وقد تضمّنت التوراة أسماء جماعة كثيرة من المعمّرين، وذكرت أحوالهم في سِفْر التكوين.[2]

وقد قام المسلمون بتأليف كتب حول المعمّرين، ككتاب «المعمّرين» لأبي حاتم السجستاني، كما ذكر الصدوق أسماء عدّة منهم في كتاب «كمال

---

١. العنكبوت:١٤.

٢. التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الخامس، الجملة٥، وذكرت هناك أعمار آدم، وشيث، ونوح، وغيرهم.

الدين»[١]، والعلّامة الكراجكي في رسالته الخاصّة، باسم «البرهان على صحّة طول عمر الإمام صاحب الزمان»[٢]، والعلّامة المجلسي في البحار[٣]، وغيرهم.

وأمّا **الحلّ**: فإنّ السؤال عن إمكان طول العمر، يعرب عن عدم التعرّف على سعة قدرة الله سبحانه: ﴿وما قَدَروا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٤]، فإنّه إذا كانت حياته وغيبته وسائر شؤونه، برعاية الله سبحانه، فأي مشكلة في أن يمدّ الله سبحانه في عمره ما شاء، ويدفع عنه عوادي المرض ويرزقه عيش الهناء؟

وبعبارة أُخرى: إنّ الحياة الطويلة إمّا ممكنة في حدّ ذاتها أو ممتنعة، والثاني لم يقل به أحد، فتعيّن الأوّل، فلا مانع من أن يقوم سبحانه بمدّ عمر وليّه، ليمارس دوره العظيم في تحكيم منهج الله في الأرض، وإصلاح البشرية وإنقاذها من الويلات والنكبات.

أضف إلى ذلك ما ثبت في علم الحياة، من إمكان طول عمر الإنسان إذا كان مراعياً لقواعد حفظ الصحّة، وأنّ موت الإنسان في فترة متدنية، ليس لقصور الاقتضاء، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة، ولو أمكن تحصين الإنسان منها بالأدوية والمعالجات الخاصّة، لطال عمره ما شاء الله.

وهناك كلمات ضافية من مَهَرة علم الطب في إمكان إطالة العمر، وتمديد حياة البشر، نشرت في الكتب والمجلات العلمية المختلفة.[٥]

---

١. كمال الدين:٥٥٥.

٢. البرهان على صحّة طول عمر صاحب الزمان، ملحق بـ«كنز الفوائد»، له. أيضاً الجزء الثاني. لاحظ في ذكر المعمّرين:١١٤ـ ١٥٥.

٣. بحار الأنوار:٥١/٢٢٥ـ ٢٩٣، الباب١٤.

٤. الأنعام:٩١.

٥. لاحظ: مجلة المقتطف، الجزء الثالث من السنة التاسعة والخمسين.

وبالجملة، اتّفقت كلمة الأطباء على أنّ رعاية أُصول حفظ الصحّة، توجب طول العمر، فكلّما كثرت العناية برعاية تلك الأُصول، طال العمر، ولأجل ذلك نرى أنّ الوفيات في هذا الزمان، في بعض الممالك، عن عمر قصير، أقلّ من السابق، والمعمّرين فيها أكثر من ذي قبل، وما هو إلّا لرعاية أُصول الصحّة، ومن هنا أُسّست شركات تضمن حياة الإنسان إلى أمد معلوم تحت مقرّرات خاصّة وحدود معيّنة، جارية على قوانين حفظ الصحّة، فلو فرض في حياة شخص اجتماع موجبات الصحّة من كلّ وجه، طال عمره إلى ما شاء الله.

وإذا كان (هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ المنتظر يبدو غريباً في حدود المألوف حتى اليوم في حياة الناس وفي ما أُنجز فعلاً من تجارب العلماء، أوَ ليس الدور التغييري الحاسم الذي أُعدّ له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة الناس، وما مرّت بهم من تطورات التاريخ؟

أوَ ليس قد أُنيط به تغيير العالم، وإعادة بنائه الحضاري من جديد على أساس الحق والعدل؟ فلماذا تستغرب إذا اتّسم التحضير لهذا الدور الكبير ببعض الظواهر الغريبة، الخارجة عن المألوف كطول عمر المنقذ المنتظر؟ فإنّ غرابة هذه الظواهر وخروجها عن المألوف مهما كان شديداً، لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعود إنجازه.

فإذا كنّا نستسيغ ذلك الدور الفريد تاريخياً على الرغم من أنّه لا يوجد دور مناظر له في تاريخ الإنسان، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة؟)[1].

---

١. بحث حول المهدي للشهيد السيد محمد باقر الصدر: ٣٥ـ٣٦ (مطبوع في مقدمة كتاب ☜

إشكالات ابن تيمية والجواب عنها

بعد هذه المقدّمة الهامّة حول موضوع الإمام المهدي المنتظر عليه السلام نعود إلى ما ذكره ابن تيمية في هذا الصدد، حيث عمد إلى إنكار ولادة الإمام المهدي، وإمامته، وطول عمره خلال هذه الأزمنة، ولنذكر منها ما هو المهم من إشكالاته ثم نجيب عنها:

***

الإشكال الأوّل: الحسن العسكري لم يكن له نسل ولا عقب

قال ابن تيمية: قد ذكر محمد بن جرير الطبري وعبد الباقي بن قانع وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ: أنّ الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب.(١)

وذكره في أوّل كتابه حيث قال: إنّ الحسن بن علي العسكري لم ينسل ولم يُعقب، كما ذكر ذلك محمد بن جرير الطبري وعبد الباقي بن قانع وغيرهما من أهل العلم بالنسب.(٢)

أقول: إنّ ابن تيمية أحال إلى تاريخ الطبري ولم يذكر أنّه في أي جزء وفي أي موضع ذكر أنّ الحسن بن علي العسكري لم ينسل، وكذلك الأمر في عبد الباقي بن قانع وأنّه في أي كتاب من كتبه ذكر ذلك؟! وعلى كلّ تقدير هل ذكرا ذلك بالإسناد أو ذكراه بالإرسال، وعلى التقدير الأوّل فهل السند

☜ تاريخ الغيبة الصغرى للشهيد السيد محمد الصدر).

١. منهاج السنّة:٨٧/٤، وفي طبعة بولاق: ١٣١/٢.

٢. منهاج السنّة: ١٢٢/١، وفي طبعة بولاق: ٣٠/١.

صحيح أو لا، ومع هذه الإبهامات لا يمكن أن يستند إلى هذه النسب.

ومن المدهش حقاً، أن يذكر ابن تيمية عبد الباقي بن قانع، ويعتمد عليه في مثل هذه الأُمور، فلا هو من أصحاب العلم بالأنساب والتواريخ(كما يزعم ابن تيمية)، ولا هو من معاصري الإمام العسكري، ولا هو ممّن برئ من النقد والتجريح!!

ولابدّ، هنا، من الوقوف على أحوال هذا الرجل، للتأكّد من صحّة ما ذكرناه.

ولد عبد الباقي بن قانع سنة (٢٦٦هـ)، وقيل: سنة (٢٦٥هـ)، أي بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام بستّ أو خمس سنوات. وتوفّي سنة (٣٥١هـ)، وقيل: سنة (٣٥٤هـ).

قال الدارقطني: كان يحفظ، ولكنّه يخطئ ويصيب.

وقال البرقاني: هو عندي ضعيف، ورأيت البغداديين يوثّقونه.

واعترض الخطيب البغدادي على كلام البرقاني، وقال: لا أدري لماذا ضعّفه البرقاني، فقد كان ابن قانع من أهل العلم والدراية، ورأيت عامة شيوخنا يوثّقونه، وقد تغيّر في آخر عمره.

وقال أبو الحسن بن الفرات: حدث به اختلاط قبل موته بستتين.

وقال ابن فتحون في ذيل الاستيعاب: لم أر أحداً ممّن ينسب إلى الحفظ أكثر أوهاماً منه، ولا أظلم أسانيد، ولا أنكر متوناً، وعلى ذلك فقد روى عنه الجلّة ووصفوه بالحفظ منهم أبو الحسن الدارقطني فمن دونه، قال: وكنت سألت الفقيه أبا يعلىٰ يعني الصدفي في قراءة معجمه عليه، فقال لي: فيه

أوهام كثيرة، فإن تفرّغت إلى التنبيه عليها فافعلْ. قال: فخرّجتُ ذلك وسمّيته: «الإعلام والتعريف ممّا لابن قانع في معجمه من الأوهام والتصحيف».[1]

أفيمكن ـ مع كلّ ما تقدّم ـ أن يُستند إلى قول مَن هذا شأنه في نفي وجود نسل أو عقب للحسن العسكري؟ هذا إذا صحّ عنه أنّه نفىٰ ذلك.

ثمّ إنّ محقق كتاب منهاج السنّة، أعني الدكتور محمد رشاد سالم، ذكر في تعليقته ما زاد على الإبهام إبهاماً، وقال:

أشار الأُستاذ محب الدين الخطيب في تعليقته على المنتقى من منهاج الاعتدال تعليق (٢) ص ٣ إلى واقعة حدثت سنة ٣٠٢ هـ، وهي مذكورة في تاريخ الطبري، تبيّن أنّ الحسن العسكري لم يعقب ثم قال: وذكر الواقعة عريب بن سعد القرطبي في «صلة تاريخ الطبري»:٣٤/٨ـ ٣٥، طبعة القاهرة ١٩٣٩/١٣٥٨.

أقول: قد استشهد محقّق الكتاب بهذين الأمرين:

١. ما أشار إليه محب الدين الخطيب وأنّه مذكور في تاريخ الطبري.

٢. أنّ عريب بن سعد القرطبي ذكر الواقعة التي أشار إليها محب الدين الخطيب.

فلندرس هذين الشاهدين:

الأوّل: أي قوله: إنّ محب الدين الخطيب أشار إلى الواقعة التي حدثت سنة ٣٠٢هـ، وهي «تبيّن أنّ الحسن العسكري لم يعقب وهي مذكورة في تاريخ الطبري»، فهذه الإشارة غير صحيحة جزماً، فهذا هو تاريخ الطبري بين

---

١ . ميزان الاعتدال:٥٣٢/٢، برقم ٤٧٣٥؛ ولسان الميزان:٣٨٣/٣، برقم ١٥٣٦؛ والأعلام:٢٧٢/٣.

أيدينا، قد بدأ ببيان حوادث سنة (٣٠٢هـ) في ص ٢٥٦ من الجزء الثامن وأتمها في ص ٢٥٨ وليس فيها أي ذكر لهذه الواقعة التي تتضمن أنّ الحسن العسكري لم يعقب.

الثاني: أعني ما ذكره في صلة تاريخ الطبري.

أقول: جاء في ذيل الجزء الثامن الذي يبتدأ من سنة ٢٩١ـ ٣٢٠هـ، ما أشار إليه المحقق محمد رشاد سالم، وفيه (يعني عام ٣٠٢هـ) قال:

جاء رجل حسن البزّة، طيّب الرائحة إلى باب غريب خال المقتدر وعليه درّاعة وخف أحمر وسيف جديد بحمائل وهو راكب فرساً ومعه غلام فاستأذن للدخول فمنعه البواب، فانتهره وأغلظ عليه ونزل فدخل ثم قعد إلى جانب الخال وسلّم عليه بغير الإمرة، فقال له غريب وقد استبشع أمره: ما تقول أعزّك الله؟ قال: أنا رجل من ولد علي بن أبي طالب، وعندي نصيحة للخليفة.

إلى أن قال: حتى أُدخل على الخليفة وأُخذ سيفه وتنحّىٰ الغلمان والخدم فأخبر المقتدر بشيء لم يقف عليه أحد، ثم أمر به إلى منزل أُقيم له، وخلع عليه ما يلبسه ووكل به خدم يخدمونه، وأمر المقتدر أن يحضر ابن طومار نقيب الطالبيين... إلى أن قال: فلمّا حضر فسأله ابن طومار عن نسبته فزعم أنّه محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الرضا وأنّه قدم من البادية.

فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن، وكان قوم يقولون أنّه أعقب، وقوم قالوا: لم يعقب...إلى آخر القصة.[1]

---

١. صلة تاريخ الطبري: ٨/٣٤ـ٣٥.

يلاحظ على القصة ما يلي:

١. أنّ مؤلف الصلة كان من أهل قرطبة، وقد توفّي سنة (٣٦٩هـ)[١]، فهو لم يشهد القصة لبُعد بلاده، ولطول الفترة الزمنية الممتدّة بين وفاته وبين وقوعها في سنة (٣٠٢هـ)، كما أنّه لم يذكر سنداً لها حتى نتعرّف على مكانة راويها في الجرح والتعديل، ويمكن أن تكون من أكاذيب القصّاصين ومختلقات الكذّابين.

٢. لو سلّمنا أنّ ابن طومار رجل ثقة خبير بالأنساب، فإنّ المنفي في كلامه هو عدم إعقاب الحسن بن علي بن موسى بن جعفر الرضا، وأين هذا من عدم إعقاب الحسن (العسكري) بن علي بن محمد بن علي الرضا؟

٣. لو ذهبنا بعيداً وافترضنا أنّ القصة صحيحة وقد وقعت فعلاً، وافترضنا، أيضاً، أنّ المراد بنفي إعقابه في القصة، هو الحسن العسكري، وأنّه حصل خطأ في سلسلة النسب المذكورة فيها، فإنّ نفي إعقابه، مطلقاً، على ضوء هذه القصة، لا يتمّ للاحتمال التالي، وهو:

أنّ ابن طومار كان يعلم بأنّ الحسن العسكري عليه السلام قد أعقب، ولكنّه كان يجاري السلطة الحاكمة في نفي إعقابه، لأنّ مخالفتها في ذلك، سيسبّب له الأذى والمتاعب، وربما القتل، ولا يمكن أن يكون هو بهذه السذاجة حتى يكشف عن هذا الأمر أمام السلطة الجائرة التي كانت تقلقها جداً، الأخبار التي

---

١. قال الزركلي في ترجمة عريب: طبيب مؤرخ، من أهل قرطبة. من أصل نصراني. أسلم آباؤه واستعربوا وعرفوا ببني التركي. استعمله الناصر(سنة ٣٣١ هـ) على كورة أشونة. واستكتبه المستنصر(الحكم) وارتفعت منزلته عند الحاجب المنصور (أبي عامر) فسمّاه «خازن السلاح»... ثم ذكر وفاته في السنة المذكورة. الاعلام:٤/٢٢٧.

تتحدث عن وجود ابن للعسكريّ، يطيح بعروش الظالمين، ويبسط القسط والعدل بين الناس.

ثمّ لو افترضنا أنّ ابن طومار نفىٰ وجود عقب للإمامعليه السلام عن علم، فإنّ قوله هذا ليس بحجّة، ففي قباله قول مشهور يُثبت وجوده، والقصة نفسها قد تحدّثت عن ذلك، فقد جاء فيها: (**وكان قوم يقولون أنّه أعقب**، وقوم قالوا: لم يعقب)، وابن طومار لم يكن، في هذا الأمر، بأعلم منه بأصحاب الإمام العسكري وخواصّه، الذين سمعوا منه خبر ولادة ابنه المهدي، ورآه جماعة منهم.

ولعمر القارئ أنّ الاستناد على هذه النقولات الضعيفة أشبه بتمسّك الغريق بكل قشّة.

الإشكال الثاني: الحاجة إلى من يحضن المهدي بعد ولادته

قال: لو كان هذا موجوداً معلوماً لكان الواجب في حكم الله الثابت بنصّ القرآن والسنة والإجماع أن يكون محضوناً عند من يحضنه في بدنه كأُمّه وأُمّ أُمّه ونحوهما من أهل الحضانة، وأن يكون ماله عند من يحفظه إمّا وصي أبيه إن كان له وصي وإمّا غير الوصي إما قريب وإما نائب لدى السلطان، فإنّه يتيم لموت أبيه.[١]

يلاحظ عليه: أنّ ابن تيمية يتصور أنّ الإمام المهدي في أيام صباه كسائر الصبيان، يجب أن يوجد له من يحضنه ويحفظ أمواله إلى غير ذلك من شؤون الأيتام.

---

١. منهاج السنّة:٤/٨٩، وفي طبعة بولاق:٢/١٣٢.

ولكنّه خفي عليه أنّ هذا صبي غير عادي، فالله سبحانه هو الحافظ لكلّ شؤونه. كيف يقول ذلك، مع أنّ الخلافة العباسية كانت له بالمرصاد فعندما انتشر خبر وفاة الإمام العسكري بعثوا إلى داره وفتشوها وكبسوا كلّ ما فيها وطلبوا إثر ولده، حتى جاءوا بالنساء اللواتي كنّ في بيت الإمامعليه السلام، أفيمكن أن تكون حياته حياة سائر الصبيان حتى تحضنه أُمّه أو أمّ أُمّه... الخ؟!

إنّ الإمام المهدي كان أمانة إلهية والله سبحانه حفظه بعلمه وقدرته من دون أن يحتاج إلى حضانة حاضن أو ولاية ولي.

الإشكال الثالث: عدم الانتفاع بوجوده

قال ابن تيمية: سواء قُدّر وجوده أو عدمه، لا ينتفعون به لا في دين ولا في دنيا، فإنّ المؤمنين به لم ينتفعوا به، ولا حصل لهم به لطف ولا مصلحة، والمكذّبون به يعذّبون (عندهم) على تكذيبهم به، فهو شرٌّ محض لا خير فيه.[1]

والجواب: أنّ أولياء الله بين ظاهر قائم بالأُمور، وبين مختف قائم بها من دون أن يعرفه الناس، وكتاب الله العزيز يشهد على وجود هذين النوعين: ظاهر مشهور باسط اليد تعرفه الأُمة وتقتدي به وتستضيء بضوئه وتبصر بنوره، وغائب مستور، لا يعرفه حتّى نبي زمانه، كما يخبر سبحانه عن مصاحب موسىعليه السلام بقوله: **﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾**.[2]

---

١. منهاج السنّة:٤/٨٩ـ ٩٠، وفي طبعة بولاق:٢/١٣٢.

٢. الكهف:٦٥ـ٦٦.

فالقرآن إذن يدلّ على أنّ الولي ربما يكون غير معروف للناس حتى الأنبياء منهم، ومع ذلك لا يعيش في غفلة عن الناس بل يتصرف في مصالحهم ويرعىٰ شؤونهم من دون أن يعرفوه. فعلى ضوء الكتاب الكريم، يصحّ لنا أن نقول بأنّ الوليّ إمّا أن يكون وليّاً حاضراً مشاهداً، أو غائباً محجوباً.

وإلى ذلك يشير الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كلامه لكميل بن زياد النخعي: «اَللَّهُمَّ بَلَىٰ! لَا تَخْلُو ٱلْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ ٱللهِ وَبَيِّنَاتُهُ. »[1]

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّه يمكن أن تحلّ المشكلة بوجوه:

الأوّل: إنّ عدم علمنا بفائدة وجوده في زمن غيبته، لا يدلّ على عدم كونه مفيداً في زمن غيبته، فالمستشكل جَعَلَ عدم العلم طريقاً إلى العلم بالعدم!! وكم لهذا الإشكال من نظائر في التشريع الإسلامي، فيقيم البسطاء عدم العلم بالفائدة، مقام العلم بعدمها، وهذا من أعظم الجهل في تحليل المسائل العلمية، ولا شكّ أنّ عقول البشر لا تصل إلى كثير من الأُمور المهمّة في عالم التكوين والتشريع، بل لا تفهم مصلحة كثير من سننه، وإن كان فعله سبحانه منزّهاً عن العبث، بعيداً عن اللغو.

ويأتي في إطار القضايا التي قد لا تُعرَف الفائدة منها، ولا تُدرَك المصلحة فيها، قصة رفع النبي عيسى عليه السلام إلى السماء، قال تعالىٰ حكاية عن اليهود: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ﴾ فردّ عليهم

---

١ ـ نهج البلاغة:١٨٦/٣، قصار الحكم، برقم ١٤٧.

بقوله:﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...﴾، ثم قال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِليهِ وَكانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.(١)

وهنا يتساءل المرء عن حكمة رفعه إلى السماء، وعن فائدة بقائه حيّاً منذ أن رُفع إلى أن ينزل في آخر الزمان، فلا يكاد يجد جواباً شافياً، وما عليه إلّا التسليم لذلك... التسليم النابع من الإيمان العميق الواعي بأنّ كلّ أمر لحكمة.

يذكر أنّ المشهور بين المسلمين أنّ عيسىٰ عليه السلام حيّ، وأنّه سينزل في آخر الزمان، وعند ظهور المهدي، وأنّ نزوله من أشراط الساعة.

وقد وردت في هذا الشأن أحاديث كثيرة، رواها الحفّاظ والمحدّثون، ومنهم البخاري ومسلم، اللّذان خصّصا لها باباً في صحيحيهما سمّياه (باب نزول عيسى عليه السلام)، وإليك ما جاء في هذا الباب من صحيح البخاري:

١. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«والذي نفسي بيده، ليوشكنّ أن يَنزل فيكم ابنُ مريم حَكَماً عَدْلاً...» ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم:﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إلّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهيداً﴾(٢).(٣)

قال ابن حجر العسقلاني، وهو يشرح الرواية المذكورة: قوله «حَكَماً» أي حاكماً، والمعنى أنّه ينزل حاكماً بهذه الشريعة، فإنّ هذه الشريعة باقية لا تُنسخ، بل يكون عيسى حاكماً من حكّام هذه الأُمّة.(٤)

---

١. النساء:١٥٧ـ ١٥٨. ٢. النساء:١٥٩.

٣. صحيح البخاري:٤٠٢/٢، باب ٥١، برقم ٣٤٤٨. طبعة دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ وانظر: صحيح مسلم:٩٣/١.

٤. فتح الباري:٤٩١/٦.

٢. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامُكم منكم». (١)

هذا وقد جزم كثير من الحفّاظ والعلماء بأنّ عيسى عليه السلام ينزل من السماء، وأنّه يقتدي بالمهدي عليه السلام في صلاته.

قال الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين السِّجزي الآبري الشافعي (المتوفّى ٣٦٣هـ): تواترت الأخبار بأنّ المهدي من هذه الأُمّة، وأنّ عيسى يصلّي خلفه. (٢)

وقال الحافظ السيوطي (المتوفّى ٩١١هـ): إنّ صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث صحيحة. (٣)

وقال المحدّث محمد بن أحمد السفاريني النابلسي الحنبلي (المتوفّى ١١٨٨هـ): قد أجمعت الأُمّة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنّما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممّن لا يعتدّ بخلافه، وقد انعقد إجماع الأُمّة على أنّه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية. (٤)

وقال القاضي الشوكاني (المتوفّى ١٢٥٠هـ): الأحاديث الواردة في نزول عيسى بن مريم متواترة. (٥)

---

١. صحيح البخاري: ٢/٤٠٢، برقم ٣٤٤٩. وانظر: صحيح مسلم: ١/٩٤.

٢. ذكره في كتابه «مناقب الشافعي»، ونقله عنه ابن حجر في «فتح الباري»: ٦/٤٩٣ـ٤٩٤.

٣. نقله عنه مرعي المقدسي في «فرائد فوائد الفكِر»: ٢٣٠.

٤. ذكره في «لوامع الأنوار الإلهية»، ونقله عنه السيد محمد صديق القنوجي في كتابه «الإذاعة»: ١٨٢.

٥. نقله عنه القنوجي في كتابه «الاذاعة»: ١٨٢.

وقال السيد محمد صديق القنوجي البخاري(المتوفّى ١٣٠٧هـ): ونزوله ثابت في الكتاب والسنّة وإجماع الأُمّة.[١]

الثاني: إنّ الغَيبة لا تلازم عدم التصرف في الأُمور، وعدم الاستفادة من وجوده، فقد قلنا: إنّ مصاحب موسى كان وليّاً، لجأ إليه أكبر أنبياء الله في عصره، فقد خرق السفينة التي يمتلكها المستضعفون ليصونها عن غصب الملك، ولم يَعْلَم أصحاب السفينة بتصرّفه، وإلّا لصدُّوه عن الخرق، جهلاً منهم بغاية علمه. كما أنّه بنى الجدار، ليصون كنز اليتيمين، فأي مانع حينئذٍ من أن يكون للإمام الغائب في كلّ يوم وليلة تصرّف من هذا النمط من التصرّفات. ويؤيد ذلك ما دلّت عليه الروايات من أنّه يحضر الموسم في أشهر الحج، ويحجّ ويصاحب الناس، ويحضر المجالس، كما دلّت على أنّه يغيث المضطرين، ويعود المرضى، وربّما يتكفّل ـ بنفسه الشريفة ـ قضاء حوائجهم، وإن كان الناس لا يعرفونه.

الثالث: المُسَلّم هو عدم إمكان وصول عموم الناس إليه في غَيبته، وأمّا عدم وصول الخواص إليه، فليس بأمر مسلّم، بل الذي دلّت عليه الروايات خلافه، فالصلحاء من الأُمّة الذين يُستَدَرُّ بهم الغمام، لهم التشرّف بلقائه، والاستفادة من نور وجوده، وبالتالي تستفيد الأُمّة بواسطتهم.

الرابع: لا يجب على الإمام أن يتولّى التصرّف في الأُمور الظاهرية بنفسه، بل له تولية غيره على التصرّف في الأُمور كما فعل المهدي ـ أرواحنا له الفداء ـ في غَيبته. ففي الغيبة الصغرى، كان له وكلاء أربعة، يقومون بحوائج

١ . الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة:١٨٠.

الناس، وكانت الصلة بينه وبين الناس مستمرّة بهم. وفي الغيبة الكبرى نصب الفقهاء والعلماء العدول العالمين بالأحكام، للقضاء وتدبير الأُمور، وإقامة الحدود، وجعلهم حجّة على الناس، فهم يقومون في عصر الغيبة بصيانة الشرع عن التحريف، وبيان الأحكام، ودفع الشبهات، وبكلّ ما يتوقّف عليه نظم أُمور الناس.[١]

وإلى هذه الأجوبة أشار الإمام المهدي عليه السلام في آخر توقيع له إلى بعض نوّابه، بقوله: «**وأمّا وجهُ الانتفاع بي في غَيبتي، فكالانتفاع بالشَّمسِ إذا غيّبَها عن الأبصار السحاب**».[٢]

وبهذا يظهر الجواب عن إشكال ابن تيمية بأنّه ما فائدة الإمام الغائب، فقد ذكر القرآن الكريم أنّ موسى غاب عن قومه قرابة أربعين يوماً[٣]، وكان نبيّاً وليّاً ، وهذا يونس كان من أنبياء الله سبحانه، ومع ذلك فقد غاب في الظلمات.[٤]

---

١ . المراد من الغيبة الصغرى، غيبته ـ صلوات الله عليه ـ منذ وفاة والده عام ٢٦٠هـ إلى عام ٣٢٩هـ، وقد كانت الصلة بينه وبين الناس مستمرة بواسطة وكلائه الأربعة: الشيخ أبي عمرو عثمان بن سعيد العمري، وولده الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان، والشيخ أبي القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت، والشيخ أبي الحسن علي بن محمد السَّمري.
والمراد من الغيبة الكبرى: غيبته من تلك السنة إلى زماننا هذا، انقطعت فيها النيابة الخاصّة عن طريق أشخاص معينين، وحلّ محلّها النيابة العامّة بواسطة الفقهاء والعلماء العدول، كما جاء في توقيعه الشريف:«وأمّا الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم» (كمال الدين: ٤٨٤ ، الباب ٤٥).

٢ . كمال الدين:٤٨٥، الباب ٤٥، الحديث ٤. وقد ذكر العلّامة المجلسي في وجه تشبيهه بالشمس إذا سترها السحاب، وجوهاً، راجعها في بحارالأنوار:٥٢/٩٣ـ٩٤، الباب ٢٠.

٣ . لاحظ : الأعراف:١٤٢.

٤ . لاحظ : الأنبياء:٨٧ ـ ٨٨.

فما فائدة نبي يغيب عن الأبصار، ويعيش بعيداً عن قومه؟!

وهل يمكن لابن تيمية وأتباعه أن يقولوا:إنّه لم يحصل بموسى ويونس لطف ولا مصلحة في حال غيبتهما؟

وبذلك تعرف الوقاحة في كلامه والتي تشير إلى نصبه وعدائه حيث قال: بل إن قُدّر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلاً، فإنّ المؤمنين به لم ينتفعوا به، ولا حصل لهم به لطف ولا مصلحة، والمكذبون به يعذبون ـ عندهم ـ على تكذيبهم به، فهو شرّ محض لا خير فيه.[1]

الإشكال الرابع: سبب عدم غيبة آبائه عليهم السلام

قال : إذا قالوا بأنّ الناس بسبب ظلمهم احتجب عنهم. قيل:

أوّلاً: كان الظلم موجوداً في زمن آبائه ولم يحتجبوا.

ثانياً: فالمؤمنون به طبّقوا الأرض فهلا اجتمع بهم في بعض الأوقات أو أرسل إليهم رسولاً يعلمهم شيئاً من العلم والدين.

ثالثاً: قد كان يمكنه أن يأوي إلى كثير من المواضع التي فيها شيعته كجبال الشام.

رابعاً: إذا كان هو لا يمكنه أن يذكر شيئاً من العلم والدين لأحد، لأجل هذا الخوف، لم يكن في وجوده لطف ولا مصلحة، فكان هذا مناقضاً لما أثبتوه، بخلاف من أُرسل وكذِّب فإنّه بلّغ الرسالة.[2]

---

١. منهاج السنّة:٩٠/٤، وفي طبعة بولاق:١٣٢/٢.

٢. منهاج السنّة: ٩١/٤، وفي طبعة بولاق : ١٣٢/٢.

يلاحظ على الأوّل: أنّ سبب احتجابه ليس هو الظلم السائد في الأُمّة فحسْب، حتى يقال: إنّ الظلم كان موجوداً أيام آبائه ولم يحتجبوا، بل إنّ الله تعالى قد ادّخره صلوات الله عليه لليوم الموعود، اليوم الذي يخوض فيه معركة العدل الإلهي، وينجز فيه رسالته الإصلاحية الكبرىٰ في العالم كلّه، بعد أن تضجّ الأرض من الظلم والجور، ويسود اليأس في النفوس، من عامّة الأنظمة البشرية.

وما لم تتهيّأ الأرضية الصالحة لظهوره، فسيبقىٰ مختفياً عن أعين الناس عائشاً بينهم من دون أن يعرفوه، وبذلك يصان عن الاغتيال والقتل على خلاف آبائه حيث إنّهم إمّا قتلوا بالسيف أو بالسمّ.

ويلاحظ على الثاني: بأنّ الفقهاء العظام الذين تربّوا على منهج أهل البيت عليهم السلام وتعلّموا الكتاب والسنّة عن طريقهم يقومون بتعليم الشيعة وهدايتهم إلى المثل العليا، فلا حاجة إلى أن يقوم الإمام بإرسال رسول خاص يعلّم الشيعة الدين والعلم.

ويلاحظ على الثالث: أنّ ما ذكره من إمكان أن يأوي إلى المواضع التي فيها شيعته، نابع عن ضيق أفقه، وجهله بمكانة المهدي ورسالته الإصلاحية العالمية، فليس هو معلم كتاتيب ـ كما في تصوّر ابن تيمية الساذج ـ يظهر في منطقة آمنة يعلّمهم الكتاب والسنّة، وإنّما هو صاحب دور فريد أعدّه الله تعالى للنهوض به علىٰ مستوى العالَم، إذ علىٰ يديه يتحقّق النصر الأعظم على القوى الظالمة، فيقهر الطغاة والجبابرة ويقطع دابر المفسدين، ويقود الأُمم جميعاً إلى شاطئ العدل والرخاء والسلام.

نعم، إنّه «يعمل بسنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يترك سنّة إلّا أقامها، ولا بدعة إلّا

رفعها، يقوم بالدين آخر الزمان، كما قام النبيﷺ أوّله، يملك الدنيا كلّها... يردّ إلى المسلمين أُلفتهم ونعمتهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً... يقسم المال صحاحاً بالسويّة، يَرضىٰ عنه ساكن السماء وساكن الأرض... تَنعَمُ الأُمّة برُّها وفاجرها في زمنه نعمة لم يُسمع بمثلها قطّ... تجري علىٰ يديه الملاحم، يستخرج الكنوز، ويفتح المدائن ما بين الخافقَين... يأوي إليه الناس كما تأوي النحل إلى يعسوبها... وتطول الأعمار [في زمنه] وتؤدّى الأمانة، وتهلك الأشرار، ولا يبقىٰ من يُبغض آل محمدﷺ».[1]

قارن، عزيزي القارئ، بين هذه العبارات التي استقاها العلّامة السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي الشافعي، من الروايات والأخبار الواردة حول المهدي، وبين عبارة ابن تيمية: (كان يمكنه [يعني المهدي] أن يأوي إلى كثير من المواضع التي فيها شيعته، كجبال الشام التي كان فيها الرافضة عاصية، وغير ذلك من المواضع العاصية)[2]، لكي يتبيّن لك مستوى تفكير شيخ الإسلام!! ومبلغ إدراكه لدور منقذ البشرية في اليوم الموعود.

ويلاحظ على الرابع: أعني ما ذكره من عدم وجود لطف ولا مصلحة في وجوده، فقد عرفت فيما سبق أنّ الوليّ الخفيّ له لطف وتصرّف وخدمة للناس، وإن كانوا لا يعرفونه بعينه...

وأمّا تشبيه وجود الإمام بمن أُرسل من الأنبياء وكُذّب فقياس مع الفارق لأنّهم أُرسلوا وكذّبوا فقتلوا، ولكن مشيئة الله تعلّقت على إيمان الناس به في غيبته وفي الوقت نفسه صيانته وحفظه من كل شرّ ومكروه يتوجّه إليه.

١. الإشاعة لأشراط الساعة: ١٨٠ـ١٨١.
٢. منهاج السنة: ٤/ ٩٠، وفي طبعة بولاق: ٢/ ١٣٢.

الإشكال الخامس: الانتظار يختص بالطائفة الإمامية

يقول: هذا المنتظر لم يحصل به لطائفته إلّا الانتظار لمن لا يأتي، ودوام الحسرة والألم، والدعاء الذي لا يستجيبه الله، لأنّهم يدعون له بالخروج والظهور من مدة أكثر من أربعمائة وخمسين سنة لم يحصل شيء من هذا.[١]

يلاحظ عليه: أوّلاً: إنّ انتظار الإمام المهدي لا يختصّ بالطائفة الإمامية، بل يعمّ طوائف أهل السنّة وغيرهم (إلّا من شذّ منهم)، وإنّما الفرق هو أنّ الإمامية ينتظرون ظهور إمام موجود، ولكنّه غائب عن أعين الناس، وأنّ أكثر أهل السنّة ينتظرون يوم مولد الإمام في آخر الزمان، ويوم نهضته المباركة التي يقيم فيها دولة العدل الإلهي على البسيطة كلّها، وهم ـ كالإمامية ـ يدعون الله تعالى بأن يفوزوا بطلعته الشريفة، ويدركوا أيام دولته الغرّاء لينعموا بأفياء عدلها وخيراتها.

وممّا يدلّ على إيمان أهل السنّة بفكرة الانتظار، هو إطلاق وصف المنتظر على المهدي من قبل علمائهم وكتّابهم، واستعمالهم هذا الوصف عند تسمية مؤلفاتهم، وممّن قام بذلك:

١. الشيخ يوسف بن يحيى السلمي المقدسي الشافعي، وسمّىٰ كتابه: «عقد الدرر من أخبار المهدي المنتظر ـ ط»، أتمّ تأليفه سنة (٦٨٥هـ).

٢. الفقيه ابن حجر الهيتمي المكّي (المتوفّى ٩٧٤هـ)، وسمّىٰ كتابه: «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر ـ ط».

٣. الشيخ يوسف بن مرعي الحنبلي (المتوفّى ١٠٣٣هـ)، وسمّىٰ كتابه:

---

١. منهاج السنّة:٩١/٤، وفي طبعة بولاق:١٣٢/٢.

«فرائد فوائد الفِكَر في الإمام المهدي المنتظر ـ ط».

٤. القاضي الشوكاني (المتوفّى ١٢٥٠هـ)، وسمّىٰ كتابه: «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجّال والمسيح».

٥. السيد عبد الله بن محمد بن الصدّيق الغماري المغربي، وسمّىٰ كتابه: «المهدي المنتظر ـ ط».

٦. الشيخ حمود بن عبد الله التويجري، وسمّىٰ كتابه: «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر ـ ط».

٧. الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد آل بدر العنزي، وسمّى رسالته: «عقيدة أهل السنّة والأثر في المهدي المنتظر».

٨. الدكتور محمد فريد حجاب، وسمّىٰ كتابه: «المهدي المنتظر بين العقيدة الدينية والمضمون السياسي ـ ط».

وثانياً: إذا كان ابن تيمية لا يُدرك فلسفة الانتظار، ولا الآثار الإيجابية المترتّبة عليه، فأيّ لَوم يقع على المنتظِرين؟ وأيّ جُناح عليهم في ذلك؟!

وإذا كانت الروايات تتحدّث عن فضل انتظار بعض التكاليف الإلهية (رغبةً في أدائها)، فما بالك بفضل انتظار قيام دولة الحق والعدل، التي يُطبَّق فيها الإسلام على كلّ البشر، وتقام فيها جميع التكاليف الإلهية دون خوف أو وجل؟

روى الحاكم بإسناده عن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنّه خرج ذات ليلة وقد أخّر صلاة العشاء حتى ذهب من الليل هنيهة أو ساعة، والناس ينتظرون في المسجد، فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: ننتظر الصلاة، فقال:

«إنّكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتموها... ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: النجوم أمان لأهل السماء... وأنا أمان لأصحابي، فإذا قُبضت أتىٰ أصحابي ما يوعَدون، وأهل بيتي أمان لأُمّتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتىٰ أُمّتي ما يوعَدون».(١)

هذا فيما يتعلق بانتظار الصلاة، أمّا الروايات التي تحثّ على انتظار الفرج، وتؤكد على أنّه أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ، وأنّه أفضل العبادة، فكثيرة، لا سيّما ما ورد فيها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وإليك بعض الروايات الواردة في هذا الشأن:

١. روى الشيخ الصدوق باسناده عن موسى بن بكر الواسطي، عن أبي الحسن (الكاظم)، عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أفضل أعمال أُمّتي انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ».(٢)

٢. روى الترمذي باسناده عن أبي الأحوص، عن عبد الله(بن مسعود)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سَلوا الله من فضله فإنّ الله يحب أن يُسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج».(٣)

---

١ . المستدرك على الصحيحين:٤٥٧/٣.

٢ . كمال الدين:٦٤٤، الباب ٥٥، برقم٣.

٣ . سنن الترمذي: ١٠٢٤، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، باب في انتظار الفرج وغير ذلك، برقم٣٥٨٢.

قال المحدّث إسماعيل بن محمد العَجلوني الدمشقي: رواه الترمذي وابن أبي الدنيا في «الفَرَج» وأبو داود والنسائي والبيهقي في «شعب الإيمان» والعسكري في «الأمثال» والديلمي كلّهم عن ابن مسعود مرفوعاً، وحسّن إسناده ابن حجر في بعض حواشيه. وله طرق منها ما رواه ابن أبي ☜

٣. روى الشيخ الصدوق بإسناده عن أبي بصير، ومحمد بن مسلم، عن أبي عبد الله(الصادق)، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «المنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله».(١)

٤. روى القاضي محمد بن سلامة القضاعي الشافعي بإسناده عن نافع، عن ابن عمر، قال: «انتظار الفرج بالصبر عبادة».(٢)

ورواه أيضاً بإسناده عن مجاهد، عن ابن عباس رفعه.(٣)

وما هذا الاهتمام بانتظار الفرج(٤) إلّا لأنّه يكون سبباً لأن يقوم المنتظِر بتهيئة الأسباب المنتهية إليه، الموجبة له وإلّا فلو جلس ووضع يداً على يد وادّعى الانتظار فهو انتظار خاوٍ عن المعنى، فالمنتظِر الواقعي لفرج الإمام هو الذي يقوم بتهيئة الأسباب التي يستمد بها الإمام في جهاده مع المشركين.

نفترض أنّ إنساناً ينتظر قدوم ضيف نهاراً أو ليلاً فيقوم بلوازم الانتظار المعلومة، وإلّا فلو لم يعمل شيئاً فلا يصحّ أن يقال له أنّه ينتظر قدوم الضيف.

☜ الدنيا والبيهقي والديلمي عن عليّ رفعه (انتظار الفرج من الله عبادة)، ومنها ما رواه العسكري والقضاعي عن ابن عمر رفعه (انتظار الفرج بالصبر عبادة)، ومنها ما رواه البيهقي أيضاً عن ابن عباس رفعه (أفضل العبادة توقّع الفرج)، وأخرج القضاعي عن ابن عباس رفعه (انتظار الفرج بالصبر عبادة)، ومنها ما رواه الحكيم الترمذي في الأصل الثامن والخمسين: (الحياء زينة... وانتظار الفرج من الله عبادة). كشف الخفاء:١/٢٠٦ـ٢٠٧، برقم ٩٢٧.

١. كمال الدين:٦٤٥، الباب ٥٥، برقم ٦.

٢. مسند الشهاب:١/٦٢، برقم ٤٦.

٣. مسند الشهاب:١/٦٣، برقم ٤٧.

٤. للسيد الشهيد محمد بن محمد صادق الصدر بحث قيّم في إثبات اختصاص هذه الروايات بانتظار ظهور المهدي عليه السلام لا بانتظار الفرج بعد أيّ شدة، وفي بيان فضل الانتظار والمنتظرين، فراجعه. تاريخ الغيبة الكبرى:٣٦٢ـ٣٩١، طبعة دار التعارف، ١٤١٢هـ.

فالأُمّة المنتظِرة لخروج الإمام الغائب وفَرَجه لا تكون منفكّة عن العمل الصالح وإعداد الكوادر ليوم الفرج، فهذا النوع من الانتظار يحتوي من المعنى والأثر ما لا يحتويه شيء آخر.

وبتعبير السيد الشهيد محمد الصدر: «إنّ هذا الانتظار الكبير ليس إلّا انتظار الموعود، باعتبار ما يستتبعه من الشعور بالمسؤولية والنجاح في التمحيص الإلهي، والمشاركة في إيجاد شرط الظهور في نهاية المطاف.. كلّ ذلك لمن يشعر بهذا الانتظار ويكون على مستوىٰ مسؤوليته، بخلاف من لا يشعر به، بل يبقىٰ على مستوى المصلحة والأنانية... فإنّه لن ينال من هذه العبادة شيئاً.

ونستطيع بكلّ وضوح أن نعرف أنّه لماذا أصبح هذا الانتظار أساساً من أُسس الدين.. لأنّه مشاركة في الغرض الأساسي لإيجاد البشرية، ذلك الغرض الذي شارك فيه ركب الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً».(١)

وبذلك يظهر أنّ ما أشار إليه من أنّ دعاءهم لا يستجاب، غفلة عن الغاية من الدعاء، فالغاية منه هو إظهار الرغبة والميل إلى ظهوره وخروجه والاستشهاد بين يديه.

فاستشعار هذا المعنى نوع عبادة لله سبحانه، ووسيلة تقرّب إليه.

الإشكال السادس: طول عمره ممّا تكذبه العادة

قال: ثم إنّ عمر واحد من المسلمين هذه المدّة أمر يعرف كذبه بالعادة

---

١ . تاريخ الغيبة الكبرى:٣٦٣.

المطّردة في أُمّة محمد، فلا يعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشرين سنة، فضلاً عن هذا العمر، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنّه قال في آخر عمره: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإنّه على رأس مائة سنة منها لا يبقىٰ على وجه الأرض ممّن هو اليوم عليها أحد». فمن كان في ذلك الوقت له سنة ونحوها لم يعش أكثر من مئة سنة قطعاً.[1]

أقول: قد مضى الجواب عن هذا الإشكال (في فقرة: طول عمر الإمام المهدي)، وبيّنا هناك أنّ العمر بيد الله سبحانه يزيد فيه وينقص، وليس بعيداً عن قدرة الله تبارك وتعالى أن يعيش إنسان مئات السنين أو أزيد لحكمة إلهية تدعو إلى ذلك، ومصلحة يقدّرها سبحانه. وقد مضى أنّ شيخ الأنبياء نوحاً قد لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً.

فمن يُنكر أو يستبعد أن يعيش أحدٌ ألف سنة أو أزيد فهو ممن قدّر الله بغير قدره.

وهذا العمر المديد للمهدي المنتظر يبدو مقبولاً أكثر إذا أخذنا بنظر الاعتبار الأمر التالي، وهو:

أنّه إذا كانت الإمامة واجبة، والأدلّة واضحة على اختصاصها بالأئمّة (الخلفاء) الاثني عشر[2]، وأنّ المهدي (عجل الله فرجه الشريف) أحد هؤلاء

---

١ . منهاج السنة:٤/٩١ـ٩٢، وفي طبعة بولاق:٢/١٣٢.

٢ . إنّ حديث «اثني عشر خليفة كلّهم من قريش» رواه جملة من الحفّاظ والمحدّثين، ومنهم: أحمد بن حنبل في مسنده (١/٣٩٨، وج ٥/٨٩، ١٠٦)، والبخاري في صحيحه (برقم ٧٢٢٢)، ومسلم (برقم ١٨٢١)، وأبو داود (برقم ٤٢٨٠)، والترمذي (برقم ٢٢٣٠) وغيرهم. ومن

الاثني عشر[١]، وأنّه من عترة الرسولﷺ من ولد فاطمة[٢]، فلا منصرف عن القول بطول عمره، لأنّ الزمان لا يخلو من إمام، وقد مضى آباء المهدي بلا خلاف، ولم يبق من يستحق الإمامة سواه. فإن لم يكن عمره ممتداً من وقت أبيه إلى أن يظهره الله سبحانه، حصل الزمان خالياً من إمام.[٣] وهذا لا ينسجم مع ما اتّفق عليه المسلمون من أنّ الزمان لا يخلو من إمام، وأنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

فمن هو إمام ابن تيمية في عصره؟ ومن هم أئمّة مقلّدي ابن تيمية في القرون التي تلت وفاة ابن تيمية وحتى الوقت الحاضر؟

ثمّ إنّ قول ابن تيمية: إنّه لا يُعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مئة وعشرين سنة(وفي بعض النسخ: مئة وعشر سنين) يثير السخرية، فهل تتبّع أخبار جميع المسلمين المنتشرين في أصقاع الأرض ولمدة سبعة قرون، فوجد أنّه لم يعش أحد منهم تلك المدّة؟!!

وأمّا الرواية التي نقلها عن البخاري من أنّه على رأس مئة لا يبقىٰ ممّن هو اليوم على ظهر الأرض أحد، فهي غير واضحة، ولا يمكن الركون إليها، بل يردّها ـ إذا فُسّرت بالصورة التي ذهب إليها ابن تيمية ـ ما صرّح به أكثر من

☜ النصوص التي ورد فيها هذا الحديث: «يكون من بعدي اثنا عشر أميراً»، و«لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش».

١. العَرف الوردي في أخبار المهدي للحافظ السيوطي:١٧٣.

٢. قال الإمام القرطبي في تفسيره(١٢١/٨):... الأخبار الصحاح قد تواترت على أنّ المهدي من عترة رسول اللهﷺ، وقال في التذكرة(٦١٦/٢): إنّ النصوص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة، ثابتة.

٣. انظر: كنز الفوائد للكراجكي:١١٥/٢.

واحد من أنّ الصحابي أبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني، بقي إلى ما بعد المئة.

قال خليفة بن خيّاط: مات سنة مئة أو نحوها. ثم قال: ويقال: سنة سبع ومئة.

وقال البخاري: حدثنا... عن كثير بن أعين، قال: أخبرني أبو الطفيل بمكّة سنة سبع ومئة.

وقال وهب بن جرير بن حازم، عن أبيه: كنت بمكّة سنة عشر ومئة، فرأيت جنازة، فسألت عنها، فقالوا: هذا أبو الطفيل.

قال الذهبي، معقّباً على قول وهب: هذا هو الصحيح في وفاته لثبوته، ويعضده ما قبله. (١)

ولعمري إنّ هذه الإشكالات نابعة عن عدم التسليم لما دلّ عليه الكتاب والسنّة المتواترة، فعاد ينحت إشكالاً بعد إشكال تأييداً لرأيه المسبق في إنكار وجود المهدي المنتظر عليه السلام.

الإشكال السابع: اسم أبيه كاسم والد محمد صلى الله عليه وآله وسلم

قال العلّامة: روى ابن الجوزي باسناده إلى ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي، وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً». (٢)

فأورد عليه ابن تيمية بوجوه ثلاثة أهمها هو الثالث، قال: إنّ لفظ الحديث حجّة عليكم لا لكم، فإنّ لفظه يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي،

---

١ . سير أعلام النبلاء:٤٧٠/٣، الترجمة٩٧. وانظر: تهذيب الكمال:٨١/١٤، الترجمة ٣٠٦٤.

٢ . منهاج الكرامة:٧٧، عن تذكرة الخواص:٥٠٧/٢.

فالمهدي الذي أخبر به النبيﷺ اسمه محمد بن عبد الله، لا محمد بن الحسن. وقد روي عن عليعليه السلام أنّه قال: هو من ولد الحسن بن علي، لا من ولد الحسين بن علي.(١)

أقول: إنّ الرواية نُقلت على صور:

الأُولى: ما لم تشتمل على ذكر الأب، وإنّما اقتصرت على بيان اسمه، وأنّ اسمه كاسم النبيﷺ على اختلاف طفيف في العبارة، وإليك ما ورد في هذا الصدد:

١.ما رواه أحمد عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول اللهﷺ: «لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتي اسمه يواطئ اسمي». وقد نقله أحمد في مسنده في خمسة مواضع.(٢)

٢. ما رواه الترمذي باسناده عن عبد الله، قال: قال رسول اللهﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي».

قال أبو عيسى(الترمذي): وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأُمّ سلمة وأبي هريرة. وهذا حديث حسن صحيح.(٣) ورواه الخطيب في تاريخ بغداد باسناده.(٤)

٣. أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا

---

١ . منهاج السنة:٩٥/٤، وفي طبعة بولاق:١٣٣/٢.

٢ . مسند أحمد:٣٧٦/١، و٣٧٦ـ ٣٧٧، و٣٧٧، و٤٣٠ و ٤٤٨.

٣ . سنن الترمذي:٦٥٠، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، برقم ٢٢٣٧.

٤ . تاريخ بغداد:١٥٣/٥.

تذهب، أو لا تنقضي، الدنيا حتى يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي».[1]

وهذا هو ما اتفق عليه الإمام أحمد، والترمذي، وأبو داود في أحد نقلَيه.

الثانية: ما اشتملت علىٰ ذكر الأب، وهي إحدىٰ روايتي أبي داود بسنده عن فطر، وعن زائدة، كليهما عن عاصم، عن زِرّ، عن عبد الله عن النبيﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يَبعث فيه رجلاً منّي أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي».[2]

وهنا يقع الكلام في الفقرة الثانية حيث إنّ أبا النبي هو عبد الله وأبا المهدي هو الحسن، فكيف يصحّ قول النبي:«اسم أبيه اسم أبي» وهذا ما استشكله ابن تيمية.

فنقول أوّلاً: إنّ الظاهر من عبارة ابن تيمية أنّ الصورة الثانية لم يروها أبو داود وحده، وإنّما شاركه فيها أحمد والترمذي أيضاً، حيث قال: «وأحاديث المهدي معروفة رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم كحديث عبد الله بن مسعود عن النبيﷺ أنّه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».[3]

ترى أنّه ينسب النقل الثاني إلى أحمد والترمذي، مع أنّهما نقلا الرواية

---

١ . سنن أبي داود:٧٩٧، كتاب المهدي، برقم ٤٢٨٢، ذيل الحديث.

٢ . سنن أبي داود:٧٩٦، كتاب المهدي، برقم ٤٢٨٢.

٣ . منهاج السنّة:٩٥/٤، وفي طبعة بولاق:١٣٣/٢ .

بلا هذه الزيادة: «واسم أبيه اسم أبي»، وانّما روى هذه الزيادة أبو داود، الذي نقل الرواية، أيضاً، بالصورة الأُولى: «يواطئ اسمه اسمي»، ولكنّ ابن تيمية أغمض عينيه عن كلّ ذلك، ومارس التدليس المذموم في عبارته من خلال إيهام القارئ بأنّ اللفظ مع الزيادة مرويّ عن الجميع!!!

يذكر أنّ الحافظ الطبراني قد روىٰ حديث عبد الله بن مسعود هذا من طرق كثيرة، عن عاصم بن أبي النجود، عن زِرّ بن حبيش، عن ابن مسعود، ورواه عن عاصم، كلّ من:

١. فطر بن خليفة.

٢. سليمان الأعمش.

٣. أبو إسحاق الشيباني.

٤. أبو شهاب محمد بن إبراهيم الكناني.

٥. عبد الله بن حكيم بن جبير.

٦. سفيان الثوري.

٧. سفيان بن عيينة.

٨. شعبة بن الحجّاج.

٩. عبد الملك بن أبي غنية.

١٠. زائدة بن قدامة.

١١. عمر بن عبيد الله الطنافسي.

١٢. عمرو بن أبي قيس.

١٣. واسط بن الحارث.

١٤. أبو الأحوص.

١٥. أبو بكر بن أبي عياش.
١٦. هشام بن أبي عبدالله الدَّستوائي البصري.
١٧. أبو الجحّاف.
١٨. عثمان بن عبد الله بن شبرمة.
١٩. عمرو بن قيس الملائي.
٢٠. عمرو بن مرّة.

وإذا رجعنا إلى روايات هؤلاء المحدّثين، وجدنا أنّهم جميعاً، باستثناء خمسة منهم، قد رووه بلفظ «يواطئ اسمه اسمي» أو «يوافق اسمه اسمي» من دون تلك الزيادة.

وأمّا تلك الزيادة (أعني: واسمه أبيه اسم أبي) فلم يروها غير ثلاثة منهم، وهم: فطر، وزائدة، وعمرو بن أبي قيس!!

أمّا الاثنان الآخران، وهما: أبو شهاب محمد بن إبراهيم الكناني، وأبو الجحّاف، فروياه بلفظ «رجل من أهل بيتي» من دون ذكر الاسم، أو اسم الأب.[1]

وبهذا عُلم أنّ ما اشتهر بين الحفّاظ والمحدّثين هو قولهﷺ: «يواطئ اسمه اسمي»، وأمّا تلك الزيادة «واسم أبيه اسم أبي» فيمكن وصفها بالشذوذ، وهي التي تمسّك بها ابن تيمية، الذي شذّ في مواقفه من النبيﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وجهد في التنقيص من شأنهم.

الثالثة: ما نقله [سبط] ابن الجوزي، قال أنبأنا عبد العزيز بن محمود

---

١. انظر: المعجم الكبير للطبراني: ١٠/١٣١، برقم ١٠٢٠٨، و ص١٣٣ ـ ١٣٧، برقم ١٠٢١٣ـ ١٠٢٣٠.

البزاز[١] بإسناده عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فذلك هو المهدي» وهذا حديث مشهور.[٢]

وقد نقل العلّامة الحلّي هذه الصورة عن [سبط] ابن الجوزي.[٣]

وبذلك يُعلم أنّ العلّامة الحلّي إنّما استند في نقل الحديث إلى [سبط] ابن الجوزي، الذي روى الحديث عن الحافظ ابن الأخضر الجنابذي، فما ذكره ابن تيمية ردّاً على العلّامة بأنّه ذكره بلفظ مكذوب لم يروه أحد منهم، في غير محلّه، فما ذنب العلّامة إذا روى الحديث على النحو الذي رواه أحد حفّاظ ومحدّثي أهل السنّة؟

ثمّ إنّ حديث ابن عمر هذا لم يذكره سبط ابن الجوزي وحده، بل ذكره أيضاً الشيخ يوسف بن يحيى السلمي المقدسي الشافعي في كتابه«عقد الدرر».[٤]

يُشار إلى أنّ للشيخ ناصر الدين الألباني المعاصر (الذي يُعدّ من أهل الخبرة في معرفة الحديث صحيحه وضعيفه) مقالاً، نشر في مجلة التمدّن الإسلامي الصادرة في دمشق، أجاب فيه عن سؤال يتعلّق بالمهدي، وقال: أمّا

---

١. الجنابذي البغدادي، المعروف بابن الأخضر(٥٢٤ـ٦١١هـ). قال ابن النجار: ثقة حجّة. وقال الذهبي: المحدّث، الحافظ، المعمّر، مفيد العراق. كان ثقة، فهماً... سيَر أعلام النبلاء:٣١/٢٢، الترجمة٢٦.

٢. تذكرة الخواص:٥٠٧/٢.

٣. منهاج الكرامة:٧٧.

٤. عقد الدرر من أخبار المهدي المنتظر:٣٢، طبعة مكتبة عالم الفكر بالقاهرة، ١٣٩٩هـ.

مسألة المهدي فليعلم أنّ في خروجه أحاديث كثيرة صحيحة، قسمٌ كبير منها له أسانيد صحيحة، وأنا مورد هنا أمثلة منها، ثمّ نعقب ذلك بدفع شبهة الذين طعنوا فيها، فأقول:

الحديث الأوّل: حديث ابن مسعود‌رضي الله عنه مرفوعاً: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً». والترمذي وأحمد والطبراني في الكبير والصغير وأبو نعيم في الحلية والخطيب في تاريخ بغداد، من طريق زرّ بن حبيش عن ابن مسعود، وقال الترمذي حسن صحيح، والذهبي: صحيح، كما قال.[1]

ولا يخفى أنّه عطف الترمذي وأحمد والخطيب على أبي داود مع أنّه قد ثبت أنّ رواية أحمد والترمذي والخطيب خالية من هذه الزيادة: «واسم أبيه اسم أبي».

وأمّا الطبراني فقد مرّ بنا آنفاً أنّه رواه في المعجم الكبير بإسناده إلى عاصم عن عشرين راوياً، كلّهم رووه عن عاصم بلفظ «يواطئ اسمه اسمي»، ماعدا خمسة منهم، روىٰ ثلاثة منهم تلك الزيادة: «واسم أبيه اسم أبي»، والراويان الآخران روياه بدون ذكر اسمه، أو اسم أبيه.

وعلى كلّ تقدير ففي المقال الذي كتبه الألباني نكات قيّمة نذكر بعضها:

يقول في نقد زعم السيد رشيد رضا أو غيره حيث ضعّفوا أحاديث المهدي: إنّ هؤلاء لم يتتبعوا ما ورد في المهدي حديثاً حديثاً ولا توسّعوا في

١ . مجلة التمدن الإسلامي، السنة ٢٢، شهر ذي القعدة.

طلب ما لكلّ حديث منها من المسانيد، ولو فعلوا لوجدوا فيها ما تقوم به الحجّة حتى في الأُمور الغيبية التي يزعم البعض أنّها لا تثبت إلّا بحديث متواتر.

وممّا يدلك على ذلك أنّ السيد رشيد رضا ادعى أنّ أسانيدها لا تخلو عن شيعي مع أنّ الأمر ليس كذلك على إطلاقه، فالأحاديث الأربعة التي أوردتها ليس فيها رجل معروف بالتشيّع، على أنّه لو صحّت هذه الدعوى لم يقدح ذلك في صحّة الأحاديث، لأنّ العبرة في الصحة إنّما هو الصدق والضبط، وأمّا الخلاف المذهبي فلا يشترط في ذلك كما هو مقرر في مصطلح علم الحديث، ولهذا روى الشيخان في صحيحهما لكثير من الشيعة وغيرهم من الفرق المخالفة فإحتجّا بأحاديث هذا النوع...

إلى أن قال: وكذلك القول في أحاديث المهدي فإنّه ليس فيها ما يدلّ، بل ما يشير أدنىٰ إشارة إلى أنّ المسلمين لا نهضة لهم ولا عزّ قبل خروج المهدي، فإذا وجد في بعض جهلة المسلمين من يفهم ذلك منها فطريق معالجة جهله أن يعلّم ويفهّم أنّ فهمه خطأ، لا أن تُردّ الأحاديث الصحيحة بسبب سوء فهمه إياها.

ومن شبهات بعض الناس أنّ عقيدة المهدي قد استغلها بعض الدجّالين فادّعوا المهدوية لأنفسهم وشقّوا بسبب ذلك صفوف المسلمين وفرّقوا بينهم، ويضربون على ذلك الأمثلة الكثيرة آخرها غلام أحمد القادياني (دجّال الهند).

ثم أجاب عن الشبهة بقوله: ونحن نقول: إنّ هذه الشبهة من أضعف

الشبهات وفي رأيي أنّ حكايتها تغني عن ردّها، إذ من المسلَّم به أنّ كثيراً من الأُمور الحقّة يستغلها بعض من ليس أهلاً لها.

إلى أن يقول: وخلاصة القول أنّ عقيدة خروج المهدي عقيدة ثابتة متواترة عنه ﷺ، يجب الإيمان بها لأنّها من أُمور الغيب والإيمان بها من صفات المتقين، قال تعالى: ﴿الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[1] وإنّ إنكارها لا يصدر إلّا من جاهل أو مكابر، أسأل الله تعالى أن يتوفّانا على الإيمان بها، وبكلّ ما صحّ في الكتاب والسنّة.

---

١ . البقرة:١ـ٣.

الفصل الخامس:

ملامح منهج ابن تيمية في الحوار

١. أدب ابن تيمية في المناظرة مع العلّامة الحلّي

٢. رمي الشيعة بتهم لا واقع لها

٣. المجازفة في رد الصحيح والتهويل في العبارة وزخرفة الكلام

١

أدب ابن تيمية في المناظرة مع العلّامة الحلّي

التفتيش والفحص عن حقيقة علميّة، أمر مطلوب ويُعدّ سُلّماً إلى تكامل العلم، والباحث تارة يقوم بهذا العمل بمفرده، وأُخرى يستعين بشخص آخر، فيتحاوران أو يتناظران لأجل كشف الستار عن وجه الحقيقة.

وقد عُرّفت المناظرة بالنحو التالي: إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بالدليل، وربما تُعرّف أيضاً بـ:حمل شيء على شيء وإثبات النسبة الجزئية بالدليل.[١]

وقال الشريف الجرجاني: المناظرة لغة من النظير، أو من النظر بالبصيرة، واصطلاحاً هي: النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب.[٢]

ترى أنّ الغاية من المناظرة هي الوقوف على الصواب وإظهار الحقيقة وإعلانها، وأمّا إذا اتخّذ أحد المتناظرين موقفاً مسبقاً ذاباً عنه بأي شكل شاء، سواء أكان صواباً أم لا، فهذا يكون من مصاديق المراء لا المناظرة.

ومع الأسف، فإنّ ابن تيمية عزم على نفسه أن يردّ كتاب العلّامة الحلّي المسمّى: «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة» من أوّله إلى آخره، حتى أنّه لو

---

١ . جامع العلوم(دستور العلماء):٢٣١/١.

٢ . التعريفات:٢٩٨، برقم ١٤٨٩.

استطاع أن يردّ على بسملة الكتاب وحمده، لفعل.

ولذلك نرى أنّه أنكر روايات صحاح أطبق على صحتها حفّاظ الحديث وأثباته.

ويؤيد ذلك ما يقوله هو في مقدمة كتابه: فإنّه قد أحضر إليّ طائفة من أهل السنّة والجماعة كتاباً صنفه بعض شيوخ الرافضة في عصرنا،يدعو إلى مذهب الرافضة الإمامية... إلى أن قال: وطلبوا منّي بيان ما في هذا الكتاب من الضلال وباطل الخطاب لما في ذلك من نصر عباد الله المؤمنين وبيان بطلان أقوال المفترين الملحدين.

ثم قال: ولمّا ألحّوا في طلب الردّ لهذا الضلال المبين، ذاكرين أنّ في الإعراض عن ذلك خذلاناً للمؤمنين، فكتبت ما يسّره الله من البيان... الخ.[1]

ترى أنّه قبل أن يقرأ الكتاب حكم عليه بالضلال، وعلى مؤلفه بالإلحاد، وبذلك خرج عن أدب المناظرة، فإنّ اللائق بحال الرجل المحقّق أن يقول: عليّ أن أقرأ الكتاب حتى أقف على آرائه وأفكاره ودلائله في مسألة الإمامة، فما وجدته حقّاً صدّقته، وما وجدته باطلاً رددت عليه.

ومن المعلوم أنّ من اتخذ من بدء الأمر أن يكتب ردّاً على كتاب من قبل أن يقرأه، لا يكون باحثاً واعياً فاحصاً عن الحقيقة.

خروجه عن حدود أدب المناظرة والنقد البنّاء

من الشروط اللازمة للمتناظرين هو أن يحترم كلّ، الطرف الآخر، ويركز في الردّ على ما يتبناه الآخر، ببرهان واضح ودليل ظاهر، بعيداً عن أسلوب

---

١. منهاج السنّة:١/٤ـ٥، وفي طبعة بولاق: ١ / ٢.

خدش العواطف، فضلاً عن اعتماد أسلوب السبّ والشتم والتحقير.

ومن يتصفّح منهاج ابن تيمية يجده مليئاً بالسباب والشتائم حتى لو أنّ إنساناً صرف وقتاً لاستخراج سبابه القاذع، لألّف رسالة في هذا الموضوع ولأتى بقائمة طويلة حافلة بعبارات السبّ والشتم والقدح والجرح، وهانحن نذكر نماذج من شتائمه الواردة في مقدّمة الكتاب خاصّة، وللقارئ الكريم أن يستنتج عمّا في غضونه من تلك الشتائم:

١. والقوم (يعني: الشيعة) من أكذب الناس في النقليات ومن أجهل الناس في العقليات.[١]

٢. يصدّقون (يعني: الشيعة) من المنقول بما يعلم العلماء أنّه من الأباطيل، ويكذّبون بالمعلوم المتواتر أعظم تواتر، ولا يميّزون في نقلة العلم ورواة الأخبار بين المعروف بالكذب أو الغلط أو الجهل بما ينقل، وبين العدل الحافظ الضابط المعروف بالعلم بالآثار.[٢]

٣. إذا كان أصل المذهب (يعني: الشيعي) من إحداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم في حياته علي أمير المؤمنين عليه السلام... .[٣]

ويريد بذلك أنّ التشيّع صنيعة عبد الله بن سبأ.

٤. وهذا المصنّف (يعني العلّامة الحلّي) سمّى كتابه «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة»، وهو خليق بأن يسمّى «منهاج الندامة» كما أنّ من ادّعى

---

١. منهاج السنّة: ١ / ٨، وفي طبعة بولاق: ١ / ٣.

٢. منهاج السنّة: ٨/١، وفي طبعة بولاق: ١ / ٣.

٣. منهاج السنّة: ١١/١، وفي طبعة بولاق: ١ / ٣.

الطـهارة، وهــو مـن الذيـن لم يُـرد الله أن يـطهر قـلوبهم، بـل مـن أهـل الجبت[والطاغوت] والنفاق، كان وصفه بالنجاسة والتكدير، أولى من وصفه بالتطهير.(١)

وزاد محقق الكتاب الدكتور محمد رشاد سالم في الطين بلّة، حيث كتب معلّقاً على هذه الفقرة: ذكر الصفدي في ترجمته لابن تيمية أنّه سمع ابن تيمية، يقول: ابن المنجَّس، ويريد به ابن المطهَّر الحلّي.(٢)

٥. وقد جرّبه الناس منهم (يعني: الشيعة) غير مرّة في مثل إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغير ذلك، وإعانتهم للنصارى على المسلمين بالشام ومصر وغير ذلك، في وقائع متعدّدة، من أعظمها الحوادث التي كانت في الإسلام في المائة الرابعة والسابعة فإنّه لما قدم كفار الترك إلى بلاد الإسلام وقُتل من المسلمين ما لا يُحصي عدده إلّا ربّ الأنام، كانوا من أعظم الناس عداوة للمسلمين ومعاونة للكافرين، وهكذا معاونتهم لليهود أمر شهير، حتى جعلهم الناس لهم كالحمير.(٣)

أقول: لم يكشف لنا ابن تيمية عن شيء من تلك الحوادث التي زعم أنّ الشيعة أعانوا فيها الكافرين في المائة الرابعة، وهذا يدلّ على خلوّ جعبته، تماماً، من أيّ شيء، لأنّه ليس من عادته أن يجد فيها سهماً ولم يرمهم به.

---

١. منهاج السنّة:٢١/١ ، وفي طبعة بولاق: ١ / ٥ .

٢. نفس المصدر والصفحة، وقد نقل المحقق هذه عن كتاب:الوافي بالوفيات، نسخة خطية في مكتبة البودليان بأكسفورد، ج١٦، ص (21b).

٣. منهاج السنّة:٢٠/١ـ٢١، وفي طبعة بولاق: ١ / ٥ .

ولذا أطلق عبارته الجارحة تلك دون الإشارة إلىٰ حادثة واحدة، لينال من خصومه الشيعة، بالباطل، ومن خلال اعتماد أسلوب التمويه الذي يحاول به تضليل القرّاء.

ومن هنا لم نر من المناسب أن نردّ عليه في هذا الأمر الذي لم يفصح عنه لغرض مفضوح.

وأمّا مراده من حوادث المائة السابعة، فهو الهجوم الكاسح الذي شنّه المغول (التتار) على البلاد الإسلامية، وسقوط بغداد(عاصمة الدولة الإسلامية) بأيديهم في عام (٦٥٦هـ).

ويبدو أنّ ابن تيمية قد اتخذ من مماشاة نصير الدين الطوسي والوزير ابن العلقمي (لهولاكو) ذريعة للهجوم على الشيعة واتّهامهم بمعاونة الكافرين، مغمضاً عينيه عن الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك في البلاد الإسلامية، وما كان ينتابها من ضعف شديد وتدهور في مختلف الصعد، فالخليفة المستعصم تائه في لذاته، وملوك البلاد فاسدون منهمكون في إرضاء شهواتهم وغرائزهم، وتكريس مصالحهم الشخصية، وجيوش المسلمين خائرة القوى، تنهزم لأدنىٰ نزال، وتفرّ قبل أن يلتقي الصفّان.

ولا شكّ في أنّ هذا التدهور الحاصل لم يكن وليد سنة أو سنتين أو فترة قصيرة، وإنّما هو نتيجة لحقبة طويلة من السياسات الخاطئة، والفساد الشامل للنفوس والأوضاع، والإهمال في إدارة البلاد، واستفحال داء توارث الخلافة، والتنازع والانقسام، والصراع على المناصب.

وقد أشار عدد من المؤرخين الذي أرخوا لتلك الفترة التي سبقت احتلال بغداد، إلىٰ جانب من تلك الأوضاع المأساوية التي كانت تعمّ البلاد

الإسلامية، ومنهم ابن الأثير (المتوفّى ٦٣٠هـ).

قال ابن الأثير، وهو يتحدث عن وصول التتار إلى أذربيجان: يسّر الله للمسلمين والإسلام من يحفظهم ويحوطهم، فلقد دُفعوا من العدو إلى عظيم، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدّى همّته بطنه وفرجه!![1]

وقال أيضاً، وهو يشير إلى مسير التتار إلى تركستان وماوراء النهر: وكان خوارزم شاه بمنزله كلّما اجتمع إليه عسكر سيّره إلى سمرقند، فيرجعون ولا يقدرون على الوصول إليها!! نعوذ بالله من الخذلان، سيّر مرّة عشرة آلاف فارس، فعادوا كالمنهزمين من غير قتال، وسيّر عشرين ألفاً فعادوا أيضاً.[2]

وقال ابن العماد الحنبلي في حوادث سنة (٦٥٢هـ): فيها شرعت التتار في فتح البلاد الإسلامية، والخليفة غافل في خلوته ولهوه.[3]

وقال السيوطي: وفي سنة (٦٥٥ هـ) مات المعزّ أيبك سلطان مصر، قتلته زوجته «شجرة الدرّ»... والتتار جائلون في البلاد، وشرّهم متزايد، ونارهم تستعر، والخليفة والناس في غفلة عمّا يراد بهم..[4]

والحقيقة، أنّ من يجعل وزر سقوط بغداد وانهيار الخلافة العباسية، على عاتق رجل أو رجلين، إنّما هو يجهل قوانين التاريخ، وسنّة الله تعالى في علوّ الأمم وانخفاضها، ورقيّها وانحطاطها.

إنّ سياسة مداراة هولاكو التي انتهجها هذان الرجلان، إنّما كانت ترمي إلى رفع بعض بوائق المغول، وحفظ ما تبقّى من تراث الإسلام، ومنع إراقة

---

١. الكامل في التاريخ:٣٧٦/١٢.

٢. الكامل في التاريخ:٣٦٨/١٢.

٣. شذرات الذهب:٢٥٥/٥.

٤. تاريخ الخلفاء: ٥٣٢.

المزيد من دماء المسلمين، في وقت كانوا (قد ملكوا فيه أكثر المعمور في الأرض وأحسنه، وأكثره عمارة وأهلاً... ، ولم يبق أحد في البلاد التي لم يطرقوها إلّا وهو خائف يتوقّعهم، ويترقّب وصولهم إليه).[١]

وقد أشار إلى دور هذين الرجلين بعض المؤرخين، فقال صلاح الدين الصفدي، وهو يتحدث عن نصير الدين:

فكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم، وكان يبرّهم ويقضي أشغالهم، ويحمي أوقاتهم.[٢]

وقال ابن كثير في حوادث سنة (٦٥٦هـ):

وكان قدوم هولاكو بجنوده كلها، وكانوا نحواً من مئتي ألف مقاتل في ثاني عشر المحرّم من هذه السنة إلى بغداد، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدّم من الأمر الذي قدّره الله وقضاه، وهو أنّ هولاكو لما كان أول بروزه من همذان متوجهاً إلى العراق، أشار الوزير ابن العلقمي على الخليفة أن يبعث إليه بهدايا سنيّة **ليكون ذلك مداراة له عمّا يريده من قصد بلادهم**، فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير[مجاهد الدين أيبك الشركسي] وغيره، وقالوا [للخليفة]: إنّ الوزير إنّما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال عن نفسه وأهله، وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير، فأرسل شيئاً من الهدايا ، فاحتقره هولاكوخان... .[٣]

نلفت نظر القارئ في هذه العجالة إلى أمرين:

الأوّل: هب أن الوزير العلقمي أو نصير الدين كانا هما السبب لسقوط

---

١ . الكامل في التاريخ:١٢/ ٣٦٠.
٢ . الوافي بالوفيات:١/ ١٨٢.
٣ . البداية والنهاية: ١٣ / ٢١٣ ـ ٢١٤ .

الدولة الإسلامية، وسيلان الدماء في عاصمتها، فما هو السبب للدماء التي بدأت تسيل من أقصى المشرق الإسلامي إلى العاصمة بغداد؟ فها هو ابن الأثير (المتوفّى عام ٦٣٠هـ) وقبل سقوط الخلافة الإسلامية بخمس وعشرين سنة، يصف تلك الداهية العظمى بالنحو التالي:

من الّذي يسهل عليه أن يكتب نعيَ الإسلام والمسلمين، ومن ذا الّذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أُمّي لم تلدني، ويا ليتني متُّ قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً، إلّا أنّي حثّني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك لا يُجدي نفعاً، فنقول:

هذا الفصل يتضمّن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى الّتي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق وخصّت المسلمين، فلو قال القائل: إنّ العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وإلى الآن لم يبتل بمثلها لكان صادقاً، فإنّ التاريخ لم يتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها... إلى أن قال: هؤلاء لم يُبقوا أحداً، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقّوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنّة، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. فإنّ قوماً خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاسغون، ثمّ منها إلى بلاد ماوراء النهر مثل سمرقند وبُخارى وغيرها، فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها مُلكاً وتخريباً وقتلاً، ثمّ يتجاوزونها إلى الريّ وهَمَدان وبلاد الجبل وما فيها من البلاد إلى حدّ العراق، ثمّ يقصدون بلاد آذربيجان وأرانية ويخربون ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج إلّا الشريد النادر في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع بمثله.[1]

---

١. الكامل في التاريخ:١٢/٣٥٨ـ٣٥٩. ولكلامه ذيل من أراده فليرجع إليه .

لقد كان غزو العراق أمراً تتضمنه طبيعة الغزو المغولي الذي كان يستهدف السيطرة على العالم، وقد استولى المغول فعلاً على أكثر الصين وأواسط آسيا وإيران وأوربا الشرقية، وبقيت بلاد الإسماعيلية والعراق وسورية ومصر جيباً جغرافياً وعسكرياً كان لابدّ من الاستيلاء عليه، وهذا ما قام به هولاكو، وإذا كان العراق قد سقط بأيدي المغول نتيجة لخيانة وزيره ابن العلقمي [كما يُزعم]، فكيف نفسّر سقوط كلّ هذه البلاد الممتدة من المحيط الهادي إلى أواسط أوربا، ومن هم الخونة الذين سلّموها إلى الأعداء؟ ثم كيف نفسّر احتلال هولاكو لسورية، واستعداده للزحف إلى مصر؟[1]

وبعد، فنحن نسأل ابن تيمية وأنصاره: هل كانت يد العلقمي أو نصير الدين تلعب في هذه الحوادث المرّة تحت الستار؟ أو أنّ للدمار عللاً تكمن في سيرة الخلفاء والأُمراء عبر سنين حيث اشتغلوا بالخلافات الداخلية، واشتغل الخلفاء باللهو واللعب، وشرب الخمور وعزف المعازف وسماع المغنيّات، وقد تبعهم الرعاع والسوقة فذهبت الخيمة الإسلامية التي سيطرت على العالم في أوائل قرون العصر الإسلامي.

يقول ابن كثير: أحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كلّ جانب حتّى أُصيبت جارية تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه، وكانت مولدة تسمّى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً

١. أعيان الشيعة:٩٩/٩.

شديداً، وأحضر السهم الّذي أصابها بين يديه، فإذا عليه مكتوب: «إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب ذوي العقول عقولهم» فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز وكثرت الستائر على دار الخلافة، وكان قدوم هولاكوخان بجنوده كلها ـ وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل ـ إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة.[١]

الثاني: لو كان للشيعة يد في سيطرة المغول على بغداد يلزم أن تصان دماء الشيعة عند دخول الأعداء العاصمة، إلّا أنّنا نرى أنّ المغول قد وضعوا السيف على رقاب كلّ من كان في بغداد من دون أن يميزوا بين شيعي وسنّي وذمّي، فقد قتلوا حوالي ثمانمائة ألف نسمة، سوى من مات حتف أنفه في السراديب والمنازل.

فدع عنك نهباً صيح في حجراته ولكن حديثاً ما حديث الرواحل

***

٦. قال: أخبر الناس بهم [الشيعة] الشعبيُّ وأمثاله من علماء الكوفة، وقد ثبت عنه أنّه قال: ما رأيت أحمق من الخشبية(يريد الشيعة) لو كانوا من الطير لكانوا رَخَماً، ولو كانوا من البهائم لكانوا حُمُراً... الخ.[٢]

ونقل أيضاً عن الشعبي أنّه قال: أُحذّركم هذه الأهواء المضلّة وشرّها الرافضة، لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتاً لأهل الإسلام وبغياً عليهم.[٣]

---

١. البداية والنهاية:١٢/٢٠٠ـ٢١٣. ٢. منهاج السنّة:١/٢٢، وفي طبعة بولاق: ١ / ٦.

٣. منهاج السنّة:١/٢٣، وفي طبعة بولاق: ١ / ٦.

هذه نماذج من قائمة الشتائم المبثوثة على صفحات مقدمة كتابه، وأمّا ما ذكره في غضون الكتاب بأجزائه الثمانية، فحدّث عنه ولا حرج.

اقسمك بالله أيها القارئ الكريم، هل هذا ما يريده الإسلام ويحث عليه من أدب الحوار مع المشركين وأهل الكتاب، وهل هذا هو المطلوب عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهل هو الأسلوب الأمثل الذي أمر به القرآن الكريم في تبليغ أفكار الإسلام ودعوة الناس لها، مقرونة بالاحترام والتقدير لرأي الطرف الآخر.

وربما يتجاوز القرآن في احترام الطرف المخالف، فيأمر بالتنكر إلى أنّه على حق، ويردده بينه وبينه، ويقول سبحانه:**﴿وإنّا وإيّاكُمْ لَعَلىٰ هُدَىً أو في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**.[1]

***

---

١ . سبأ:٢٤.

٢

رمي الشيعة بتهم لا واقع لها

قد عرفت ما في صدر الرجل من حقد وكراهية، فاضا على لسانه سيلاً من الشتائم والسباب صبّه على رؤوس الشيعة وعلمائهم، فهلمّ نقرأ بعض مفترياته على الشيعة، لترى أنّه لا يوجد على أديم الأرض واحد من الشيعة يتبنىٰ ذلك، وسنذكر شيئاً قليلاً منها:

١. قال: من حماقاتهم كون بعضهم لا يشرب من نهر حفره يزيد.[١]

أقول: لم أر في كتاب ولم أسمع من شيخ أنّ الشيعة لا يشربون من نهر حفره يزيد، فمن أين جاء ابن تيمية بذلك؟

لنفترض أنّ واحداً أو أكثر من الشيعة كره الشرب من نفس النهر ـ على فرض وجوده ـ فهل يجوز لابن تيمية أن ينسب هذا العمل إلى عامّة الشيعة مع أنّهم كانوا منتشرين في ربوع العالم إلى حدّ وصفهم هو بأنهم قد نصروا المشركين على المسلمين في العراق والشام ومصر؟

٢. وقال: من حماقاتهم كونهم يكرهون التلفظ بلفظ (العشرة) أو فعل شيء يكون عشرة حتى في البناء لا يبنون على عشرة أعمد، ولا على عشرة جذوع ونحو ذلك.[٢]

---

١ و ٢. منهاج السنّة:٣٨/١، وفي طبعة بولاق: ١ / ٩.

أقول: إنّ الحسّ يكذب ذلك، يقول العلّامة الأميني: نعم في قرآن الشيعة ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ﴾[١] و ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾[٢] و﴿وَالْفَجْرِ* وَلَيالٍ عَشْرٍ﴾[٣] و ﴿فأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾[٤]، وأمثالها، وهي ترتّلها عند تلاوته في آناء الليل وأطراف النهار، وهذا دعاء العشرات يقرؤه الشيعة في كلّ جمعة، وهذه الصلوات المندوبة التي تكرّر فيها السور عشر مرّات، وهذه الأذكار المستحبّة التي تُقرأ بالعشرات، وهذه مباحث العقول العشرة، ومباحث الجواهر والأعراض العشرة في كتبهم.

وهذا قولهم: إنّ أسماء النبي عشرة.

وقولهم: إنّ الله قوّى العقل بعشرة.

وقولهم: عشر خصال من صفات الإمام.

وقولهم: كانت لعليّ من رسول الله عشر خصال.

وقولهم: بُشِّر شيعة عليّ بعشر خصال.

وقولهم: عشر خصال من مكارم الأخلاق.

وقولهم: لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات.

وقولهم: لا يكون المؤمن عاقلاً إلاّ بعشر خصال.

وقولهم: لا يؤكل عشرة أشياء.

وقولهم: عشرة أشياء من الميتة ذكيّة.

وقولهم: عشرة مواضع لا يُصلّىٰ فيها.

وقولهم: الإيمان عشر درجات.

---

١. البقرة:١٩٦. ٢. الأنعام:١٦٠. ٣. الفجر:١ـ٢. ٤. هود:١٣.

وقولهم: العافية عشرة أجزاء.

وقولهم: الزهد عشرة أجزاء.

وقولهم: الشهوة عشرة أجزاء.

وقولهم: البركة عشرة أجزاء.

وقولهم: الحياء عشرة أجزاء.

وقولهم: في الشيعة عشر خصال.

وقولهم: الإسلام عشرة أسهم.

وقولهم: في السواك عشر خصال.(١)

وهذه قصور الشيعة المشيّدة، وأبنيتهم العامرة، وحصونهم المنيعة كلّها تكذّب ابن تيميّة، ولا يخطر على قلب أحدٍ من بانيها ما لفّقه ابن تيميّة من المخاريق.

هذا والشيعة لاترى للعدد قيمة بمجرّده، ولا يوسم أحد منهم بحبّه وبغضه مهما كان المعدود مبغوضاً له أو محبوباً، ولم تسمع أذن الدنيا من أحدهم في العشرة: تسعةٌ وواحد. نعوذ بالله من هذه المجهلة.

٣. وقال: من حماقاتهم أنّهم يجعلون للمنتظر عدّة مشاهد ينتظرونه فيها، كالسرداب الذي بسامَّراء الذي يزعمون أنّه غاب فيه، ومشاهد أُخر. وقد يقيمون هناك دابّة ـ إمّا بغلة أو فرساً [وأمّا غير ذلك] ـ ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك إما في طرفي النهار وإمّا في أوقات أُخر من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا اخرج، يا مولانا اخرج.(٢)

---

١ . الغدير: ٣ / ٢١١ ـ ٢١٣، طبعة مركز الدراسات الإسلامية ـ بيروت.

٢ . منهاج السنّة: ١/٤٤ـ٤٥، وفي طبعة بولاق: ١ / ١٠ .

أقول: إنّ هذا الكلام الذي نقله ابن تيمية ـ و لم يذكر مستنده ـ ما هو إلّا مجرد افتراء يُراد به التشنيع على الإمامية والحطّ عليهم لمآرب شيطانية، وإنّ واضع هذه الأسطورة قد حاكها في غير موضعها، فإنّ سامراء مدينة سنّية منذ عصر العباسيين إلى يومنا هذا، لا يوجد فيها من الشيعة إلّا القليل الذي ليس لهم فيها شأن، فكيف يمكن لهم أن يقفوا بالخيل على باب السرداب ويصيحوا عليه: أن اخرج يا مولانا؟! ولو كان لهذه الأسطورة نصيب من الواقع لتحدّث عنها أهل تلك المدينة ولشاعت بين أهل العراق، ولكننا لا نجد من يتحدّث عنها (في العصور الماضية) سوى من نأى عن ذلك البلد وعن أهله، وتحكّم به التعصّب المقيت، ثم كيف يتأتىٰ للشيعة ممارسة شعائرهم بهذا الشكل عصر كل يوم في مدينة ليس لهم فيها تواجد عبر القرون، لا سيّما في عصر مختلق هذه الفرية؟

وما أشبه هذه الأُسطورة بكذبة إخوة يوسف حيث أتوا بقميص سالمٍ من أي خرق أو شقّ، وعليه دماء يوسف كما يدّعون.

إنّ ما يقوم به الشيعة، هو زيارة مرقدي الإمامين العسكريين عليهما السلام، والدعاء والصلاة هناك، وهم يعبّرون بزيارتهم لهما عن حبّهم ووفائهم لأهل بيت النبوّة عليهم السلام.

٤. وقال: أصول الدين عند الإمامية أربعة: التوحيد والعدل والنبوة، والإمامة، فالإمامة هي آخر المراتب، والتوحيد والعدل والنبوة قبل ذلك، وهم يدخلون في التوحيد نفي الصفات، والقول بأنّ القرآن مخلوق وأنّ الله لا يُرى في الآخرة ويدخلون في العدل التكذيب بالقدر، وأنّ الله لا يقدر أن يهدي من يشاء ولا يقدر أن يضل من يشاء وأنّه قد يشاء ما لا يكون ويكون

ما لا يشاء وغير ذلك، فلا يقولون إنّه خالق كل شيءٍ، ولا انّه على كل شيء قدير، ولا أنّه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.[١]

أقول: إنّه قد أورد في هذه السطور أكاذيب تنمّ عن أن الرجل لم يقرأ كتاباًكلامياً للشيعة وإنّما اعتمد على المسموعات وكتب المخالفين مثل «الفِصْل» لابن حزم وغيره، فعاد ينسب إلى الشيعة ما هم براء منه، وإليك الإشارة إلى رؤوس هذه الأكاذيب:

أ. أنّ أصول الدين عند الشيعة ثلاثة وهي: التوحيد، والنبوة، والمعاد. وأمّا العدل والإمامة، فهما من خصائص المذهب، فلا يوصف المسلم بالتشيّع إلاّ إذا وصف الله سبحانه بالعدل، والعترة الطاهرة بالإمامة.

ب. قال: إنّهم يدخلون في التوحيد نفي الصفات، وهذا كذب آخر لأنّهم ليسوا من نفاة الصفات الكمالية، وإنّما يدّعون عينيتها مع الذات، فكم فرق بين أن يقال: الله ليس بعالم، وبين أن يقال الله سبحانه كله علم، وهكذا فرق بين أن يقال: الله ليس بقادر، وبين أن يقال: الله سبحانه كلّه قدرة.

وأمّا كيفية صيرورة الوصف عين الذات، فبيانه موكول إلى الكتب الكلامية.

ج. أنّ الله لا يُرى في الآخرة وهذا داخل في الصفات السلبية(التنزيهية) حيث دلّت البراهين على أنّه سبحانه ليس بجسم ولا عرض وما كان كذلك فلا يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة.

د. قال: يدخلون في العدل التكذيب بالقدر، وأنّ الله لا يقدر أن يهدي من يشاء، وهذا افتراء على الشيعة، والقرآن الكريم صريح في أنّ الله على كل

---

١. منهاج السنّة:٩٩/١، وفي طبعة بولاق:٢٣/١.

شيء قدير. فهذا تجريد الاعتقاد للطوسي حيث يصف الله تبارك وتعالى بالقدرة، قال: المسألة الأُولى[من الفصل الثاني]: في أنّه قادر.

وقال العلاّمة الحلّي[المعاصر لابن تيمية] في شرح هذه المسألة: والدليل على أنّه تعالى قادر أنّا قد بيّنا أنّ العالم حادث، فالمؤثر فيه إن كان موجباً لزم حدوثه أو قِدَم ما فرضناه حادثاً أعني العالم، والتالي بقسميه باطل.

بيان الملازمة: أنّ المؤثر الموجَب يستحيل تخلّف أثره عنه، وذلك يستلزم إمّا قدم العالم ـ و قد فرضناه حادثاً ـ أو حدوث المؤثر ويلزم التسلسل، فظهر أنّ المؤثر للعالم قادر مختار.[1]

وقال الطوسي في موضع آخر: وعمومية العلّة تستلزم عموميّة الصفة.

وشرح العلامة هذه الفقرة وقال: إنّ الله تعالى قادر على كل مقدور، وهو مذهب الأشاعرة، وخالف أكثر الناس في ذلك، فإنّ الفلاسفة قالوا: إنّه تعالى قادر على شيء واحد، وأنّ الواحد لا يتعدد أثره، وقد تقدم بطلان مقالتهم. ثمّ إنّ العلاّمة الحلّي بعد أن يذكر أقوال المجوس والثنوية والنظّام والبلخي والجبّائيين يقول: وهذه المقالات كلها باطلة، لأنّ المقتضي لتعلّق القدرة بالمقدور إنّما هو الإمكان، إذ مع الوجوب والامتناع لا تعلّق، والإمكان ثابت في الجميع فثبت الحكم وصحة التعلّق، وإلى هذا أشار المصنف (يعني الطوسي) عمومية الصفة، أعني القدرة على كل مقدور.[2]

فأين كان ابن تيمية من كتاب العلاّمة، ومن آراء الشيعة؟ هل اطلع عليها ولم يفهمها، أم فهم ودلّس الحقيقة. أم لم يطلع عليها؟ فكيف يحكم على ما

---

١ . كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، للعلاّمة الحلّي: ١١ـ١٢.

٢ . كشف المراد: ١٦ـ١٨.

لم يقف عليه، ولم يقرأه، وكيف ينسب إلى الشيعة ما لم يقل به واحد من أئمتهم ولا علمائهم؟

هـ. وأمّا قوله: إنّ الشيعة لا يقولون: إنّه خالق كلّ شيء، فهو كذب آخر، فكيف لا يقول الشيعة به والقرآن الذي يتلونه صباحاً وعشاء، يصرّح به، قال سبحانه: ﴿ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إلهَ إلّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ فاعْبُدُوهُ﴾.[1] وقال سبحانه: ﴿قُلِ اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ الواحِدُ القَهّارُ﴾.[2] وقال سبحانه: ﴿اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ وَكيلٌ﴾[3]، وقال: ﴿ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ لا إلهَ إلّا هُو﴾.[4]

ومع هذه الآيات كيف يمكن لمسلم يؤمن بأن القرآن هو كتاب الله المنزل، ومع ذلك ينكر ما تضافر فيه أنّه سبحانه خالق كل شيء.

نعم يفترق الإمامية عن الأشاعرة في أنّه سبحانه خالق كلّ شيء لا بمعنى أنّه يخلق كل شيء مباشرة بلا سبب وتسبيب، وإنّما يخلق تارة مباشرة وأُخرى تسبيباً، ويدل على ذلك غير واحد من الآيات من أنّ للأسباب دوراً بإذن الله في ايجاد الظواهر الطبيعية، وإنّ الإمعان في هذه الآيات الكريمة يدفع الإنسان إلى القول بأنّ الكتاب العزيز يعترف بأنّ النظام الكوني نظام الأسباب والمسببات، فلأجل ذلك ينسب الفعل الواحد إلى الله سبحانه، وفي الوقت نفسه إلى غيره من دون أن يكون هناك تضادٌّ في النسبة، وإليك بعض هذه الآيات:

---

١. الأنعام:١٠٢. ٢. الرعد:١٦.
٣. الزمر:٦٢. ٤. غافر:٦٢.

ـ يقول سبحانه: ﴿اللهُ يَتَوَفّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها﴾[١]. فينسب توفّي الأنفس إلى نفسه، بينما نجده سبحانه ينسبه إلى رسله وملائكته ويقول: ﴿حتّى إذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾.[٢]

ولا يجد الإنسان العارف بالقرآن أي اختلاف في النسبة.

ـ إنّ الذكر الحكيم ينسب كتابة أعمال العباد إلى الله سبحانه ويقول: ﴿والله يكتب ما يبيّتون﴾.[٣] ولكن في الوقت نفسه ينسب الكتابة إلى رسله ويقول: ﴿بَلىٰ وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.[٤]

ـ إنّه سبحانه ينسب تزيين عمل الكافرين إلى نفسه ويقول: ﴿إنّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ﴾[٥]. وفي الوقت نفسه ينسبه إلى الشيطان ويقول: ﴿وإذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشيْطانُ أعمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ﴾.[٦]

وفي آية أخرى ينسبها إلى قرنائهم ويقول: ﴿وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناء فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾،[٧] ولا تصحّ هذه النسب المختلفة ظاهراً إلّا بالقول بأنّ الكون مبني على النظام السببي والمسببي وسببية كلّ شيء بتسبيب منه سبحانه وينتهي الكل إليه، فالفعل مع أنّه فعل السبب فعل المسبِّب (بالكسر) أيضاً.

ـ لا شك أنّ التدبير كالخلقة منحصرٌ في الله سبحانه حتى لو سئل بعض المشركين عن المدبِّر لأجاب بأنّ الله هو المدبّر، كما يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ

١. الزمر:٤٢. ٢. الأنعام:٦١. ٣. النساء:٨١.
٤. الزخرف:٨٠. ٥. النمل:٤. ٦. الأنفال:٤٨.
٧. فصلت:٢٥.

يُدَبِّرُ الأمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾،[1] لكن نرى أنّ القرآن يعترف بمدبِّريّة غير الله سبحانه حيث يقول: ﴿فَالمُدَبِّراتِ أمْراً﴾.[2]

-إنّ القرآن يشير إلى كلتا النسبتين (أي نسبة الفعل إلى الله سبحانه إشارة إلى الجانب التسبيبي وإلى الإنسان إشارة إلى الجانب المباشري) بقوله: ﴿وَما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلكنَّ اللهَ رَمَى﴾.[3]

فهو يصف النبي الأعظمﷺ بالرمي وينسبه إليه حقيقة ويقول: ﴿إذْ رَمَيْتَ﴾، لكنّه يصف الله سبحانه بأنّه الرامي الحقيقي، وما ذلك إلاّ لأنّ النبي إنّما قام بما قام، بالقدرة التي منحها الله له، وكان مفيضاً لها عليه حين الفعل، فيكون فعله فعلاً لله أيضاً.

وهذه المجموعة من الآيات ترشدك إلى النظرية الحقَّة في تفسير التوحيد في الخالقية. وفي الحديث القدسي إشارة إليها.

يقول: «يا ابن آدم بمشيئتي كنتَ أنت الذي تشاء لنفسك، وبقوتي أدّيتَ إليّ فرائضي، وبنعمتي قويتَ على معصيتي، جعلتك سميعاً بصيراً قويّاً».[4]

ثمّ إنّ هذه النظرية، على تقاريرها المختلفة من حيث الدقّة والرقّة[5]، ممّا

---

١. يونس: ٣١.
٢. النازعات:٥.
٣. الأنفال:١٧.
٤. بحار الأنوار: ٥ / ٥٧.
٥. إنّ تفسير مسألة «الأمر بين الأمرين» وأنّ فعل العبد في حال كونه فعله، فعلاً لله سبحانه، يختلف حسب اختلاف الأفهام في المقام، فيفسره المتكلم على نمط يناسب أبحاثه، فيصور كونه سبحانه فاعلاً بالتسبيب من حيث إنّه أعطى القدرة والحياة للعبد، فلولاه لما قدر العبد على العمل، وأمّا الحكيم الإلهي فيرى الموجودات على تباينها في الذوات والصفات والأفعال،

أطبقت على صحّتها الإمامية والمعتزلة، وأيدته النصوص المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد قال به بعض الأشاعرة أيضاً كإمام الحرمين (أبي المعالي الجويني) وهو من أعلام القرن الخامس، والشيخ (الشعراني) وهو من أقطاب الحديث والكلام في القرن العاشر، والشيخ (محمد عبده) مفتي الديار المصرية في القرن الرابع عشر. ومن أراد الوقوف على كلماتهم فليرجع إلى مصادرها.(١)

***

☜ وترتبها في القرب والبعد من الحق تعالى، قائمة بذاته سبحانه، فهو مع بساطته ينفذ نوره في الموجودات الإمكانية، عامّة. ولا توجد ذرة من ذرات الأكوان الوجودية، إلاّ ونوره محيط بها، قاهر عليها، وهو قائم على كل نفس بما كسبت، وهو مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة.

فإذاً كما أنّه ليس في الوجود شأن إلّا وهو شأنه كذلك، ليس في الوجود فعل إلاّ وهو فعله، لا بمعنى أنّ فعل زيد ليس فعلاً له، بل بمعنى أنّه فعل زيد مع كونه فعله بالحقيقة دون المجاز، فهو فعله سبحانه كذلك. فهو مع غاية عظمته وعلوه، ينزل منازل الأشياء ويفعل فعلها، كما أنّه مع غاية تجرّده وتقدسه لا تخلو منه أرض ولا سماء. فإذاً نسبة الفعل والإيجاد إلى العبد صحيحة، كما أنّ نسبتها إلى الله تعالى كذلك.

١. الملل والنحل:١/٩٨ـ٩٩، نقل كلمة إمام الحرمين؛ اليواقيت والجواهر للشعراني: ١٣٩ـ١٤١؛ رسالة التوحيد: ٥٩ـ ٦٢. وقد جئنا بنص كلامهم في كتابنا (أبحاث في الملل والنحل): ٢ / ١٨٢ ـ ٢٠٢.

٣

المجازفة في ردّ الصحيح
والتهويل في العبارة
وزخرفة الكلام

تبنّى ابن تيمية جملة من الآراء والأفكار والمسائل الّتي خالف فيها جمهور المسلمين من أهل السنّة، لاسيّما في الموضوعات الّتي تتعلّق بمقام النبي الأكرم ﷺ، وبخصائص وفضائل أهل البيت عليهم السلام، ثم أخذ يجادل ويناقش فيها خصومه، بل يقاتلهم دونها بأقصىٰ درجة من الشدّة والحدّة في الردّ، وبالتهويل في إطلاق الأحكام، والتنكّر للقضايا الثابتة، والأُمور الواضحة، حتّى غدا النقاش ذاته، هو الهدف المبتغىٰ له، لا نتائج النقاش، الّتي يُراد منها إجلاء وجه الحقّ، ومن ثمّ التمسّك به .

وقد كشفنا في ثنايا الكتاب عن العديد من الموارد الّتي تطاول فيها على مقام النبي ﷺ، وقلّل فيها من شأنه العظيم، حتّى أظهره وكأنه بشر عادي.

كما أنّه لم يعبأ بكلام رسول الله ﷺ إذا خالف عقائده لاسيّما عقيدته في معاوية بن أبي سفيان، فقد تقدّم أنّه يرفض ـ مثلاً ـ توصيف فئة معاوية بالباغية، ويخطّئ رسول الله ﷺ ـ كما تؤول إلى ذلك نتيجة جداله ـ في

إطلاق ذلك الوصف عليها، بقوله الثابت الصحيح: «تقتل عمّاراً الفئة الباغية»، بادّعائه أنّ أهل الشام قوتلوا ابتداءً قبل أن يبدأوا بقتال!!!

وأمّا تهويلاته في كلامه، ومجازافاته في رد الأحاديث الصحاح أو الحسان، كقوله: (هو كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث)، أو قوله: (لا ينقله عن النبي ولا ينسبه إليه إلّا جاهل)، أو قوله: (إنّ أحداً من أهل العلم لم يروِ ذلك)، أو قوله: (إنّ هذا الحديث من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل)، أمّا هذه التهويلات والمجازفات، فقد طغت، بشكل خاصّ، على أسلوبه في مناقشة فضائل وخصائص العترة الطاهرة (لا سيّما سيدها علي ﷺ)، والإصرار على إنكارها وتكذيبها بلا دليل أو برهان، ومن دون الإشارة إلى أي مصدر أو موضع، ذُكر فيه اتفاق أهل المعرفة عليه!!!

ومن ذلك: تكذيبه للشطر الآخر من حديث «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، حيث قال: (وأمّا الزيادة، وهي قوله: «اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه» فلا ريب أنّه كذب)، في حين أنّه صحيح [1]، وقد رواه أحمد بن حنبل في «مسنده» ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة، ورواه من طريق آخر، رجاله ثقات، ورواه النسائي في خصائصه بإسناد صحيح، ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» ورجاله ثقات.[2]

وقد بلغ به الأمر في النيل من شخصية أمير المؤمنين عليّ ﷺ والتهوين من شأنه، أن أنكر ما هو أضوأ من الشمس في وضوحه وسطوعه: بُطولة عليّ

١ . قال ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٦ / ١٢٠٢، برقم ٢٩٨٢: وجملة القول أن الحديث صحيح بشطريه.

٢ . راجع فقرة: موقف أحمد بن حنبل من الإمام علي ﷺ : ١٩٩ .

الّتي ضُربت بها الأمثال، وبلاؤه العظيم في معارك الإسلام، ودوره المتميّز فيها، حيث قال: (وكثير من الوقائع الّتي ثبت بها الإسلام لم يكن لسيفه فيها تأثير)[١]!!!

وبسبب هذه المواقف السلبية الّتي اتخذها ابن تيمية من رسول الله ﷺ وعترته الطاهرة، ذهب تقي الدين الحصني والعلاء البخاري وغيرهما إلى أن ابن تيمية عنده ضغينة سوء للنبي، وأهل بيته، وصدقوا فيما قالوا.[٢]

***

وفي ختام الفصل نقول: لقد أورد ابن تيمية أكاذيب وافتراءات نُربئ بكتابنا هذا عن أن نسوِّد شيئاً من صحائفه بمثل هذه المخازي التي أخرجت كتابه المعتمد عند أبناء طائفته ومريديه (أعني: منهاج السنّة) أخرجته عن عداد الكتب العلمية والموضوعية، وألقت به في رفوف الكتب المهملة والبائدة...

ولكن ولأجل ألّا تنطلي على السُذّج من الناس، ننصح القارئ بأن يمرّ عليها مرور الكرام،[٣] ويبحث في ثنايا الكتاب عن شاهد أو دليل يؤيد ما يزعمه أنّه من ممارسات الشيعة وطقوسهم التي اعتادوا عليها وسماها (مخاريقهم)، فأين الدليل، وأين الشاهد؟

﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

١. راجع ص ٢٦٠ من هذا الكتاب.

٢. انظر: دفع شُبه من شبّه وتمرّد: ١ / ٤٥؛ وأخطاء ابن تيمية: ١١٣.

٣. لاحظ منهاج السنة: ٣٨/١ـ٥٧، وفي طبعة بولاق: ١ / ٩ ـ ١٣.

ونقض غزله أنكاثاً

ثم إنّ ابن تيمية لما وقف على أنّ أكثر ما نسبه من الحماقات إلى الشيعة لا يتفق مع الواقع وأنّهم برآء من هذه التهم براءة يوسف عما أُلصق به، حاول تبرير تلك التهم وقال:

ومما ينبغي أن يُعرف أن ما يوجد في جنس الشيعة من الأقوال والأفعال المذمومة، لكن قد لا يكون هذا كله في الإمامية الاثني عشرية، ولا في الزيدية ولكن يكون كثير منه في الغالية وفي كثير من عوامهم مثل ما يذكر عنهم من تحريم لحم الجمل، وأنّ الطلاق يشترط فيه رضا المرأة، ونحو ذلك مما يقوله بعض عوامهم، وإن كان علماؤهم لا يقولون بذلك، ولكن لما كان أصل مذهبهم مستنداً إلى الجهل كانوا أكثر الطوائف كذباً وجهلاً.[١]

إنّه بكلامه هذا صار من مصاديق قوله تعالى: ﴿كالّتي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوّةٍ أنكاثاً﴾، ومع ذلك كلّه فقد صبّ سمّه في آخر كلامه فجعل الشيعة من أكثر الطوائف كذباً وجهلاً، وكأنّه أحاط بعقائد وأقوال عامّة الطوائف الإسلامية وغيرها وعدّها وأحصاها فوجد الشيعة أكثرهم كذباً وجهلاً.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إنْ يَقُولونَ إلّا كَذِباً﴾.[٢]

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

تمّ الكتاب بقلم مصنفه جعفر السبحاني،

عشيّة يوم الأحد، الخامس

والعشرين من شهر صفر المظفر

من شهور عام١٤٣٢ للهجرة الشريفة

---

١ . منهاج السنّة:٥٧/١، وفي طبعة بولاق: ١ / ١٣ .

٢ . الكهف:٥.

الفهارس الفنية

فهرس المصادر

فهرس المحتويات

فهرس مصادر التأليف

نبدأ تبرّكاً بالقرآن الكريم

أ

١ . **آلاء الرحمن**: محمد جواد البلاغي، (١٢٨٢ ـ ١٣٥٢ هـ)، مكتبة الوجداني، قم المشرفة.

٢ . **الأئمة الاثنا عشر**: السيد علي الميلاني (معاصر).

٣ . **الأئمة الاثنا عشر**: محمد بن طولون (المتوفّى ٩٥٣ هـ) دار صادر.

٤ . **الإتحاف بحب الأشراف**: الشبراوي الشافعي عبدالله بن عامر القاهري (المتوفّى ١١٧٢ هـ) مصر ـ ١٣١٨ هـ.

٥ . **الأحكام السلطانية**: علي بن محمد بن حبيب (المتوفّى ٤٥٠ هـ) دار الفكر، بيروت .

٦ . **أحكام القرآن**: أحمد بن علي الجصّاص (المتوفّى ٣٧٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠١ هـ.

٧ . **إحياء علوم الدين**: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) دار المعرفة، بيروت.

٨ . **إحياء الميت بفضائل أهل البيت** (المطبوع بهامش كتاب الإتحاف بحب الإشراف): جلال الدين السيوطي (المتوفّى ٩١١ هـ) طبع مصر ـ ١٣١٨هـ.

٩ . **الأخبار الطوال**: أحمد بن داود الدينوري (المتوفّى ٢٨٢ هـ) دار إحياء الكتب العربية ـ وعيسى البابي الحلبي، القاهرة ـ ١٩٦٠ م.

١٠ . أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله ﷺ وأهل بيته: محمد السيد صبيح، القاهرة ـ ١٤٢٣ هـ.

١١ . الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفّى ٢٥٦ هـ) مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـ ١٤٠٦ هـ.

١٢ . الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة: محمد صديق حسن القنوجي البخاري (المتوفّى ١٣٠٧ هـ) دار ابن كثير، الطبعة الثانية ـ ١٤٢١ هـ.

١٣ . الأذكار النووية: أبو زكريا يحيى شرف الدين النووي (المطبوع مع الفتوحات الربانية) مؤسسة التقويم الإسلامي ودار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٦هـ.

١٤ . الأربعين في أُصول الدين: فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ) مكتبة الكلّيات الأزهرية، مصر.

١٥ . الإرشاد: المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ ـ ٤١٣ هـ) المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم ـ ١٤١٣ هـ.

١٦ . إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد القسطلاني (٨٥١ ـ ٩٢٣هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧ . أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (المتوفّى ٤٦٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٢ هـ.

١٨ . الاستذكار: ابن عبدالبر (المتوفّى ٤٦٣ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ٢٠٠٠ م.

١٩ . الاستيعاب (المطبوع في حاشية الإصابة): ابن عبدالبر (المتوفّى ٤٦٣هـ) دار النهضة، مصر، القاهرة.

٢٠ . أُسد الغابة: ابن الأثير الجزري (المتوفّى ٦٣٠ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١ . **الأسماء والصفات**: أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفّى ٤٥٨ هـ) طبع مصر.
٢٢ . **إشارات المرام من عبارات الإمام**: أحمد بن حسين بن سنان البياضي الرومي (المتوفّى ١٠٩٨ هـ) طبع القاهرة.
٢٣ . **الإصابة**: ابن حجر العسقلاني (المتوفّى ٨٥٢ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٤ . **أضواء على السنّة المحمدية**: محمود أبو رية (المتوفّى ١٣٨٥ هـ) نشر البطحاء، القاهرة.
٢٥ . **الأعلام**: خير الدين الزركلي (المتوفّى ١٣٩٦ هـ) دار العلم للملايين، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.
٢٦ . **أعيان الشيعة**: محسن الأمين العاملي (المتوفّى ١٣٧١ هـ) دار التعارف، بيروت ـ ١٤٢٠ هـ.
٢٧ . **الأغاني**: أبو الفرج الاصفهاني علي بن الحسين (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٨ . **اقتضاء الصراط المستقيم**: ابن تيمية الحرّاني (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) دار المعرفة، بيروت.
٢٩ . **الأُم**: محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٨ هـ
٣٠ . **الأمالي**: الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (المتوفّى ٣٨١ هـ) مؤسسة البعثة، قم ـ ١٤١٧ هـ.
٣١ . **الإمام البخاري وصحيحه الجامع المختصر**: حسين الهرساوي (معاصر) منشورات دليل ما، قم ـ ١٤٢٥ هـ.
٣٢ . **الإمام الصادق والمذاهب الأربعة**: أسد حيدر، دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٩٠ هـ.

٣٣ . امتاع الأسماع: أحمد بن علي المقريزي (المتوفّى ٨٤٥ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٢٠ هـ.

٣٤ . الأموال: أبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفّى ٢٢٤ هـ) مكتبة الكليات الأزهرية.

٣٥ . الأنساب: عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (المتوفّى ٥٦٢هـ) دار الجنان، بيروت ـ ١٤٠٨ هـ.

٣٦ . أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البلاذري (من أعلام القرن الثالث الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٣٩٤ هـ.

٣٧ . الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف: جعفر السبحاني (تولّد عام ١٣٤٧هـ، مؤلّف هذا الكتاب) مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ ١٤٢٣ هـ.

٣٨ . أنيس الأعلام في نصرة الإسلام: الشيخ محمد صادق الملقّب فخر الإسلام (المتوفّى ١٣٣٠ هـ) مكتبة المرتضوي، طهران ـ ١٣٦٤ هـ. ش.

٣٩ . أوائل المقالات: المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ ـ ٤١٣ هـ) المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم ـ ١٤١٣ هـ.

ب

٤٠ . الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير: أحمد محمد شاكر، دار العاصمة، السعودية ـ ١٤١٥ هـ.

٤١ . بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (المتوفّى ١١١٠ هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٤٢ . بحث حول المهدي: السيد محمد باقر الصدر (المتوفّى ١٤٠٠ هـ) المطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلّفات الشهيد الصدر، دار التعارف، بيروت.

٤٣ . بحوث في الملل والنحل: جعفر السبحاني (تولّد عام ١٣٤٧ هـ مؤلف هذا الكتاب) مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ ١٤٢٧ هـ.

٤٤ . بدائع الصنائع: أبو بكر بن مسعود الكاشاني الحنفي (المتوفّى ٥٨٧ هـ) المكتبة الحبيبية، باكستان ـ ١٤٠٩ هـ.

٤٥ . بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية (المتوفّى ٧٥١ هـ) مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ـ ١٤١٦ هـ.

٤٦ . بداية المجتهد: ابن رشد محمد بن أحمد القرطبي (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٤٧ . البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (المتوفّى ٧٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٢ هـ.

٤٨ . البدعة: عبدالملك عبدالرحمن السعدي، مطبعة النواعير، الرمادي ـ ١٩٩٢ م.

٤٩ . البرهان على صحة طول عمر صاحب الزمان (ملحق كنز الفوائد): أبو الفتح الكراجكي (المتوفّى ٤٤٩ هـ) مكتبة المصطفوي، قم ـ ١٣٦٩ هـ. ش.

٥٠ . بيان تلبيس الجهمية: أحمد بن تيمية الحراني (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ـ ١٣٩٢ هـ.

٥١ . البيان في أخبار صاحب الزمان (ذيل كفاية الطالب): محمد بن يوسف بن محمد الكنجي (المتوفّى ٦٥٨ هـ) النجف الأشرف.

٥٢ . بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة: أُم مالك الخالدي وحسن فرحان المالكي، مركز الدراسات التاريخية، الأردن، الطبعة ٣.

٥٣ . بين يدي الساعة: الدكتور عبدالباقي .

ت

٥٤ . تاريخ الإسلام: الذهبي محمد بن أحمد (المتوفّى ٧٤٨ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠٧ هـ.

٥٥ . تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفّى ٤٦٣ هـ) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٥٦ . تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ـ ٩١١ هـ) دار الجيل ـ ١٤٠٨هـ.

٥٧ . تاريخ خليفة: أبو عمرو خليفة بن خياط شباب العصفري (المتوفّى ٢٤٠هـ) دار الفكر ـ ١٤١٤ هـ.

٥٨ . تاريخ الطبري (تاريخ الأُمم والملوك): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفّى ٣١٠ هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٥٩ . تاريخ الغيبة الكبرى: محمد محمد صادق الصدر (الشهيد عام ١٤١٩ هـ) دار التعارف ـ ١٤١٢ هـ.

٦٠ . التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفّى ٢٥٦ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت .

٦١ . تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (٤٩٩ـ ٥٧١هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤١٥ هـ.

٦٢ . تاريخ المدينة المنورة: عمر بن شبّه النميري البصري (١٧٣ ـ ٢٦٢ هـ) دار الفكر، قم ـ ١٤١٠ هـ.

٦٣ . تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة (المتوفّى ١٣٩٦ هـ) دار الفكر العربي، بيروت.

٦٤ . تاريخ مواليد الأئمة ووفيّاتهم: عبدالله بن أحمد بن الخشاب البغدادي (٤٩٢ ـ ٥٦٧ هـ) المطبوع ضمن مجموعة نفيسة، قم .

٦٥ . تاريخ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب (من أعلام القرن الثالث الهجري) المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ـ ١٣٨٤ هـ.

٦٦ . **التبصير في الدين**: أبو مظفر الاسفراييني (المتوفّى ٤٧١ هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت، طبع عالم الكتب، بيروت.

٦٧ . **التبيان في تفسير القرآن**: محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ) مكتب الإعلام الإسلامي، بيروت ـ ١٤٠٦ هـ.

٦٨ . **تحفة الأحوذي**: المباركفوري محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم (١٢٨٣ ـ ١٣٥٣ هـ) دار الحديث، القاهرة ـ ١٤٢١ هـ.

٦٩ . **التدوين في أخبار قزوين**: عبدالكريم الرافعي الشافعي القزويني (المتوفّى ٦٢٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٨ هـ.

٧٠ . **التذكرة في أحوال الموتى وأُمور الآخرة**: القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري (المتوفّى ٦٧١ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

٧١ . **تذكرة الحفاظ**: محمد بن أحمد الذهبي (المتوفّى ٧٤٨هـ) إحياء التراث العربي، بيروت .

٧٢ . **التعريفات**: الشريف الجرجاني علي بن محمد (المتوفّى ٨١٦ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٣ . **التعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية**: جمال الدين الأفغاني (المتوفّى ١٣١٥ هـ) ومحمد عبده (المتوفّى ١٣٢٣ هـ) مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ـ ١٤٢٣ هـ.

٧٤ . **تفسير ابن أبي حاتم**: ابن أبي حاتم الرازي (المتوفّى ٣٢٧ هـ) المكتبة العصرية، تحقيق أسعد محمد الطيب.

٧٥ . **تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)**: محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦ ـ ١٣٩٣هـ) دار سحنون، تونس ـ ١٩٩٧ م.

٧٦ . تفسير ابن عربي: محمد بن علي المعروف بابن عربي الحاتمي الطائي (المتوفّى ٦٣٨ هـ) دار الكتب العلمية ـ ١٤٢٢ هـ.

٧٧ . تفسير البغوي المسمّى (معالم التنزيل): الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي الشافعي (المتوفّى ٥١٠ هـ) دار المعرفة، بيروت.

٧٨ . تفسير البيضاوي (المسمّىٰ أنوار التنزيل): عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفّى ٦٨٢ هـ) دار الفكر، بيروت.

٧٩ . تفسير الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفّى ٤٢٧ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٢٢ هـ.

٨٠ . تفسير الحداد: أبو بكر بن علي بن محمد الحداد الزبيدي اليمني (المتوفّى ٨٠٠هـ) دار المدار الإسلامي ـ ٢٠٠٣ م .

٨١ . تفسير الرازي (المعروف بمفاتيح الغيب والتفسير الكبير): محمد بن عمر الخطيب الرازي (المتوفّى ٦٠٦ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٨٢ . تفسير القرآن: ابن المنذر محمد بن إبراهيم النيسابوري (المتوفّى ٣١٨هـ) دار المآثر، المدينة المنوّرة ـ ١٤٢٢ هـ.

٨٣ . تفسير الكاشف: محمد جواد مغنية (المتوفّى ١٤٠٠ هـ) دار العلم للملايين، بيروت ـ ١٩٨١ م .

٨٤ . تفسير الكشاف: محمود بن عمر الزمخشري (المتوفّى ٥٣٨ هـ) مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ـ ١٣٦٧ هـ.

٨٥ . تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٦ هـ.

٨٦ . تفسير النسفي (المطبوع في هامش تفسير الخازن)، طبع القاهرة، مصر.

٨٧ . **تفسير النهر الماد (المطبوع بهامش البحر المحيط)**: محمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٨ . **تكملة السيف الصقيل**: محمد زاهد الكوثري (١٢٩٦ ـ ١٣٧١ هـ) طبع دمشق.

٨٩ . **التلخيص (المطبوع ذيل المستدرك)**: الذهبي محمد بن أحمد (المتوفّى ٧٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت .

٩٠ . **تلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفّى ٨٥٢ هـ) دار الفكر.

٩١ . **التمهيد**: ابن عبدالبر (المتوفّى ٤٦٣ هـ) وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ـ ١٣٨٧ هـ.

٩٢ . **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (المتوفّى ٤٠٣ هـ) مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـ ١٤١٤ هـ.

٩٣ . **التمهيد لقواعد التوحيد**: محمود بن زيد الحنفي اللامشي الماتريدي (المتوفّى ٥٠٨ هـ) تحقيق عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي ـ ١٩٩٥ م .

٩٤ . **التوحيد**: الصدوق محمد بن علي ابن بابويه القمي (المتوفّى ٣٨١ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم .

٩٥ . **التوحيد**: عبدالرحمن بن محمد بن إسحاق المعروف بابن مندة (٣٨٣ ـ ٤٧٠ هـ) مؤسسة المعارف، بيروت .

٩٦ . **التوراة**: طبع لندن ـ ١٨٥٦ م .

٩٧ . **التوسل والوسيلة**: ابن تيمية الحراني (المتوفّى ٧٢٨ هـ) المكتب الإسلامي، بيروت ـ ١٣٩٠ هـ.

٩٨ . **التوصل إلى حقيقة التوسّل**: محمد نسيب الرفاعي، بيروت ـ ١٣٩٤ هـ.

٩٩ . تهذيب الآثار: محمد بن جرير الطبري (المتوفّى ٣١٠ هـ) مطابع الصفا، مكة ـ ١٤٠٢ هـ.

١٠٠ . تهذيب الأحكام: محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ١٣٩٧ هـ.

١٠١ . تهذيب الأسماء واللغات: محيي الدين بن شرف النووي (المتوفّى ٦٧٦هـ) دارالكتب العلمية، بيروت.

١٠٢ . تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني (المتوفّى ٨٥٢هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.

١٠٣ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال: جمال الدين المزّي (٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ١٤٠٦ هـ.

ث

١٠٤ . الثقات: محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي (المتوفّى ٣٥٤هـ) مؤسسة الكتب الثقافية، حيدر آباد الدكن، الهند ـ ١٣٩٣ هـ.

ج

١٠٥ . جامع الأحاديث: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ).

١٠٦ . جامع الأُصول: ابن الأثير المبارك بن محمد الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

١٠٧ . الجامع الصغير: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) دار الفكر، بيروت.

١٠٨ . جامع العلوم (دستور العلماء): القاضي عبدالنبي الأحمد نگري الهندي مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٣٩٥ هـ.

١٠٩ . **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**: القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري (المتوفّى ٦٧١ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

١١٠ . **جامع المسائل**: ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ـ ١٤٢٧هـ.

١١١ . **جامع مسانيد أبي حنيفة**: محمد بن محمود الخوارزمي (٥٩٣ ـ ٦٦٥ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٢ . **الجرح والتعديل**: أبو حاتم الرازي (المتوفّى ٣٢٧ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٣٧١ هـ.

١١٣ . **الجواب الباهر لزوار المقابر**: ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ).

١١٤ . **جواهر الكلام**: محمد حسن النجفي (المتوفّى ١٢٦٦ هـ) دار الكتب الإسلامية، إيران ـ ١٣٩٢ هـ.

ح

١١٥ . **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ـ لأبي البركات سيدي أحمد الدردير ـ**: الشيخ محمد عرفة الدسوقي (المتوفّى ١٢٣٠ هـ) دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١١٦ . **حلية الأولياء**: أحمد بن عبدالله المعروف بأبي نعيم الاصفهاني (المتوفّى ٤٣٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٧٨ هـ.

خ

١١٧ . **خصائص أمير المؤمنين**: أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ) مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

١١٨ . **الخلاف**: محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ) دار الكتب العلمية، قم.

د

١١٩ . دائرة معارف القرن العشرين: فريد وجدي، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين ـ ١٣٨٦ هـ.

١٢٠ . الدر المنثور: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

١٢١ . الدرر السنية: أحمد زيني دحلان (المتوفّى ١٣٠٤ هـ)، مكتبة البابي الحلبي، مصر ـ ١٣٦٨ هـ.

١٢٢ . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفّى ٥٨٢ هـ) حيدر آباد.

١٢٣ . الدرّة الثمينة: أبو عبدالله محمد بن محمود بن النجار البغدادي (المتوفّى ٦٤٣هـ)، المطبوع بآخر كتاب شفاء الغرام لمحمد بن أحمد الفاسي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

١٢٤ . الدعاء: الطبراني سليمان بن أحمد (المتوفّى ٣٦٠ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤١٣ هـ.

١٢٥ . دفع الشبهة عن الرسول والرسالة (دفع شبهة من شبّه وتمرد): أبو بكر بن محمد بن عبدالمؤمن تقي الدين الحصني الدمشقي (٧٥٢ ـ ٨٢٩ هـ) دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة ـ ١٤١٨ هـ.

١٢٦ . دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه: أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الحنبلي (المتوفّى ٥٩٧ هـ) دار الإمام النووي، عمان ـ ١٤١٣ هـ.

١٢٧ . ديوان أبي تمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي أبو تمام (١٨٨ ـ ٢٣١هـ) دار صعب، بيروت.

ذ

١٢٨ . ذخائر العقبى: محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري (المتوفّى ٦٩٤ هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ ١٤٠١ هـ.

١٢٩ . ذكر أخبار اصبهان: أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، ليدن، مطبعة بريل ـ ١٩٣١ م.

ر

١٣٠ . الرجال: البرقي أحمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن خالد (من أعلام أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري) مؤسسة الإمام الصادق، قم ـ ١٤٣٠ هـ

١٣١ . الرجال: الطوسي محمد بن الحسن (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ ١٤١٥ هـ.

١٣٢ . الرجال: النجاشي أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي (٣٧٢ ـ ٤٥٠ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ ١٤٠٧ هـ.

١٣٣ . رجال البخاري: الباجي سليمان بن خلف (المتوفّى ٤٧٤ هـ).

١٣٤ . الرحلة: ابن بطوطة محمد بن عبدالله (المتوفّى ٧٧٩ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.

١٣٥ . الرد على الأخنائي: ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ـ ١٤٠٤ هـ.

١٣٦ . الرد على المتعصّب العنيد: عبدالرحمن بن الجوزي (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ) تحقيق محمد كاظم المحمودي، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

١٣٧ . الرد على المنطقيين: ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ).

١٣٨ . الرد على من قال بفناء الجنة والنار: ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ).

١٣٩ . الرسائل: الجاحظ عمرو بن بحر (١٦٣ ـ ٢٢٥ هـ) دار الجيل، بيروت ـ ١٤١١ هـ.

١٤٠ . الرسالة القشيرية: أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري (المتوفّى ٤٦٥ هـ).

١٤١ . روح المعاني (تفسير الآلوسي): محمود البغدادي الآلوسي (المتوفّى ١٢٧٠ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

١٤٢ . روضة الطالبين: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (المتوفّى ٦٧٦ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٣ . الرياض النضرة: عبدالرحمن بن الجوزي (المتوفّى ٥٩٧ هـ).

١٤٤ . الرياض النضرة: المحب الطبري (المتوفّى ٦٩٤ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

س

١٤٥ . سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الألباني (معاصر) المكتب الإسلامي، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

١٤٦ . السنن: ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، نشر إحياء الكتب العربية.

١٤٧ . السنن: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي (٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤٨ . السنن: الدارقطني علي بن عمر (٣٠٦ ـ ٣٨٥ هـ) دار المحاسن، القاهرة.

١٤٩ . السنن: الدارمي عبدالله بن عبدالرحمن (١٨١ ـ ٢٥٥ هـ) دار إحياء السنّة النبوية.

١٥٠ . السنن: النسائي أحمد بن شعيب (٢١٥ ـ ٣٠٣ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٣٤٨ هـ.

١٥١ . السنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفّى ٤٥٨ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٦ هـ.

١٥٢ . السنّة: أحمد بن حنبل (المتوفّى ٢٤١ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ

١٥٣ . سير أعلام النبلاء: الذهبي محمد بن أحمد (المتوفّى ٧٤٨هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ١٤٠٩ هـ.

١٥٤ . السيرة الحلبية: علي بن إبراهيم الحلبي (المتوفّى ١٠٤٤ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٠ هـ.

١٥٥ . سيرة زيني دحلان (المطبوع في هامش السيرة الحلبية): أحمد زيني دحلان (المتوفّى ١٣٠٤ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٠ هـ.

١٥٦ . السيرة النبوية: ابن هشام عبدالملك بن أيوب الحميري (المتوفّى ٢١٣ أو ٢١٨هـ) دار التراث العربي، بيروت.

١٥٧ . السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل: علي بن عبدالكافي السبكي (المتوفّى ٧٥٦هـ) مكتبة زهران، تقديم مجموعة من علماء الأزهر.

ش

١٥٨ . شذرات الذهب: عبدالحي بن العماد الحنبلي (المتوفّى ١٠٨٩ هـ) دار الآفاق، بيروت.

١٥٩ . شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (المتوفّى ٣٦٣ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم .

١٦٠ . شرح الأُصول الخمسة: القاضي عبدالجبار بن أحمد (المتوفّى ٤١٥ هـ) نشر مكتبة وهبة، القاهرة ـ ١٣٨٤ هـ.

١٦١ . شرح حديث النزول: ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ) تحقيق محمد بن عبدالرحمن الخميس، نشر دار العاصمة.

١٦٢ . شرح الشفا (نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض): أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري، دار الفكر، بيروت.

١٦٣ . شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (المسمّى الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الطيبي الحسين بن محمد (المتوفّى ٧٤٣ هـ) دار الكتب العلمية ـ ١٤٢٢ هـ.

١٦٤ . شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي (المتوفّى ٧٩٢ هـ) المكتبة الإسلامية، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.

١٦٥ . شرح مختصر الخرقي في فروع الحنابلة: أبو القاسم عمر الحنبلي (المتوفّى ٣٣٤ هـ) .

١٦٦ . شرح المواقف: الشريف الجرجاني علي بن محمد (المتوفّى ٨١٦ هـ) مطبعة السعادة، مصر ـ ١٣٢٥ هـ.

١٦٧ . شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (المتوفّى ٦٥٥ هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ ١٣٧٨ هـ.

١٦٨ . شرح نهج البلاغة: مثيم بن علي بن ميثم البحراني (المتوفّى ٦٧٩ هـ) دار الآثار للنشر ودار العالم الإسلامي، بيروت ـ ١٤٠٢ هـ.

١٦٩ . شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٠ . الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض بن موسى الأندلسي (٤٧٦ ـ ٥٤٤ هـ) طبع دار الفيحاء، عمان ـ ١٤٠٧ هـ.

١٧١ . شفاء السقام في زيارة خير الأنام: علي بن عبدالكافي السبكي (المتوفّى ٧٥٦هـ) مصر ـ ١٤١٩ هـ.

١٧٢ . شواهد الحق في التوسل بسيد الخلق: يوسف بن إسماعيل النبهاني، اسلامبول ـ ١٩٧٣ م .

ص

١٧٣ . **الصحاح**: الجوهري إسماعيل بن حمّاد (المتوفّى ٣٩٣ هـ) دار العلم للملايين، بيروت ـ ١٤٠٧ هـ.

١٧٤ . **الصحيح**: ابن حبان (المتوفّى ٣٥٤ هـ) مؤسسة الرسالة ـ ١٤١٤ هـ.

١٧٥ . **الصحيح**: ابن خزيمة محمد بن إسحاق السلمي النيسابوري (٢٢٣ ـ ٣١١هـ) المكتب الإسلامي ـ ١٤١٢ هـ.

١٧٦ . **الصحيح**: البخاري محمد بن إسماعيل (المتوفّى ٢٥٦ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤١٩ هـ.

١٧٧ . **الصحيح**: مسلم بن الحجاج القشيري (المتوفّى ٢٦١ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧٨ . **صحيح صفة صلاة النبي**: حسن بن علي السقاف.

١٧٩ . **صفة الصفوة**: ابن الجوزي (المتوفّى ٥٩٧ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٦هـ.

١٨٠ . **الصلة بين التصوّف والتشيّع**: كامل مصطفى الشيبي، دار المعارف، مصر، الطبعة ٢ ـ ١٩٦٩ م.

١٨١ . **صلة تاريخ الطبري**: عريب بن سعد القرطبي (المتوفّى ٣٦٩ هـ) مطبوع مع الجزء الثامن من تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

١٨٢ . **صلح الاخوان**: داود بن سليمان الخالدي البغدادي (المتوفّى ١٢٩٩ هـ) طبع بمبي، الهند.

١٨٣ . **الصواعق المحرقة**: أحمد بن حجر الهيتمي (٨٩٩ ـ ٩٧٤ هـ) مكتبة القاهرة، مصر ـ ١٣٨٥ هـ.

ض

١٨٤ . الضعفاء الكبير: أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي (المتوفّى ٣٢٢ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.

١٨٥ . الضوء اللامع: السخاوي محمد بن عبدالرحمن (٨٣١ ـ ٩٠٢ هـ) دار مكتبة الحياة، بيروت.

ط

١٨٦ . طبقات الحنابلة: القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى بن الفراء، (٤٥١ ـ ٥٢٦ هـ)، دار المعرفة بيروت .

١٨٧ . طبقات الحنفية: عبدالقادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي (المتوفّى ٧٧٥ هـ) مير محمد كتب خانه، كراتشي.

١٨٨ . طبقات الشافعية الكبرى: السبكي عبدالوهاب بن علي (المتوفّى ٧٧١ هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ ١٣٩٦ هـ.

١٨٩ . الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (المتوفّى ٢٣٠ هـ) دار صادر، بيروت ـ ١٣٨٠ هـ.

١٩٠ . طبقات المفسّرين: محمد بن علي الداودي المالكي (المتوفّى ٩٤٥ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

ع

١٩١ . العبر في خبر من غبر: محمد بن أحمد الذهبي (المتوفّى ٧٤٨ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤١٨ هـ.

١٩٢ . العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل: محمد بن عقيل العلوي (١٢٧٩ ـ ١٣٥٠ هـ) مؤسسة الهدف للإعلام والنشر، تعليق صالح الورداني.

١٩٣ . العرف الوردي في أخبار المهدي: جلال الدين السيوطي (المتوفّى ٩١١هـ) دار الكتب العلمية.

١٩٤ . عقد الدرر من أخبار المهدي المنتظر: يوسف بن يحيى السلمي المقدسي الشافعي، مكتبة عالم الفكر، القاهرة ـ ١٣٩٩ هـ.

١٩٥ . العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي (المتوفّى ٣٢٨ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.

١٩٦ . العقيدة النسفية: أبو حفص عمرو بن محمد النسفي (المتوفّى ٥٣٧ هـ) طبعة استنبول.

١٩٧ . العقيدة الواسطية: ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، الرياض ـ ١٤١٢ هـ.

١٩٨ . العلل المتناهية: عبدالرحمن بن الجوزي (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٩ . العلل ومعرفة الرجال: أحمد بن حنبل (المتوفّى ٢٤١ هـ) تحقيق الدكتور وحي الله، بيروت ـ ١٤٠٨ هـ.

٢٠٠ . علي بن أبي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة: عبدالكريم الخطيب المصري (المتوفّى ١٣٩٦ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٩٧٥ م.

٢٠١ . عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: محمود بن أحمد العيني الحنفي (المتوفّى ٨٥٥ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٠٢ . عمل اليوم والليلة: النسائي أحمد بن شعيب (المتوفّى ٣٠٣ هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ١٤٠٦ هـ.

٢٠٣ . العهود المحمدية: عبدالوهاب الشعراني (المتوفّى ٩٧٣ هـ) شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية ـ ١٣٩٣ هـ.

٢٠٤ . عيون الأثر في المغازي والسير: ابن سيد الناس محمد بن محمد الأندلسي اليعمري الشافعي (٦٧١ ـ ٧٣٤ هـ) مكتبة دار التراث، المدينة المنورة ـ ١٤١٣ هـ.

٢٠٥ . عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق (المتوفّى ٣٨١هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.

غ

٢٠٦ . غاية المرام في علم الكلام: سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد الآمدي (٥٥١ ـ ٦٣١ هـ) القاهرة ـ ١٣٩١ هـ.

٢٠٧ . الغدير: العلّامة عبدالحسين بن أحمد الأميني (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٨٧ هـ.

ف

٢٠٨ . الفائق في غريب الحديث: محمد بن عمر الزمخشري (المتوفّى ٥٣٨ هـ) دار المعرفة، بيروت.

٢٠٩ . الفتاوى الحديثية: ابن حجر الهيثمي (المتوفّى ٩٧٣ هـ) طبع مصر.

٢١٠ . الفتاوى الكبرى: ابن تيمية الحرّاني (المتوفّى ٧٢٨ هـ) دار القلم، بيروت ـ ١٤٠٧هـ.

٢١١ . فتح الباري في شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ـ ٨٥٢ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١٢ . فتح العزيز: عبدالكريم الرافعي (المتوفّى ٦٢٣ هـ) دار الفكر.

٢١٣ . فتوح الشام: الواقدي محمد بن عمر بن واقد (١٣٠ ـ ٢٠٧ هـ) دار الجيل، بيروت.

٢١٤ . الفتوحات المكية: ابن عربي محمد بن علي الحاتمي الطائي (المتوفّى ٦٣٨ هـ) دار صادر، بيروت.

٢١٥ . فرائد السمطين: إبراهيم بن محمد الجويني الحموئي (المتوفّى ٧٣٠هـ) مؤسسة المحمودي، بيروت ـ ١٤٠٠ هـ.

٢١٦ . فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر: مرعي بن يوسف المقدسي

الحنبلي (من علماء القرن الحادي عشر) مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ـ ١٤٢٧هـ.

٢١٧ . فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان: العزامي الشافعي القضاعي، المطبوع مع كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، طبع مصر.

٢١٨ . الفصول المهمة: علي بن محمد بن أحمد المالكي المعروف بابن الصبّاغ (٧٣٤ـ ٨٥٥هـ) دار الحديث، قم .

٢١٩ . الفقه على المذاهب الأربعة: عبدالرحمن الجزيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢٠ . الفقه والمتفقّه: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفّى ٤٦٣ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢١ . الفهرست: الطوسي محمد بن الحسن (٣٨٥ـ ٤٦٠هـ) مؤسسة نشر الفقاهة، قم ـ ١٤١٧ هـ.

٢٢٢ . فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي (المتوفّى ٧٦٤هـ) دار صادر، بيروت .

٢٢٣ . فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد عبدالرؤوف المناوي (٩٥٢ـ ١٠٣١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤١٥ هـ.

٢٢٤ . في ظلال القرآن: سيد قطب بن إبراهيم (١٣٢٤ ـ ١٣٨٧ هـ) دار التراث العربي، بيروت ـ ١٩٦٧ م .

ق

٢٢٥ . القواعد الفقهية : محمد حسن البجنوردي (المتوفّى ١٣٩٥هـ) نشر الهادي، قم ـ ١٤١٩ هـ.

٢٢٦ . القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية: محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي (٦٩٣ ـ ٧٤١هـ) دار العلم للملايين، بيروت ـ ١٩٦٨ م .

ك

٢٢٧ . الكاشف: محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ) دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدّة ـ ١٤١٣ هـ.

٢٢٨ . الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (المتوفّى ٣٢٩ هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ١٣٩٧ هـ.

٢٢٩ . الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري محمد بن محمد (المتوفّى ٦٣٠ هـ) دار صادر، بيروت.

٢٣٠ . الكتاب المقدس: مجمع الكنائس الشرقية، دار المشرق، بيروت ـ ١٩٨٨ م.

٢٣١ . كشف الارتياب: السيد محسن الأمين (المتوفّى ١٣٧١ هـ) تحقيق حسن الأمين، منشورات مكتبة الحرمين، الطبعة ٢ ـ ١٣٨٢ هـ.

٢٣٢ . كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفّى ١١٦٢ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٨ هـ.

٢٣٣ . كشف الظنون: حاج خليفة مصطفى بن عبدالله (المتوفّى ١٠٦٧ هـ) طبع استنبول ـ ١٣٦٢ هـ.

٢٣٤ . كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلّامة الحلّي (المتوفّى ٧٢٦هـ) مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.

٢٣٥ . الكلم الطيب: أحمد بن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) المكتب الإسلامي ـ ١٣٩٧ هـ.

٢٣٦ . كمال الدين: الشيخ الصدوق (المتوفّى ٣٨١ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ ١٤٠٥ هـ.

٢٣٧ . كنز العمال: عماد الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (المتوفّى ٩٧٥ هـ)

مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

٢٣٨ . **كنوز الحقائق من حديث خير الخلائق**: محمد عبدالرؤوف المناوي الشافعي (٩٥٢ ـ ١٠٣١ هـ) مطبوع في هامش الجامع الصغير للسيوطي، دار الفكر، بيروت.

ل

٢٣٩ . **لسان العرب**: ابن منظور محمد بن مكرم (المتوفّى ٧١١هـ) قم ـ ١٤٠٥ هـ.

م

٢٤٠ . **مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن**: عبدالرحمن بن الجوزي (المتوفّى ٥٩٧هـ) دار الراية، الرياض ـ ١٤١٥ هـ.

٢٤١ . **مجمع البحرين**: فخر الدين الطريحي (المتوفّى ١٠٨٥ هـ) المكتبة الرضوية، قم.

٢٤٢ . **مجمع البيان**: الفضل بن الحسن الطبرسي (٤٧١ ـ ٥٤٨ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٨ هـ.

٢٤٣ . **مجمع الزوائد**: علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥ ـ ٨٠٧ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠٢ هـ.

٢٤٤ . **المجموع** (شرح مهذب الشيرازي): أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦ هـ) مكتب الإرشاد، جدّة.

٢٤٥ . **مجموع الرسائل الكبرى**: ابن تيمية الحرّاني (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ) مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

٢٤٦ . **مجموع الفتاوى**: ابن تيمية الحرّاني (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) مكتبة ابن تيمية، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي.

٢٤٧ . **مجموعة نفيسة**: محمود المرعشي (معاصر) مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم.

٢٤٨ . **المحبّر**: محمد بن حبيب البغدادي (المتوفّى ٢٤٥ هـ) مطبعة الدائرة ـ ١٣٦١ هـ.

٢٤٩ . مختصر تاريخ دمشق: ابن منظور محمد بن مكرم (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.

٢٥٠ . مرآة الزمان: سبط ابن الجوزي يوسف قزاوغلي بن عبدالله البغدادي (المتوفّى ٦٥٤ هـ) الدار الوطنية، بغداد ـ ١٩٩٠ م.

٢٥١ . مرقاة المفاتيح: علي القاري الهروي (المتوفّى ١٠٤٤ هـ) دار الفكر ـ ١٤٢٢هـ.

٢٥٢ . مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي (المتوفّى ٣٤٥ هـ) دار الأندلس، بيروت.

٢٥٣ . المستدرك: الحاكم النيسابوري محمد بن عبدالله (المتوفّى ٤٠٥ هـ) دار المعرفة، بيروت.

٢٥٤ . المسند: أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود (المتوفّى ٢٠٤ هـ) دار المعرفة، بيروت.

٢٥٥ . المسند: أبو يعلى الموصلي أحمد بن علي بن المثنى التميمي (٢١٠ ـ ٣٠٧ هـ) دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية، بيروت ودمشق.

٢٥٦ . المسند: أحمد بن حنبل (المتوفّى ٢٤١ هـ) دار الفكر، بيروت.

٢٥٧ . مسند الإمام العسكري عليه السلام: عزيز الله العطاردي (معاصر)، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد ـ ١٤١٠ هـ.

٢٥٨ . مسند الشهاب: محمد بن سلامة القضاعي (المتوفّى ٤٥٤ هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

٢٥٩ . مصابيح السنّة: حسين بن مسعود الفرّاء البغوي (المتوفّى ٥١٦ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٧ هـ.

٢٦٠ . المصنّف: أبو بكر بن أبي شيبة (المتوفّى ٢٣٥ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٩ هـ.

٢٦١ . مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: محمد بن طلحة الشافعي (٥٨٢ ـ

٦٥٢هـ) تحقيق ماجد بن أحمد عطية.

٢٦٢ . **المطالب العالية:** ابن حجر العسقلاني (المتوفّى ٨٥٢هـ) دار المعرفة، بيروت.

٢٦٣ . **معجم الأدباء:** ياقوت بن عبدالله الحموي (المتوفّى ٦٢٢هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٠هـ.

٢٦٤ . **المعجم الأوسط:** أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٢٠هـ.

٢٦٥ . **معجم الشعراء:** محمد بن عمران المرزباني (٢٩٧ ـ ٣٨٤هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦٦ . **المعجم الصغير:** أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٩هـ.

٢٦٧ . **المعجم الكبير:** أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٤هـ.

٢٦٨ . **المعرفة والتاريخ:** يعقوب بن سفيان الفسوي (المتوفّى ٢٧٧هـ) مكتبة الدار، المدينة المنورة ـ ١٤١٠هـ.

٢٦٩ . **المغازي:** الواقدي محمد بن عمر بن واقد (١٣٠ ـ ٢٠٧هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٢٧٠ . **المغني:** عبدالله بن قدامة (٥٤١ ـ ٦٢٠هـ) مطبعة الإمام، مصر.

٢٧١ . **مفاهيم القرآن:** جعفر السبحاني (تولّد عام ١٣٤٧هـ مؤلّف هذا الكتاب) مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام في ١٠ أجزاء، قم ـ ١٤٢٠هـ.

٢٧٢ . **مقاتل الطالبيين:** أبو الفرج الاصفهاني (٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ) النجف الأشرف.

٢٧٣ . **المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية:** عبدالله الهرري الحبشي دار

المشاريع، بيروت ـ ١٩٩٤ م.

٢٧٤ . مقالات الكوثري: محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري (١٢٩٦ ـ ١٣٧١ هـ) نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ـ ١٤١٤ هـ.

٢٧٥ . مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفّى ٣٩٥ هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ ١٣٦٦ هـ.

٢٧٦ . الملل والنحل: الشهرستاني محمد بن عبدالكريم (٤٧٩ ـ ٥٤٨ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤١٦ هـ.

٢٧٧ . مناقب آل أبي طالب: ابن شهرآشوب محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ ـ ٥٨٨ هـ) المطبعة العلمية، قم.

٢٧٨ . مناقب الإمام علي بن أبي طالب: ابن المغازلي علي بن محمد بن الطيب المالكي (المتوفّى ٤٨٣ هـ) دار الأضواء، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٢٧٩ . مناقب أحمد: ابن الجوزي عبدالرحمن بن علي بن محمد (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ) دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢٨٠ . مناقب علي بن أبي طالب: الخوارزمي أحمد بن محمد (المتوفّى ٥٦٨ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ ١٤١١ هـ.

٢٨١ . منتخب الأثر: لطف الله الصافي الگلپايگاني (معاصر)، مركز نشر كتاب، طهران ـ ١٣٧٣ هـ.

٢٨٢ . المنتخب من ذيل المذيل (المطبوع في ذيل ج ٨ تاريخ الطبري): محمد بن جرير الطبري (المتوفّى ٣١٠ هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٢٨٣ . المنتظم: ابن الجوزي عبدالرحمن بن علي البغدادي (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤١٢ هـ.

٢٨٤ . المنهاج: محيي الدين النووي (المطبوع بهامش شرحه للمغني).
٢٨٥ . منهاج السنة النبوية: أحمد بن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٦ هـ؛ وطبعة بولاق، القاهرة، مصر ـ ١٣٢١ هـ.
٢٨٦ . منهاج الكرامة: العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨ ـ ٧٢٦هـ) منشورات تاسوعاء، مشهد ـ ١٣٧٩ هـ. ش.
٢٨٧ . موافقة صحيح المنقول الصريح المعقول (أو درء تعارض العقل والنقل): أحمد بن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤١٧ هـ.
٢٨٨ . المواهب اللدنية: أحمد بن محمد القسطلاني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت ـ ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.
٢٨٩ . الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ـ ١٤١٤ هـ.
٢٩٠ . الموضوعات: عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ) المكتبة السلفية، المدينة المنورة ـ ١٣٨٦ هـ.
٢٩١ . الموطأ: مالك بن أنس (المتوفّى ١٧٩ هـ) دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.
٢٩٢ . ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد الذهبي (المتوفّى ٧٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت.
٢٩٣ . الميزان في تفسير القرآن: العلّامة الطباطبائي (١٣٢١ ـ ١٤٠٢ هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

ن

٢٩٤ . نثر اللآلي على نظم الأمالي: عبدالحميد بن عبدالله بن محمود الآلوسي (١٢٣٢ ـ ١٣٢٤ هـ).
٢٩٥ . نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية: أحمد محمود صبحي، دار المعارف، مصر.

٢٩٦ . نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار: السيد علي الحسيني الميلاني (معاصر) مطبعة مهر ـ ١٤١٤ هـ.

٢٩٧ . النكت البديعات: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) دار الجنان، الطبعة الأُولى ـ ١٤١١ هـ.

٢٩٨ . نهاية الإقدام في علم الكلام: محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (٤٧٩ـ٥٤٨ هـ) طبعة آكسفورد ـ ١٩٣٤ م.

٢٩٩ . نهاية الفصول في دراية الأُصول: الفخر الرازي.

٣٠٠ . نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي لخطب أمير المؤمنين عليه السلام (٣٥٩ـ٤٠٦ هـ) بيروت ـ ١٣٨٧ هـ.

٣٠١ . نيل الأوطار: محمد بن علي بن محمد (١١٧٢ ـ ١٢٥٥ هـ) دار الجيل، بيروت.

هـ

٣٠٢ . هداية الحيارى: ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ).

و

٣٠٣ . الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي (المتوفّى ٧٦٤ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٢٠ هـ.

٣٠٤ . وسائل الشيعة: الحر العاملي محمد بن الحسن (١٠٣٣ ـ ١١٠٤ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٣٠٥ . وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: علي بن أحمد السمهودي (المتوفّى ٩١١هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠١ هـ.

٣٠٦ . وفيات الأعيان: أحمد بن خلّكان (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ) منشورات الشريف الرضي، قم ـ ١٣٦٤ هـ.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

